ابن سعود وقضية فلسطين

التاريخ - المؤامرة - القضية

تأليف
أحمد عبد الغفور عطار

مكة المكرمة
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

ابن سعود وقضية فلسطين

التاريخ - المؤامرة - القضية

تأليف

أحمد عبد الغفور عطار

مكة المكرمة

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

الطبعة الأولى
بيروت
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الطبعة الثانية
جـدة
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى شباب العرب والمسلمين ، بل الى كل العرب والمسلمين نموذج حي لشيء من جهود أكبر قائدين لحركة الإسلام والعروبة في هذا العصر وجهادهما في قضية فلسطين التي تنتظر منّا أن نستعيدها من المغتصبين بمشيئة الله ثم بمشيئة عباده الصالحين .

الثلاثاء

٢٧ رمضان ١٤٠٤هـ
٢٦ يوليو ١٩٨٤م

أحمد عبد الغفور عطار
مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحق الذي لا مراء فيه أن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود مؤسس الدولة السعودية الحديثة هذه كان الملك العربي المسلم الوحيد الذى حمل وحده دون سائر حكام العرب والمسلمين عبء قضية فلسطين ، وكان وحده الذى وقف في وجه روزفلت وتشرشل في أواخر أيام الحرب العظمى الثانية ، وجَبَهَهُما بظلم الحلفاء للعرب بعامة ، وللفلسطينيين بخاصة فى الحرب العظمى الأولى ، وانتزاعهم منهم حقهم ، وإعطائهم إياه اليهود .

وكان حوار الملك عبدالعزيز مع الرئيس روزفلت فى اجتماعهما على ظهر الطرادة الأمريكية المسماة « كونيرى » بالبحيرات المرة صباح يوم الخميس ٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ (١٥ فبراير ١٩٤٥ م) ورأى الرئيس الأمريكي أن ينتهز هذه الفرصة ويظفر من الملك عبدالعزيز بالموافقة على أن يتأسس لليهود في فلسطين وطن قومي ، واتخذ للظفر بهذه الموافقة كل عبقريته السياسية ودهائه .

ويعرف روزفلت خلائق العربي وكرمه ونخوته وسخاءه فتوسل بهن إلى الملك عبدالعزيز ، وبدأ روزفلت حديثه بعرض ما لقى اليهود فى ألمانيا من اضطهاد وظلم وتقتيل وتشريد و « مصادرة » الأملاك اليهودية من قِبَل الألمان ، فهو يرجو

من الملك العربي العظيم أن يعوض اليهود باتخاذ شيء من أرض فلسطين وطنا قوميا لليهود يجدون به مأمنهم .

فلما انتهى روزفلت من عرض ما عرض أجابه الملك عبدالعزيز قائلا : ما دام الألمان ـ كما تذكرون ـ هم الذين استولوا على ممتلكات اليهود في ألمانيا فخذوا منهم أحسن أراضيهم وبيوتهم وأعطوها اليهود ، وليس من الحق أن يُتْرَكَ الألمان ينعمون بما أخذوا . ويعاقب العرب بذنب لم يقترفوه فتُنْتَزَع منهم أرضهم ويُعطاها اليهود .

ولم يستمر روزفلت في حواره ، ولكن رسائل تبودلت بين روزفلت والملك عبدالعزيز الذى لم يتغير موقفه إلا إلى ما هو أشد وأثبت ، وفي هذا الكتاب تلك الرسائل ومواقف الملك عبدالعزيز التى لم يقفها غيره وغير أبنائه الكرام .

ففي المقابلة التاريخية أجاب الملك عبدالعزيز جوابا أفحم روزفلت ، ولو كان الرئيس روزفلت يريد الحل لاقتنع بكلام ابن سعود ، ولكن لم يكن مراده الحق ، بل كان مصمما على أن ينتزع اليهود بكل وسيلة ما يطمعون فيه من أرض فلسطين العربية ، وأن يكون عونا لقومه اليهود على تحقيق حلمهم الشرير .

وفي كتابنا هذا ذكر موجز لمواقف الملك عبدالعزيز وابنه الملك فيصل ، والمكاتبات المتبادلة مع روزفلت وتشرشل والمحادثات والمباحثات بينهما وبين الملك عبدالعزيز ، وهي مواقف عظيمة وشُجاعة لم يقفها غير الملك عبدالعزيز والملك فيصل رحمهما الله .

ولعل هذا الوقت أنسب الأوقات لإعادة طبع هذا الكتاب الذي نَفِدَتْ طبعته الأولى خلال بضعة الشهور الأولى من صدورها .

وبعد أن تولى الملك فهد بن عبدالعزيز عرش المملكة العربية السعودية وتسلم الأمانة وميراث آل سعود تسلم معهما عبء قضية فلسطين بعد أن زادت تعقيدا ومشاكل ، وتضخمت إسرائيل حتى شملت الولايات المتحدة الأمريكية التى أسرفت في الظلم إسرافا إذْ انضمت إلى إسرائيل فكانت من أقوى دول هذا العصر .

وموقف الملك فهد من قضية فلسطين موقف غاية في الصعوبة ، وانتهت على يد أبناء فلسطين إلى أن يقصروا الحرب فيما بينهم ليكون النصر كله لعدوهم اليهود .

وموقف فهد لا يُوَفَّى القول فيه في صفحات معدودات ، ولو أردنا إيجاز القول فيه لاستغرق منا عشرات الصفحات ، وفي كتابنا الذي نؤلفه في الملك فهد الذي نرجو أن ننجزه فى بضعة الشهور القادمة فصل ضخم في فهد وقضية فلسطين لم ننقله من موضعه إلى هذا الكتاب لنحتفظ في مؤلفنا في الملك فهد بما كتبناه له لنحتفظ له بحقه وجدته .

وموجز القول : إن مواقف الملوك من آل سعود تجاه قضية فلسطين مواقف آية في الشرف والشجاعة والكرم تفردوا بها دون كل حكام العرب والمسلمين .

الأحـد : ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ — أحمد عبدالغفور عطار

غرة يناير ١٩٨٤ م — مكة المكرمة

مقدمة الطبعة الأولى

رحم الله الملك عبدالعزيز آل سعود ، فقد كان نموذج العربي المسلم ، ولم يجئ في تاريخ العروبة والاسلام الحديث مثله ، وعاش حياته لاعلاء كلمة الله ، واستعادة حق العرب ، ولذلك ساعد كل الحركات العربية والإسلامية في العالم .

والمملكة العربية السعودية هي الدولة الوحيدة التي عم برها العالم العربي والإسلامي ، ولم ينقطع سيل برها ومعوناتها عن التدفق منذ البدء حتى اليوم ، وكلما زاد دخل المملكة السعودية تضاعفت معوناتها لشقيقاتها ، ولو جمع ما قدمته لبلغ عشرات البلايين من الريالات .

وآثرت المملكة العربية السعودية شقيقاتها بخيراتها ، وهذه تضحية خلت منها صفحات تاريخ كل دول العالم ، وتفرد تاريخ المملكة السعودية بهذه التضحية .

والأجيال الحاضرة لا تعلم عن جهود ابن سعود من أجل فلسطين وقضيتها ، ولا تعلم مواقفه التي لم يقفها أحد سواه ، ولا يمكن لأحد غيره أن يصنع صنيعه ، لأن تاريخ العرب والمسلمين المعاصر لايذكر انسانا في مواهب ابن سعود وخلائقه ، فقد كانت في العالم العربى دول أغنى من دولته ، بل كانت مصر والعراق والشام أغنى من البلاد السعودية وأكثر تقدما وحضارة وعمرانا ، ومع هذا كانت تساعد تلك الأقطار بكل ما تستطيع ، حتى أنها لتحرم نفسها من القوت الضروري في سبيل دعم الشقيقات .

وما تزال المملكة السعودية حتى اليوم تؤثر شقيقاتها على نفسها فتقدم مئات

الملايين من الريالات لها ، كما تشارك بتقديم الملايين للشعوب العربية والإسلامية كلما أصيبت بكارثة من كوارث الطبيعة ، وتقدم الملايين للجمعيات وانشاء المساجد والمدارس ، وتعمير ما خرب منها .

ولم يقدم شعب من الشعوب لقضية فلسطين من المعونات المالية وغيرها مثل ما يقدم الشعب السعودي ، ولا يبلغ عشر معشاره .

كل ذلك تتأسى فيه الدولة السعودية بمؤسسها الملك عبدالعزيز ، وما تزال تقف مع شعب فلسطين وتضحي معه .

وموقف الملك عبدالعزيز بالنسبة لقضية فلسطين في جميع الظروف موقف يختلف كل الاختلاف عن مواقف كل الدول في العالم وبخاصة الدول العربية ، وعلى سبيل المثال نذكر موقفه في المحافل والهيئات الدولية ، ذلك الموقف الذي ورطه في متاعب ، وحمله مسئوليات قام بها دون غيره .

عندما أحيلت قضية فلسطين وما كان قد تم فيها من قبل الدول الرأسمالية والشيوعية من توصيات إلى للهيئة العامة لمنظمة الأمم المتحدة ، ودعيت إلى الاجتماع لبحث تلك التوصيات ، واتخاذ القرار القاطع ، وعلم ابن سعود بتلك التوصيات ، وأدرك أنها تحوي اشتراك الهيئة الدولية لاقامة دولة يهودية في فلسطين بجهود المنظمة العالمية ومساعيها وأمرها ، وفي ذلك سلب صريح للحق العربي وتقديمه لليهود بدون حق ، وسيكون الوضع المنتظر تهديدا خطيرا للعالم العربي والاسلامي ما دامت الدولة اليهودية ، ولا يمكن زوال الخطر والتهديد به وضمان السلام الا بزوال الدولة اليهودية ، وعندما تقوم هذه الدولة يصعب زوالها ، لأنها تكون محمية من الرأسمالية والشيوعية وبدولها القوية .

وأدرك ابن سعود أن قيام الدولة اليهودية سيفسد الحياة العربية والاسلامية كلها ، ويدفع بالحكام والشعوب في العالم العربي والاسلامي إلى صراع رهيب في منطقته الواسعة ، وسيتعرض الإيمان والعقيدة لخطر لا يمكن استدراكه وحصره ثم القضاء عليه ، وان الالحاد سيعم المنطقة ، فلا بد من الاستعداد للباطل الذي يتهيأ لأن تكون له دولة ، ولا بد من الحرب معه .

وأدرك ابن سعود أن قيام دولة يهودية في فلسطين نذير للعرب ، وتمهيد لسلب المزيد من الأراضي العربية والحق العربي .

ومع أن الملك عبدالعزيز من أحذق السياسيين في العالم فإنه كان عظيم الثقة بـآراء ابنه الملك فيصل ، وكان يعتمد عليه في شؤون السياسة الخارجية كل الاعتماد ، ومنحه التفويض ليعمل ما يشاء ، لأنه مطمئن من عبقرية ابنه السياسية .

مع أن الملك عبدالعزيز سياسي حاذق فقد اجتمع بابنه فيصل وبحثا قضية فلسطين . وانتهيا إلى رأي رأياه يحدد موقف المملكة العربية السعودية في هذه القضية الخطرة .

وسافر فيصل إلى نيويورك ليمثل بلاده في الهيئة العامة لمنظمة الأمم المتحدة ، وحضر دورتها العادية ـ وكانت الثانية ـ في جلستها المنعقدة في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٧ وكانت الصهيونية وراء مندوبي الدول الكبيرة والصغيرة ، تريد أن تحملهم على تأييدها ، وعمل ما يحقق آمالها ، وتحدث رئيس الوفد الأمريكي المستر مارشال شارحا وجهة نظر بلاده أو حكومته ، أو هما معا ، وأيد التقسيم ، وطلب إلى الأعضاء أن يؤيدوه ويوافقوا عليه ، وهنا تصدى له الملك فيصل رئيس وفد المملكة السعودية ، ورد على المندوب الأمريكى ردا بليغا قائما على الحجة التي لا تقنع ذوي الهوى ، وإن كانت ستبقى سبة في تاريخ الهيئة الدولية وتاريخ دول الظلم .

وختم الملك فيصل رده بقوله :

« ما كان منتظرا من المستر مارشال أن يجنح إلى تأييد قرار التقسيم قبل أن تبدي اللجنة السياسية التابعة لهيئة الأمم المتحدة رأيها فيه ، وترفعه لجمعيتها العمومية ، ولكن كان مقصد المستر مارشال من تأييده التأثير على أعضاء الجمعية العمومية سلفا تمهيدا لحملها في النهاية على موافقتها له فذلك لا يتفق مع روح العدالة المؤملة في أعضاء هذه الجمعية الدولية » .

وأنهى الملك فيصل رده بقوله :

« إن لدى أعضاء هذه الجمعية ضمائر حية لا تسمح لهم بأن يتأثروا بمجرد أقوال لا تتفق مع روح الحق والانصاف ودون دراسة وتمحيص » .

ولكن الخطة المبيتة كانت تأييد التقسيم ، وبذل المندوب الأمريكى جهودا ومساعي جبارة لحمل الأعضاء على التقسيم محتجا مثل غيره بمزاعم الصهيونية أن لليهود حقا في فلسطين ، وأن هذا الحق تاريخي ويحكم لهم بامتلاك أراضيها إلى مثل هذه الدعاوى الباطلة .

وانبرى الملك فيصل للرد على مارشال وغيره ممن رددوا زعمات الصهيونيين وأقام الأدلة القاطعة على أن الحق للعرب وليس غير ، فإن فلسطين وطن عربي بحكم النشأة والتوطن والموقع والأصل واللغة والدم وكل المقومات التي تثبت عروبة فلسطين التي لم تكن لليهود قط وطنا قوميا الا في فترة محدودة من الزمن احتلوا منها رقعة صغيرة بالغدر والحرب ، ثم تشتتوا في العالم ، ولم يحنوا إلى فلسطين لأنهم مدركون أنها ليست وطنا أصيلا لهم ، أما العرب فقد التصقوا بأرضهم منذ كانت فلسطين وطنهم حتى اليوم ، فلم يتركوها لمحتل أو عسوف ، فضحوا بأرواحهم وصبغوا أرض وطنهم بدمائهم ، ولم يفارقوها .

وسرد الملك فيصل الحقائق التاريخية التي نصت عليها كل المصادر ابتداء بالتوراة وانتهاء بالموسوعات الجديدة وكتب التاريخ الحديثة التي تثبت جميعها أن اليهود كانوا طارئين على فلسطين ، وأن استيلاء غزاة غرباء على وطن من الأوطان لا يعطيهم الحق في الادعاء بأنه وطنهم ، والا ساغ لكل معتد على دار غيره أن يدعي ملكيتها ، ولكن ذلك لا يثبت حق مغتصب ، والا لكان عدلا بقاء الأوطان في يد مغتصبيها من الدول المعتدية .

ووجه استنكاره إلى من أيدوا التقسيم ، وقال :

« وهناك أمر واحد لا سبيل إلى فهمه وتفسيره ، ذلك هو تدخل حكومة الولايات المتحدة في مسألة فلسطين وتأييدها للصهيونية ، كما أنه لا يمكن فهم الصمت الذي تلوذ به ازاء اعتداء الصهيونيين وأساليبهم الإرهابية .

« فإذا كانت البواعث الإنسانية هي التي تدفع الولايات المتحدة إلى هذه السياسة فلماذا لا تفتح أبوابها للاجئين البائسين ، وهي أغنى وأوسع رحابا من فلسطين التي اكتظت بأولئك المعتدين الغرباء ؟ .

« وماذا سيكون موقف حكومة الولايات المتحدة وشعبها إذا جاء برلمان إحدى الدول الأجنبية وأقر قانونا بفتح الأبواب أمام هجرة اليهود إلى أمريكا ، لاجئين وغير لاجئين ، لا لشيء إلا لأن الولايات المتحدة رحبة ، وفي امكانها أن تستوعب الملايين ؟ .

« ألا تنهض الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي في هذه الحالة ويندد ان بمثل هذا التدخل ؟ .

« وما خطب ميثاق الأطلنطي وميثاق الأمم المتحدة ؟ إن المداد الذي كتبت به موادهما لم يجف بعد ؟ .

إننا نرى مندوب الولايات المتحدة يحاول اثارة العالم كله من أجل المسألة اليونانية ، فما ظنه بفلسطين ؟ انسي مبادئ الميثاق أم أنه ينكر تلك المبادئ ؟ » .

ولم يكن الأعضاء إلا القليل مستعدين لسماع صوت الحق ، بل كانوا عاقدي العزم على سلب الحق العربي من قبل الهيئة الدولية واعطائه اليهود ، فلم يكن مندوب الولايات المتحدة ومن يتفقون معه في اتجاهه بمستعدين لمنطق الحق والواقع الذي أعلنه الملك فيصل باسم المملكة العربية السعودية الذي يرأس وفدها ، فعقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ لأخذ الأصوات على قرار التقسيم ففاز بأغلبية ١٣ صوتا .

ووقف الملك فيصل ليدوّن من منبر الأمم المتحدة في سجل العالم ظلم الأقوياء ليكون ما يقوله وثيقة تاريخية تدين الظالمين مدى الدهر ، وليدوّن موقف حكومته فقال :

« كنا نرجو أن ترفع الأمم المتحدة موازين القسط بالعدل ، وأن تكون سندا للعدالة ، وأن تحافظ على السلم والأمن ، نعم كنا نرجو أن توجد قاعدة سليمة

لتفاهم متبادل ، غير أن القرار الذي اتخذ اليوم بدد هذه الآمال وقضى على الميثاق ، وإننا نعلم أن بعض الدول الكبرى كانت تضغط على مختلف المندوبين » .

وفى ختام كلمته قال :

« لهذه الأسباب تسجل المملكة العربية السعودية الحقيقة التالية وهي أنها ترى نفسها غير مقيدة بهذا القرار ، وأنها تحتفظ لنفسها بكامل الحق في أن تتصرف حرة مختارة حسب الطريقة التي تراها مناسبة » .

ومنذ ذلك التاريخ حتى اليوم لم توافق المملكة قط على أي قرار يعطي اليهود أي حق أو مركز في فلسطين ، وموقف المملكة الثابت الدائم هو عدم التقيد بأي قرار من ذلك القبيل لتكون حرة مختارة في منطلقها .

ومن هنا يظهر أن موقف ابن سعود بصدد قضية فلسطين الموقف الذي يدل على اصرار المملكة على أنه ليس لليهود أي حق في فلسطين ، وعلى تفرد المملكة في تحرير نفسها من التقيد بأي قرار تتخذه المنظمة الدولية في صالح اليهود ، لتكون لها الحرية في اتخاذ الموقف الذى تراه .

فالمملكة لم تعترف بالهدنة سنة ١٩٤٨ ولم تعترف بأي قرار يثبت أي حق لليهود المغتصبين .

ولم تدخر المملكة السعودية وسعا في مساعدة أهل فلسطين ، وفي العمل الدءوب الجاد لنصر قضيتهم التي اعتبرتها قضية المعتقد والوطن والروح .

وإن الجيل العربي الجديد لا يعرف ما بذلت الحكومة العربية السعودية من أجل قضية فلسطين وما تبدل ، حتى إن بعض زعماء حركة المقاومة الفلسطينية لا يعلمون عن جهود ابن سعود ومملكته أي شيء . بل إن قادة فلسطين الكبار ذكروا بعد أن اطلعوا على هذا الكتاب فصلا موجزا فى كتابي « صقر الجزيرة » أنهم لم يكونوا على علم بتفصيلات جهود الملك عبدالعزيز .

ورأى هؤلاء الأخوة أن أجعله كتابا مستقلا ، حتى يفيد منه الجيل العربى

الحديث ، كما رأى بعض الإخوة أن يترجم إلى الانجليزية رجاء تعميم الانتفاع بما فيه من الحقائق التي يجهلها الناس إلا النادر منهم .

وهذا حق ، فالحكومة العربية السعودية لم تفتخر قط بجهودها وتضحياتها ومساعداتها للشقيقات من الدول العربية والإسلامية ، لأنها لم تعمل ما عملته أو تعمله من أجل الرياء والسمعة ، فهي لهذا لا تعلن عن مفاخرها التي لا تسمو إليها مفاخر غيرها .

وأنا إذ أحقق اقتراح الإخوة الكرام فأنا لا أفرد الفصل الذي كتبته في كتابي « صقر الجزيرة » تحت عنوان « ابن سعود وقضية فلسطين » في كتاب مستقل بل ألفت كتابا خاصا أرجو أن يرى الجيل العربي الجديد فيه بعض ما بذل الملك عبدالعزيز والملك فيصل من أجل قضية فلسطين ، لأن كل ما بذلاه لا يستطيع الكاتب أو المؤرخ حصره .

وصدور هذا الكتاب أبلغ رد على ذوي الهوى الذين مسخوا الحقائق واستبدلوا بها الأباطيل ، فبعض المؤلفين العرب من اليساريين وعملاء الاستعمار ممن أولعوا بتشويه الحقائق والافتراء على الملك عبدالعزيز بأن كذبوا عليه ونسبوا إليه ما تنقضه مواقفه العظيمة .

وما نريد أن نسمي هؤلاء المبطلين وكتبهم ، فقد ماتت مؤلفاتهم وخفيت أسماؤهم ، وطوتهم هم وما كتبوا يد النسيان فرأينا أن ندعهم في قبورهم التي تبطنوها وهم أحياء .

ونرجو أن يتاح لنا في الطبعة المقبلة أن نضيف إلى الحقائق حقائق أخرى جديدة للتاريخ تثبت أن ابن سعود أخلص لقضية فلسطين أكثر من أي أحد ، وتسلم راية الدفاع عنها خلفاؤه من بعده بعد أن كانوا شركاءه في الجهاد الحق الصادق .

وما يزال السعوديون وعلى رأسهم مليكهم العظيم فيصل أخلص الناس لقضية فلسطين ، فالملك فيصل -أيده الله ومد في عمره- يعد حامل راية القضية والمحامي الأعظم عنها في العالم كله ، وكسب لها الأنصار من الزعماء والمفكرين

والدول والحكومات بعد أن كانوا مضللين من قبل الصهيونية العالمية ، وكان بعضهم من أنصارها الأقوياء المخلصين .

وأقرب مثل ما أثمرته زياراته للدول الإسلامية التي أيدت العرب في قضية فلسطين تأييدا عظيما ، وبخاصة زيارته في أواخر سنة ١٣٩٢ هـ (١٩٧٣ م) لخمس دول أفريقية هن : أوغندا ، وتشاد ، والسنغال ، وموريتانيا ، والنيجر اللاتي برهنت بياناتها المشتركة على تأييد مطلق للعرب في قضية فلسطين ، كما أثمرت زيارة جلالته قطع دول أفريقية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل التي كانت على أوثق ما تكون الصلات بينهن وبينها .

وكلنا يذكر علاقة أوغندا باسرائيل حتى أن الرئيس عيدي أمين كان من أعز أصدقاء اسرائيل ، وقد زارها غير مرة ، فلما زار المملكة العربية السعودية معتمرا ، وقابل أخاه الملك فيصلا كشف له عن حقيقة اسرائيل وما تضمره لأوغندا وكل أمم الأرض .

ونبهت هذه المقابلة الرئيس عيدي أمين فإذا اسرائيل تريد أن تسيطر حقيقة على أوغندا ، وتفسد عليها استقلالها وحريتها ، فتنكرت لاسرائيل ، ثم لما زارها في شوال سنة ١٣٩٢ (نوفمبر ١٩٧٢) كان من أولى ثمراتها تأييد الرئيس المطلق للعرب ، وانضمامه بشعبه اليهم للجهاد ضد اسرائيل .

وقطعت دولة تشاد وغيرها من دول أفريقيا كل العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل تأييدا للعرب ومساندة لهم في نضالهم ضد هذه الدولة الباغية .

وليست هذه المقدمة موضع الكتابة عن جهود الملك فيصل في سبيل قضية فلسطين ، وانما اشارة عابرة إلى شيء منها ، ولكنها تدل على موقف المملكة العربية السعودية الذي يعد أشرف موقف على الاطلاق .

ولو كان الرأي لابن سعود في المنطقة العربية لما قامت دولة اسرائيل ، ولكن كان ابن سعود وحده ، كما كان كل زعيم أو حاكم وحده ، وهذا التفرق هو الذي أدي إلى الكارثة التي لم يفد من درسها العرب إلى اليوم ، بل زادوا تفرقة وعداء ،

وشغلوا أنفسهم بالحرب فيما بينهم حتى ازدادت اسرائيل قوة بقدر ما ازداد العرب ضعفا .

ولا يمكن للعرب أن يستردوا حقوقهم إلا بالعودة إلى الله ، وبغير ذلك لن يحققوا أي أمل ، وتذهب جهودهم هباء ، وهم كما وصفهم الله عز وجل في كتابه الكريم إذ قال : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ .

ونرجو للعرب والمسلمين وملوكهم وحكامهم وزعمائهم وقادتهم الرشد والهداية ، وأن يوفقهم وإيانا لما يحب ويرضى . إنه سميع مجيب .

الاثنين : ٢٠ ربيع الآخر ١٣٩٣ هـ
٢٣ أبريل (نيسان) ١٩٧٣ م

أحمد عبدالغفور عطار
مكة المكرمة

فلسطين في أقوال ابن سعود

●

* إن مكاثرة شعب آمن في وطنه وبلاده بشعب غريب أجنبي له مطامع قوية في وطنه مما لا يستطيع شعب في العالم ولا حكومة من حكومات الأرض قبوله ، ولم يسبق له مثيل في تاريخ الشعوب .

●

* مشروع تقسيم فلسطين نكبة على العرب والمسلمين .

●

* حكم القرآن في النصارى خلاف حكمه في اليهود ، فعداوة النصارى سياسية ، وعداوة اليهود ضرورة دينية على كل مسلم أن يؤمن بها .

(من مذكرة ابن سعود للحكومة البريطانية)

٣١ يناير ١٩٣٧

●●●

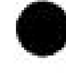
* ليس من العدل أن يطرد اليهود من جميع أنحاء العالم وأن تتحمل فلسطين الضعيفة المغلوبة على أمرها هذا الشعب برمته .

(من رسالة ابن سعود لروزفلت)

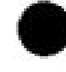
٢٩ نوفمبر ١٩٣٨

●●●

* ليس في جسمي ذرة لا تدعوني لقتال اليهود .

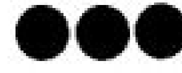


* إني أفضل أن تفنى الأموال والأولاد والذراري ولا يتأسس لليهود ملك في فلسطين .

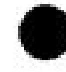


* إن تأسيس دولة لليهود في فلسطين مناف لمصالح العرب ، ومهدد بمحو العرب ليس في فلسطين وحدها بل في سائر البلاد العربية .

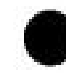
(من مذكرة ابن سعود للحكومة البريطانية)
٢٠ يونيو ١٩٣٨



* إننا لا نريد محو اليهود ، ولا نطالب بذلك ، ولكنا نطالب بالا يـمَّحِي العرب من أرض فلسطين من أجل اسكان اليهود فيها .



* إن فلسطين لا تستطيع أن تحل قضية اليهود العالمية .



* لو فرضنا أن أحكام الظلم طبقت على فلسطين بكل معانيها ، بمعنى أنه لو فرضنا أن قتل أبناء فلسطين العرب عن بكرة أبيهم رجالا ونساء وأطفالا ، وأخذت أراضيهم ، وسلمت كلها لليهود فان ذلك لا يمكن أن يحل المشكلة اليهودية ، ولا يمكن أن يؤمن أرضا كافية يسكنها اليهود ، فلماذا يراد القيام بهذا الظلم الفرد الفذ في تاريخ البشرية بدون وصول إلى نتيجة ترضي الساعين أنفسهم في هذا القتل ، ونعني بهم اليهود ؟ .

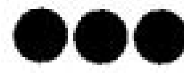
* لا يوجد أي حق لليهود في مطالبتهم بفلسطين ، وان كل ما يطلبونه فيها ليس إلا عدوانا لم يسجل التاريخ له مثيلا في تاريخ البشرية ، ففلسطين عربية منذ التاريخ الأقدم ، وموقعها في وسط البلاد العربية ، ولم يسكنها اليهود إلا حقبة من

الزمن ، وكان أكثر مدة تاريخهم فيها مملوء بالمجازر والمآسي ، ثم أجلوا عنها ، وجلوا منها منذ حقب من الزمن ، هؤلاء القوم يراد اليوم أن يعيدوا سيرتهم الأولى ، فيعتدى بذلك على الآمنين .

(من رسالة ابن سعود لروزفلت)
٣٠ أبريل ١٩٤٣

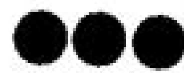
* لو أعطي اليهود بغيتهم في فلسطين لظلت فلسطين مقر الفتن دائما .

(من رسالة ابن سعود لروزفلت)
٣٠ أبريل ١٩٤٣



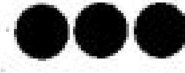
* أما ما ذكر الرئيس روزفلت من جهة مقابلتي لحاييم وايزمن فأحب أن يعلم أن وايزمن بيني وبينه عداوة خاصة ، وذلك لما قام به نحو شخصي من جرأة مجرمة بتوجيهه إليَّ تكليفا دنيئا لأكون خائنا لديني وبلادي ، الأمر الذي يزيد البغض له ولمن ينتسب إليه ، فقد أرسل إليَّ شخصا أوروبيا معروفا[1] يكلفني أن أترك مسألة فلسطين وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها ، ويسلمني عشرين مليون جنيه مقابل ذلك ، وأن يكون هذا المبلغ مكفولا من الرئيس روزفلت نفسه ، فهل من جرأة أو دناءة أكبر من هذه ؟ وهل من جريمة أبشع من هذه الجريمة يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف ، ويجعل الرئيس روزفلت كفيلا لمثل هذا العمل الوضيع .

(من مذكرة ابن سعود لهارولد
هوسكنز رسول روزفلت ليقدمها إليه)
يوليو ١٩٤٣

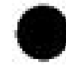


شرف لي أن أموت شهيدا في ميدان الجهاد دفاعا عن فلسطين في معركتها ضد اليهود .

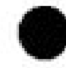
(من حديث ابن سعود للمفوض الأمريكي بجدة)
ذكره في تقرير لحكومته في ٥ يناير ١٩٤٥



* إن مطامع اليهود ليست في فلسطين وحدها ، فإن ما أعدوه من العداوة يدل على أنهم يبيتون العدوان على ما جاورها من البلدان العربية .

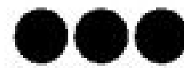


* إن تكوين دولة يهودية بفلسطين سيكون ضربة قاضية لكيان العرب ، ومهددا للسلم باستمرار .



* إن مساعدة الصهيونيين في فلسطين لا تعني خطرا يهدد فلسطين وحدها ، بل إنه خطر يهدد سائر البلاد العربية ، وقد أقام الصهيونيون الحجة الناصعة على ما ينوونه في فلسطين وفي سائر البلاد المجاورة فقاموا بتشكيلات عسكرية سرية خطيرة ، ومن الخطأ أن يقال : إن هذا عمل شرذمة متطرفة منهم ، وان ذلك قوبل باستنكار جمعياتهم وهيئاتهم ، وإنا نقول : إن أعمال الصهيونيين في فلسطين وفي خارجها صادرة عن برنامج متفق عليه ومرضي عنه من سائر الصهيونيه .

(من رسالة ابن سعود لروزفلت)
١٠ مارس ١٩٤٥

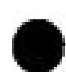


* أعطوا اليهود وأحفادهم أحسن بيوت الألمان وأراضيهم ، أليس الألمان هم الذين اضطهدوا اليهود - كما تذكرون - إذن ، هم الذين يغرًمون .

أي شر ألحقه العرب بيهود أوروبا ؟ إنهم المسيحيون الألمان الذين سلبوهم أموالهم وأرواحهم ، إذن ، فليدفع الألمان الثمن ! .

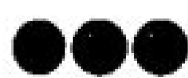
قال روزفلت : إني أعتمد على الكرم العربي وعلى الملك عبدالعزيز في حل المشكلة الصهيونية . فأجابه ابن سعود : دع العدو الظالم يدفع الثمن ، وعلى هذا الأساس نحن العرب نخوض الحرب ، فالمجرم هو الذي يجب أن يؤدي الغرامة ، وليس المتفرج البرىء .

(من الحوار المتبادل بين ابن سعود وروزفلت في الاجتماع الذي تم بينهما في البحيرات المرة)
١٥ فبراير ١٩٤٥



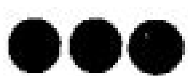
* من أجل الاسلام أحارب بريطانيا نفسها .

(من حديث ابن سعود للورد كيلرن)
يناير ١٩٤٦



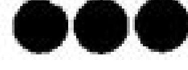
* نربأ بالحرية الأمريكية أن تعالج الظلم بارتكاب ظلم أفدح منه ، وأن تسعى لاغاثة شعب بائس على حساب بؤس شعب آخر ، وأن تطالب بحرية شعب مضطهد مشتت بينما ذلك يؤدي إلى استعباد شعب آخر واضطهاده .

(من رسالة ابن سعود لترومان)
٢٤ مايو ١٩٤٦

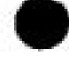


* إن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية ، اعتدت في أول الأمر باسم الإنسانية ، ثم أخذت تظهر عدوانها الصريح بالقوة والجبروت والطغيان مما ليس بخاف عليكم وعلى شعب الولايات المتحدة ، أضف إلى ذلك أطماعهم التي يبيتونها لسائر البلاد العربية المجاورة ، ومنها : أماكن في بلادنا المقدسة وليس لفلسطين وحدها .

(من رسالة ابن سعود لترومان)
١٥ أكتوبر ١٩٤٦



* أعلنت الحكومة البريطانية وعد بلفور ، وأخذت تدخل اليهود إلى فلسطين بالقوة والجبروت خلافا لمبادئ الديمقراطية ، وخلافا لأي مبدأ إنساني ، وقد قام العرب باحتجاج وثورات للدفاع عن حقوقهم ، ولكنهم كانوا يجابهون بأقصى ما يمكن من الشدة والقسوة ، حتى أجبروا على غير ما يريدون .



* إن العرب الذين هم اليوم أكثرية في بلادهم لا يمكنهم أن يطمئنوا لمستقبل البلاد المجاورة لهم .

(من رسالة ابن سعود لترومان)
٢ نوفمبر ١٩٤٦

ليس لليهود قومية ولا وطن

منذ عرف اليهود ببني اسرائيل أو العبريين أو اليهود لم تكن لهم قومية بمفهومها المعروف ولا وطن بهذا المعنى ، فهم يدَّعون أنهم من نسل ابراهيم الذي ثبت ـ كما تذكر المصادر الاسرائيلية ـ انه وفد من العراق الى فلسطين ، وسكن مع سكانها الاصليين وهم الكنعانيون والفلسطينيون .

وقبل مولد سيدنا ابراهيم بـآلاف السنين كانت فلسطين ملك أهلها العرب ، وكان هو وبنوه غرباء في أرض أجنبية لا تربطهم بأهلها رابطة قبل وفودهم ، ولم يملك ابراهيم شبرا من الارض ، ولما ماتت زوجته سارة لم يكن لديه من الارض ما يدفنها فيه ، فاشترى تحت قمة جبل صهيون أرضا يدفنها فيها .

وفى سفر التكوين ٢٣ : ٢ ـ ١٦ :

« وماتت سارة في قرب أربع التي هي حبرون في أرض كنعان ، فأتى ابراهيم ليندب سارة ويبكي عليها ، وقام ابراهيم من أمام ميته وكلم بني حث قائلا : أنا غريب ونزيل عندكم ، أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي ، فأجاب بنو حث ابراهيم قائلين له : أسمعنا يا سيدي ، أنت رئيس من الله بيننا ، في أفضل قبورنا ادفن ميتك ، لا يمنع أحد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك ، فقام ابراهيم وسجد لشعب الارض لبني حث وكلمهم قائلا : إن كان في نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي فاسمعوني والتمسوا لي من عفرون بن صوحر أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له التي في طرف حقله بثمن كامل يعطيني اياها في وسطكم ملك

قبر ، وكان عفرون جالسا بين بني حث ، فأجاب عفرون الحثي ابراهيم في مسامع بني حث لدى جميع الداخلين باب مدينته قائلا : لا ، ياسيدي ، اسمعني ، الحقل وهبتك اياه ، والمغارة التي فيه لك وهبتها ، لدى عيون بني شعبي وهبتك اياها ، ادفن ميتك ، فسجد ابراهيم أمام شعب الارض وكلم عفرون في مسامع شعب الأرض قائلا : بل ان كنت أنت اياه فليتك تسمعني ، أعطيك ثمن الحقل ، خذ مني فادفن ميتي هناك ، فأجاب عفرون ابراهيم قائلا له : ياسيدي ، اسمعني ، أرض بأربعمئة شاقل فضة ما هي بيني وبينك ، فادفن ميتك ، فسمع ابراهيم لعفرون ، ووزن ابراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حث ، أربعمئة شاقل فضة جائزة عند التجار » .

ورواية التوراة هذه تثبت أن ابراهيم لم يكن كنعانيا ولا فلسطينيا ، ولم يكن من سكان فلسطين ، وهو يعترف بأنه « غريب ونزيل » فيها .

وبعد ابراهيم بقرون تبلغ خمسة أو ستة لم يكن للعبريين أى أثر في فلسطين ، لا حكم ولا تملك ، ثم كان عهد موسى ـ وهو قبل المسيح بخمسة عشر قرنا ـ ولم يكن للعبريين اسم معروف في فلسطين ، ثم بعد دخول يشوع بن نون لم يكن الاسرائيليون يملكون من فلسطين الا رقعا صغيرة ، ولم تقم لهم مملكة الا في أيام شاول الذي انتحر بسبب هزيمته هو وأبناؤه وجيشه من الاسرائيليين سنة ١٠٥٦ قبل الميلاد حيث هزمهم الفلسطينيون هزيمة نكراء .

والمملكة التي قامت للاسرائيليين كانت مملكة داود وسليمان ، ولم تكن غير مملكة صغيرة انتهت بوفاة سليمان سنة ٩٨٤ قبل الميلاد .

ثم انقسمت المملكة الى قمسين ، هما : مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل ، وكانتا تحت نفوذ دول اخرى حتى زالتا من الوجود .

وبيت المقدس لم يكن مقدسا بالاجماع لدى اليهود ، وكانت المدينة في ايدي اليبوسيين ، وكان يسكنها بنو بنيامين وبنو يهوذا مع اليبوسيين دون أن يكون لهم أي حق في بيت المقدس ، بل كان الحق كله لليبوسيين .

ولو كان للمدينة قداسة عند الإسرائيليين لما دمرها يهواش ملك اسرائيل ، ففي سفر الملوك الثاني ١٤ : ١٢ - ١٦ :

« فانهزم يهوذا أمام اسرائيل وهربوا كل واحد الى خيمته ، وأما أمصيا ملك يهوذا . . فأمسكه يهوآش ملك اسرائيل في بيت شمس وجاء الى أورشليم ، وهدم سور أورشليم من باب أفرايم الى باب الزاوية أربعمئة ذراع ، وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك والرهناء ورجع الى السامرة ، وبقية أمور يهوآش التي عمل وجبروته وكيف حارب أمصيا ملك يهوذا . . . ثم اضطجع يهوآش مع آبائه ودفن في السامرة » .

ومع هذا العدوان الصارخ من يهوآش على بيت الرب ونهبه ما فيه لم يكن موضع غضب الله وسخطه ، لانه اضطجع مع آبائه ، وهذا الاضطجاع آية على رضا الله عندهم ، لانه لا يرقد مع الآباء الا الابناء البررة الصالحون .

ولما حدث السبي البابلي لم يكن حنين الاسرائيليين لفلسطين لانها وطنهم القومي ، بل كان الحنين الى ذكرياتهم حيث كان لهم ذات يوم مضى ملك وسيادة ، ولو تيسر لهم في المنفى ما يحنون اليه لما ذكروا فلسطين ، بل هم لم يذكروها ، وانما كانوا يذكرون جبل صهيون .

ولما أبيح لهم أن يعودوا من الاسر الى فلسطين تخلف عدد جد كبير منهم في العراق وآثروه على فلسطين ، مما يدل على أن الوطنية لم تكن عاطفة أصيلة فيهم ، فحيث يجدون مأملهم هو الوطن .

وسواء أكان اليهود يحنون الى فلسطين أم لا يحنون فما كانت لهم وطنا قط حتى الرقع الصغيرة منها المغتصبة من أهلها لم تكن وطنا لهم حسب مفهوم الوطن ، ولم تكن لديهم عاطفة الوطنية أصيلة ، لانهم كانوا يهاجرون منها بالآلاف ويتركون فلسطين الى غير عودة .

أما العرب فلم يذكر تاريخهم في فلسطين أنهم تركوها قط ، بل عاشوا فيها كتراب أرضها بل كجبال فلسطين ، ولم يفكروا قط في هجرها ، مع ما مر بهم من فترات كانوا فيها تحت أحكام غاشمة أجنبية ، وكانوا يحاربون الغزاة حربا ،

ويفتدون وطنهم بالدم ، فاذا غلبوا على أمرهم صبروا وهم على أرضهم وفي وطنهم ، لأنهم جزء منه وما يزالون كذلك حتى هذا اليوم الذي قامت فى فلسطين لليهود دولة أصبح العرب بها أقلية ، ومع هذا ثابتون كجبال فلسطين .

ففلسطين لم تكن أرضا يهودية قط ، فابراهيم -على نبينا وعليه الصلاة والسلام- كان دخيلا عليها ، قدم من العراق اليها ، ولما كان من الصالحين وجد من سكان فلسطين حفاوة وترحابا ، وعاش حياته غريبا فيها ونزيلا لدى أهلها باعترافه الصريح .

وأكبر دعوى اليهود في عصرنا الحاضر وتشبثهم بها أن الله أعطاهم عهدا بأن تكون فلسطين وأرض تمتد من النيل الى الفرات لهم دون غيرهم ، وحجتهم ماجاء في اسفارهم المقدسة .

ودعواهم وحجتهم دعوى من جانب واحد ، وماحجتهم الا جزء من هذه الدعوى الباطلة من الاساس .

جاء في سفر التكوين ١٥ : ١٨ : « في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » .

وفي سفر التكوين : ١٧ : ٤-٨ :

« أما أنا فهو ذا عهدي معك ، وتكون أبا لجمهور من الامم ، فلا يدعى اسمك بعد ابرام ، بل يكون اسمك ابراهيم ، لاني أجعلك أبا لجمهور من الامم ، وأثمرك كثيرا جدا ، وأجعلك أمما ، وملوك منك يخرجون ، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا ، لاكون آلها لك ولنسلك من بعدك ، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا » .

ثم تكرر هذا الوعد من بعد ابراهيم لاسحاق ويعقوب وداود وموسى وغيرهم ، ففي سفر التكوين -اول اسفار توراتهم- ٢٦ : ١-٤ :

«وكان فى الارض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام ابراهيم ، فذهب

اسحاق الى أبيمالك ملك الفلسطينيين الى جرار ، وظهر له الرب وقال : لا تنزل الى مصر ، اسكن في الارض التي أقول لك : تغرب في هذه الارض فأكون معك وأباركك ، لاني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي اقسمت لابراهيم أبيك ، وأكثر نسلك كنجوم السماء ، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد ، وتتبارك في نسلك جميع أمم الارض » .

وتجدد هذا العهد أو الوعد ليعقوب كما في سفر التكوين ٢٨ : ١٠ ـ ١٤ حيث يقول :

« فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران ، وصادف مكانا وبات هناك ، لان الشمس كانت قد غابت ، وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان ، ورأى حلما ، واذا سلم منصوبة على الارض ورأسها يمس السماء ، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها ، وهو ذا الرب واقف عليها فقال : أنا الرب آله ابراهيم وأبيك وآله اسحاق ، الارض التي أنت مضطجع عليها لك ولنسلك ، ويكون نسلك كتراب الارض ، وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا ، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الارض » .

وعهد الله ـ حسب هذه الروايات ـ لابراهيم ثم لاسحاق ثم ليعقوب بأن يعطيهم أرض غربتهم لم يقع ، فكلهم كان فقيرا ، فابراهيم لم يكن يملك شبرا من الارض ، ولما ماتت زوجه الكريمة سارة لم يكن يملك مدفنا يدفنها فيه ، ولولا أن فرعون وأبيمالك أعطياه مالا لما كان في وسعه شراء مدفن لزوجه .

واسحاق نفسه كان فقيرا ، وذهب الى ملك جرار مستجديا ، ويعقوب كان فقيرا ، وأرسل بنيه الى مصر يمتارون ، وحسبه أنه لم يكن لديه فراش يضطجع عليه ، ولا وسادة يضع عليها رأسه فاتخذ من الحجارة وسادا ، بل ان نسلهم الذي اختصته أسفار اليهود المقدسة لم يعطوا أرض غربتهم ، اذ لم يملك بنو اسرائيل الا قطعا صغيرة من أرض الغربة .

وعهد الله لابراهيم بأن يعطي نسله هذه الارض من نهر مصر الى نهر الفرات

لم يتحقق حتى هذا اليوم بالنسبة لنسل اسحاق الذي انحذر منه العبريون أو بنواسرائيل كما يدعي اليهود .

ومع أن أربعة آلاف سنة مرت على ذلك العهد الإلّهي فانه لم يتحقق ، ومعاذ الله ألا يتحقق وعد الله وألا يقع عهده .

وفي العهد أن الله يكثر نسل اسحاق كنجوم السماء كما يجعل نسل يعقوب كتراب الارض ، وها هي ذي أربعة آلاف سنة مرت ولم يكثر نسلهما كالنجوم او التراب .

وعهد الله لابراهيم بأن يجعله أبا لجمهور من الامم وأن يجعله أمما ، وأن يخرج منه ملوك لم يتحقق بالنسبة لبني اسرائيل ، فلم يكونوا جمهورا من الامم ، ولم يكن منهم ملوك الا قلة معدودة ، ومنذ أكثر من خمسة وعشرين قرنا لم يكن منهم ملك قط .

ولكن كل هذا العهد قد تحقق بالنسبة للعرب بعد ابراهيم ، فهم قد ملكوا فلسطين وملكوا مصر والعراق وعشرات الأقطار وما زالوا يملكونها حتى وصلوا إلى أوربا والمحيط الأطلسي غربا وإلى الصين شرقا ، وأخذ حكم العرب المسلمين يمتد في كل اتجاه حتى دخلت فيه قارات .

واذا كان بنو اسماعيل خارجين عن ذلك العهد الإلّهي فكله يكون عهدا باطلا ، ومعاذ الله أن يكون عهد الله غير حق ، وما يكون هذا العهد حقا الا بالنسبة لنسل ابراهيم من اسماعيل على رسولنا وعليهما الصلاة والسلام ، والمسلمون جميعا من أي أب كانوا هم أبناء ابراهيم كما جاء في القرآن الكريم اذ يقول : ﴿ ملة أبيكم إبراهيم ﴾ .

ومحتويات العهد تصرفه عن اليهود الى المسلمين ، فعهد الله -على زعمهم- لاسحاق ويعقوب بأن يتبارك في نسلهما جميع أمم الارض لم يقع قط ولن يقع أبدا ، فمنذ عرف الناس اليهود ونقيض البركة هو الذي حدث من اليهود .

وأما في الحاضر فهم -كما في الماضي- كانوا وما يزالون مسعر الفتن والحروب ومباءة الفساد وجميع الشرور .

وفي المستقبل لن يتغيروا ، ديانتهم قد احتكروها لانفسهم فلا يبيحون لغيرهم أن يعتنقوها ، وربهم « يهوه » محتكر لهم أيضا ، ولا يجيزون لاحد غير يهودي أن يدعوه ويعبده ، لان يهوه يشبه الاب الذي لا يمكن أن يدخل في نسبه وعداد ولده من لم يولد منه .

كذلك اليهود ، ولهذا لن يتبارك فيهم أحد من أمم الارض جميعا ، لان اليهود اشرار حسب وصف يهوه وكتبهم المقدسة .

وهذا العهد يتحقق كل التحقق بالنسبة لنسل اسماعيل بن ابراهيم ، وليس بالنسبة لاسحاق بن ابراهيم ويعقوب بن اسحاق ، فديانة محمد الذي ينتمي الى اسماعيل هي ديانة الرحمة والانسانية والهدى ، وإله محمد هو وحده رب العالمين الرحمن الرحيم ، ورحمته وسعت كل شيء .

وهي ديانة مفتوحة للامم كافة على نقيض اليهودية المغلقة ، ومن هنا كان عهد الله حقا وواقعا بالنسبة لنسل اسماعيل وغير واقع بالنسبة لغيره سواء أكان نسل اسحاق أم يعقوب .

والعهد لم يكن ـ على رواية التوراة ـ التي ذكرناها ـ خاصة بابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وداود وغيرهم ، بل سبق هذا العهد أن أعطيه نوح كما يذكر سفر التكوين ٩ : ٨ ـ ١٧ :

« وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا : وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم ومع كل ذوات الانفس الحية التي معكم : الطيور والبهائم وكل وحوش الارض التي معكم من جميع الخارجين من الفلك حتى كل حيوان الارض ، أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد أيضا بمياه الطوفان ، ولا يكون ايضا طوفان ليخرب الارض ، وقال الله : هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الانفس الحية التي معكم الى أجيال الدهر ، وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الارض فيكون متى انشر سحابا على الارض وتظهر القوس في السحاب اني اذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد ، فلا تكون ايضا المياه طوفانا لتهلك كل ذي جسد ،

فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لاذكر ميثاقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الارض . وقال الله لنوح : هذه علامة ميثاقي الذي أنا أقمته بيني وبين كل ذي جسد على الارض » .

وهذا الميثاق أو العهد ـ فكلاهما بمعنى ـ يتفق مع كمال الله ورحمته التي عمت الخلق كله ووسعت كل شيء ، فهو عهد بين الله وكل ذي نفس حية في كل جسد ، وكل ذي جسد .

وأما ادعاء اليهود بأن عهد الله مقطوع لهم وحدهم فقد كذبتهم فيه محتويات العهد ونصه الذي ذكرته أسفارهم المقدسة ، فهم كذبوا العهد بواقعهم ، وأقرب مثال على هذا التكذيب أن العهد مقطوع لهم بأن يكونوا في الكثرة كنجوم السماء أو تراب الارض .

ومنذ العهد المقطوع حتى اليوم حوالى اربعة آلاف سنة وعدد اليهود في العالم كله لم يزد على اربعة عشر مليونا في حين ان عدد العرب اضعاف أضعاف عددهم ، فاذا أضيف المسلمون أبناء ابراهيم الى العرب كانوا كتراب الارض ونجوم السماء ، فاذا أضيف المسيحيون ازداد الرقم طفرا واتساعا ، وهذا يدل على ان العهد ليس لليهود بتة ، بل لغيرهم على التحقيق .

وأسطورة « شعب الله المختار » في حاجة الى تحقيق ، فهل اليهود في جميع العصور شعب الله المختار ؟

لا يمكن أن يعقل هذا الزعم ، فبنو اسرائيل كانوا في فترة من التاريخ شعب الله المختار ، لانهم كانوا عبادا صالحين ، وكتاب المسلمين المقدس الذي هو القرآن الكريم يقرر ذلك اذ يقول سبحانه وتعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ .

وسبب التفضيل والاختيار الايمان بالله وحده لا شريك له ، وطاعته فيما أمر ، والانتهاء عما نهى ، فلما تركوا سبب التفضيل زال عنهم ، ولم يصبحوا شعب الله المختار .

وفقدوا هذا التفضيل بمجرد بعث المسيح إليهم ، فهو رسولهم الحق المرسل من الله ، وهو يقول ـ كما يروي انجيل متى ١٥ : ٢٤ : « لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة » ولكن اليهود كفروا به ، مع أن العهد القديم يبشر بالمسيح الذي انتظروه ، فلما بعثه الله اليهم كفروا به وكذبوه واتهموه وحاربوه حتى قتلوه كما تذكر الاناجيل .

ومن الغريب ان المسيحيين ـ وليسوا كلهم ـ ما زالوا يعتقدون أن اليهود حتى الان شعب الله المختار ، غافلين عن الحق الذي يفصحه العهد القديم والعهد الجديد .

والعهد القديم لا يعطي عهد الله لمن لم يؤمنوا ، والعهد الجديد كالقديم أيضا في هذا المنع ، بل ذهب المسيح الى أبعد من ذلك فنفى أن يكون معاصروه من اليهود ابناء ابراهيم ، بل ذهب الى ابعد من هذا أيضا فجعلهم ابناء الشيطان .

ومما لا خلاف فيه أن عهد الله لا يعطاه أبناء الشيطان ، لان العهد يعطاه أحباء الله وحدهم ، وما كان اليهود أحباء الله بل كانوا أعداءه ، والمسيح ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ جاءهم بالهدى ودين الحق فـآذوه وكفروا به ، وهو الذي نفى عنهم أن يكونوا ابناء ابراهيم وأحباء الله ، وفي الحوار الذي دار بين المسيح واليهود يكشف عن حقيقتهم ، ويصرخ في وجوههم : « أنتم تموتون في خطاياكم » ويعنف الجدل بين المسيح واليهود ، وفي انجيل يوحنا بالاصحاح الثامن تفصيل ذلك الحوار الذي جاء فيه قول المسيح لهم : « أنا أتكلم بما رأيت عند أبي ، وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم » . فيجيبه اليهود قائلين : « أبونا هو ابراهيم » . فيرد عليهم المسيح بقوله : « لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله ، هذا لم يعمله ابراهيم ، أنتم تعملون أعمال أبيكم » .

وغضب اليهود من قول المسيح ، لانه نفى أبوة ابراهيم عنهم ، ونسبهم الى غيره ، فغضبوا وقالوا له : « اننا لم نولد من زنا ، لنا اب واحد وهو الله » .

ونفد صبر المسيح وقال لهم : « لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لاني خرجت من

قبل الله وأتيت ، لاني لم آت من نفسي ، بل ذاك أرسلني ، لماذا لاتفهمون كلامي ؟ لانكم لا تقدرون ان تسمعوا قولي ، انتم من أب هو ابليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » .

وأبناء ابليس لن يكونوا شعب الله المختار ، والذين كفروا بالمسيح وكذبوه لن يكونوا هم الموعودين ، والذين قتلوه ـ كما يدعون ـ لن يكونوا مع الله في عهد ، بل هم الخاسرون وأبناء ابليس .

ومايزال اليهود حتى اليوم يكذبون المسيح عليه الصلاة والسلام ، وأباحوا لانفسهم أن يقفوا ألأم المواقف وأبشعها فيلعنونه ويتهمون أمه العذراء ـ كما يزعم تلمودهم ـ ويلعنون الكنائس ورؤساءها ، ويحقدون على جميع الامم والشعوب ، ويعملون لتدمير العالم .

وكل هذا يجعلهم شعب الشيطان لانهم أطاعوه وعصوا الله ، وحسبنا أن يقول لهم المسيح في بيان : « أنتم من أب هو ابليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » .

واذا لم يكن قط لليهود وطن قومي في فلسطين فان ديانتهم التي تشبثوا بها قد تغيرت روحها ونصوصها ، وما جاء في أسفارهم من العهود والمواثيق المنسوبة الى الله لم تثبت لهم حتى اليوم ، وانما تصح للعرب وحدهم .

وأول العهد ما جاء في التوراة من أن الله قطع لابراهيم عهدا بأن يعطي من نسله هذه الارض من نهر مصر الى الفرات ، وزعم اليهود أن المقصود من نسله هم وليس غيرهم ، وهو عهد لم يتحقق منذ ابراهيم حتى اليوم .

ولكنه يصبح حقا وواقعا مشهودا اذا كان المقصود من نسل ابراهيم العرب نسل اسماعيل ، فهم الذين ملكوا تلك الارض بحدودها منذ القدم الى اليوم ، وكان العرب هم وحدهم أصحاب الحق في الجزيرة العربية بما فيها العراق والشام .

والعرب لم يتركوا وطنهم قط ، بل لزموه وصبروا وبذلوا دماءهم من أجل الاحتفاظ به مما يبرهن على أنهم يشعرون بتبعة الوطن ويحملونها ، ويربطون مصيرهم به ومصيره بهم .

أما اليهود فلم يربطوا أنفسهم بفلسطين قط ارتباط العرب ، فقد هجروها الى بلدان كثيرة اتخذوها أوطانهم ، حتى فقدوا دماءهم ، فلم يعد في أيامنا هذه دم يهودي نقي ، وانما الذي بقي الدين اليهودي ، وليس للديانات أوطان .

وكل المصادر مجمعة على أن اليهود غرباء على ارض فلسطين مثلما كانوا غرباء على أرض مصر عندما رحلوا اليها وذلك قبل بضعة آلاف سنة .

والكنعانيون هم اصحاب فلسطين منذ عصور أقدم بكثير من اليهود ، وقد سبقوا في امتلاكها سيدنا ابراهيم والعبريين قبل نزوحهم اليها بـآلاف السنين .

وأيا ما كان الامر فالعبرية ليست واضحة النسبة كما تفصح الاقوال والروايات المختلفة ، ولم يكن الكنعانيون وحدهم من الذين يطلقون عليهم كلمة « العبريين » بل كان المصريون والفلسطينيون يطلقون عليهم ذلك الاسم لتكون علامة فارقة بينهم وبين هذا الجنس البدوي الغريب الوافد على أرض غريبة عنه .

وحسب بعض المؤرخين أن الاسرائيليين جاءوا من بابل استنادا على أن ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ولد في « أور » وشعب ابراهيم كان فيها ، وذكروا انه كان شعبا متحضرا لا متبديا .

وتزعم مصادر يهودية أن منشأ بني اسرائيل في بلاد الكلدان ، لان سيدنا ابراهيم ولد في أور الكلدان .

وهذا الزعم ناجم عما جاء في سفر التكوين .

وموقع مدينة « اور » التي ولد فيها سيدنا ابراهيم موضع خلاف ، فبعض الباحثين يرون انها تقع في وسط البلاد السورية ، ومن الباحثين من يرى أن موقعها في بابل ، ولعل الارجح أنه في الجزيرة بين دجلة والفرات باقليم العراق الاعلى .

وفي « تاريخ سورية » ليوسف الدبس ٢ : ٧ ـ ٨ أن القديس افرام السرياني يرى أن مولد ابراهيم في « اورفه » وهي « الرها » وتابعه كثير على هذا الرأي ، ومن أدلتهم أن اسمها في السريانية « أورهي » ودافع ستانلاي عن صحة هذا الرأي واعتمده .

وذهب بوخرت الى أن موقع « اور » بين نصيبين ودجلة ، وقد وافقه كثير من العلماء على هذا الرأي .

ويذكر مؤلف « تاريخ سورية » أن العالم « أوبر » قد وفق لتعيين موقع « اور » التي ولد فيها ابراهيم ، وحدده بأنه في الموضع المعروف بالمقائر ، وسماه بعض الجغرافيين « أم قير» وهو في وسط الطريق بين بابل ومصب نهر الفرات .

وذكر أن قطعا معدودة من الآجر اكتشفت وفيها اسم هذه المدينة وبعض ملوكها ، وكانوا يسمون ملوك اور ، وهي من أقدم مدن بلاد الكلدان ، وأن بعض الآثار التي وجدت فيها تعسرت قراءتها وفهمها ، ومنها فلذة آجر كتب عليها : « إن ليك باغاس ملك أور بنى هذا الهيكل تجلة للإله سين » وكتب على فلذة أخرى : « أقام ليك باغاس ملك أور هيكلا تكرمة لسيده الإله سين وبنى أسوار مدينة أور » .

وليك باغاس ـ هذا ـ كان قبل مولد سيدنا ابراهيم ، وان الآله سين هو القمر الذي كان أعظم معبودات اور ، وأن ابراهيم ولد بها .

وتذهب روايات اسرائيلية إلى أنهم يرجعون الى أصل آرامي ، وان العالم الفرنسي المعاصر أدولف لودس يشك كثيرا في نسبة اليهود الى السامية ، ويرى انهم ينتمون الى الآرامية « ويدعم نظريته هذه بدلالة ما بين اليهود والآراميين من تقاليد مشتركة ، كتطبيق كل من الشعبين نظام الضريبة العشرية التي تقدم للآلهة ، أو على ما في التراتيل اليهودية القديمة من الاشارة الى قرابة اليهودية من الآراميين ، ويستشهد لذلك بالترتيل اليهودي الشهير : « كان أبي آراميا تائها » ويضيف الى ما سبق دليلا آخر هو التقارب الوثيق الكائن ما بين اللغتين ، ويستخلص من كل هذا فكرة نفي السامية عن اليهود »[1] .

والعالم الفرنسي (ا . موره) يرى أن منشأ السامية في البلاد الواقعة شمال ارمينيا .

وعلماء آخرون معاصرون مثل كلاي ودورنت وبلاي يرون أن منشأ السامية كان في سورية نفسها .

(١) المفسدون فى الأرض ، تأليف س . ناجى .

وبعض هذه الآراء غير سديد مثل من قالوا : إن منشأ السامية كان في سورية ، اذ لا دليل لديهم على هذا الادعاء .

ومنشأ السامية وشعوبها ولغاتها من الجزيرة العربية ، وسورية جزء منها ، ولكن هذا الجزء لم يكن أصل السامية .

واليهود عرفوا سورية ، ونزلوا بها ، مثل غيرهم من البدو الرحل ، ولم يكن لليهود وطن خاص بهم منذ القدم ، فسكنهم سورية لا يعطي فكرة منشأ السامية اليهودية في سورية أي اثبات ، فبنو اسرائيل عرفوا مصر وسكنوها وقضوا بها أكثر من قرنين ، وليس معنى هذا أنهم نشأوا في مصر .

وسيدنا ابراهيم جد العرب على التحقيق وجد العبريين على بعض الاقوال ، لان اسماعيل أكبر من اسحاق عرف سورية وفلسطين ومصر والحجاز ، وزعم يوسيفوس مؤرخ اليهود منذ عشرين قرنا أن سيدنا ابراهيم كان ملكا على دمشق ، وهو زعم لم تدعه أسفار العهد القديم ، وليس ما زعمه يوسيفوس بصحيح .

وإذا كان بعض المصادر الاسرائيلية يذهب الى ان الاسرائيليين يرجعون الى أصل آرامي ، ويحبذ هذا الرأى العالم الفرنسي أدولف لودس ـ كما مر ـ فان هذه الرواية ـ ان صحت أو لم تصح ـ فالآراميون والاسرائيليون يرجعون الى الجنس السامي حسب الروايات المعروفة ، والجنس السامى من الجزيرة العربية التي هاجر منها اسلاف ابراهيم من شمال اليمن على أصح التقديرات .

وبنو اسرائيل كانوا قبائل رحلا ، تدفقوا الى الشام ونزلوا البادية ، ثم اقاموا في فلسطين عنوة ، وهم من نسل يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم كما تذكر المصادر الاسرائيلية التي لا يوثق بأكثر ما تروي ، وحبذا دراسة بعض علماء العرب والمسلمين الادعاء الذي يذهب الى وحدة المنحدر للعرب واليهود مما يساورني الشك فيه ، لان الفوارق بين الجنسين كثيرة وكبيرة .

وتاريخهم القبلي مجهول ، وما عرف منه من قبيل الاساطير ، فأصلهم ـ كما يدعون ـ من شعب ابراهيم الذين هاجروا من أور الكلدان بعد هجرة أسرة ابراهيم من شمال اليمن الى العراق الاعلى ، ومما لاشك فيه عندنا انتقال ابراهيم

من أور الى فلسطين ، وولد له اسماعيل بها أولا ، ثم نقله مع أمه هاجر الى مكة لدوافع غيرة زوجته سارة كما يقال ، وكانت الوعود لنسل ابراهيم منذ زمن اسمعيل وقبل ولادة اسحاق الذي بقي مع أمه سارة في فلسطين ، وولد لاسحاق يعقوب الذي اتخذ فدان آرام ، وصار اسمه اسرائيل ، واليه ينسب الاسرائيليون ، ومنه جاءهم هذا التعريف كما تدعي مصادرهم .

وتتفق المصادر الدينية وكثير من المؤرخين على هجرة العبريين ، ولهم غير هجرة ، وهجراتهم متعددة ، ومنها : هجرة اسرائيل (يعقوب) نفسه مع بنيه وأهله الى مصر حيث كثر نسلهم ، وكان الاسرائيليون أقلية مرموقة ، ثم صاروا عبيدا اذلاء للمصريين ، ومنها الهجرة التي تمت على يد سيدنا موسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ .

وتواريخ هذه الهجرات ليست مقطوعا بها ، وان كانت هجرة ابراهيم حدثت في القرن العشرين قبل الميلاد أو ما حوله أو قريبا منه ، فهو مبدأ تاريخ العبريين الذي لم يصبح تاريخا اسرائيليا الا من يعقوب وبعده .

ولكن التاريخ الذي جعل لبني اسرائيل ذكرا باقيا هو تاريخ دخولهم مصر بعد يوسف حيث وفد اليها يعقوب وأولاده ، ثم انقاذهم على يد موسى وخروجهم معه .

وفترة بقاء الاسرائيليين في مصر بضعة قرون .

ومن المؤرخين من ينفون هذه الحوادث بحجة صمت المراجع غير الاسرائيلية عنها ، كما نفى بعضهم وجود موسى ، مع أن المصادر الاسرائيلية والمسيحية والاسلامية وكثيرا من الباحثين أثبتوا صحتها ، وما ذكرته المصادر الاسرائيلية القديمة عن هذه موثوق به فيما اتفق فيه مع المصادر الاخرى .

وليس هؤلاء اليهود هم بني اسرائيل قطعا كما يذهب العلامة الكبير السيد امين مدني في بحوثه العظيمة التي كتبها في بني اسرائيل واليهود ، ونحن نوافقه على ما ذهب اليه ورأى .

يقول السيد أمين مدني[1] :

« إن اليهودية دين وليس بجنس ، وان يهود اليوم لا ينتمون الى بني اسرائيل تلك الاسرة الكريمة ، على أن كثرة من المؤرخين اليهود قديما وحديثا حاولوا أن يرجعوا اليهود الى أرومة من أرومات الشرق العربي ، فمثل ما يحاول المؤرخ اليهودي الحديث أن يربط نسب اليهود بنسب أسرة اسرائيل ليكونوا شعب الله المختار كذلك حاول يوسف المؤرخ اليهودي القديم أن يربط يهود مصر القدامى بعماليقها (الشاسو) ولكن هذه المحاولة على ما يظهر لم تأت بما يقنع المؤرخين القدامى ، فهم لم يذكروا اليهود بعد زوال آل اسرائيل باسم بني اسرائيل ، فلقد تحدثوا عن يهود الحجاز قبل الاسلام وعن يهود العراق وسورية ومصر قبل الاسلام وبعده ، ولم يتحدثوا عن بني اسرائيل في الحجاز وغيره من ارض الجزيرة التي هاجر اليها اليهود » .

ويهود اليوم ليسوا يهودا بغير الديانة التي ينتمون اليها ، فيهود كل بلد يختلفون عن يهود البلد الآخر ، فيهود المانيا ـ المانيون ، ويهود اليمن يمنيون ، وهكذا القول في يهود كل أمة .

والديانات لا أوطان لها ، فالاسلام والمسيحية لا وطن لهما ، وكذلك اليهودية ، والدم وحده هو الذي يرتبط بالارض ، ويهود العصر الحاضر لا ينتمون الى جنس معين ، فيهود كل بلد ينتمون اليه ، ولا يمكن ان يكون اليهود جميعهم من الاصل السامي الذي ينتمون اليه ، فيهود المانيا آريون ، ودمهم غير دم يهود اليمن قطعا ، ولا يجمع بينهم غير الدين .

ولو كان يهود العالم من أصل واحد لما ظهرت فوارق الخلقة فيما بينهم ، ولما ظهر بينهم ذوو البشرة البيضاء والعيون الزرق والشعر الاشقر أو الكستنائي .

ولسنا نحن الذين نقول هذا القول ، بل يقوله عالم من أكبر العلماء في الجنس ، وهو يهودي اسمه فردريك هرتس الذي يقول في كتابه « الجنس والحضارة » :

«لم يعد بالامكان أن يتمسك المرء بذلك الرأي الذي يمثل الآريين من جهة ، واليهود من جهة أخرى كجنسين مختلفين اشد الاختلاف ، وقد أثبت البحث

(١) مجلة كلمة الحق ، لصاحبها مؤلف هذا الكتاب العدد الاول ، المحرم سنة ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) .

الانثروبولوجي بصورة لا تحتمل الجدل ما بين الاثنين من القرابة الشديدة .

«وقد استطاع اليهود في أثناء تاريخهم الطويل أن يمتصوا مقدارا كبيرا من الدماء الاجنبية ، وهذه الحقيقة تفسر ما نراه فيهم من اختلاف في الصور والاشكال ، ومشابهتهم للشعوب التي يعيشون بينها ، وقد كان اعتناق الديانة اليهودية بوساطة اليونان والرومان والشعوب الاخرى أمرا كثير الحدوث ، وعلى الاخص في القرن الاول والثاني قبل الميلاد ، أما في العصور الوسطى فعلى الرغم من جميع العقبات قد حدث مثل هذا التحول الى الديانة اليهودية ، وعلى الاخص في البلاد السلافية .

وهذا هو السبب في اننا نرى اليهود الروس والبولونيين يشبهون السلاف شبها لاشك فيه ، واليهود الالمان أقرب شبها بسائر الالمان منهم باخوانهم في الدين من اهل فلسطين » .

وفي كتاب « اليهود في امريكا » الذي أصدره اليهود أنفسهم صور ليهود بينها صورة أطفال من الذكور والاناث كتب تحتها هذا التعريف : « فتيان وفتيات يهود من مختلف الاجناس والعروق في ظل العلم الامريكي » وهو اعتراف من اليهود أنفسهم بانهم ينتمون الى أجناس وعروق مختلفة ، وهو ينفي نفيا قاطعا الانتماء الى أصل واحد .

ويكاد الاتفاق يكون تاما بين علماء الانثروبولوجيا (علم السلالات البشرية أو الانسان او الاجناس) على ان اليهود ليسوا من سلالة بني اسرائيل القدماء ، ويثبتون بما لا شك فيه أنهم من أجناس أخرى غير الجنس الاسرائيلي ، اعتنقوا الديانة اليهودية خلال العصور الماضية فعرفوا باليهود ، دون أن يكون للدم دخل في تقرير يهوديتهم .

ومن أشهر علماء الانثروبولوجيا الذين قرروا هذه الحقيقة : العالم اليهودي فردريك هرتس الذي استشهدنا به ، وهناك أكبر العلماء في هذا الفن أثبتوا هذه الحقيقة التي اصبحت من البديهيات التي يحاول اليهود طمسها ليثبتوا دعاواهم الباطلة .

يقول العالم الانثروبولوجي ربلى Ripley في كتابه أجناس أوربا Races of Europe وقد صدر قبل المشكلة الصهيونية :

« ان تسعة أعشار اليهود في العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافا واسعا ليس له نظير ، وان الزعم بأن اليهود جنس نقي حديث خرافة ، ولقد أصاب رينان في تأكيده بأن كلمة « يهودي » ليس لها معنى انثروبولوجي لا في أوربا ولا في حوض نهر الطونة على الاقل ، وصدق الاستاذ لمبروزو في ملاحظته بأن اليهود الحديثين هم أدنى الى الجنس الآري منهم الى الجنس السامي » .

ومن الثابت تاريخيا وواقعيا ان اليهود تشتتوا في أقطار الارض ، ومنهم من سكنوا أرض العرب والمسلمين التي تشكل بمساحتها وعدد سكانها أكبر ارض وامة ، وعاشوا بينهم في أمن وسلام لم يجدوهما قط في تاريخهم الطويل . بل لم يجدوهما في دولة داود وسليمان ولا في ظل الدولة اليهودية .

يقول برتراند رسل احد مشاهير العالم وفيلسوف بريطانيا في كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية » : ١٨٦ الطبعة العربية :

« كان المسلمون خلال العصور الوسطى أكثر مدنية وأرق قلبا من المسيحيين ، فقد اضطهد المسيحيون اليهود ، وبخاصة في عهود الاضطراب الديني ، وصاحبت الحروب مذابح مروعة ، وذلك على نقيض ما كان اليهود فى البلاد الاسلامية ، حيث لم يسيئ أحد معاملة اليهود بأي معنى من معانى الاساءة » .

فاليهود عاشوا في أمان في دولة الاسلام في جميع اقطارها من الاندلس حتى ما وراء النهر ، وفي كل البلدان العربية ما عدا الحجاز ونجد وبعض اقطار الجزيرة العربية ، فهم في العراق وسورية ومصر وشمال افريقية ، واختلطوا بالسكان الاصليين ، وامتزجوا بهم دما كما اختلطوا دما بالقبائل التي تسمى القبائل البربرية وغيرها ، ويسمى هؤلاء اليهود « السفرديم » وهم بلا خلاف مجموعة من دماء مختلفة ومن عناصر جنسية متغايرة .

وهناك اليهود « الاشكينازيم » الألى كانوا ما قبل الميلاد بحوالي ثلاثة قرون في

حوض الراين الاعلى ، وكان هؤلاء مجموعات كبيرة تفرعت منها مجموعات في أقطار أوربا .

وإلى هؤلاء يعزى انتشار الديانة اليهودية في أواسط أوربا وبخاصة في المانيا ، وذلك قبل المسيحية ببضعة قرون ، وهؤلاء ليسوا من السلالة الاسرائيلية القديمة .

وكتب العلامة أوجين بتيار بحثا مطولا عن اليهود في كتابه الاجناس والتاريخ Les races et L'histoire وضمن بحثه العلمي ما انتهى اليه كثير من الباحثين الكبار ممن سبقوه ، وكلهم اجمعوا على أن اليهود ليسوا من سلالة الاسرائيليين الاصليين ، ويقول العلامة بتار :

« إن اليهود بعيدون عن الانتماء الى الجنس اليهودي ، وليس اصدق من حكم رينان الذي يقول : لا يوجد عنصر يهودي ، وانما توجد عناصر يهودية ، ولا يمكننا اعتبار اليهود في العصر الحاضر ممثلين لمجموعة جنسية متجانسة ، حتى ولا اليهود القاطنون في فلسطين ، لان الحركة الصهيونية جلبت اليها يهودا من مناطق مختلفة ، واليهود ينتسبون حقيقة الى تشكيلات دينية واجتماعية تتداخل فيها أفراد تنتمي الى عروق مختلفة في كل الازمان ، واختلط هؤلاء المتهودون وشكلوا الجاليات اليهودية ، فما العلاقة الجنسية بين يهود الحبشة واليهود الالمان من العنصر الجرماني واليهود السود المسمين بتاميل في الهند أو اليهود الخزر الذين هم جد قريبين من العناصر التركية .

«ومن المستحيل أن نعتبر اليهود الأوربيين الذين يسمون « أسبانيين » ذوي البشرة البيضاء والشعر الاشقر أو الكستنائي والعيون الفاتحة من سلالة الشعوب الاسرائيلية الاصلية التي أقامت سابقا في ضواحي نهر الاردن .

وان مجموع الدراسات التي قام بها على اليهود اثبتت عدم تجانس هذه المجموعة الاجتماعية والدينية المعروفة باسم اليهود ، وان توزع اليهود الواسع في أنحاء الكرة الارضية يثبت لنا قابلية اليهود « للتأقلم » قابلية غير محدودة » .

وقال : « ان يهود روسيا يختلفون ـ حسب احصاءات وتجارب العالم فايسبرج Weissberg ـ كل الاختلاف عن يهود المانيا » .

و « ان كلا من طائفتي السفارديم والاشكينازيم تدعي أنها هي التي تمثل العنصر اليهودي بصورة أوضح ، ولكن الاسرائيليين غالبا يعتبرون أن الطقوس الدينية المأخوذة عن طائفة السفارديم هي الاصح ، ولا يهمنا أن يكون اعتقادهم على صواب أو خطأ بقدر ما يهمنا أن ندرس صفاتهم الجنسية ، ونري في يهود اوربا الشرقية : تركيا ، اليونان ، البوسنة ، بلغاريا . . . الخ عددا كبيرا من اليهود الذين يعرفون باسم الاسبانيين ، والذين يدعون انهم حفدة اليهود المطرودين من اسبانيا اثناء الاضطهادات الدينية فى سنة ١٤٩٢ كما أنهم يلقبون أنفسهم بلقب « موريسكوس[1] Moriskos ويربو عددهم على ٣٠٠ ألف فرد بقليل » .

و « ويستنتج بتيار من دراسة العلماء اليهود الأسبانيين واليهود الروس وغيرهم أن المجموعة الاجتماعية التي تسمى باسم اليهود هي مجموعة غير متجانسة بصورة خاصة ، كما ظهر له أن يهود آسيا الوسطى (بخاري ، سمرقند ، مرو ، هرات) يمثلون فئات غير متجانسة بصورة واضحة . . . ويعتقد يهود القوقاز أنهم يمثلون الطبقة الاسرائيلية الشريفة ، كما يعتقد الاعتقاد نفسه اليهود الاسبانيون المقيمون في جزيرة البلقان .

« ويذكر ديبوى De Boye الذي زار هؤلاء اليهود الذين يدعون أنهم أشراف أنهم يحتقرون يهود الغرب الذين لا تربطهم بهم الا روابط اجتماعية ضئيلة ، لانهم يدعون أنهم وحدهم أحفاد اليهود المنقولين من البلاد اليهودية في فلسطين منذ منتصف القرن الثامن الى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد على يد الملوك الاشوريين .

« وينتقل بتيار إلى بحث يهود اليمن الذين هم من جماعة الاشكينازيم ثم إلى يهود سوريا الذين أجريت التجارب عليهم في دمشق وحلب ، وهم يشكلون مجموعتين بعيدتين عن أن تكونا متشابهتين .

« وينتهى بتيار من بحثه المستفيض إلى نتيجة هامة هي قوله : يظهر لنا أن أقل القراء معلومات يستطيع أن يستنتج من دراستنا بأنه لا يوجد جنس يهودي بكل ما

---

(١) كتاب « الاجناس والتاريخ » تأليف بتيار ، صفحة ٤١٣ وما بعدها .

في هذه الكلمة من معنى ، واليهود يشكلون مجموعة دينية واجتماعية عريقة جدا بالطبع ، لكن معالمها غير متجانسة بصورة واضحة .

«ويمكننا أن نتساءل كم تحوي كل مجموعة من المجموعات اليهودية في العالم من اليهود المثاليين الذين ينتمون الى الاسرائيليين الذين كانوا يقيمون في جوار البحر الميت ، والذين يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار .

وكذلك نلاحظ أن الاثباتات تفتقر أولئك الذين هم ضد الساميين ويريدون أن يضعوا جنسا يهوديا مقابل الاجناس المسيحية ، فلا يوجد جنس مسيحي ، كما لا يوجد جنس اسلامي ، ولا يوجد أبدا جنس يهودى»(*) .

وننتهي من كل ما سبق الى أن اليهودية ليست جنسا ولا دما ولا عرقا ، بل هي ديانة ، ولو كانت جنسا لاقتضى الامر أن يكون كل يهودي ككل يهودي في الخلقة أو على الاقل يكون التشابه عظيما بحيث تتفق الاشكال والسمات الخلقية .

والفرق كبير جدا بين يهود اليمن ويهود المغرب ويهود القوقاز ويهود روسيا ويهود المانيا ويهود كل بلد أو قطر في الخلقة ، وهو أمر لا جدال فيه ، ولا يمكن أن يكون ابناء هذه الشعوب منتمين الى سلالة واحدة الا اذا كان سكان الاسكيمو والفرنسيون من أصل واحد ، وهذا لا يزعمه عاقل .

ومما لا جدال فيه ولا شك أن اليهود من مختلفي الاجناس يختلفون في الدم ، فيهود كل قطر ينتمون اليه .

وننتهي من هذا إلى زوال دم اسرائيل من الوجود زوالا تاما ، وما حدث لليهود من تشريد وتشتيت خلال اربعة آلاف سنة تقريبا ـ أو أقل من هذا الزمن ببضعة قرون ـ محا الدم الاسرائيلي محوا تاما ، ومن اليقين الثابت أن اليهود منذ عشرات القرون ليسوا من سلالة الاسرائيليين الذين كانوا مع موسى ثم مع داود وسليمان ، بل هم عناصر مختلفة ينتمون الى دماء بعدد أجناس بنى البشر(*) .

(*) هذا الفصل كله منقول من كتابنا « اليهودية والصهيونية » المطبوع ببيروت سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧٢ م) الطبعة الأولى .

عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين

دعوى اليهود بأنهم سلالة يعقوب المعروف في أسفارهم المقدسة باسرائيل دعوى باطلة باجماع علماء «الانثروبولوجيا» (علم الإنسان) الذي يختص أحد فروعه بدراسة الأجناس البشرية من حيث خصائصها الجسمية، وقد أثبتنا في الفصل السابق بطلان دعوى الدم النقي والسلالة الطاهرة والجنس المختار، إذ ليس فى الأرض اليوم دم يهودي، وليست اليهودية إلا دينا هو أساس قوميتهم المنبثقة عنه.

كما أن دعواهم أن فلسطين وطنهم وأورشليم (القدس) مدينتهم دعوى ثابتة البطلان، فهم - دون خلاف أو نزاع بل باجماع المؤرخين - أناس «همج» وفدوا إلى أرض فلسطين العربية، وكانوا غرباء فيها في جميع العصور حتى هذا اليوم مع أنهم صاروا فيها أغلبية ناجمة عن الهجرة والاغتصاب والاحتلال.

وعروبة فلسطين ثابتة وفي غير حاجة إلى دليل، وإذا كان اليهود طارئين على ارض فلسطين العربية الخالصة ثم أخرجوا منها وتشتتوا في الأرض فان العرب سكان فلسطين الاصلاء لم يغادروها قط، مع أنهم تعرضوا للاضطهاد والقتل والتشريد أكثر من اليهود ومن أي شعب في العالم.

ولم يكن العرب في فلسطين طارئين كاليهود أو الرومان أو الفرس الذين دخلوها محتلين ، بل سكانها وأهلها منذ عشرات الألوف من السنين حتى اليوم .

ولم تكن لليهود قط دولة في فلسطين كل اراضيها، وما كانت لهم فيها دولة الا في فترة زمنية محدودة، فمملكة داود ثم سليمان التي تعد اعظم مملكة يهودية قامت على وجه الارض لم تكن غير رقعة جد صغيرة وضيقة من ارض فلسطين.

واذا كان اليهود في البعيد أو القريب شاركوا اهل فلسطين الاصلاء السكن فليس معنى هذا أنها وطنهم الحقيقي ، أو أن لهم حقا تاريخيا أو جغرافيا فيها ، فهم قد وفدوا اليها طارئين عابري سبيل، وسكنوها مع اهلها دون ان يمتزجوا بهم أو يندمجوا فيهم، فقد عزلوا أنفسهم عنهم عزلا لشعورهم بالغربة والشذوذ، وكذلك شأنهم في جميع العصور وفي كل البلدان التي نزلوها، ولم تكن لهم في فلسطين دولة إلا فترة قصيرة من الزمن، وكانت دولتهم محصورة في رقعة غاية في الضيق والصغر حكموها ظالمين، اذ اغتصبوا الأرض من أهلها الذين لم يفارقوها، بل ثبتوا بها.

ومشاركة اليهود في السكن اهل فلسطين لا تعطيهم اي حق في دعوى التملك والاستيطان، فاليهود قد شاركوا في السكن اهل المانيا وبريطانيا وفرنسا وايطاليا واسبانيا والمجر وبولندا وروسيا والولايات المتحدة الامريكية نفسها وغيرها، وحقهم في هذه الاوطان مثل حقهم في فلسطين، بل ان حقهم في روسيا والولايات المتحدة اظهر، لان عددهم فيها بالملايين، وفي فلسطين بالآلاف قبل قيام دولتهم.

فهل تقبل دعواهم ـ اذا ادعوا ـ ان هذه الاوطان يهودية ؟

ودعوى اليهود أن فلسطين ارضهم من القديم، ويريدون ان يعودوا الى ما سموه «أرض الميعاد» دعوى باطلة، لان حجتهم هذه ـ اذا اخذ بها ـ تغير وجه الارض، اذ تقضي على سكان بعض الاوطان أن يغادروها الى اوطانهم القديمة التي عرفوا فيها، ووفدوا منها الى غيرها.

وحجة اليهود ـ هذه ـ هي نفسها ليست لهم، بل عليهم، اذ يجب أن يعودوا الى

مواطنهم الاولى التي هجروها ـ حسب رواية أسفارهم ـ ويتركوا فلسطين لاهلها العرب.

ومن الثابت الذي لا نزاع فيه ان فلسطين عربية لاهلها العرب، وكانت تعرف بأرض الكنعانيين وأرض الفلسطينيين قبل وجود اليهود أو الاسرائيليين فيها، وتوراة اليهود تثبت هذا وان كان مؤلفوها قد نصوا على أن أرض فلسطين موهوبة لهم من «يهوه» ربهم المعبود الخاص بهم وحدهم دون الناس.

ولا يملك مؤلفو التوراة أن يعطوا ما لا يملكون، وإن نسبوا الى ربهم هذه الهبة، وإلا لكان في وسع كل شعب أو قبيلة أن تغتصب حق الآخرين بنص تخترعه وتدعي نسبته الى إلهها.

وفلسطين لم تكن أرضا تملكها ديانة أو ديانات فقد كانت قبل الديانات أرضا عربية، ثم كانت موطنا للديانة اليهودية ثم المسيحية كما كانت من قبلهما موطنا للوثنيات وديانات التوحيد، فلما دخلها الاسلام على أيدى العرب المسلمين كانت فلسطين محتفظة بعروبتها، وكان أهل جميع الديانات القائمة فيها يتكلمون العربية.

واذا كانت فلسطين في كل تاريخها المعروف عربية فانها في حاضرها ما تزال ـ كما كانت ـ عربية، واليهود أنفسهم يعرفون حق المعرفة عروبتها برغم تشييدهم دولة شملت كل أرضها.

وكلمة «أرض كنعان» مما جاء في أسفارهم المقدسة كما جاءت في توراتهم نفسها كلمة «فلسطين» التي تدل على انها ليست وطن اليهود ولا أرضهم على أي حال وفي جميع الأحوال.

وقبل وجود سيدنا ابراهيم كانت فلسطين وطنا عربيا، ففي القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد كان الكنعانيون ومنهم العموريون سكان فلسطين، وهم عرب أصلاء، والتوراة نفسها قد ذكرتهم بهذا الاسم، ونسبت إليهم فلسطين فقالت: أرض كنعان.

والكنعانيون عرب صميمون من جزيرة العرب من الارض المطلة على الخليج

العربي، وقد جاءوا من بلادهم الى الشمال منها في سورية، وعرفت موجاتهم بموجة الاموريين ـ الكنعانيين، وكان ذلك في اوائل الالف الثالث أو أواخر الالف الرابع قبل الميلاد، ونزل الاموريون في سوريا والكنعانيون في فلسطين، وهم فرعان من سلالة واحدة.

وللعلماء آراء في تفسير كلمة «كنعان» فمنهم من ذهب الى أن «كنع» أو «خنع» سامية بمعنى الارض المنخفضة أو الواطئة، وكنع وقنع وخنع في العربية بذلك المعنى، وسبب التسمية ـ كما زعموا ـ سكناهم الارض السهلة المنخفضة من فلسطين، والواقع أنهم سكنوا الارض المنخفضة منها كما سكنوا المرتفعات.

وذهب آخرون الى أن الكلمة حورية[1] الاصل Kuggi ومعناها صبغ الارجوان الذي عرفه الكنعانيون واخذه عنهم غيرهم.

ومع هذه التفسيرات فكنعان حقيقة، وبنو كنعان حقيقة اسما ووجودا، وقد جاء في «سفر التكوين» اول اسفار التوراة بالاصحاح التاسع:

«وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافث، وحام هو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح، ومن هؤلاء تشعبت كل الارض.

وابتدأ نوح يكون فلاحا، وغرس الكرم، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا، وأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا الى الوراء وسترا عورة ابيهما ووجهاهما الى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لاخوته، وقال: مبارك الرب آله سام، وليكن كنعان عبدا لهم».

---

(١) الحوريون: كانوا يعيشون في الجبال شمال الموصل، وفي القرن الخامس عشر قبل الميلاد كانت لهم مملكة معروفة باسم «مملكة ميتاني» التي سيطرت من شمال ايران الى البحر الابيض، وسمى المصريون بلاد كنعان في فترة من الزمن باسم «خورو» و «حورو» بالخاء المعجمة والحاء المهملة، وذلك بسبب انتشار الحوريين في سورية.

وكان هذا حوالي القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد كما تذكر إحدى طبعات « الكتاب المقدس » التي جاء على هامش كل صفحة منها تاريخ الحوادث والوقائع ، وقد حددت واقعة حام مع أبيه بسنة ٢٣٤٧ ق . م .

ولا يعنينا من الشاهد المنقول من سفر التكوين الا الاستدلال على وجود كنعان ، اما اللعنة الموقوفة عليه فتلك لعنة يهودية على الكنعانيين لما بين الفريقين من خصام وحرب ، وما اخترعوا لعنة كنعان على لسان نوح الا ليجعلوها من الله خدعا للعامة ، وحملا لهم على تصديق الكذب اليهودي ، وما هذا الاختراع الكاذب الا اثر من عداء اليهود للكنعانيين .

وقد أشار هيرودوس المؤرخ اليوناني المشهور (٤٨٤ ـ ٤٤٢ ق . م) الى الكنعانيين ووجودهم في فلسطين ، وهو مؤرخ ثقة ، وقد ساح في بلاد الشرق الادنى .

وفي كتاب « الجغرافية » لمؤلفه الجغرافي اليوناني « سترابون » المولود سنة ٦٤ ق . م : أن فلسطين عربية ، وأشار الى الشبه بين مقابر سكان البحرين ومقابر الفينيقيين ، وأطلقت اليونان على الكنعانيين اسم الفينيقيين حوالي سنة ١٢٠٠ ق . م وذلك لان اليونانيين عرفوا صناعة الارجوان من الكنعانيين ، ولما كانت كلمة Phoenix بمعنى احمر أرجواني أطلقوه على الكنعانيين ، فصارت كلمة « فينيقي » مرادفة لكلمة « كنعاني » .

وذهب الاستاذ العقاد في تفسير « فينيقي » غير ما ذهب اليه غيره فقال [1] : إن اليونان « يطلقون اسم فينيقية على شاطيء فلسطين الى الشمال والجنوب من مدينة صور التي اشتهر أبناؤها الملاحون عندهم باسم الفينيقيين ، ولكن فينيقية كما يدل عليها كانت اسما لبلاد النخل في الاقليم كله من كلمة « فينقس » عندهم بمعنى النخلة . وتقابلها عند الرومان كلمة Palmyra التي أطلقت على مدينة « تمر » أو « تدمر » في شرق البقاع ، و « تمر » هي الكلمة السامية التي تقابل كلمة Palm بمعنى النخلة فى بعض اللغات الاوربية الى اليوم ، ولا يخفى أن أرجح الاقوال عن

---

(١) كتاب « الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين » صفحة ٢٢ .

أصل الفينيقيين الاقدمين أنهم نشأوا عند الخليج العربي في بلاد النخيل وتحولوا منه الى فلسطين يوم كانت وطنا مشهورا بكثرة ما فيها من النخيل».

واطلق اسم كنعان في البداية على الساحل وغرب فلسطين، ثم صار الاسم الجغرافي لفلسطين وقسم كبير من سورية، وكان هذا أول اسم لفلسطين، وكل الاسماء الاخرى لها أقل شأنا وذكرا، وفي وثائق العهد القديم الاولى أطلق اسم «كنعان» بمعناه الواسع على جميع سكان البلاد بدون أي مدلول عرفي[1].

وأما شبه مقابر الفينيقيين بمقابر سكان البحرين فقد ثبت من حفريات شركة الزيت العربية الامريكية (أرامكو) أن مقابر قديمة في الاحساء تشبه مقابر البحرين القديمة.

ويؤكد ذلك كشوف عبد الله فلبي (سنت جون فلبى) الذي رأي في الخرج والافلاج مقابر من نوع مقابر الاحساء والبحرين، وهذا ما دعاه الى أن يرى أن الفينيقيين - ربما كانوا - من هاتين المنطقتين.

وهنالك علماء أثبتوا أن مقابر البحرين فينيقية، ومن هؤلاء العالم الانجليزى تيودوربنت T. Bent الذي وفد الى البحرين سنة ١٨٨٩ وقام ببعض الحفريات والتنقيب في مقابر البحرين، وبعث بنماذج منها الى المتحف البريطاني بلندن، وبعد أن درستها لجنة المتحف قررت أنها من مقابر الفينيقيين وذلك قبل هجرتهم الى سواحل الشام وفلسطين[2].

وكل هذا يؤكد عروبة الكنعانيين والاموريين والفينيقيين، وهو يثبت عروبة فلسطين، بل قبل هؤلاء كانت فلسطين عربية، ففي الآثار البابلية أن نارام سين ابن سرجون ملك الكلوانيين غزا فلسطين حوالي سنة ٣٨٠٠ قبل الميلاد، أي قبل مجيء العبرانيين الى فلسطين بنحو ٢٣٠٠ سنة، وهي مدة تزيد على المدة الزمنية التي انقضت بين ميلاد المسيح وهذا العصر[3].

---

(١) تاريخ سوريا، لفيليب حتى ١/٨٧.

(٢) بلادنا فلسطين، تأليف مصطفى مراد الدباغ ١/٣٨٩ الطبعة الأولى، بيروت، سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٥ م).

(٣) موسوعة الأرض المقدسة، وضع أنور الرفاعي، المجلد الأول، العدد السابع، صفحة ١٦٤.

وفي هذه الآثار البابلية ان نارام سين صادف في سيناء حكومة عربية. بل هناك أقوال تثبت عروبة فلسطين وسورية الى ما قبل هذا التاريخ بكثير، ففي سنة ١٩٤٨ أظهرت الكشوف الاثرية في شبه جزيرة سيناء ان العرب قد دخلوا مصر قبل خمسين ألف سنة[١].

وهؤلاء العرب دخلوا مصر عن طريق سيناء قادمين من فلسطين العربية، وهذا برهان على عروبة فلسطين قبل خمسين ألف سنة.

وفي كتاب «تاريخ مصر القديم» باللغة الفرنسية، تأليف العالم الاثري الانجليزي ارثور ويجيل الذي كان يشغل في مصر منصب المفتش العام للآثار في الحكومة المصرية، المطبوع سنة ١٩٣٥ صفحة ١٩ : «ان العرب قبل الاسرة الأولى المصرية قد ظهر منهم قرابة ستين ملكا في مصر، وطال حكمهم اكثر من ٢٠٠٠ سنة[٢]».

ويقول الاستاذ جوستاف جيكي أستاذ الاثريات المصرية في كلية نوشاتل بسويسرا في كتابه «تاريخ المدنية المصرية» المطبوع باللغة الفرنسية سنة ١٩٣٠ صفحة ٩٨ ـ ١٠٢ : «قبل ستة آلاف سنة تقريبا قد جاءوا (بقصد أولئك الملوك الذين ذكرهم ويجيل) الى مصر من جزيرة العرب، والاسرة الفرعونية المصرية الاولى والثانية من هؤلاء الساميين (العرب) وقد مكثت في الحكم بين ٤٠٠٠ و ٣٥٠٠ قبل الميلاد».

وقال مثل مقال جيكي العالم الالماني «هنري بروخ» في كتابه «تاريخ مصر» الطبعة الفرنسية سنة ١٨٥٩ والعالم الانجليزي «هنري جونستون» فى كتابه المطبوع سنة ١٩٢٢.

وقبل اربعة الاف سنة تقريبا وفد من الجزيرة العربية وسوريا من عرفوا

---

(١) جريدة الأهرام القاهرية ، العدد الصادر في ١٦ يناير ١٩٤٨.

(٢) الترجمة من الفرنسية إلى العربية بقلم الأستاذ منير الشريف من دمشق ، وقد نشرت مع الشاهد السابق بجريدة الأهرام فى مقال له تحت عنوان «عروبة المصريين» وعليه اعتمادنا في بعض ما سنذكر من البراهين.

بالهكسوس (العرب العمالقة كما تذكر بعض المصادر) او الاسر الفرعونية : الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة.

وقال المؤرخون العرب كالطبري والجرجاني وابن قتيبة مثل مقال من سبقت الاشارة اليهم، كما قالت مثله دائرة المعارف الفرنسية، والمؤرخ الفرنسي «مالي» في كتابه «الشرق واليونان» وهو بالفرنسية (راجع صفحة ٣٢ منه) وهنري بروخ في كتابه السابق ذكره (ص ٧٥ - ٧٧) وهنري جونستون وويجيل (ص ٨٨ - ٩٩) وقد ظلوا ملوكا ٥٠٨ (ثمان وخمسمئة)، اي من سنة ٢١١٥ الى سنة ١٦٠٧ ق. م كما قال هنري بروخ، اما ويجيل فيقول : انهم مكثوا ملوكا من سنة ١٨١٣ الى سنة ١٥٧٦ قبل الميلاد.

وتعاقبت الهجرات من جزيرة العرب الى مصر عن طريق فلسطين فسيناء، وعن طريق سورية ايضا، وكل هذه الاقطار والامكنة عربية، وهذا يدل على ان عروبة فلسطين اصيلة وقديمة وثابتة منذ اقدم العصور حتى اليوم، وكل هذه الهجرات العربية الى مصر كانت عن طريق فلسطين العربية جيلا بعد جيل.

ولم تفقد فلسطين قط عروبتها منذ اكثر من خمسين الف سنة، ويؤكد هذه العروبة تواتر الهجرات العربية من الجزيرة العربية عن طريق فلسطين العربية التي نفهمها نحن ابناء هذا العصر، والتي ما زالت لغة فلسطين واهلها وكل الاقطار العربية.

تقول الدكتورة فرنسيس اميلي عضو الجمعية الملكية البريطانية في بحثها لظاهرة استمرار الجنس العربي في القدس وفلسطين «ان العرب لا اليهود هم اصحاب تلك الصلة التاريخية الثابتة المستمرة غير المنقطعة».

ويقول السير جيمس فريزر[1] (١٨٥٤ - ١٩٤١) الانثروبولوجي الاسكتلندى المشهور : «ان الناطقين بالعربية من فلاحي فلسطين هم ذريات القبائل التي

---

(١) عرف السير جيمس فريزر بكتابه العظيم المسمى «الغصن الذهبي» ويقع في اثنى عشر مجلدا، وموضوعه دراسة الدين والسحر، ويدل الكتاب على معرفة وثيقة والمام واسع بالديانات والشعوب وتواريخها، وله كتاب يعد من المراجع اسمه «الطوطمية والزواج بغير الأقارب».

استوطنتها قبل الغزوة الاسرائيلية، وانهم ما زالوا متصلين بالأرض لم ينفكوا عنها ولم يقتلعوا منها ، وان طغت عليهم للفتوح موجات فانهم ثبتوا واقاموا » .

وليس العرب وحدهم هم الذين يدعون انهم سكان فلسطين منذ كانت موطنا للسكن وما زالوا ثابتين بها ومستمرين في الاقامة بكل اراضيها، بل اجماع غيرهم على ان العرب هم اهل فلسطين منذ كانت حتى اليوم، واما اليهود فلم تكن فلسطين وطنا قط لهم وان استوطنوها غصبا، وحكموا فيها فترة زمنية محدودة في رقعة صغيرة ضيقة، ولم يكن اليهود غير عابري سبيل وفدوا اليها ثم رحلوا عنها، وتشتتوا في الاقطار.

وما دام مؤلفو التوراة لا يملكون أن يهبوا فلسطين لليهود لانها ليست ملكا لاولئك المؤلفين فان بلفور وبريطانيا لا يملكان عطاء ما ليس ملكهما، وما ليس لهما بحق ، وإنما يملكون الجزيرة البريطانية ، فلو اقتطعا منها قطعة واعطياها اليهود لكان مقبولا ، أما أن يهبا ملك غيرهما وحق سواهما فذلك هو الباطل المردود عليهما وعلى من يفعل فعلهما الجائر المذموم .

وهذا معروف بداهة، ولهذا رأينا بريطانيا العظمى - عندما كانت عظمى - تؤيد باطلها السافر بكل ما تملك من قوى الخداع والكذب والتضليل والفتك والتدمير، لانها مدركة وعارفة ان وعدها لليهود باقامة وطن لهم في فلسطين باطل، فاضطهدت الفلسطينيين، ومزقت البلدان العربية واستعمرت ما استطاعت هي وفرنسا استعماره منها، وحاصرتا ما بقي منها مستقلا، وضربت بريطانيا عرب فلسطين في مقاتلهم، ونهبت أرضهم واغتصبت حقوقهم، واعطت كل ذلك اليهود.

وكذلك أمريكا وروسيا، أيدتا الباطل ونصرتاه، واستطاعتا بنفوذهما العتل أن تفرض على دول كثيرة تأييد ذلك الباطل.

ولو وثقت بريطانيا من أن وعدها حق لما استعدت بكل القوى العاتية المدمرة لحمايته وتنفيذه اللذين دفعاها الى العمل لاخضاع عرب فلسطين بقوة الحديد والنار، ولكن العرب لم يخضعوا، وقاوموا بريطانيا وحلفاءها والصهيونية وعملاءها، وضحوا بأرواح آلاف الشهداء ومئات الالوف من اللاجئين، وما زالوا

يضحون بقوافل الشهداء، ومصممون على التضحية حتى يستردوا حقهم المغتصب السليب.

وكذلك الأمر بالنسبة للمنظمة الدولية، فقد جندت أكبر عضوين فيها لمساندة اليهود وتحقيق حلمهم الشرير، وهما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي اللذان سيطرا على المنظمة الدولية نفسها، ومكنا اليهود في فلسطين.

وبديهي ان كل قضاء بباطل غير مقبول، بل هو مردود وان طال الزمن، وكل حكم لباطل وعطاء أحد حق غيره ظلم مبين فادح ممحو ـ باذن الله ـ عاجلا أو آجلا لتعود للحق سيادته.

وإذا كانت فلسطين كلها عربية خالصة فان القدس عربية مثلها، لانها جزء منها، بل هي روحها، فهي لم تكن قط يهودية ولو ليوم واحد في التاريخ كله وان سيطر عليها اليهود سيطرة تامة بعد حرب يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ كما سيطروا عليها في الماضي البعيد عندما قامت لهم فيها مملكة لم تدم غير فترة محدودة من الزمن، لأن العرب لم يرضوا بأن يقام على أرضهم حكم اجنبي غريب، ولانهم لم يتركوا مدينتهم المقدسة ساعة من نهار، بل كانوا كجبالها ثابتين ثبوتها.

وإذا كان حكم اليهود لاورشليم ورقعة جد ضيقة من فلسطين في فترة قصيرة يعطيهم الحق التاريخي كما يدعون هم وأنصارهم المبطلون فان هذا الحق يثبت للمصريين والفرس والرومان أكثر مما يثبت لليهود، لان المصريين والفرس والرومان حكموا مددا أطول بقرون من اليهود، ومع هذا لم يدعوا دعوى هؤلاء الصهيونيين، لانهم عرفوا الحق اذ عرفوا انهم لم يكونوا غير محتلين غاصبين، وعرفوا أن كل دعوى من هذا القبيل باطلة، ولانهم ليسوا يهودا.

أما اليهود ـ والصهيونيون بخاصة ـ فقوم مجبولون على الباطل الذي لم يعرف التاريخ له شبها في كل العصور، ولكنهم لن يهنأوا بما سلبوا ما دام في الأرض عربي، وحسبنا دليلا على هذا أن دولة اسرائيل بكل قوتها وقوة أمريكا تعيش في مخافة دائمة، حتى ان أمنها قائم على اخافة الآخرين.

وأمر القدس اليوم أعظم، فاليهود يدعون انها مدينتهم المقدسة، وأنه كان بها

هيكلهم المقدس، ويجب أن تكون لهم القدس بحق التاريخ، وأن يعيدوا بناء الهيكل ليكونا خالصين لهم دون أهل القدس.

وهي دعوى من دعاواهم الاثيمة الباطلة المخزية الشريرة، فما كانت القدس خالصة لهم قط برغم ما فعلوا بأهلها، فقد استباحوا حرمات العرب وقتلوهم نساء ورجالا وشيوخا وأطفالا، وكادوا يستأصلونهم، ومع هذا ثبت العرب بمدينتهم، ولم يفارقوها، ولن يفارقوا باذن الله، فكلما تحدى اليهود بعتوهم وبطشهم العرب تحداهم العرب بالصبر والايمان والجهاد الدائم الذي لا ينقطع ولا يفتر.

وما دام الوجود العربي بفلسطين والقدس ثابتا منذ عرفتا في التاريخ ثبوت الشمس ووضوحها فان التاريخ يؤكد ثبوت هذا الوجود والحق معا ثبوتا لا خلاف فيه الا دعوى اليهود الواضح بطلانها، وقد أثبتنا عروبة فلسطين التي تعد القدس منها جزءا لا يتجزأ بحيث يقضي على كل دعوى في شرعة الحق ومنهاج العدل، وها نحن اولاء، نتناول القدس تاريخها الناصع وما اختلف عليها من ظهور اليهود بها وقصة الهيكل وقدسيته غير المجمع عليها منهم انفسهم فيما يأتي من الصفحات.

ومن البديهيات المسلم بها ان القدس عربية خالصة في عروبتها، وان اسفار اليهود المقدسة لديهم تعترف بذلك وتثبته وتؤكده دون أن يحملها أحد عليه، فقد جاء في سفر حزقيال (الطبعة الكاثوليكية) ٣/١٦ : «يابن البشر، أخبر أورشليم بأرجاسها، وقل : هكذا قال يهوه الرب لاورشليم : معدنك ومولدك من أرض كنعان، أبوك أموري وأمك حثية».

وفي الطبعة اليسوعية من سفر حزقيال ٢/١٦ـ٣ : «يابن آدم، عرف اورشليم برجاساتها، وقل : هكذا قال السيد الرب لاورشليم : مخرجك ومولدك من أرض كنعان، أبوك أموري وأمك حثية» وفي رواية : مقطعك بدل «مخرجك».

و «سفر التكوين» أول أسفار توراتهم يقول ١٥/١٠ : «وكنعان ولد صيدون وحثا واليبوسي والاموري الخ» فهو يثبت أن الحثيين والاموريين اخوة أبناء كنعان العربي، وحزقيال يؤكد تكوين أورشليم ومولدها ونشأتها ويعزوهن الى اب وأم عربيين، فالاب اموري والام حثية، وكلاهما من كنعان، فهما عربيان من عربي أصيل، ويزيد في التأكيد أن المعدن والمخرج والمولد والمقطع كنعاني.

فعروبة القدس أصيلة، فهي من أرض كنعان العربية، وعندما كانت جنينافي بطن أرض كنعان العربية كان من نطفة عربية في رحم عربية، ثم كان المولد فجاء الوليد عربيا نقي العرق والدم، ثم كانت النشأة والتربية عربيتين، فبقيت على أصلها عربية حتى اليوم.

وليست أسفار اليهود وحدها التي تذكر ان العرب وحدهم هم أصحاب فلسطين وأورشليم، بل الوثائق والحفريات تشهد بذلك، وعلماء الاجناس والمؤرخون من غير العرب والمسلمين يؤكدون أن العرب هم - دون غيرهم - أصحاب فلسطين وأورشليم، وقد ذكرنا شواهد تثبت ذلك، ولو أردنا المزيد منها لملأنا صفحات كثيرة، الا أن فيما ذكرنا الغناء.

وأورشليم بلفظها ومعانيها ونشأتها عربية صميمة، ولها أسماء كثيرة معروفة ليس بينها اسم يهودي، وليس لها اسم يهودي على الاطلاق.

وأول اسم عرفت به المدينة هو «شاليم» واذا كان غير معروف على التحقيق تاريخ نشأتها فان نشأتها عربية محض «أبوك أموري وأمك حثية» ومن الثابت أن المنطقة كلها عربية، واذا صح وجودها قبل ملكي صادق فان نشأتها على يد العرب دون شك او مراء او نزاع، ويجوز أن تكون قبل ملكي صادق، لان المصادر التاريخية لم تذكر أنه منشئها، وان ذكرت وجودها في عهده، ففي «سفر التكوين» ١٤/١٩ - ٢٠ : «وملكي صادق ملك شاليم... قال : مبارك أبرام من الله العلي... فأعطاه عشرا من كل شيء».

وفي تفسير «شاليم» اقوال، منها : السلام، وهذا تفسير بولس رسول المسيحيين في رسالته الى العبرانيين ٧/١ - ٢ إذ يقول : «لان ملكي صادق هذا ملك شاليم كاهن الله العلي الذي استقبل ابراهيم راجعا من كسرة الملوك وباركه، الذي قسم له ابراهيم عشرا من كل شيء، المترجم أولا ملك البرثم أيضا ملك شاليم أي ملك السلام».

وذهب القديس برونيموس (٣٤٢ - ٤٢٠ م) احد آباء الكنيسة، وصاحب تفاسير الكتاب المقدس الى أن مدينة ملكي صادق هي مدينة «شاليم» التي تقع بجانب مدينة نابلس.

ويؤكد المطران يوسف الدبس في كتابه «تاريخ سوريا» ٢٦/٢ قائلا : «والاكثرون على أن «شليم» يراد بها أورشليم» و«المعتمد عليه القول بأنها أورشليم».

ويذهب الأستاذ مصطفى مراد الدباغ العربي الفلسطيني في كتابه «بلادنا فلسطين» ٣٩٦/١ الى أن القدس «كانت تدعى في أيامه شاليم» أي أيام ملكي صادق.

ويقول فرديناند توتل في كتابه «المنجد في الادب والعلوم» حرف الميم : «ملكي صادق : ملك شالم أو أورشليم ، قدم ذبيحة الخبز والخمر شاكِرا لله انتصار ابراهيم الخليل على اعدائه (نحو ٢٠٠٠ ق . م)».

وتعددت الأقوال في ملكي صادق، فقيل : انه صيدون بن كنعان، وقيل : كان كنعانيا يبوسيا، فهو عربي صميم، وكل ما يتصل به أو يصدر عنه حتى الاسم عربي صرف.

وعلى رواية التوراة وغيرها يثبت قدم القدس، فمقابلة سيدنا ابراهيم لملكي صادق ـ على رواية سفر التكوين ـ تمت في سنة ١٩١٣ قبل الميلاد كما يذكره هامش الكتاب المقدس ـ إحدى طبعاته ـ في تاريخ الاعلام والوقائع والحوادث.

و «شاليم» أقدم اسم معروف لهذه المدينة الكريمة التي عرفت فيما بعد باسم «يبوس» نسبة الى اليبوسيين الذين هم من القبائل الكنعانية العربية، وسميت باسم جد القبيلة الاعلى، ولم يستطع اليهود دخول المدينة حربا، فقد ردوا على أعقابهم عنها، ولكن بني يهوذا كانوا يسكنون مع اليبوسيين، وكان ذلك في سنة ١٤٤٤ قبل الميلاد، وذكرت في أسفار اليهود المقدسة باسم «أورشليم» وغيرها.

وأشار «سفر الايام الاول» ٤/١١ ـ ٥ الى «يبوس» قائلا : «ذهب داود وكل اسرائيل الى أورشليم أي يبوس، وهناك اليبوسيون سكان الأرض، وقال سكان يبوس لداود : لا تدخل الى هنا».

وفي «سفر القضاة» ١٠/١٩ : «يبوس هي أورشليم».

وعرفت باسم « اليبوسي » ففى « سفر يشوع ١٥/و١٨/٢٨ : « إلى جانب اليبوسي من الجنوب هي أورشليم » و « اليبوسي هي أورشليم » .

وأطلقت عليها كلمة « اليبوسيين » وهي وصف بالجمع نسبة إلى سكانها اليبوسيين، وخلع هذا الوصف على المدينة فعرفت به، وفي يشوع ١٨/١٦ : « جانب اليبوسيين من الجنوب » وفي « أخبار الايام الاول » ١١/٦ : « الذي يضرب اليبوسيين أولا يكون رأسا » والمقصد من اليبوسيين مدينة القدس.

وعرفت بمدينة اليبوسيين كما في سفر القضاة ١٩/١١ : « مدينة اليبوسيين ».

وحرفت « يبوس » في الكتابة الهيروغليفية الى « يابيثي » و « ويابتي ».

وكان للمدينة عند اليبوسيين اسم غير « يبوس » فقد سموها « أورشالم » ومعناها : مدينة شالم، وشالم اسم إله اليبوسيين الأكبر ، وقد بنوا له هيكلا على مرتفع الضهور فنسبوا المدينة إليه تمجيدا لإلههم ، وتقديسا لها ، وقد كانت مقدسة لديهم .

وإذا كان « شالم » إله اليبوسيين الأكبر فإنه كان إله السلام عند الكنعانيين، وكان هؤلاء يشبعون حركة اللام فتنطق وتكتب « شاليم » فأورشالم وأورشاليم ويروشالم ويروشليم كنعانية.

وورد اسم « أورشليم » أو « أورشاليم » في نقش مصري قديم يرجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وهو يوافق تاريخ مشاركة بني يهوذا لليبوسيين.

ولعل أول مرة يدوَّن فيها اسم المدينة في مصر يعود الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، فقد ورد في مخطوط مصري يعود تاريخ كتابته الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد باسم « يوروشاميم ».

وفي ألواح « تل العمارنه »[1] ذكر اسم المدينة باسم « اورسلمو » و « أورسالم » في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

---

(١) تل العمارنة : الاسم العربى للبلد الذى أقيم على أنقاض العاصمة التي أنشأها أخناتون حوالي سنة ١٣٦٥ قبل الميلاد.

وهذا التاريخ هو مشاركة بني بنيامين لليبوسيين في سكن مدينتهم المقدسة التي كانوا يسمونها أيضا : «أورسالم» أي مدينة السلام، اذ كان ذلك سنة ١٤٢٥ قبل الميلاد.

ومن الاسماء : أورشليم، وهي لهجة من لهجات نطق أورشالم أو أورشليم، كما نطقت ياروشاليم، وهي كلمة كنعانية معناها : شاليم ينشيء أو يؤسس، ومن «ياروشالم» جاء النطق الافرنجي «جيروزاليم».

وعرفت باسم «ساليم» ففي المزامير ٢/٧٦ : «كانت في ساليم مظلته» والضمير في مظلته يعود الى الله، وفي يوحنا ٢٣/٣ : «كان يوحنا يعمِّد ايضا فى عين نون قرب ساليم».

واسم «أورسالم» ورد في رسائل الملك «عيدخيبا» الموجهة الى فرعون مصر المعروف باسم «امنحتب» الرابع، واثبتت وثائق تل العمارنة ورود هذا الاسم (أوروسالم) وذلك في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

وسميت «أريئيل» في أشعيا ١/٢٩ : «ويل لاريئيل. أريئيل قرية نزل عليها داود» ومعنى أريئيل : أسد الله وموقد الله كما جاء في هامش الكتاب المقدس - طبعة المطبعة الامريكانية ببيروت سنة ١٩٥٨ - ويوضح المعنى الاخير ما جاء في أشعيا ٩/٣١ : «الرب الذي له نار في صهيون، وتنور في أورشليم».

ومن اسماء القدس : مدينة الله، ففي المزامير ٤/٤٦ : «نهر سواقيه تفرح مدينة الله مقدس مساكن العلى» وهو اسم بالاضافة، وقد جاء من هذا الباب «مدينة الملك العظيم» كما في المزامير ٤/١٨، ومدينة داود كما ورد في صموئيل الثاني ٧/٥ : «هي مدينة داود» وفي سفر الاخبار الاول ٧/١١ «واقام داود في الحصن، لذلك دعوه مدينة داود» وفي الاخبار الاول ٥/٥ : «حصن صهيون هي مدينة داود» وفي سفر الملوك الثاني ٢٠/١٦ : «ودفن مع آبائه في مدينة داود».

ويظهر أن الملك داود عليه السلام لم يضع للمدينة اسما فدعيت مدينة داود نسبة إليه.

وعرفت بمدينة يهوذا، ففي الاخبار الثاني ٢٨/٢٥ : «ودفنوه مع آبائه في مدينة يهوذا».

وعرفت باسم «صهيون» حيث أطلق على المدينة اسم صهيون : الرابية التي تقع في الجنوب الغربي لاورشليم، ففي سفر الملوك الثاني ١/١٨ : «مدينة داود هي صهيون».

وكلمة «صهيون» ليست عبرية الاصل، بل هي عربية من مادة الصون والتحصين العربية، وكانت صهيون حصنا من حصون العرب في الروابي العالية، فإذا جاءت الكلمة بالسين أو الزاي في العبرية فإنما كان ذلك نقلا للاسم العربي، وما أكثر ما نقلت العبرية من العربية، وأحرف الصفير (الزاي والسين والصاد) في العربية ينوب بعضها عن بعض.

وأما اسم «القدس» فقديم أيضا، وهو عربي، فمادة «قدس» عربية بكل اشتقاقاتها ومعانيها، وعرفت المدينة باسم القدس قديما من عهد موسى عليه السلام كما جاء في سفر التثنية ١/٣٣ - ٢ على لسان موسى الذي قال : «جاء الرب من سيناء، واشرق لهم من سعير، وتلألأ لهم من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس» كما عرفت بهذا الاسم في عهد نحميا الذي قام مع عزرا بترميمها -وكان نحميا في سنة ٤٤٥ قبل الميلاد- وقد جاء في سفر نحميا ١/١١ : «أورشليم مدينة القدس».

وفي سفر الاخبار الثاني ٥/٥٣ : «وقفوا في القدس» وفي المزامير ٢/١٣٤ - ٣ : «ارفعوا ايديكم نحو القدس، وباركوا الرب يبارك الرب من صهيون».

ولم يعد ذكر المدينة باسم «القدس» الا بعد المسيح في انجيل متى باسم «المدينة المقدسة» ففي ٥/٤ : «وأخذه ابليس الى المدينة المقدسة» أي اخذ ابليس عيسى عليه السلام ، وفي متى ٥٣/٢٧ : «ودخلوا المدينة المقدسة» ووقع هذان الحادثان في سنة ٢٩ أو ٣٠ بعد الميلاد .

ومنذ عهد سيدنا ابراهيم عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام عرفت المدينة المقدسة باسم أورسالم وأورشالم واورشليم، وبقي الاسم الاخير (أورشليم) حيا في كل العصور، وان كان فى عهد الرومان محي الاسم والمدينة نفسها ليحل محلها اسم جديد ومدينة حديثة، فقد بنى الرومان في مكان القدس القديمة مدينة

جديدة أطلقوا عليها اسم «ايليا كابتولينا» أي ايليا الكبرى، وايليا أو ايليوس الاسم الاول للامبراطور الروماني أو لقب الاسرة.

وبعد فترة عرفت باسم «ايلياء» أو «ايليا» بالمد وبالقصر، دون المقطع الثاني، إلا أن الامبراطورة هيلانة والدة الامبراطور قسطنطين أعادت الى المدينة اسم «أورشليم» وقد زارتها نحو سنة ٣٢٤ وقد نسب اليها اكتشاف صليب المسيح، وبذلت جاهها وأموالها للمسيحية، ويعود الى ابنها نصر المسيحية بعد اعتناقه اياها، واليه ينسب عقد أول مجمع مسكوني، وهو المعروف باسم مجمع نيقيه المنعقد في سنة ٣٢٥م ثم صارت هيلانة قديسة عند المسيحيين.

ومع انها أعادت الى القدس اسم أورشليم فان اسم «ايلياء» بقي حيا ومتداولا، ولعله غلب على أورشليم بدليل ذكر «ايلياء» في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعطى لسكان المدينة من المسيحيين الذين سلموا عمر مفتاحها سنة ١٥ هـ (٦٣٦م).

وفي «معجم البلدان»[1] لياقوت الحموي ٣٧٢/١ : «أوريشلم» بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وشين معجمة مفتوحة ولام مكسورة - ويروى بالفتح - وميم : هو اسم للبيت المقدس بالعبرانية، إلا أنهم يسكنون اللام فيقولون : أوريشلم، وقد قال الاعشى :

وطـوفـت لـلمـال آفـاقـه   عمـان فحمص فـأوريشلم
أتـيت الـنجـاشـي في داره   وأرض النبيط وأرض العجم

وحكي عن رؤبة أن أورسلم بالسين المهملة، وروي أوريشلوم، وأورشلم بتشديد اللام، وأورسلم بفتح الراء والسين، كذا حكاه أبو على الفسوي، وانشد عليه بيت الاعشى فقال : فأوراسلم بكسر اللام».

وينطق اليهود أورشليم هكذا : يروشلايم بلغتهم العبرية، وهو ليس اسما عبريا، بل هو الاسم اليبوسي والكنعاني حرفه اليهود ونطقوا به على التحريف،

---

(١) طبعة الخانجي بالقاهرة سنة ١٣٢٣ هـ. (١٩٠٦م).

وادعاء اليهود أن هذا الاسم عبري ليس بصحيح، فهو موجود قبل وجود اللغة العبرية واليهودية وموسى بل قبل داود عليهما السلام.

وبعد الفتح الاسلامي أطلق على المدينة المقدسة اسم «القدس» و«بيت القدس» بضم الدال وسكونها، و«بيت المقدس» على وزن المجلس، و«البيت المقدس» على وزن «المعظم» و«دار السلام» و«قرية السلام» و«مدينة السلام» تكريما لها.

ولم ينظر العرب المسلمون عندما أطلقوا عليها الاسماء الثلاثة الاخيرة الى أن ترجمة «أورسالم» الى العربية تؤدي تلك المعاني، فكلمة «أور» معناها : الدار والقرية والمدينة، و«سالم» : السلام في اللغة الآرامية، وانما نظروا الى هذه المدينة أخذت سلما، فهي دار السلام وقريته ومدينته، وتسمى المدن المقدسة في الاسلام أو توصف بأنها «دار السلام» التي هي من أسماء مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس حرسهن الله وحماهن من كل شر.

وكل الاسماء التى قصد منها التكريم والتقديس لم تعش الا في الكتب غير اسمين هما : القدس وبيت المقدس بقيا على الالسنة الخاصة والعامة في كل ديار الاسلام وعلى الاقلام.

ووصفت بكلمة «الشريف» وصار المسلمون لا ينطقونها الا موصوفة بها فيقولون : القدس الشريف، كما يقولون : مكة المكرمة أو المعظمة أو المشرفة، والمدينة المنورة.

وعندما أطلق المسلمون على هذه المدينة اسم «القدس» و«بيت المقدس»[1] لم يحاكوا من سبقوهم، بل نظروا إلى معاني القدس والتقديس وسموها بما يشعر على الدوام بقداستها الثابتة، فالقدس : البركة، والتقديس : تنزيه الله سبحانه وتعالى من كل الصفات التي لا تتفق مع كماله المطلق، والتقديس : التطهير والتبريك، والقدوس : من اسماء الله الحسنى، ومعناه : الطاهر المنزه من النقائص والعيوب.

---

(١) في سفر أخبار الايام الاول بالاصحاح السادس والثلاثين : «فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم» ووقع هذا القتل في سنة ٥٨٧ قبل الميلاد.

وفي القرآن الكريم : (ادخلوا الارض المقدسة) وهي أرض الشام التي منها أرض فلسطين، والأرض المقدسة : المباركة المطهرة، وبسبب هذا سمى المسلمون (ايلياء) القدس وبيت المقدس والبيت المقدس لانها المدينة المطهرة المباركة التي يتطهر فيها من الذنوب.

فتقديس هذه المدينة المطهرة المباركة المقدسة لدى المسلمين ثابت بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله الأعظم محمد ﷺ ، وقد حافظوا منذ تسلموها منذ أربعة عشر قرنا على قداستها، ولم ينتهكوا لها حرمة قط على نقيض ما فعل اليهود من انتهاكها في كل العصور التي عرفوا فيها، وما فعل النصارى أيام حروبهم الصليبية.

ومنذ دخول أمير المؤمنين الفاروق عمر بيت المقدس واسمها الاسلامي هو الشائع المعروف.

واذا كانت القدس في كل تاريخها الطويل العريض عربية خالصة، ومحافظة أشد الحفاظ على عروبتها حتى اليوم فان لونها الإسلامي الجميل الثابت قد أضاف الى عروبتها مزيدا من الاصالة والدوام ليؤكد لها مع عروبتها القداسة التي لم يخدشوها قط، بل فدوا وما زالوا يفدونها بأموالهم وأنفسهم وكل ثمراتهم وذرياتهم، ويستعذبون الشهادة من أجلها، ويسترخصون كل غال في سبيلها.

ولم تكن القدس مقدسة عند اليهود باجماعهم، فهم قد هدموا الهيكل واثخنوا في المدينة المقدسة فتكا وقتلا منذ عرفتهم من عهد داود وقبله وبعده حتى يومنا هذا، وكان بعضهم يقتل بعضا، وحولوا الهيكل معبدهم المقدس الى سوق نجسة أحلوا فيها الحرام واسرفوا فيه وفي كل باطل يقضي على شرفها وقداستها.

ومع أن الاسرائيليين مع موسى ثم مع خليفته يوشع بن نون ظهروا في أرض فلسطين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد فان القدس كانت عاصية عليهم، ولم يستطيعوا دخولها فاتحين الا نحو سنة ١٠٤٨ قبل الميلاد، وان كانوا قبل هذا التاريخ قد شاركوا اليبوسيين السكن كما تذكر أسفار اليهود.

ففي سفر القضاة ٢١/١ : «وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم» وكان ذلك حوالي سنة ١٤٢٥ قبل الميلاد.

وقبل بني بنيامين كان بنو يهوذا يسكنون أورشليم مع اليبوسيين، ففي سفر يشوع ١٥/٦٣ : «وأما اليبوسيون فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم» وكان ذلك حوالى سنة ١٤٤٤ قبل الميلاد.

أما دعوى أسفارهم هذه أن بني بنيامين لم يطردوا اليبوسيين وبني يهوذا لم يقدروا على طردهم فمثل سائر دعاواهم الباطلة، فاليبوسيون عطفوا على بني يهوذا ثم بني بنيامين وسمحوا لهم بمشاركتهم السكن، ولو استطاعوا الى الطرد سبيلا لما تأخروا، فاليهود مطبوعون على الاساءة إلى من أحسن اليهم.

وكان داود ـ أول ملك اسرائيلي ـ هو الذي احتل أورشليم اليبوسية حوالي سنة ١٠٤٨ قبل الميلاد، ففي سفر صموئيل الثاني ٥/٨ ـ ٩ : «وذهب الملك ورجاله الى أورشليم الى اليبوسيين سكان الأرض، فكلموا داود قائلين : لا تدخل الى هنا ما لم تنزع العميان والعرج، أي لا يدخل داود الى هنا، وأخذ داود حصن صهيون، هي مدينة داود، وقال داود : ان الذي يضرب اليبوسيين ويبلغ الى القناة والعرج والعمي المبغضين من نفس داود الخ».

وفي سفر الايام الأول ١١/٤ ـ ٥ : «وذهب داود وكل اسرائيل الى أورشليم أي يبوس، وهناك اليبوسيون سكان الأرض، وقال سكان يبوس لداود : لا تدخل إلى هنا، فأخذ داود حصن صهيون هي مدينة داود الخ».

فداود احتل بالحرب والقتال مدينة أورشليم التي كانت تسمى «يبوس» نسبة إلى اليبوسيين، ولم تدن أورشليم أو يبوس لاحد من بني اسرائيل حتى عهد داود، فابراهيم على نبينا وعليه وعلى داود أفضل الصلاة والسلام لم يكن قصارى أمره الا شراء مقبرة في حبرون (الخليل الآن) كما يذكر سفر التكوين (٢٣/٢ ـ ١٦) وكان يعترف بأنه «غريب» في دار غربة، وبعد ابراهيم غبرت قرون لم يكن لنسله شيء في فلسطين حتى جاء موسى ومضى الى ربه ولم يدخل أرض فلسطين، وبين ابراهيم وموسى قرون كثيرة، ومضت قرون أخر دون أن يستطيع بنو اسرائيل احتلال أورشليم حتى ظهر داود عليه السلام واحتلها احتلالا عسكريا، واغتصبها من أهلها الذين لم يفارقوها.

ولقد دافع اليبوسيون عن مدينتهم دفاع المغاوير ولم يسلموها، بل احتلها داود

بعد حرب ضارية قتل فيها من اليبوسيين كثير دفاعا مجيدا عن وطنهم المغتصب، وبقي بها من بقي من أهلها في وطنهم ولم يتركوه، وكانوا كثيرين.

وإذا كان داود قد انتزع منهم السلطة واحتل المدينة وضمها الى مملكته فان سكانها الاصليين قد احتفظوا بحقوقهم ومساكنهم وأراضيهم، ودليل ذلك أن داود نفسه اشترى المكان الذى أمر من ربه ببناء الهيكل فيه من «أرونة» أو «أرنان» اليبوسي.

في سفر صموئيل الثاني ٢٤/١٨ـ٢٥ : «فجاء جاد في ذلك اليوم إلى داود وقال له : اصعد وأقم للرب مذبحا في بيدر أرونة اليبوسي، فصعد داود. . . . وقال أرونة : لماذا جاء سيدي الملك إلى عبده؟ فقال داود : لا شتري منك البيدر لكي ابني مذبحا للرب فتكف الضربة عن الشعب، فقال أرونة لداود : فليأخذه سيدي الملك ويصعد ما يحسن في عينيه، انظر، البقر للمحرقة، والنوارج وأدوات البقر حطبا. . . فقال الملك لارونة : لا، بل اشتري منك بثمن، ولا أصعد للرب آلهي محرقات مجانية، فاشترى داود البيدر والبقر بخمسين شاقلا من الفضة، وبني داود هناك مذبحا للرب».

وفي سفر الايام الاول ٢١/٢١ ـ ٢٥ : «جاء داود إلى أرنان. . . فقال : . . . أعطني مكان البيدر فأبني فيه مذبحا، بفضة كاملة أعطني اياه فتكف الضربة عن الشعب، فقال أرنان لداود : خذه لنفسك. . قد أعطيت البقر للمحرقة، والنوارج وأدوات البقر حطبا. . . فقال الملك لارونة : لا، لا، بل شراء اشتريه بفضة كاملة، لاني لا آخذ مالك للرب وأصعد محرقة مجانية، ودفع داود لارنان عن المكان ذهبا وزنه ست مئة شاقل، وبنى داود هناك مذبحا للرب».

وهذا يدل على أن اليبوسيين كانوا في مدينتهم، وكانوا ذوي ثراء وأرض زراعية، فمكان المذبح والهيكل ملك لأرونة (أرنان) اليبوسي، وزعم صموئيل الشراء ليكون التملك مشروعا، وذكر أن الثمن خمسون شاقلا أي مثقالا من الفضة، وجاء بعده كاتب سفر الأيام فرأى الثمن جد زهيد لا يمكن أن يكون القيمة الصحيحة للبيدر الخصب والبقر وغيرهما، لان ثمن البقرة تزيد على خمسين شاقلا أو مئة شاقل من الفضة في ذلك الوقت، فاذا كان ثمن الفرس مئة وخمسين

شاقل فضة في مصر التي يستوردون منها الخيول فثمنها في مملكة داود أغلى، ففي سفر الاخبار الاول ١٧/١ : «الفرس بمئة وخمسين».

ورأى كتاب الأسفار أن ثمن البيدر زهيد كل الزهادة فعدلوه، وجعلوه ستمئة مثقال ذهب بعد أن ذكر أحد الأسفار أن الثمن خمسون مثقال فضة، وكل هذا كذب وتزوير من كتاب الأسفار اليهود، فهم يحرصون على أن يرددوا دائما أن ما حصلوا عليه من الأرض لم يكن إلا بالشراء المشروع وعن تراض بين المتبايعين، فقد حرصوا أن يذكروا في قصة حصول سيدنا إبراهيم على حقل المكفيلة تلقاء دفعه لعفرون الحثي صاحب الحقل، وتسلمه منه كما جاء في سفر التكوين بالاصحاح الثالث والعشرين منه.

وأراد داود أن يبني لله بيتا (هيكلا) فلم يرض الله أن يبنيه له لأنه سفك دماء كثيرة، وقد اعترف داود بذلك كما جاء في سفر الأيام الأول ٦/٢٢ وما بعد: «قال داود لسليمان: يا ابني، قد كان في قلبي أن أبني بيتا لاسم الرب إلهي، فكان إلي كلام الرب قائلا: قد سفكت دماء كثيرا، وعملت حروبا عظيمة فلا تبن بيتا لاسمي، لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامي، هو ذا يولد لك ابن ... اسمه يكون سليمان ... هو يبني بيتا لاسمي».

وبنى سليمان الهيكل، وقيل -كما تذكر بعض المراجع-: أن موضعه الموقع الذي تقوم عليه قبة الصخرة «وبني الهيكل ليكون معبدا ملكيا ملحقا بالقصر، واستغرق بناؤه سبع سنوات، وأصبح فيما بعد مركزا عاما لعبادة العبرانيين، وكانت زخرفة الهيكل مستوحاة من النماذج الكنعانية المعاصرة، وطقوس الهيكل وذبائحه تظهر الأساليب المتبعة عند الكنعانيين، وكان عبيد الهيكل من الكنعانيين، وحتى كلمة «هيكل» نفسها كانت مستعارة من المفردات الكنعانية[1] فهي سومرية e-gal بمعنى البيت الكبير أتت من السومرية إلى الكنعانية[2].

والهيكل الذي بناه سليمان لم يكن معبدا عاما للشعب، بل هو خاص بالملك

---

(١) تاريخ سوريا، لفيليب حتي ٢٠٥/١ - ٢٠٦ بيروت سنة ١٩٥٨.

(٢) تاريخ سوريا ١٤٩/١.

وأسرته وحاشيته ، بل لم يعد في عهد سليمان نفسه خاصا بأسرته الملكية ، لأن كثيرا من أزواجه كن وثنيات يعبدن آلهتهن ، فلم تكن بهن حاجة إلى الهيكل الذي لا يرتبطن به ولا يؤمنَّ ، فانصرفن عنه إلى أمكنة عبادتهن ، وبنى سليمان نفسه ـ حسب روايات أسفار اليهود ـ لأزواجه الوثنيات هياكل ومذابح ومحرقات خاصة بهن .

ولو كان الهيكل عاما لأباحه للشعب ، ولكنه لم يبح له أن يدخله ، ويؤكد خصوصيته أن بابه لم يكن مواجها المدينة ، وإنما كان يواجه القصر ، ومدخله إليه منه ، ويقع في القصر نفسه لأنه جزء منه ، ليسع الملك ومن كان على دينه من أزواجه الدخول إليه من القصر لئلا يضطروا إلى الدخول من خارجه .

وأدلَ من هذا على خصوصية الهيكل أن مذبحه كان صغيرا ، ففي سفر الملوك الأول ٨/٦٤ : « إن مذبح النحاس الذي أمام الرب كان صغيرا عن أن يسع المحرقات والتقدمات وشحم ذبائح السلامة » ومساحته صغيرة كما يذكر سفر أخبار الأيام الأول ٤/١ : « وعمل مذبح نحاس طوله عشرون ذراعا »

ولو أراد سليمان أن يكون الهيكل والمذبح عامين لما جعلهما صغيرين بحيث يضيق المذبح عن ذبائح سليمان نفسه ، ويضيق الهيكل فلا يتسع لغيره ومن معه من أسرته وبطانته ، وما قصد منهما أن يكونا للشعب عامة ، إذ لو أراده عاما لكان في وسعه أن يجعله من السعة بحيث يتسع لعشرات الآلاف أو للآلاف على الأقل ، فالعمال لديه بعشرات الألوف ، والمال عنده كثير .

وإذا كان سليمان لم يقصد إلى العموم وبناه ليكون خاصا به ولم يدر بخلده أن يكون ذات يوم عاما فإن كتبة الأسفار المزورين كتبوا ما عنَّ لهم بعد مرور مئات السنين على وقوع الأحداث ، ودونوا أمانيهم وأوهامهم على أنها كانت حقائق ووقائع .

وفي سفر الملوك الأول ٨/٢٩ ـ ٣٠ : « لتسمع الصلاة التي يصليها عبدك في هذا الموضع » ولكن التزوير والتزييف اللذين عرف بهما اليهود وأحبارهم وأنبياؤهم باعترافهم حملاهم على إرداف تلك الفقرة بهذه الجملة : « واسمع تضرع عبدك وشعبك اسرائيل الذين يصلون في هذا الموضع » وقصدوا من هذا الإقحام أن

يجعلوا الهيكل عاما غير خاص بالملك ، مع أن ضيقه وصغره الثابتين ينفيان عمومه .

ولم يكن الهيكل الذي بناه سليمان في الموضع الذي حدده أبوه داود ، والذي اشتراه من أرنان هو وحده الذي كان معبدا مقدسا ، ولم تكن أورشليم وحدها مقدسة ، بل كانت هناك معابد أخرى أسبق ، وهي أعظم من هيكل سليمان ، لأن من بنوه كانوا أعظم من داود وسليمان في المراتب والقدر والقرب من الله مثل سيدنا ابراهيم ، ولا نريد أن نخرج عن نطاق فلسطين فنذكر البيت الذي بناه إبراهيم واسماعيل في مكة حرسها الله ، ذلك البيت الذي يتسع لأن يصلي فيه مئات الألوف ويطوف به الآلاف .

وفي أسفار اليهود المقدسة أن « شكيم » سبقت أورشليم في القداسة ، ولكن السياسة الهوجاء حملتهم على نقلها من شكيم إلى أورشليم ، وقد نزل في شكيم أعظم الرسل والأنبياء لديهم .

وشكيم (نابلس اليوم) مدينة كنعانية ، ومعناها بالآرامية : منكب ، ونجد ، وارتفاع ، وقد أظهرت الكشوف الأثرية التي قام بها العالم سيلن Esellin سنة ١٩١٣ ـ ١٩١٤ م أطلالا وجدارا يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وهذا العصر يكاد يكون عصر إبراهيم الذي قدم فيه إلى شكيم .

ويعترف سفر التكوين ١٢/٥ ـ ٨ بمجيء إبراهيم ولوط ومن معهما إلى شكيم فيقول : « وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان ، فأتوا إلى أرض كنعان ، واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم . . . . فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له ، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت ايل ونصب خيمته . . فبنى هناك مذبحا للرب » .

ونزل يعقوب وأولاده ومن معه في شكيم ، وفى سفر التكوين ٣٣/١٨ ـ ١٩ : « ثم أتى يعقوب سالما إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان حين جاء من قدام أرام ونزل أمام المدينة ، وابتاع قطعة الحقل الذي نصب فيها خيمته من يد بني حمور أبي شكيم ، وأقام هناك مذبحا ودعاه إيل إله اسرائيل » .

وهناك خلاف بين الأسفار المقدسة أو تناقض في رواياتها في مدفن يعقوب ، ففي سفر الأعمال ١٥/٧ـ١٦ : « فنزل يعقوب إلى مصر ، ومات هو وآباؤنا ونقلوا إلى شكيم ووضعوا في القبر الذي اشتراه إبراهيم بثمن فضة من حمور أبي شكيم » .

وفي سفر التكوين ١٣/٥٠ : « حمله بنوه (أي يعقوب) إلى أرض كنعان ، ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة التي اشتراها ابراهيم مع الحقل ملك قبر من عفرون الحثي » .

وفي رواية سفر الأعمال خطا ، فابراهيم لم يشتر في شكيم أرضا ، وانما الذي اشترى فيها هو يعقوب وورثها منه بنو يوسف إذ صارت لهم ، ولم يدفن يعقوب في شكيم ، بل دفن في مغارة المكفيلة ، وأن الذي دفن في شكيم هو يوسف بعد موته في مصر ، إذ أوصى قبل وفاته أن ينقل إلى شكيم ويدفن فيها ، ففي يشوع ٣٢/٢٤ : « وعظام يوسف التي أصعدها بنو اسرائيل من مصر دفنوها في شكيم في قطعة الحقل التي اشتراها يعقوب من بني حمور أبى شكيم بمئة قسيطة فصارت لبني يوسف ملكا » .

وقداسة شكيم ثابتة بالاجماع من اليهود ، ولم يشذ أحد منهم ، فابراهيم قد نزلها وبنى للرب مذبحا ، وكذلك يعقوب ، وحسبها شرفا أن يوسف يوصي بدفنه في شكيم ، وان ينقل موسى رفات يوسف عندما غادر مصر ومعه بنو اسرائيل ، وحرصوا على تنفيذ وصيته ، اذ دفنوه في شكيم ، ولو لم تكن مقدسة لما كان لها هذا الشأن العظيم .

وقداسة شكيم ـ كما تذكر أسفارهم المقدسة ـ أسبق وأثبت من قداسة أورشليم التي جعلتها السياسة مقدسة غير مجمع على قداستها في حين أن قداسة شكيم بالاجماع ، ولئن كانت أورشليم مقدسة أو بها أماكن مقدسة لديهم فإنها لم تكن كعبة ، ولم يفرض على أحد في تلك الأزمان أن يحج إليها .

واستمرت قداسة شكيم منذ عهد إبراهيم فيعقوب إلى عهد موسى ويشوع بن نون ـ خليفة موسى ـ وبين عهد ابراهيم وموسى حوالي خمسة قرون .

فشكيم مقدسة من قبل إبراهيم ثم من قبل يعقوب ثم موسى الذي تسلم

رئاسة بني اسرائيل وحافظ على العهد ففي سفر التثنية ٢٩/١١ : « إذا جاء بك الرب الهك إلى الأرض التي أنت داخل اليها لكي تمتلكها فاجعل البركة على جبل جرزيم ، واللعنة على جبل عيبال » وكلا الجبلين بشكيم ، وهما أعلى جبالها ، وتقع المدينة بينهما .

وفي التثنية ٢٧/١ ـ ١٣ : « وأوصى موسى وشيوخ اسرائيل الشعب قائلا : احفظوا جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم ، فيوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الرب إلـهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة وتشيدها بالشيد ، وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس . . . حين تعبرون الأردن تقيمون هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليوم قائلا : هؤلاء يقفون على جبل جرزيم لكي يباركوا الشعب حين تعبرون الأردن ، وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة » .

ولما توفي موسى خلفه يشوع بن نون ونفذ وصايا الرب لموسى ، ووصايا موسى للشعب كما جاء في سفر يشوع ٣٠/٨ ـ ٢٥ : « بنى يشوع مذبحا للرب إلّه اسرائيل . . . واصعدوا عليه محرقات للرب ، وذبحوا ذبائح سلامة ، وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى[١] التي كتبها أمام بنى اسرائيل ، وجميع اسرائيل وشيوخهم والعرفاء وقضاتهم وقفوا جانب التابوت من هنا ، ومن هناك مقابل الكهنة اللاويين حاملي تابوت عهد الرب ، الغريب كما الوطني ، نصفهم إلى جبل جرزيم ، ونصفهم إلى جبل عيبال . . . وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة » .

وفي يشوع ٢٥/٢٤ ـ ٢٧ : « قطع يشوع عهدا للشعب في ذلك اليوم ، وجعل لهم فريضة وحكما في شكيم ، وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله ، وأخذ حجرا كبيرا نصبه هناك تحت البلوطة التى عند مقدس الرب ، ثم قال يشوع لجميع الشعب : إن هذا الحجر يكون شاهدا علينا ، لأنه قد سمع كل كلام الرب الذي كلمنا به فيكون شاهدا لئلا تجحدوا إلهكم » .

والهيكل الذي بناه سليمان لم يكن كعبة الاسرائيليين ، ولم يكن مقدسا عند جميعهم ، ولم يكن المكان الوحيد للعبادة ، فقد كانت هناك معابد كثيرة أسبق

---

(١) فى الترجمة اليسوعية : «وكتب هناك على الحجارة تثنية اشتراع موسى» .

منه وأكثر قداسة ، ولم يكن للعبادة مكان خاص في مدينة خاصة ، فقد كانت أمكنة كثيرة مقدسة للعبادة .

وابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام كان في القدس ولم يبن شيئا ، لأن ملكها كان من الصالحين ، ولكنه بنى لله مذبحا في حبرون (الخليل) كما يذكر سفر التكوين ١٨/١٣ : « نقل إبرام خيامه وأقام عند بلوطات ممرا التي فى حبرون ، وبنى هنالك مذبحا للرب » .

وسبق لابراهيم أن قدس مكانا في بئر سبع ، ففي التكوين ٣٣/٢١ : « وغرس ابرام أثلا في بئر سبع ودعا هناك باسم الرب الإله السرمدي » .

وفي التكوين بالاصحاح الثاني والعشرين : أمر ابراهيم أن يصحب معه ابنه اسحاق إلى أرض المريا ويصعد على أحد الجبال بها ليذبحه « فلما اتيا إلى الموضع الذي قال الله بنى هناك ابراهيم المذبح » و « دعا ابراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه » أي الله يرى .

ولم تقتصر القداسة على هذه الأمكنة والمدن والجبال التي مر ذكرها ، فهناك غيرها ، ففي جبعون وجلجال أماكن مقدسة كما في بئر السبع وبيت ايل وشكيم ، كما حلت القداسة في جبل صهيون ، وجبل المريا ، وجبل جرزيم ، وجبل عيبال .

بل لم تكن أورشليم وحدها مقدسة ، ولم تكن قداستها بسبب بني اسرائيل أو إبراهيم ويعقوب وموسى ، فهي لم تكن مقدسة لديهم ، وانما كانت مقدسة لدى أهلها العرب قبل انتقال ابراهيم إلى فلسطين .

والهيكل لم يكن وحده مكان العبادة ، ولم يقصد بانيه سليمان أن يكون لبني اسرائيل ، بل بناه لنفسه ولمن كانوا على دينه من أزواجه ، وما كان كعبة كما لم يكن عاما للشعب .

وبدأ تدنيس الهيكل وأورشليم منذ بناء الهيكل على يد بانيه كما تذكر أسفار اليهود ، ففي سفر الملوك الأول ١/١١ ـ ١١ :

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون مؤابيات وعمونيات

وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل : لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم ، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكان له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري ، فأمالت نساؤه قلبه ، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب تماما كقلب داود أبيه ، فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين ، وملكولم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه ، حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بني عمون ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللاتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهم ، فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله اسرائيل الذي تراءى له مرتين ، وأوصاه في هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى ، فلم يحفظ ما أوصى به الرب فقال الرب لسليمان : من أجل ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فاني أمزق المملكة عنك تمزيقا ، واعطيها لعبدك . . . الخ » .

ولا شك أن هذا الذي فعله سليمان ـ باعتراف أسفارهم المقدسة ـ قضاء على قداسة أورشليم والهيكل التي لا تتفق مع الوثنية التي شجعها واعترف بها ، وأقام عشرات المعابد والمذابح للآلهة الوثنية الأخرى وما أكثر ما أنذرت أورشليم بمن فيها لكثرة أرجاسها[1] ، وكان النذير من ربهم .

وبقي هيكل سليمان الذي توفي سنة ٩٧٥ قبل الميلاد ، ولكنه لم يبق على قداسته حتى عهد الملك يوشيا أحد ملوكهم سنة ٦٤١ ق . م حيث قام بإزالة ما في الهيكل نفسه من الرجس ، وفي سفر الملوك الثاني ١٣/٢٣ : « والمرتفعات التي قبالة أورشليم التي عن يمين جبل الهلاك التي بناها سليمان ملك اسرائيل لعشتورت رجاسة الصيدونيين ، ولكموش رجاسة الموآبيين ، وللكوم بني عمون » .

والرجاسات التي أقامها سليمان حسب كلامهم بقيت ، وزادت الرجاسات

---

(١) انظر سفر حزقيال ٣/١٦ وقد سبق الاستشهاد به في إحدى الصفحات السابقة من هذا الفصل .

حتى دخلت الهيكل نفسه ، وازدحمت أورشليم بالموبقات البشعة التي تنقبض لها نفس الحيوان بله الإنسان .

وفي الملوك الثاني ٢١/١٢ ـ ١٥ : « قال الرب إله إسرائيل : ها أنذا جالب شرا على أورشليم ويهوذا حتى أن كل من يسمع بها تطن أذناه ، وأمد على أورشليم خيط السامرة ومطمار بيت أخآب ، وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن يمسحه ويقلبه على وجهه ، وأرفض بقية ميراثي ، وأدفعهم إلى أيدي أعدائهم فيكونون غنيمة ونهبا لجميع أعدائهم ، لأنهم عملوا الشر في عيني وصاروا يغيظونني من اليوم الذي فيه خرج آباؤهم من مصر إلى هذا اليوم » وكان هذا القول في عهد الملك آمون الذي ملك سنتين في أورشليم وقتل على يد عبيده سنة ٦٤١ ق . م .

وما جاء في هذه الفقرات يؤكد خروجهم على ربهم منذ خروجهم من مصر إلى ذلك اليوم الذي هددهم فيه بالمسح والتدمير .

وتنجس الهيكل نفسه ورحابه المقدسة أزيد مما كان ، إذ تراكم فيه ميراث النجاسة المتخلف من العصور التي مرت إلى أن تولى الملك يوشيا الموصوف في أسفارهم بالصلاح ، ويوشيا بن آمون تولى بعد قتل أبيه ، ويذكر سفر الملوك الثاني ٢٣/٤ : « وأمر الملك . . . أن يخرجوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية ولكل أجناد السماء وأحرقها خارج أورشليم » .

واشتعل غضب الرب عليهم واشتد اشتعاله على أورشليم والهيكل نفسه حتى قال (الملوك الثاني ٢٣/٢٧) : « اني أرفض هذه المدينة التي اخترتها : أورشليم والبيت الذي قلت يكون اسمي فيه » وقال (الملوك الثاني ٢٢/١٦ ـ ١٧) : « ها أنذا جالب شرا على هذا الموضع وعلى سكانه . . . من أجل أنهم تركوني وأوقدوا لآلهة أخرى لكي يغيظوني بكل عمل أيديهم فيشتعل غضبي على هذا الموضع ولا ينطفئ » .

كل هذا الوعيد اللاهب من ربهم لم يخففه صلاح الملك يوشيا وعودته إلى ربه ، وثورته على الأوثان والوثنية والفجرة والفسقة من أبناء شعبه ، بل ثار على ما نسب إلى سليمان من تشييده لأصنام ومذابح ومعابد وشرك وكفر ، وقيامه بالتطهير

وإزالة كل معالم الشرك وبيوته ومعابده ومذابحه ومحرقاته وكهنته ، بل استمر اشتعال الغضب لأنه أوعد بأن نار غضبه لن ينطفيء ، وقال الملوك الثاني ٢٢/١٨ ـ ٢٠ :

« أما ملك يهوذا الذي أرسلكم لتسألوا الرب فهكذا تقولون له : هكذا قال الرب إله إسرائيل من جهة الكلام الذي سمعت : من أجل أنه قد رق قلبك وتواضعت أمام الرب حين سمعت ما تكلمت به على هذا الموضع وعلى سكانه انهم يصيرون دهشا ولعنة ، يقول الرب : لذلك ها أنذا أضمك إلى آبائك فتضم إلى قبرك ولا ترى عيناك كل الشر الذي أنا جالبه على هذا الموضع » .

فإذا كان يوشيا أصلح من سليمان باني الهيكل لم ينفعه صلاحه في رد غضب الرب على أورشليم والهيكل فإن من جاءوا بعده وخلفوه في الملك أو الحكم كانوا موضع غضب ربهم كما تذكر أسفار اليهود المقدسة ، ولهذا بقي الغضب مشتعلا لم ينطفيء حتى زال الهيكل الذي أعيد بناؤه ثم زال على أيدي الرومان ، ثم انتقلت المدينة إلى أيدي المسلمين حيث أعادوا القداسة إليها منذ أسرى بنبي الهدى ورسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام من مكة إلى القدس حرسها الله ، وقال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ .

وإذا كانت قداسة القدس المضفاة عليها من قبل أسفار اليهود قد سلبت منها بسبب « النجاسات » و « والرجاسات » التي أغرقت القدس والهيكل نفسه فإن بانيه سليمان لم يدع أنه كعبة كل بني إسرائيل ، ولم يدع الناس إلى اتخاذه معبدا لهم ومحجة ، كما أن الثابت المقطوع بثبوته سبق مدن ومعابد لأورشليم والهيكل في عهد الإسرائيليين الذين جاءوا إليها بأخرة ، وكانوا عابرين مثل غيرهم من الغزاة المحتلين المغتصبين الذين تركوها لأهلها الأصلاء وعادوا إلى أوطانهم .

ويظهر من كل ما سبق أن مدينة القدس لم تكن يهودية خالصة لليهود قط ، وثبت أنها عربية خالصة نطفة وجنينا ومولدا ونشأة وحياة ، ومع أن داود قد اقتحمها حربا وانتزعها عنوة من أهلها العرب اليبوسيين ثم بنى ابنه سليمان الهيكل فإن القدس لم تكن خالصة لليهود ، فقد بقي بها اليبوسيون ، وأسفار اليهود

المقدسة تعترف ببقائهم فيها وبأن المدينة يبوسية ، وأن داود طاريء عليها وأجنبي عنها ، وقد احتلها بقوة السلاح بعد أن دافع عنها أهلها دفاع الأبطال ، واستماتوا في الذود عنها ، ولم يتركوها بعد احتلال داود إياها ، بل بقوا بها .

ومن أسباب منع الله داود من بناء الهيكل ـ حسب اعترافه ـ سفكه الدماء الكثيرة ومنها : دماء اليبوسيين .

وأثر العرب مطبوع في بناء الهيكل نفسه ، فالزخارف والطقوس والذبائح كنعانية ، وعبيد الهيكل كنعانيون ، وهذا دليل على عروبة القدس وديانتها وكل عاداتها وهندستها ، وهو برهان على أن اليهود لم يكونوا يحسنون الفنون والعلوم والعبادات والمناسك فأخذوها من العرب ، حتى أن اسم ربهم المعبود « يهوه » كنعاني ، بل ربهم نفسه كنعاني ، ففي سنة ١٩٣١ اكتشفت في كنعان قطع من الخزف يرجع عهدها إلى عصر البرنز الذي يسبق الميلاد بثلاثة آلاف سنة ـ وهو يسبق مولد إبراهيم بحوالي ألف سنة أو أكثر ـ وفيها كلمة « ياه » أو « ياهو » وهو اسم إله كنعاني[١] .

وما كانت القدس مقدسة لدى اليهود ، وبعد أن استولى عليها داود وأقام سليمان الهيكل لم يتفق اليهود على قداستها ، بل لم يتفقوا على قداسة الهيكل نفسه ، وقد قام أحد حكامهم الأبرار وهدم الهيكل ونهب كل ما في بيت ربهم .

وفي سفر الملوك الثاني ١٤/١٣ ـ ١٦ : « يهوآش ملك إسرائيل . . . جاء إلى أورشليم وهدم سور أورشليم من باب افرايم إلى باب الزاوية أربعمئة ذراع ، وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك والرهناء ورجع إلى السامرة ، وبقية أمور يهوآش التي عمل وجبروته وكيف حارب أمصيا ملك يهوذا ، أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك اسرائيل ، ثم اضطجع يهوآش مع آبائه ، ودفن في السامرة مع ملوك إسرائيل » .

ومعنى الاضطجاع مع الآباء أن الميت مرضي عنه من قبل ربهم المعبود ، مع أنه فعل ما فعل من العدوان على أورشليم وبيت الرب الذي هو الهيكل .

---

(١) انظر كتابنا « الإسلام خاتم الأديان » صفحة ٣٣ طبعة بيروت الأولى سنة ١٣٨٦ (١٩٦٦) .

ولو كانت أورشليم والهيكل مقدسين لدى يهوآش ملك إسرائيل المرضي عنه ـ أو على الأقل غير المغضوب عليه من ربه ـ تلقاء ذلك الاعتداء عليهما ذلك الاعتداء الشديد الذي لم يؤاخذه عليه ربه ولا أحد من جهة الدين .

وقد قيل في داود (سفر الملوك الأول ٢/١٠) : « واضطجع داود مع آبائه » فهو ويهوآش سواء في الاضطجاع .

ولم يكن الهيكل مقدسا قط عند اليهود منذ بناه سليمان ، ولم يشيده إلا لأن من عادة الملوك ومن تمام أبنية القصور أن تلحق بها معابد ، لأن الملوك كانوا يعزلون أنفسهم عن الشعب فلا يؤمون معابده ، ولا يسمحون له بدخول القصر وما ألحق به من مبان منها المعبد .

ولم يكن هيكل سليمان مقدسا لدى اليهود حتى انتهى إلى عصر المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ثم أزيل من الوجود .

وشهادة المسيح ليست في حاجة إلى تزكية ، وهو في غير حاجة إلى تعديل ، لأنه رسول معصوم عن الكذب والباطل ، والرسل أصدق البشر طرا ، والمسيح يشهد شهادة قاطعة بأن اليهود لم يكونوا يقدسون الهيكل ، بل بلغ بهم تحقيره إلى حد أن من يقسم بالهيكل لا ينعقد يمينه ، أما القسم بذهب الهيكل فهو اليمين المنعقد .

يقول المسيح ـ حسب رواية انجيل متى بالإصحاح الثالث والعشرين : « ويل لكم أيها القادة العميان القائلون : من حلف بالهيكل فليس بشيء ، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم » .

فأي قداسة للهيكل بعد هذا ؟ .

بل كانت أورشليم محل غضب ربهم وسخطه وعذابه في عهد داود ، وهذا غير متفق مع القداسة التي يدعيها اليهود ، لأن قداسة أي مكان لا تأتي إلا من رضا الله واختياره إياه دون غيره ، وهذا الاختيار يضفي عليه القداسة التي لا تزول عنه ولا تفارقه مهما عصى سكانه ، وإذا أراد الانتقام أزال العصاة الآثمين وأبقى المكان ، لأن القداسة تحرسه .

وفي سفر الملوك الأول ٢١/١٥-١٦ : « أرسل الله ملاكا على أورشليم لإهلاكها ، وفيما هو يهلك رأى الرب فندم على الشر وقال للملاك المهلك : كفى - الآن - رد سيفك . . . وسيفه مسلول بيده وممدود على أورشليم » .

والحنين إلى القدس لم يكن مرده إلى الدين ، بل كان بسبب السياسة ، وكذلك الحنين إلى جبل صهيون ، فمرد الحنين إلى الأمنية التي تراودهم في قيام مملكة ، ولم يكن هذا الحنين إلا بعد السبي البابلي .

وأيا كان الأمر فإن فلسطين عربية وما تزال كذلك حتى اليوم وبعد اليوم بإذن الله ، ولم يكن اليهود إلا طارئين عليها ، واحتلوا منها مدنا وقرى ، ثم ذهب ريحهم وعاد الحكم لغيرهم ، وبقيت الأرض عربية لأهلها الأصلاء ، وهم العرب حتى يومنا هذا .

والهيكل الذي بناه سليمان قد هدم ، وقد انتهكه واستباحه يهوآش الإسرائيلي ملك إسرائيل ، ولم يبق للهيكل أي أثر ، بل زال من الوجود كله .

وسليمان - كما تروي أسفار اليهود المقدسة - قد أشرك بربه فعاقبه ربه في حياته بأن خرج عليه عبده المسمى يربعام بن نباط الأفرايمي ، ولولا « خاطر » أبيه داود عند ربه لأخذ منه المملكة وأعطاها يربعام ، ولكنه لم يفعل من أجل داود ، وإنما سيأخذ المملكة من يد ابن سليمان ويعطيها يربعام .

وفي سفر الملوك الأول بالإصحاح الحادي عشر[1] : « ويربعام ابن نباط الأفرايمي من صردة عبد لسليمان . . . رفع يده على الملك . . . وكان يربعام جبار بأس . . . لما خرج يربعام من أورشليم أنه لاقاه أخيا الشيلوني النبي في الطريق وهو لابس رداء جديدا ، وهما وحدهما في الحقل فقبض أخيا على الرداء الجديد ومزقه اثنتي عشرة قطعة وقال ليربعام : خذ لنفسك عشر قطع ، لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل : هأنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط ، ويكون له سبط واحد من أجل عبدي داود ، ومن أجل أورشليم المدينة التي اخترتها من كل أسباط إسرائيل ، لأنهم تركوني وسجدوا لعشتروت إلهة

---

(١) الفقرات من ٢٦ إلى ٤٠ .

الصيدونيين ، ولكموش إلهة الموآبيين ، ولملكوم إلـه بني عمون ، ولم يسلكوا في طرقي ليعملوا المستقيم في عيني وفرائضي وأحكامي كداود أبيه ، ولا آخذ كل المملكة من يده ، بل أصيره رئيسا كل أيام حياته لأجل داود عبدي الذي اخترته الذي حفظ وصاياي وفرائضي ، وآخذ المملكة من يد ابنه وأعطيك إياها ، أي الأسباط العشرة ، وأعطي ابنه سبطا واحدا ليكون سراج لداود عبدي كل الأيام أمامي في أورشليم المدينة التي اخترتها لنفسي لأضع اسمي فيها ، وآخذك فتملك حسب كل ما تشتهي نفسك وتكون ملكا على إسرائيل ، فإذا سمعت لكل ما أوصيك به وسلكت في طرقي ، وفعلت ما هو مستقيم في عيني ، وحفظت فرائضي ووصاياي كما فعل داود عبدي أكون معك ، وابني لك بيتا آمنا كما بنيت لداود ، وأعطيك إسرائيل ، وأذل نسل داود من أجل هذا ، ولكن لا كل الأيام[1] ، وطلب سليمان قتل يربعام ، وهرب إلى مصر ، إلى شيشق ملك مصر ، وكان في مصر إلى وفاة سليمان » .

وجاء في هذا الإصحاح نفسه وما بعده أن مملكة سليمان انقسمت ، فقد عاد يربعام إلى فلسطين بعد موت سليمان ، وتحققت نبوة أخيا الشيلوني النبي ، وملك يربعام على كل أسباط إسرائيل « ولم يتبع بيت داود إلا سبط يهوذا وحده » الذي كان مع رحبعام بن سليمان .

وشيد يربعام هيكلين : أحدهما في « بيت ايل » والآخر في « دان » وصنع عجلي ذهب ، وضع كلا منهما في هيكل ، وخرج إلى الوثنية وعبادة الأصنام ومعه الإسرائيليون الذين انصرفوا عن هيكل سليمان ، ولم يعد مقدسا لديهم .

ولم يكن هؤلاء وحدهم الذين كفروا بربهم وأشركوا به ، بل سبط يهوذا فعلوا ما فعله أولئك ، وهذا نص ما جاء في سفرهم المقدس (الملوك الأول ١٤/٢٢) :
« وعمل يهوذا الشر في عيني الرب وأغاروا أكثر من جميع ما عمل آباؤهم بخطاياهم التي أخطأوا بها ، وبنوا هم أيضا لأنفسهم مرتفعات وأنصابا وسواري على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء » .

---

(١) جملة « لا كل الأيام » أقحمها اليهود ليجعلوا الذل المضروب على نسل داود إلى أجل ، مع أنه عام ودائم .

بل تجنى بنو يهوذا على قداسة أورشليم وأحرقوها بالنار كما يذكر سفر القضاة ٨/١ : « وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها ، وضربوها بحد السيف ، وأشعلوا المدينة بالنار » .

وبهذا التقى كل الاسباط وحكامهم في مملكتي اليهود : يهوذا واسرائيل في محو قداسة أورشليم وهدمها وفي البعد عن تقديس الهيكل الذي بناه سليمان ، ولم يبق له غير الاسم والفخامة التي اضفاها عليه بانيه ، وقد سلبه اياهما ملك مصر شيشق (حوالي سنة ٩٧١ قبل الميلاد) كما ذكر سفر الملوك الاول ١٤/٢٥-٢٦ :

« صعد شيشق[١] ملك مصر إلى أورشليم وأخذ كل خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك ، وأخذ كل شيء ، وأخذ جميع اتراس الذهب التي عملها سليمان » .

وبهذا فقد الهيكل فخامته كما فقد على أيدي الاسرائيليين قداسته عندما بنوا مرتفعات وهياكل للاوثان بجانب هيكل سليمان نفسه ، ولم يقتصر الاسرائيليون وملوكهم على الكفر بل تجاوزوا إلى أشد الموبقات سفالة حتى كتب ايليا النبي رسالة إلى الملك يهورام ، وجاء فيها ما نصه (سفر الايام الثاني ٢١/١٢ - ٣٠) :

« وأتت إليه كتابة من ايليا النبي تقول : هكذا قال الرب إله داود ابيك : من اجل انك لم تسلك في طريق ابيك . . . بل سلكت في طرق ملوك اسرائيل ، وجعلت يهوذا وسكان أورشليم يزنون كزنابيت آخاب . . . هوذا يضرب الرب شعبك وبنيك ونساءك وكل مالك ضربة عظيمة . . . وأهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب . . . فصعدوا إلى يهوذا وافتتحوها وسلبوا كل الأموال الموجودة في بيت الملك مع بنيه ونسائه » .

كان هذا نحو سنة ٨٨٧ قبل الميلاد ، وإذا كان ما جاء في رسالة النبي ايليا دالا على الانهيار الخلقي في اورشليم وكل مملكة يهوذا فإنه اشارة إلى قوة الفلسطينيين والعرب ومقاومتهم لليهود .

واستمر الفساد الخلقي في كل مجتمعات اليهود وبخاصة في مجتمع اورشليم

---

(١) هو شيشق أحد فراعنة السلالة الثانية والعشرين ، وهو ليبي الاصل ، ويعتبر مؤسس هذه السلالة .

« حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب اكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الامم ، ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في اورشليم . . . فكانوا يهزأون برسل الله ، ورذلوا كلامه ، وتهاونوا بانبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء ، فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم ، ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب ، بل دفع الجميع ليده وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه ، أتى بها جميعا إلى بابل ، واحرقوا بيت الله ، وهدموا سور اورشليم ، واحرقوا جميع قصورها بالنار ، واهلكوا جميع آنيتها الثمينة ، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا[1] » .

ووقع هذا كله سنة ٥٨٧ قبل الميلاد .

وقد ثبت من مصادر اليهود المقدسة ان الهيكل ازيل ولم يبق له أثر كما ازيلت اورشليم .

وإذا رجعنا إلى تاريخ اليهود في فلسطين منذ ظهورهم فيها فإنه يدل على ان اقامتهم لم تكن طبيعية ، وكانوا غير مستقرين ، وكانت اقامتهم قائمة على الخطر والحرب ، لان سكان فلسطين الاصليين كانوا غير راغبين في هؤلاء المتوحشين حتى انتهى امرهم على يد نبوخذنصر إلى القتل والدمار ، ونفي الآلاف إلى بابل ، ولم يبق غير الفقراء والضعفاء والعجزة .

وفي عهد كورش الذي احتل بابل بمساعدة هؤلاء اليهود سمح لمن اراد العودة منهم بالعودة إلى فلسطين ، وإعادة بناء الهيكل ، فعاد منهم كثير ، وبقي في بابل كثير ، والباقون هم اعلياؤهم واثرياؤهم ، وكان ذلك حوالي سنة ٥٢٩ قبل الميلاد .

وكانت هذه العودة أثرا من تأثر اليهود بالديانة القديمة في بابل ، وفيها البشارة بعودة « مردخ » إلى الارض ، وفيها عودة رسول النور لاصلاح الفساد في

---

(١) سفر أخبار الأيام الأول ٣٦ / ١٤ - ٢٠ .

الارض ، بل كان من آثار الديانة القديمة في بابل ان اليهود بدأوا يحلمون بعودة مملكتهم على يد بطل ، ولم يجعلوه مقصورا ولا محصورا في ذرية داود ، لانهم رأوا « كورش » يساعدهم على اعادة بناء اورشليم والهيكل ، فجزوه على عمله معهم بأنهم نصوا في أسفارهم المقدسة على انه « المسيح » وانه المتلقى من إله السماء الوصية .

وهكذا صار كورش مسيحا ، لانه خلص اليهود من الاسر والنفي ، وساعدهم على إعادة بناء اورشليم والهيكل .

ففي سفر اخبار الايام الأول ٢٣/٣٦ : « قال كورش ملك فارس : إن الرب إله السماوات قد اعطاني جميع ممالك الارض أوهو اوصاني ان ابني له بيتا في اورشليم التي في يهوذا » .

وفي سفر اشعياء في آخر فقرة بالاصحاح الرابع والاربعين واول فقرة بالاصحاح الخامس والأربعين : « القائل عن كورش راعي فكل مسرتي يتمم ، ويقول عن أورشليم ستبني ، وللهيكل سيؤسس » .

و « هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي امسكت يمينه لأدوس امامه امما واحقاء[1] ملوك اصل لافتح أمامه المصراعين ، والابواب لا تغلق » .

فكورش كان مسيح اليهود ومخلصهم ، وقد اصدر مرسوما بإعادة بناء اورشليم والهيكل ، وهذا نص مرسوم كورش كما جاء في سفر عزرا ٦/٣ـ٥ :

« امر كورش الملك من جهة بيت الله في اورشليم : ليبن البيت في المكان الذي يذبحون فيه ذبائح ، ولتوضع اسسه ارتفاعه ستون ذراعا وعرضه ستون ذراعا بثلاثة صفوف من حجارة عظيمة ، وصف من خشب جديد ، ولتعط النفقة من بيت الملك ، وايضا : آنية بيت الله التي من ذهب وفضة التي اخرجها نبوخذنصر من الهيكل الذي في أورشليم وأتى بها إلى بابل فلترد وترجع إلى الهيكل الذى في اورشليم إلى مكانها ، وتوضع في بيت الله » .

---

(١) أحقاء : ج حقو، وهو هنا : الازار.

واعيد بناء الهيكل سنة ٥١٥ قبل الميلاد على يد اليهود العائدين بعد ممانعة من سكان اورشليم من غير اليهود ومن بعض اليهود فيها ويهود المدن والقرى المجاورة وغير المجاورة ، ولكن بني الهيكل ، وظن يهود اورشليم أن عصرا جديدا قد اهل على اليهود انتهى بفاتحته كل عذابهم ليحيوا احرارا منعمين في ظل السيادة الفارسية .

ولكنهم لم ينعموا لما طبعوا عليه من الشر والرذيلة والكفر ، حتى ان ربهم يهوه لم يعطهم النصر لانهم لا يستحقونه ، فهم شعب صلب الرقبة ، وهي كناية عن الكفر والباطل والشر والآثام التي جبلت بها نفوسهم ، وعن اللدد في الخصام مع ربهم وانبيائهم ومع انفسهم والناس جميعا .

وسفر التثنية من اسفار توراتهم ينص على ذلك فيقول ١/٩-٦ : « اسمع يا إسرائيل ، أنت اليوم عابر الاردن لكي تدخل وتمتلك شعوبا اكبر واعظم منك ، ومدنا عظيمة ومحصنة إلى السماء ، قوما عظاما وطوالا بني عناق الذين عرفتهم ، وسمعت من يقف في وجه بني عناق ، فأعلم اليوم ان الرب إلهك هو العابر امامك نارا آكلة ، هو يبيدهم ويذلهم امامك فتطردهم وتهلكهم سريعا ، كما كلمك الرب لا تقل في قلبك حين ينفيهم الرب إلـهك من أمامك قائلا : لاجل بري ادخلني الرب لامتلك هذه الارض ، ولاجل اثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من امامك ، ليس لاجل برك وعدالة قلبك تدخل لتتملك ارضهم ، بل لاجل اثم اولئك الشعوب يطردهم الرب الهك من امامك ، ولكي يفي بالكلام الذي اقسم الرب عليه لآبائك ابراهيم واسحاق ويعقوب ، فاعلم انه ليس لاجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الارض الجيدة لتتملكها لانك شعب صلب الرقبة » .

وتعرضت اورشليم لغزوات وفتن لم ينج منها الهيكل نفسه ، ولم تكن اورشليم سكنا لليهود وحدهم في كل فترات التاريخ ، بل كان العرب هم سكانها في مدار التاريخ كله لانهم اهلها الاصلاء .

ولم تكن اورشليم مقدسة لدى اليهود جميعا ، وما اكثر ما دنسوها بالحرب والقتل : قتل بعضهم بعضا ، وكان الكهنة ورؤساؤهم هم اول من دنسوها بالرجاسة والنجاسة والخيانة والقتال ، وهم اول موجدي الفتنة والشر ، بل ان من

قالوا بقداستها وقداسة الهيكل هم أول من دنسوها ، ثم توارث الخلف عن السلف تدنيسها بالكفر والوثنية واشعال الفتن والحروب .

في عهد سولوقوس الرابع (١٨٦ ـ ١٧٤ ق . م) ـ وهو من السلالة السلوقية التي حكمت سورية ـ كانت في اورشليم فئتان من اليهود متخاصمتان تتوليان امر الهيكل ، وكان آل طوبيا احدى هاتين الفئتين ومعهم اتباعهم من اليهود ، والفئة الأخرى آل اونيا ومعهم أتباعهم من اليهود أيضا ، وكان لآل اونيا سلطة الدين ، ومنهم الكهنة ورؤساؤهم ، ومنهم الرئيس الاعظم ، وكان لآل طوبيا جباية اورشليم ، وهم الاغنياء ، وكانت لهم الوكالة على الهيكل .

وحدث خلاف شديد بين الطائفتين مما دعا آل طوبيا إلى ارسال يهودي منهم يدعى « سمعان » إلى بلونيوس قائد سورية من قبل سولوقوس الرابع ، ووشى بأونيا رئيس كهنة الهيكل بأورشليم ، وذكر له أن خزانة اورشليم زاخرة بالاموال التي يجب ان تكون في حوزة الملك .

وجاء مندوب الملك إلى أونيا ليتسلم منه الاموال فإذا هو يرى معجزة ترده كما يزعم سفر المكابيين الثاني ، ويرى أونيا أن من مصلحته أن يمضي هو نفسه إلى الملك السلوقي ويفهمه ، ووكل أونيا إلى اخيه « ياسون » رئاسة اورشليم نيابة عنه فترة غيابه ، واستطاع ياسون اقناع الكهنة فرضوا بأن ينصب نفسه رئيسا لهم ، وخلع اخاه وخلفه في منصبه الرفيع .

وفي هذه الفترة توفي سولوقوس الرابع وخلفه في الملك اخوه انطيوكس الرابع (١٧٤ ـ ١٦٤ قبل الميلاد) فبعث إليه ياسون يعده بأموال وبأن يجعل اهل اورشليم تابعين له ، ووافق الملك على تأييد تنصيب ياسون رئيسا للكهنة .

ولما كان ياسون مدينا للثقافة اليونانية فقد نشرها بين اليهود ، وبني ملعبا رياضيا كبيرا بجانب الهيكل ، وصرف الكهنة عنه إلى ملعبه .

ولم ينعم ياسون بالرئاسة غير يسير ، فقد انتزعها منه اخوه منلاوس خيانة وغدرا ، فقد بعثه اخوه الى انطيوكس يحمل الضريبة السنوية ، فطمع في الرئاسة ينتزعها من أخيه الذي ائتمنه ، وطلب إلى الملك عزل ياسون تلقاء تعهده بمزيد

من الاموال فولاه الرئاسة وعزل أخاه ، وتسلم الرئاسة في اورشليم وطرد اخاه ياسون الذي وصل إلى الاردن واقام به ، وتبعه انصاره ، وجمع كثيرين وانشأ منهم جيشا اعده لغزو اورشليم عندما تحين له الفرصة .

ورأى منلاوس ان يزور انطيوكس ليوثق صلته به ، واوعز إلى انصاره ان يقوموا بقتل مناوئيه ونهب اموال الهيكل ، وما كاد يغادر اورشليم حتى قام اتباعه بمذبحة بشعة ، ونهبوا الهيكل ، وما كادوا ينتهون حتى فوجئوا بقدوم ياسون ومعه جيشه ، واقتحموا اورشليم وذبحوا رجالها واستحيوا نساءها ، ولقي سكانها من اليهود على يد ياسون اليهودي ما لم يلقوه من اي عدو آخر من غير بني جنسهم .

وعلم انطيوكس بثورة ياسون ، واعتقد انها ثورة على الحكم السلوقي فجاء بجيش واقتحم أورشليم ، ويروي القصة سفر المكابيين الثاني **٥/٥ ـ ٣١** قائلا :

« اتخذ ياسون جيشا ليس اقل من الف نفس ، وهجم على المدينة بغتة ، حتى إذا دفع الذين على الاسوار واوشك ان يأخذ المدينة هرب منلاوس إلى القلعة ، وطفق ياسون يذبح اهل وطنه بغير رحمة ، ولم يفطن ان الظفر بالاخوان هو عين الخذلان ، حتى كأن نصرته هذه إنما كانت على أعداء بني امته ، لكنه لم يحز الرئاسة ، وإنما احاق به اخيرا خزي كيده فهرب ثانية إلى ارض بني عمون » .

« وكانت خاتمة امره منقلبا سيئا ، لان ارتاس زعيم العرب طرده فجعل يفر من مدينة إلى مدينة ، والجميع ينبذونه ويبغضونه بغضة من ارتد عن الشريعة ، ويمقتونه مقت من هو قتّال لاهل وطنه حتى دحر إلى مصر ، فكان ان الذي غرب كثيرين هلك في الغربة في ارض كلديمون ، إذ لجأ إلى هناك بوسيلة القرابة ، والذي طرح كثيرين بغير قبر اصبح لم يبك عليه ولم يدفن ، ولم يكن له قبر في وطنه .

« فلما بلغت الملك[1] هذه الحوادث اتهم اليهود بالانتقاض عليه فزحف من مصر ، وقد تنمر في قلبه ، واخذ المدينة عنوة ، وامر الجنود ان يقتلوا كل من صادفوه دون رحمة ، ويذبحوا المختبئين في البيوت فطفقوا يهلكون الشبان

---

(١) هوانطيوكس ، وقد كان متجهزا لغزو مصر .

والشيوخ ، ويبيدون الرجال والنساء والاولاد ، ويذبحون العذارى والاطفال ، فهلك ثمانون الف نفس في ثلاثة ايام ، منهم اربعون الفا في المعركة ، وبيع منهم عدد ليس بأقل من القتلى ، ولم يكتف بذلك ، بل اجترأ ودخل الهيكل الذي هو اقدس موضع في الارض كلها ، وكان دليله منلاوس الخائن للشريعة والوطن ، واخذ الآنية المقدسة بيديه الدنستين مع ما اهدته ملوك الاجانب لزينة الموضع وبهائه وكرامته ، وقبض عليها بيديه النجستين ومضى ، فتشامخ انطيوكس في نفسه ، ولم يفطن إلى ان الله غضب حينا لاجل خطايا سكان المدينة ، وانه لذلك اهمل الموضع . . . » .

« الرب لم يتخذ الامة لاجل الموضع ، بل الموضع لاجل الامة . . . » .

« وحمل انطيوكس من الهيكل الفا وثمانمئة قنطار ، وبادر الرجوع إلى انطاكية . . .

وترك عمالا يراغمون الامة ، منهم ، فيلبس في اورشليم - وهو فريجي الاصل - وكان اشرس أخلاقا من الذي تصبه ، واندرونكس في جرزيم ، وايضا منلاوس الذي كان اشد جورا على الرعية من كليهما ، ثم حمله ما عليه من المقت لرعايا اليهود على ان ارسل أبلونيوس الرئيس البغيض في اثنين وعشرين الف جندي ، وامره ان يذبح كل بالغ منهم ، ويبيع النساء والصبيان ، فلما وفد إلى اورشليم اظهر السلام وتربص إلى يوم السبت المقدس ، حتى إذا دخل اليهود في عطلتهم امر اصحابه بأن يتسلحوا ، وذبح جميع الخارجين ليتفرجوا ، ثم اقتحم المدينة بالسلاح واهلك خلقا كثيرا » .

وفي الفصل السادس من سفر المكابيين : « وبعد ذلك بيسير ارسل الملك شيخا اثينيا ليضطر اليهود أن يرتدوا عن شريعة آبائهم ، ولا يتبعوا شريعة الله ، وليدنس هيكل أورشليم ، ويجعله على اسم زوس الاولمبي ، ويجعل هيكل جرزيم على اسم زوس . . .

« فاشتد انفجار الشر وعظم على الجماهير وامتلأ الهيكل عهرا وفسوقا ، وأخذ الامم يفسقون بالمأبونين ، ويضاجعون النساء في الدور المقدسة ، ويدخلون إليها ما لا يحل .

« وكان المذبح مغطى بالمحارم التي نهت الشريعة عنها ، ولم يكن لأحد أن يعيِّد السبت ولا يحفظ أعياد الآباء ، ولا يعترف بأنه يهودي أصلا ، وكانوا كل شهر يوم مولد الملك يساقون قسرا للتضحية ، وفي عيد ديونيسيوس يضطرون إلى الطواف اجلالا له ، وعليهم أكاليل من اللبلاب .

وصدر أمر الى المدن اليونانية المجاورة باغراء البطالمة أن يلزموا اليهود بمثل ذلك وبالتضحية ، وأن من أبى أن يتخذ السنن اليونانية يقتل ، فذاقوا بذلك أمر البلاء » .

وقد اشترك في تدنيس الهيكل كثير من اليهود وعلى رأسهم ياسون ومنلاوس ، وهما أخوان يهوديان من رؤساء كهنة اليهود ، واسماهما اغريقيان اتخذاهما برهانا على الاخلاص للاغريقية ، وقد كان اسم ياسون « يشوع » واسم منلاوس « اولياس » ولكن كلا منهما استبدل باسمه اليهودي اسما اغريقيا .

وقامت ثورة المكابيين اليهود برئاسة يهوذا ابن الكاهن ماتاتياس سنة ١٦٨ قبل الميلاد للدفاع عن اليهود ، وكلمة « مكابي » غير معروفة الاصل والمعنى ، وذكر الدكتور فيليب حتى[1] قائلا : « لعله مشتق من العبرية « مقبه » أي المطرقة اشارة إلى الضربات الساحقة التي أنزلت بالعدو » .

ولم يتفق اليهود فيما بينهم ، وذلك شأنهم في كل تاريخهم ، فكان الخلاف بين الكهنة ، وبين القادة والحكام ، وبين الطوائف والفرق ، وبين أفراد الشعب ، وكانوا جميعا يغذون الفتن فيما بينهم وبين غيرهم من الناس حتى صار بعضهم يكره بعضا ، كما كرههم الناس جميعا ، واستخدموا نساءهم في استمالة الحكام والقادة من بني دينهم .

وكان اليهود على خلاف شديد فيما بينهم ، وبلغ أشده بين الطوائف اليهودية وبخاصة طائفة الصدوقيين وطائفة الفريسيين ، كما كانت هناك طوائف ثلاث وهن : الحسديون أو الاسينيون ، والجليليون ، والسامريون .

---

(١) تاريخ سوريا ١ / ٢٦٨ .

وطائفة الصدوقيين ـ التي تنسب إلى صدوق أو صادوق العائش في القرن الثالث قبل الميلاد ـ كانت تتولى الكهانة والمحافظة على الهيكل ، ولم تكن تؤمن بغير التوراة في أسفارها الخمسة ، وكانت تأبى قبول الاسفار الاخرى ولا تؤمن بالبعث .

ومع ما عرفت به من الشدة في المحافظة على السلفية عرفت بالتحرر ، فقد عقدوا صلات بالاجانب وأخذوا من حضارة اليونان ودانوا ببعض المذاهب الفلسفية اليونانية ، وأباحوا لانفسهم التعود بعادات الرومان في معيشتهم ، وأخذوا بأسباب الترف والنعيم والمتع ، وكانوا أرستقراطيين أغنياء ، ولهذا كانوا يحرصون على بقاء المجتمع كما هو ، وتأييد السلطة الحاكمة طمعا في دوام حياة الرغد والسعة والسيادة .

ولما كان لهم السلطان على الشعب والاشراف على الهيكل فقد كانوا شديدي الوطأة في محاربة المسيح .

والفريسيون خصوم الصدوقيين ، ويختلفون عنهم في أشياء ، ويميزون أنفسهم عن سواهم ، ويعتقدون ان الصالحين من الموتى يبعثون ويشتركون في مملكة المسيح المنتظر .

ومع شعور الفريسيين بالامتياز على غيرهم فما كانوا يتعالون على الشعب ، وإنما قصروا تعاليهم وكبرياءهم على خصومهم من الفرق الأخر .

وبلغ من تحرر الفريسيين أنهم قاموا بدعوة جديدة وغاية في الجرأة ، فقد ذهبوا إلى جواز اقامة الشعائر في غير الهيكل ، وأباحوا إقامة الشعائر وأداء الفروض في دورهم وانديتهم ، وأباحوا أن يجعلوا من المساكن والدور هياكل ، لان الناس في غير حاجة الى الكهان الرسميين ، فإقامة الشعائر لا تخضع لهم ، وحفظ الشريعة عندهم يخالف المحافظة على الطقوس فكانوا يؤكدون حفظ الشريعة أكثر من التأكيد على الطقوس .

ولعل الفريسيين دعوا الى جعل الدور هياكل رجاء صرف أتباعهم وغير أتباعهم عن الهيكل الذي يتولى الصدوقيون أمره والإشراف عليه .

وللفريسيين مواقف تدون لهم في تاريخهم ، فقد وقفوا في وجه الوثنية الإغريقية والإرهاب الروماني اخلاصا منهم للعقيدة اليهودية حسب مفهومهم موقفا رائعا ، فعندما أمر انطيوكس الملك السلوقي أن يضحي الكهنة واليهود بالخنزير في هيكلهم وقف الفريسيون وقفة رجل واحد ، ورضوا بالموت على ألا تمس شعائرهم الدينية ، وقتل منهم كثير ، بل كانوا في وجه الوثنية منذ أوائل حكم انطيوكس ، فقد تمسكوا بديانتهم ولم يتسامحوا فيها كالصدوقيين ، واستسلموا للقتل الجماعي في صبر وعناد وأثاروا اعجاب انطيوكس نفسه حسب روايات اليهود .

ولما كان الصدوقيون والفريسيون على خلاف كانت الطوائف والفرق الاخرى على خلاف ، وكان بعضهم يعادي بعضا ، وانضم بعضهم الى الوثنيين ، كما كان بعض رؤساء الهيكل مع الوثنيين .

وهذا الخلاف أدى الى فتن فيما بينهم ، وحمل حكام اليهود على اللجوء الى اعدائهم ، وكان حكامهم يقاتل بعضهم بعضا ، فاسكندرينيوس احد ملوك المكابيين توصل الى الحكم وسيطر على اقليم اليهودية ، ودفعه طمعه في توسيع رقعة ملكه إلى مهاجمة المدن الخاضعة لملوك آخرين استنجد بعضهم بملك قبرس ، وكان حينئذ بطليموس كاتروس الذي قدم إلى سوريا واشتبك في حرب مع اسكندرينيوس خسر فيها اليهود آلاف القتلى حدد عددهم يوسيفوس المؤرخ في اليهودية بأنه ثلاثون ألفا ، وقد بالغ حسب عادته .

وكان اسكندر ـ هذا ـ يتولى منصب الكاهن الاعظم ورئاسة كهنة الهيكل ، وكانت سيرته غير مرضية لاكثر اليهود ورؤسائهم الذين اخذوا يعلنون نقدهم لاسكندر ، ويعيرونه أنه ابن امرأة فاجرة ـ وهو صحيح ـ وكان الفريسيون هم الذين يحملون عليه ، ففتك بهم وقتل منهم بضعة آلاف .

وفي سنة ٩٤ قبل الميلاد أراد اسكندر احتلال مملكة بترا العربية ، فباغتها اليهود بهجوم مفاجيء انتصروا فيه ، إلا أن العرب استردوا ماخسروه في الضربة المفاجئة ، وضربوا اسكندر وجنوده وهزموهم ، وتعقبوهم داخل مملكتهم ، وحدثت فتن داخلية بمملكة اليهودية ، واستمرت سنوات بلغ عدد القتلى اليهود آلافا ، واستنجد بعض اليهود بملك سورية الذي أقبل بجيشه ودخل أورشليم

فهرب اسكندرينيوس إلى الجبال ، وبعد أن غادرها ملك سورية عائدا الى بلاده رجع اسكندرينيوس الى أورشليم وأقام حفلا كبيرا ذكرى خلاصه من الاعداء ، وجعل النساء الجميلات اليهوديات يحيين حفلته بينما أحضر ثمانمئة (٨٠٠) من خصومه اليهود ، وأمر بصلبهم فصلبوا والمحتفلون ينعمون بالطعام والشراب ، كما أمر بقتل نسائهم وأولادهم وأطفالهم وبناتهم فذبحوا جميعهم والحفلة قائمة .

وتذكر المصادر اليهودية ان ثمانية آلاف يهودي هربوا من فلسطين الى البلدان المجاورة .

ولما هلك اسكندرينيوس ترك ابنين هما : أركانوس وأرسطو بولس ، فاختلفا فيمن يكون منهما الرئيس الاعلى للكهنة الذين اجتمعوا في الهيكل نفسه ، وأنهوا الخلاف بأن يكون أركانوس الاخ الاكبر الكاهن الاكبر ، وأن يكون أرسطو بولس قائد الجيش ، وأن تكون أمهما الملكة حاكمة .

ولكن الخلاف لم ينته ، فالفريسيون والصدوقيون على خلاف ، فأيد أركانوس الفريسيون ، وأرسطو بولس أيده الصدوقيون ، وماتت الملكة في سنة ٦٩ ق . م . فنشبت الحرب بين الاخوين ، وانتهت بأن يكون أرسطو بولس ملكا وأن يكون أركانوس رئيس الكهنة ، وانتهى الامر بذلك ، إلا أن ما في نفس كل منهما أخذ يزداد ضراما ، فلجأ أركانوس الى الحارث النبطي ملك بترا ودمشق وأطرافها ، وأقبل بخمسين ألف عربي واشتبك مع أرسطو بولس في حرب انتصر فيها العرب ، وحاصر الحارث أورشليم وكاد يستولي عليها لولا وصول القائد الروماني اسكاروس الذي قدم لحماية أرسطو بولس وانقاذ أورشليم موفدا من قبل القائد الروماني الكبير بمبي ، وعاد الحارث الى مملكة بترا ، أما دمشق فقد احتلها القائد بمبي ، ومضى إليه الاخوان كل منهما يريد من بمبي أن يكون عونه ونصيره ، وقدما له الهدايا الثمينة ، ولكنه تمهل وترك الاخوين طمعا منه أن يضعف كل منهما الآخر .

وعاد أرسطو الى أورشليم وجمع بها جموعه استعدادا للمعركة مع الرومان ، وكان بعض الجيش العربي المتخلف من النبطيين بغرب أورشليم ، فأعد هؤلاء العرب عدتهم لمساعدة أرسطو في الدفاع عن أورشليم .

وأقبل بمبي بجيشه وأخذت مدن اليهودية تسقط في يده حتى إذا انتهى إلى أورشليم وجد أولئك العرب فيها على أهبة القتال فقاتلهم ، فغادروها ، وحاصرها بمبي ، وخرج أرسطو بولس مع أسرته وبعض حاشيته إليه مستسلما بعد أن أبى رجال الدين أن يستسلموا وتحصنوا بالهيكل ، واحتل بمبي المدينة وحاصر الهيكل الذي كان يحوي حصونا منيعة ، وأخذ الكهنة ومن معهم من اليهود يدافعون بكل ما لديهم من قوة ، وأحدث الجنود الرومانيون ثغرة في الهيكل واقتحموها ودخلوا على من في الهيكل وحصونه وقتلوا منهم كثيرا ، ودخل بمبي الهيكل واقتحم قدس الاقداس الذي لا يدخله غير الكاهن الاعظم وحده .

وكان الكهنة يعتقدون أن أي انسان غير الكاهن الاعظم لن يستطيع دخول قدس الاقداس ، فإذا أراد باغٍ اقتحامه - على زعمهم - سلط عليه يهوه عذابه قبل أن يقتحمه ، ولكن شيئا من ذلك لم يكن .

وخضعت كل اليهودية وأورشليم لبمبي الروماني فجعل أركانوس الكاهن الاعظم والرئيس الاعلى للديانة اليهودية ، وولى القائد الروماني أسكاروس حاكما على اليهودية كلها وعلى البلاد السورية .

وعاد بمبي إلى روما مصطحبا معه أرسطو بولس وأولاده بعد أن جعل مملكة المكابيين اليهودية ولاية رومانية ، وذلك سنة ٦٣ قبل الميلاد .

إلا أن بعض أولاد أرسطو هربوا من روما وعادوا الى أورشليم يحرضون الشعب على عمهم ، وحدثت فتن داخلية اضطر بسببها أحد القادة الرومانيين واسمه غابنيوس أن يحاصر قوة يهودية كبيرة في جبل جرزيم ويقتل من أفرادها آلافا وذلك سنة ٥٦ ق . م .

وبسبب الفتن الداخلية اقتحم القائد الروماني فرسيس هيكل أورشليم ونهب كل ما فيه من ذخائر ونفائس ، وسلب اليهود كثيرا من أملاكهم .

ولما كان أركانوس ضعيفا فقد سيطر عليه انتيبا تروس الادومي ، من بلدة عسقلان ، وحرضه على قتل أقربائه ، وسيطر الادومي على الحكم من وراء أركانوس ، وكان الادومي على صلة ودية مع الرومان ، فلما صار يوليوس قيصر

سيد روما وايطاليا سنة ٤٩ قبل الميلاد بعث إليه يهنئه ، وأرسل إليه هدايا وقدم ولاءه له ، ووعده بأن يخضع اليهود لروما ، فعينه نائبا عن الدولة الرومانية في الرقعة اليهودية سنة ٤٨ قبل الميلاد ، وصار أنتيباتروس السيد الحاكم على الشعب اليهودي ، وصارت السلطة في قبضته ، وعين ولده الاكبر فرسايل حاكما على أورشليم ، وابنه الاخر هيرودوس على الجليل ، ولم يعد بيد اليهود إلا السلطة الدينية يتولاها أركانوس .

وأذل انتيباتروس وأولاده اليهود وفتكوا بهم فتكا ذريعا دون أن يستطيع أركانوس أن يعمل شيئا ، فقد كان ذليلا مثل الشعب اليهودي ، وخاضعا للادوميين .

وقتل انتيبا تروس في فتنة من الفتن سنة ٤٣ قبل الميلاد ، فتولى هيرودوس الحكم وصار ملكا فيها بعد على « جودايا » الرقعة اليهودية سنة ٣٧ قبل الميلاد .

وأراد هيرودوس أن يضمن ولاء اليهود لنفسه بعد أن ضمن رضا الرومان عنه ، فتقرب اليهم بعد أن رأى برم اليهودية من جراء ادخاله حضارة الرومان ، وبني هيكل اليهود الثالث ، وجعله أكبر من الاول الذي بني في عهد سليمان ، والثاني الذي بني بعد عودة المنفيين من بابل ، وبلغت مساحة بناء هيرودوس عشرين فدانا ، فقد ألحق بالهيكل ساحات وأروقة متصلا بعضها ببعض ، وكان عدد الساحات خمسا : الاولى ـ وهي أكبرهن ـ لتكون سوقا لبيع القرابين ، وسمح بدخولها لغير اليهود ، والثانية ـ ساحة مرفوعة على أعمدة ، ولا يسمح بدخولها لغير اليهود ، ويسمح بدخولها للرجال والنساء منهم ، والثالثة ـ لا تدخلها النساء والرابعة ـ غير مسموح بدخولها للرجال ، وهي تفصل بين الساحة الثالثة والخامسة التي لا يباح دخولها لغير الكهنة ، وبعدها مذبح التضحية ، ثم بعده في الداخل ما يسمى قدس الاقداس ، وأحيط بناء الهيكل الرئيسي بصفين من أعمدة الرخام[1] ، ووضع في أعلى الهيكل تمثالا للنسر الروماني .

---

(١) مخطوطات البحر الميت ، لمحمود العابدي ، صفحة ٢٦ .

وافتتح الهيكل بعد تمام بنائه بمهرجان كبير دعا إليه علية الممالك المجاورة وأقيمت فيه الالعاب الرومانية .

وقبل أن ينتهي البناء رأى اليهود أن يتسلطوا على هيرودوس ولم يجدوا غير المرأة يستخدمونها كعادتهم في تحقيق غاياتهم في كل زمان حتى يومنا هذا ، وزوجوه احدى فاتنات بنات صهيون ، وكان اسمها « مريمنة » ابنة بنت أركانوس من اسكندر بن أرسطوبولس ، وكان كل من الجانبين يقصد إلى تحقيق أمله ، فهيرودوس أراد من هذا الزواج ضمان ولاء اليهود الذين أرادوا منه أن يكتفوا شره وينقذوا أنفسهم منه ، وأن يسيطروا عليه حتى يغلبوه ، وطمعوا في تهويده بوساطة زوجه اليهودية الحسناء .

وتم الزواج ، وخلبت مريمنة اليهودية لب هيرودوس ، ولكن اليهود نقموا منه نزعته الرومانية ووضعه النسر الروماني على قمة الهيكل ، حتى أن بعض اليهود انتزعوا النسر وحطموه ، وزاد من سخط اليهود أن يملكهم أدومى ويتحكم فيهم وفي عباداتهم ، واسفوا على اخفاقهم في السيطرة عليه ، فاخذوا يدبرون له مكيدة تخلصهم منه ، وشعر هيرودوس بما لديهم من حقد عليه ، ومن نكران لفضله فتنكر لهم واضطهدهم أعنف اضطهاد ، وبدأ بزوجته اليهودية الحسناء فقتلها مع افتتانه بها ، كما قتل جدها أركانوس واخويها وأقاربها وأولاده منها ، وفتك بكثير من اليهود .

وتروي الاناجيل المسيحية أن هيرودوس « قتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون » لانه علم من المجوس ثم من الكهنة أن طفلا يهوديا يولد في بيت لحم يكون ملك اسرائيل .

وهلك هيرودوس وتولى ابناؤه من بعده ، وكانوا ضعافا في الرأي والادارة والسياسة مما أدى إلى انتهاء حكمهم في سنة ١٠٠ ميلادية ، وأصبحت السيادة الرومانية تتولى الحكم المباشر ، وكان اليهود ينتظرون المسيح المخلص الذي يملكهم ويقضي على الرومان وحكمهم وعسفهم واضطهادهم اياهم ، ولكنهم كفروا بالمسيح وقاوموه حتى انتهوا به الى قتله وصلبه كما تروي المصادر المسيحية .

وإذا كان حكم الرومان في هذه الفترة غاية في القسوة والشدة والاستبداد

والظلم الفاحش فإن الوجود اليهودي كان من أسباب ذلك الحكم ودوافعه الى القسوة ، وبلغ من عسف الرومان واحتقارهم للديانة اليهودية أنهم سلطوا عليها حضارتهم تنكيلا باليهود وتحقيرا لديانتهم ، فقد شيدوا المسارح الرومانية وأندية الرياضة وأشاعوا المراقص والملاهي وحفلات الرقص وموائد الخمر ، وأقاموا التماثيل في كل مكان بفلسطين وبخاصة في المنطقة اليهودية وفي أورشليم ، وأجبروا اليهود على تحية العلم الروماني واحترامه ، مع أن به صورة النسر شعار الرومان ، واليهودية تحرم الصور والتماثيل .

ولما يئس اليهود من الرومان فكر رؤساؤهم من الكهنة في الثورة على الحكم الروماني ، وزاد من نقمتهم عليه أنهم رأوا الخنازير راتعة في الهيكل نفسه ، وأشعل ضرام حقدهم إلى حد التفجير أن الوالي الروماني أراد نهب الهيكل الغاص بالنفائس فوقف اليهود يحمون هيكلهم فانثنى الوالي إلى دورهم وأملاكهم ونهبها ، وأسرف في اذلالهم وضربهم ، وثار اليهود ومعهم سكان فلسطين وأورشليم على الحامية الرومانية ، وأجلوها عن أورشليم .

وكان نيرون المشهور يحكم روما حينئذ ، وكان شديد الكره والمقت لليهود ، وبلغه ما فعلوا ، فجرد عليهم سيفه البتار قائده الكبير المظفر فسباسيانوس (٩ ـ ٧٩م) وبعثه إلى فلسطين ، فنزل في « قيصرية » ـ قيسارية الآن ـ عاصمة الولايات الرومانية وميناء فلسطين الشهير ، وأخذ يضرب اليهود ضربات غاية في الضراوة ، ودمر يافا ، واستولى على مدن كثيرة أهمها : طبرية والسامرة وأريحا ، وفي خلال سنتين من سنة ٦٧ ـ ٦٩ م انتصر انتصارات باهرة ، واخيرا زحف بجيشه البالغ خمسين ألفا إلى أورشليم ، وبينما هو في الطريق إليها بلغه نبأ وفاة نيرون والمناداة به امبراطورا ، فعاد الى روما بعد أن وكل إلى ابنه تيطس[١] (تيتوس) أن يتم المهمة ، فأتمها كما أراد أبوه ، وحاصر أورشليم حصارا شديدا انتهى باليهود إلى اليأس في الحياة نفسها ، وتعاهدوا فيما بينهم بأن يقتلوا أنفسهم وأولادهم ونساءهم قبل أن يقتلهم الرومان أويأسروهم .

---

(١) النطق العربي تيطس .

وانتهى الحصار في سبتمبر (أيلول) سنة ٧٠ م حيث دخل تيطس بجيشه مدينة أورشليم ، وأخذ اليهود ينفذون ما تعاهدوا عليه ، ويروي مؤرخهم يوسيفوس[١] فيقول[٢] : « كان الازواج يضمون زوجاتهم بحنان ، ويحملون أطفالهم بين أذرعهم ، ويتعانقون عناق الوداع والدموع تترقرق في مـآقيهم ، ولكنهم نفذوا في الوقت نفسه ما اعتزموا عمله كأنهم يعملون ذلك بأيد غريبة ، وقد جعلوا عزاءهم لضرورة ما قاموا به تفكيرهم بالمصائب التي سيقاسونها فيما لو سقطوا بأيدي اعدائهم ، وكانوا رجالا تعسين حقيقة بسبب الضرورة التي وجدوا فيها ، وهم الذين بدا لهم ذبح زوجاتهم وأطفالهم بأيديهم أهون الشرور التي تنتظرهم[٣] .

وبعد أن قتلوا نساءهم وأولادهم بأيديهم كان يتولى من عليه القرعة قتل رفيقه ، وهكذا فعلوا حتى أبادوا أنفسهم بأيديهم .

ولئن كان هذا باعثا للاسى البالغ فإن تبعة هذه الوحشية تقع على اليهود أنفسهم ، فما كلفهم أحد بذلك ، وتسويغ مؤرخهم مذبحتهم النكراء تسويغ يهودي ، فما كان الانتحار ـ أيا كان وبخاصة هذا النوع الوحشي البشع المخيف ـ سائغا أومقبولا مهما كان الدافع إليه ، وإذا بلغ بهم الاسراف في الوحشية والانتحار هذا الحد فلا غرابة إذا عاملوا غيرهم بأشد من هذا الاسراف .

وكان اليهود يعتقدون أن ربهم « يهوه » سيحميهم ويحمي أورشليم والهيكل ، وأنه سيقضي على أعدائهم الغزاة بالهلاك وينجي شعبه فتجمعوا من المدن والقرى في أورشليم ، وإذ رأوا أن يهوه تخلى عنهم حدث بينهم خلاف كعادتهم دائما ، ثم تعاهدوا فيما بينهم على قتل أنفسهم بأيديهم كما زعم مؤرخهم فيلافيوس يوسيفوس في تاريخه .

---

(١) يوسيفوس مؤرخ اليهود الاكبر (٣٧ ـ ٩٥م) كاهن وحاكم للجليل ، وقد أسره فسباسيان سنة ٦٧م فتكهن له بأنه سيكون امبراطور روما ، فأبقاه ، ولما تحقق ما تكهن به اصطحبه معه إلى روما وأكرمه ، ولكنه كان شديد التعصب لدينه وقومه ، وبالغ في مدحهم ، ولم يكن يعنيه الحق في تاريخه .

(٢ و٣) تاريخ سوريا ، لفيليب حتى ١ : ٣٧٦ .

ويقول المؤرخ اليهودي الحديث شاهين مكاريوس[1] في كتابه « تاريخ الاسرائيليين » : « مني اليهود بالانقسام الداخلي والفتن والمنازعات فيما بينهم ، وضعف أمرهم ، وتقلص ظلهم ، وتقوى تيطس عليهم فمزق شملهم ودخل أورشليم فدكها دكا ودمرها تدميرا » .

واستعد اليهود للحرب وقسموا مناطق دفاعهم الى ثلاث :

الاولى - قلعة هيرودوس .

والثانية - برج أنطونيا .

والثالثة - الهيكل .

ولم تكن القيادة موحدة بل كانت كل منطقة تدافع عن نفسها ، وكان القادة اليهود مختلفين ، وذكر يوسيفوس قائلا : « ولما رأى اليهود أن جنود الرومان أحاطوا بالمدينة لكي يسدوا قناتها وقالوا : ما لنا نشتغل بمحاربة بعضنا بعضا عن مناجزة اعدائنا وقد احاطوا بنا ، فهلموا بنا نخرج إليهم ونوقع بهم قبل تمكنهم من نصب الخيام واقامة الحصون عليها الخ » .

فالخلاف بين اليهود حقيقة ، ونشبت الحرب بين الرومان واليهود ضروسا قاسية ، انتهت بهزيمة اليهود هزيمة محقتهم محقا ، وزعم يوسيفوس : « أن تيطس أسر مئة ألف ، ومات من اليهود ما يزيد على مليون قتلا ومرضا وجوعا » .

وهذه الارقام من مبالغات المؤرخ اليهودي يوسيفوس ، والواقع أن اليهود تجمعوا في أورشليم والهيكل ، ولكن عددهم لا يبلغ ما ذكره يوسيفوس ، ولعل الاقرب الى الحقيقة ما ذكره المؤرخ الروماني تاسيس ، إذ قدر سكان أورشليم وما تجمع فيها من اليهود من كل فلسطين مدنها وقراها عند حملة تيطس بستمئة ألف ، والثابت أن الهزيمة كانت نكراء ، والاثخان في القتل لا يوصف .

---

(١) يهودي ، وهو صاحب مجلة « اللطائف المصورة » واشترك في ادارة مجلة « المقتطف » وجريدة « المقطم » وهو ماسوني ألف بضعة كتب في مدح الماسونية منها : كتابه « الآداب الماسونية » و « فضائل الماسونية » المطبوعان بمصر ، وكتابه « تاريخ الاسرائيليين » مطبوع بمطبعة المقتطف سنة ١٩٠٤ وهلك مكاريوس في سنة ١٩١٠ ودفن بمصر .

وسقطت أورشليم بعد سقوط قلاعها الحصينة المنيعة قلعة إثر أخرى في يد تيطس ، واحترقت المدينة والهيكل ، وترك تيطس المدينة خرابا بلقعا ، وأما الهيكل فقد تركه أرضا محترقة ، وقد امحى إلى الأبد بإذن الله .

وصمم تيطس على انهاء الوجود اليهودي في فلسطين ، فأمر من بقي حيا بمغادرتها ، فتشتت اليهود في الاقطار ، وذهب ريحهم ، ولم يبق منهم غير الضعفاء الذين أنكروا جنسيتهم ، وزعموا أنهم ليسوا يهودا .

وتحققت نبوءة المسيح الذي صاح في اليهود وكهنتهم ورؤسائهم : « يا أورشليم ، يا أورشليم ، يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ، ها هو ذا بيتكم يترك خرابا[1] » .

ويقول متى ٢٤ / ١ : « ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل فتقدم تلاميذه لكي يروه ابنية الهيكل فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه الاشياء ، الحق أقول لكم ، أنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض » .

وكان هذا التنبؤ سنة ٢٩م وتحققت نبوءته سنة ٧٠ على يد تيطس الذى ترك أورشليم خرابا والهيكل مقوضا ليس حجر على حجر غير مقوض ، وبذلك انتهى الوجود اليهودي في فلسطين العربية ، ولم يبق لهم أثر إلا الذكرى التي يذكرها الناس فيزدادون كراهية لليهود ومقتا .

ولم يستطع أي يهودي أن يفكر في العودة إلى فلسطين أو إلى أورشليم التي تحولت الى خراب شامل .

وبقيت أورشليم خرابا بلقعا حوالي ستين سنة ، ولما تولى هادريان حكم الامبراطورية الرومانية من سنة ١١٧ الى سنة ١٣٧ م رأى ان لمدينة أورشليم المخربة مركزا جغرافيا ذا شأن ، فأمر بتجديد عمرانها وبنائها وأطلق عليها اسم « ايليا كابتولينا » وازدهرت وعمرت من جديد .

---

(١) انجيل متى ٢٣ / ٢٧ - ٢٨ .

واطمع عمرانها اليهود فعاد إليها كثير منهم ، وفكروا في الثورة على الحكم الروماني ، فإذا قائد يهودي غامض يدعى سيمون باركوخب يبرز من بينهم ليتولى قيادة الثورة ، واسم هذا القائد اليهودي تعبير آرامي معناه : « ابن الكوكب » ولعله سمى به نفسه خدعا لليهود ، وطمعا في أن يكون الذي تنبأت به التوراة إذ جاء في سفر العدد أحد أسفارها الخمسة ٢٤/١٧ـ١٨ : « يبرز كوكب من يعقوب ، ويقوم قضيب من اسرائيل فيحطم طرفي موآب ، ويهلك[1] كل بني الوغا[2] ، ويكون أدوم ميراثا ، ويكون سعير أعداؤه ميراثا ، ويضع اسرائيل بيأس ، ويتسلط الذي من يعقوب ، ويهلك الشارد من مدينة » .

وفي الطبعة الكاثوليكية في سفر العدد ٢٤ / ١٧ ـ ١٩ : « يسعى كوكب من يعقوب ، ويقوم صولجان من اسرائيل فيحطم طرفي موآب ، ويريح جميع بني شيث ، ويكون أدوم ميراثا له ملكا له ، يكون سعير أعداؤه ويضع اسرائيل ببأس ، ويتسلط الذي من يعقوب ويهلك من كل مدينة من بقى » .

وادعى باركوخب أنه المسيح المنتظر ، وأنه سينقذ شعب اسرائيل من عبوديتهم ، ويعيد مملكتها ، وتبعه اليهود وأنشأ منهم جيشا قاده هو نفسه ، ودخل فلسطين به ثم أورشليم ، ودامت ثورته ثلاث سنوات ، من سنة ١٣٢ الى ١٣٥ م .

وعلم هادريان بالثورة اليهودية فانتدب لاخمادها قائدا كبيرا من أبرز قواده واسمه « سفروس » واشتبك مع باركوخب في معركة واحدة قضت عليه وعلى من معه من اليهود قضاء مبرما لم يبق لهم من باقية ، وذكر « ديو » أن عدد ما دمر من القرى كان ألفا إلا خمس عشرة قرية ، وعدد القتلى خمسمئة وثمانين ألفا[3] . وهذا العدد سواء في القرى أم القتلى مبالغ فيه .

ولما انهزم باركوخب وقتل على يد سفروس تنكر اليهود لمسيحهم هذا وسموه

---

(١) وفي رواية : « ينقب » .

(٢) أو بني شيت .

(٣) تاريخ سوريا ٦٧ لفيليب حتى ١ / ٣٧٧ .

« باركوزيبا » ومعناه : ابن الكذب بدل باركوخب الذي معناه : ابن الكوكب[1] .

وكان القضاء على ثورة باركوخب سنة ١٣٥ وأبدل سفروس باسم أورشليم أسم « ايليا كابتولينا » وجعلها مدينة رومانية باسمها وبنوع الحياة التي تحياها ، ومحا كل أثر لليهود .

ثم تتحول فلسطين ـ وبخاصة أورشليم ـ الى الديانة المسيحية ، وتنتشر في ربوعها الكنائس ، ويمحى كل أثر لليهود .

وفي سنة ٦١٤ م بدأت انتصارات الفرس على الرومان حتى استطاعوا دخول دمشق ثم دخول فلسطين والقدس في سنة ٦١٥ م وكان لليهود وبخاصة يهود فارس وسوريا يد في ايغار صدر فارس على بيزنطة انتقاما من المسيحيين ، واغرائها بالاثخان في القتل الذي شارك فيه اليهود الذين قتلوا بطريق أنطاكية احدى البطركيات الخمس المشهورة في العالم حينئذ ، وهدموا كنيسة القيامة كما قوضوا قسما كبيرا من أورشليم ، وأخذ الفرس خشبة الصليب ونقلوها إلى فارس ، وقتلوا الرجال والنساء والاطفال ، ووجد اليهود فرصتهم فأثخنوا في القتل ، بل بلغ بهم الحقد إلى حد أنهم اشتروا من الفرس عددا كبيرا من الاسرى المسيحيين فذبحوهم ذبحا بشعا انتقاما من النصارى وتشفيا .

ولكن هرقل امبراطور المملكة الرومانية الشرقية (بيزنطه) الذي حكم من سنة ٦١٠ الى سنة ٦٤١ م استطاع أن يسترد سيادة بيزنطة على سوريا وفلسطين من يد الفرس ، وحرر أورشليم ، كما أمر أن يكونوا على بعد ثلاثة أميال منها .

وفي خلال هذا الصراع الرهيب على مدى القرون الكثيرة الغابرة كان العرب ثابتين في وطنهم وأرضهم ، ولم يتركوها منذ عرفت أرض الجزيرة ومصر العرب منذ خمسين ألف سنة وأكثر كما أثبتنا ذلك في أول هذا البحث ، ولم يذكر عنهم ما عرف عن اليهود من صفات الغدر والخسة والدناءة والوحشية .

وفي أيام هرقل بعث النبي العربي محمد عليه صلوات الله وسلامه وأرسل الى

---

(١) تاريخ سوريا ، لفيليب حتى ١ / ٣٧٧ .

ملوك عصره كتبا يدعوهم فيها إلى الاسلام دين الانسانية والخير والعدالة والحق والجمال، فكفر به من كفر، وجامله من جامل، واشتبكت قوات الاسلام مع الفرس على نطاق واسع، ومع الروم في حروب محلية، واكتسح الجيش الاسلامي الاراضي العربية التي كانت تحت سيادة الفرس اكتساحا لا نظير له في تاريخ الحروب على يد خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني، وانتهت أخبار انتصارات خالد إلى الروم وهرقل.

وفي عهد خليفة المسلمين الاول أبي بكر الصديق رضي الله عنه بدأت الحرب الواسعة يقود المسلمين خالد بن سعيد، وكان أمر الخليفة الاعظم: «أقدم ولا تحجم، واستنصر الله» وانطلق كالقذيفة أو كالصاعقة إلى فلسطين العربية، وتراجع الروم تاركين خط الدفاع لعرب الشمال وفلسطين الذين رأوا أن الروم جعلوهم في وجه الحرب والسيف فإذا وصل المسلمون اليهم بعد فناء العرب النصارى وصلوا إليهم وهم أقوياء، والعرب - كما ظنوا - منهوكون يسهل على الروم القضاء عليهم.

وإذا كانت النصرانية تجمع بين الروم وعرب شمال الجزيرة فإن هناك ما يفرق بينهم ومنه القومية ثم المذهب، فالروم كانوا كاثوليكيين والعرب أرثوذكسيين.

ودخل خالد بن سعيد معسكر الروم وانتصر، وفي احدى حروبه انهزم، ولكن الروح الإسلامية كانت آية في القوة، ورأى أبو بكر تجنيد أربعة قادة من أعظم قواد الإسلام وهم: أبو عبيدة عامر بن الجراح، وقد ولي على حمص، ومركز جيشه الجابية، وشرحبيل بن حسنة الذي كان مع خالد بن الوليد في فتح العراق سيره نحو وادي الاردن، ويزيد بن أبي سفيان أميرا لجيش معظمه من أهل مكة المكرمة حرسها الله، ووجهه إلى دمشق، وعمرو بن العاص أمره على فلسطين.

واجتمعت جيوش الروم وجيوش المسلمين الذين كانوا قلة أمام جيوش الروم، ولم يستطع كل من الفريقين بدء القتال حتى امدهم أبو بكر بخالد بن الوليد، وكان كل قائد اميرا على من تحت يده، ووحد سيف الله خالد القيادة، وتولى هو نفسه القيادة العامة لجيش يحوي عديدا من الصحابة الاجلاء، وكلهم من أعاظم الفرسان والابطال الشجعان في العالم.

ونشبت الحرب في مكان يسمى اليرموك ، وكانت حربا غاية في الضراوة والعنف ، وانتهت بانتصار الاسلام والمسلمين وهزيمة الروم الساحقة ، ثم كانت حرب أجنادين بين الروم والمسلمين تحت قيادة عمروبن العاص ، وانتصر المسلمون على الروم مثل انتصارهم المبين في اليرموك ، وذهب قائد الروم إلى ايلياء يتحصن بها ، فانحسرت السيادة الرومانية عن فلسطين وقسم كبير من الشام ، وإن كانت هناك مدن يسيطر عليها الروم .

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقائد جيش المسلمين أن يمضي إلى القدس (ايلياء) التي كان اسمها من قبل ايلياكابتولينا ، أما أسم أورشليم فقد مات ، وسمى المسلمون المدينة بيت المقدس وهو الاسم الذي ورد في رسالة أمير المؤمنين عمر إلى أبي عبيدة رضي الله عنهما ، وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبي عبيدة

« أما بعد ، فاني أحمد الله الذي لا إلّه إلا هو ، وأصلي على نبيه ، وقد وصلني كتابك تستشيرني إلى أي ناحية تتوجه ، وقد أشار ابن عم رسول الله بالمسير إلى بيت المقدس فان الله يفتحها على يديك ، والسلام » .

وفرح المسلمون عندما أبلغهم القائد العام رسالة أمير المؤمنين رجاء أن يكون لهم شرف فتح بيت المقدس أولى قبلتي رسولهم والمسلمين جميعا ، بيت المقدس الذي باركه الله إذ قال في كتابه الكريم : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ﴾ .

وساروا لمهمتهم الدينية مستبشرين بنصر الله ، وتلقى عمر رسالة من أبي عبيدة يخبره فيها بضرورة وجوده رجاء أن يكون الفتح على يديه ، فغادر المدينة المنورة حرسها الله الى الشام وفلسطين ، وعلم قائد الروم المحاصر في القدس بشخوص عمر ، ورأى الا قبل له به لقوة المسلمين الخارقة ولضيق سكان المدينة بالرومان ، فغادر المدينة إلى مصر التي كانت تحت السيطرة الرومانية .

وما كاد خليفة المسلمين يصل إلى قرب القدس مع الجيش الاسلامي حتى خرج

اليه وفد يمثل السكان على رأسهم البطريق صفر ونيوس الذي عرض على الخليفة الفاروق تسليم المدينة باسمها المعروف « ايلياء » لا أورشليم التي محيت من الوجود اسما وواقعا ، وحلت محلها المدينة الرومانية باسمها الروماني ، وها هي ذي وثيقة التسليم ومعاهدته :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيلياء من الامان .

« أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها .

« وألا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم .

« ولا يسكن بايلياء أحد من اليهود .

« وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن .

« وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت[1] ، فمن خرج منهم[2] فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية .

« ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعه وصلبه فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم .

« ومن كان بها من أهل الارض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

« ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصاده .

---

(١) اللصوت : اللصوص .

(٢) المقصود أهل ايلياء لا الروم ولا اللصوت .

« وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا اعطوا الذي عليهم من الجزية .

« شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان .

وكتب وحضر سنة خمس عشرة[1] » .

ولم يقع في تاريخ الحروب هذا اللون الابيض الجميل من المعاهدات والمعاملات ، فالمسلمون منتصرون ، وكان بوسعهم فتح القدس عنوة وقوة واقتدارا ، ولكنهم لم يريدوا - أولا - اجتراح مكانة أولى القبلتين لديهم - وثانيا - لم يريدوا أن يقع على بلد نبىء فيه المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وبعث فيه برسالته من الحرب ما لا خير فيه لاتباع عيسى عليه السلام ، فـآثروا السلم على الحرب التي لا يعترف بها الاسلام ابتداء ، ولا يخوضها إلا مكرها ، لأن السلم هو ما يعمل له الاسلام ، فالسلم أحد مشتقات الاسلام ، فهو وحده الذي يتخذه شعاره وأسلوبه وحياته وغايته .

وإذا ما اضطر الاسلام لخوض الحرب فإنما يخوضها من أجل السلام ، وما دعوته الانسانية إلا لتحقيق السلام في هذه الحياة وفي الاخرى ، لان دعوة الاسلام سلم في الدنيا من الاثم كله ، وفي الآخرة سلم ينجي من النار ، ويفضي إلى رضا الله .

ولم يكف خليفة المسلمين هذا الشعور النبيل والموقف الرائع في دخول المدينة سلما وحسب ، بل اعطى المنهزمين المستسلمين أكثر مما أعطى نفسه والمسلمين المنتصرين ، بل أعطى المسيحيين كل شيء ، أعطاهم الامان التام المطلق على أنفسهم وأموالهم ودينهم وحريتهم في الظعن والاقامة ، وفي العمل والتنقل ، وفي العبادة والمعتقد ، وفي الحياة كلها ، وحرسهم وحرس كل حقوقهم وأملاكهم ولم يأخذ منها شيئا غير الجزية السهلة لا ترهقهم يدفعونها تلقاء هذه الحراسة التي تكلف المسلمين أرواحهم وقواهم وأموالهم وثمراتهم .

---

(١) توافق سنة ٦٣٦ م .

هناك أمر جد خطير تنبىء عنه وثيقة التسليم يخص اليهود ، فهم لم يكن لهم أي وجود أو أي حق سواء أكان تاريخيا أم مدنيا أم سياسيا أم أي نوع من الحق ، ومع هذا احتاط المسيحيون للحاضر والمستقبل وطلبوا ألا يسمح ليهودي بالسكن في إيلياء ، وكان لهم ما اشترطوا .

ولما كان الاسلام دين رحمة والمسلمون أهل بر ورأفة فقد ضمنوا لليهود الحياة الحرة الكريمة التي لم ينعموا بها قط إلا في ظل الاسلام .

ولم يعد لأورشليم ذكر بهذا الاسم مع أن الامبراطورة القديسة هيلانة أعادته إلى المدينة ، ولكن ذلك قد زال بدليل ان المسيحيين الذين كانوا بها لم يذكروا اسم أورشليم ، وإنما ذكروا « إيلياء » المقطع الاول من الاسم الروماني « ايليا كابتولينا » وهو دليل على شيوع « ايليا » أو « إيلياء » فجاء في الوثيقة ، لأنه لم يكن هناك اسم غيره شائعا .

ويظهر ان المسيحيين اشترطوا ذكر « ايلياء » فوافق خليفة المسلمين المنتصر ، ولم يجبرهم على اسم « القدس » أو « بيت المقدس » الاسلامي ، وكان للخليفة عمر رضي الله عنه أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان يكتب عهد الصلح بينه وبين سهيل بن عمرو مندوب قريش الذي لم يرض أن يكتب « هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » وقال له سهيل : لو كنت أعلم أنك رسول الله ما حاربتك ، اكتب اسمك واسم أبيك ، فكتب رسول الله اسمه واسم أبيه .

وذكر عمر هذه الحادثة وغيرها مما كان في صلح الحديبية الذى وقف منه موقف المنكر الساخط حتى تبين له أن رسول الله كان على الحق كله .

وصلح ايلياء يدل على أن المسلمين لا يحملون السيف وإنما يحملون الهدى والرشد والخير والسلام لكل بني البشر ، فهم لم يقاتلوا الروم ولم يبدأوهم بقتال ، بل كان الروم هم البادئين ، فوقف المسلمون مدافعين .

وإذا ذكرنا دخول المسلمين وعلى رأسهم خليفتهم عمر بن الخطاب المدينة المقدسة عليهم وعلى المسيحيين يوم الخميس ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٥هـ (٣ مايو

(آيار) سنة ٦٣٦م) فاننا نذكر دخول الصليبيين المسيحيين القدس على المسلمين إبان الحروب الصليبية ، وقتلهم المسلمين رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا بالالوف في مساجدهم .

ودخول عمر بن الخطاب ايلياء (القدس أو أورشليم) تحقيق لنبوءة النبي زكريا الذي كان في القرن السادس قبل المسيح ، وجاء في سفر زكريا بالاصحاح التاسع : « ابتهجي جدا يا بنة صهيون ، اهتفي يا بنت أورشليم ، هوذا ملكك يأتي إليك، هو عادل ومنصور ووديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان، وتقطع قوس الحرب ، ويتكلم بالسلام للامم وسلطانه من البحر إلى البحر ، ومن النهر الى اقاصي الارض » .

وهذه نبوءة سبقت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بحوالي ألف ومئتي سنة ، وتفسرها المصادر اليهودية والمسيحية على أنها تخص « المخلص » الذي يخلص أورشليم من محتليها ، ويكون من نسل داود ، ويدعي المسيحيون ان هذه النبوءة خاصة بالمسيح عليه الصلاة والسلام ، ولم يثبت في التاريخ أن المسيح عيسى بن مريم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ دخل أورشليم حسب أوصاف نبي اليهود زكريا ، فما كان المسيح ملكا ، ولم يدع هو نفسه الملك وإن كان برسالته السماوية أعظم من الملوك جميعا ، والذي دخل أورشليم على تلك الصورة التي جاءت في نبوءة زكريا هو الخليفة عمر بن الخطاب .

وإذا صح تنبؤ زكريا بما تنبأ به فنبوءته تصدق على عمر وحده وليس على أحد سواه ، فهو حاكم أعظم من ملك ، هو خليفة يملك ويحكم ، وكان في عداد أكبر ملوك الارض في عصره إن لم يكن أكبرهم على الاطلاق ، وهو عادل ومنصور ووديع ، وعدله متفق عليه بالاجماع المنعقد على أنه وديع ، ومنصور الراية ، فقد هزم الرومان وهم أكثر جندا ، وأقوى سلاحا بجيش قليل العدة والعدد ، كما هزم الفرس وهم كالرومان أيدا وعددا .

وسلطان عمر امتد من البحر إلى البحر ، من البحر الاحمر الى بحر فارس ، ومن نهر الاردن الى نهر الفرات الى اقاصي الارض شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، وعلى يديه انقطعت قوس الحرب وعم السلام أرض فلسطين ، وتكلم بالسلام حقا

كما تشهد وقائع الصلح بينه وبين أهل ايلياء من المسيحيين ، والمعاهدة المعقودة بينه وبينهم .

وجميع الصفات التي جاءت في نبوءة زكريا آخر أنبياء اليهود أنبياء العهد القديم تصدق على عمر بن الخطاب ، ولا تصدق على المسيح وغيره بتة ، فالمسيح بعد دخوله القدس لم تقطع قوس الحرب ، ولم يكن سلطانه من البحر إلى البحر ، ومن النهر إلى اقاصي الارض ، بل لم يكن له اي سلطان ، ولم يدخل المسيح أورشليم دخول ملك منصور ، بل كان دخوله كدخول غيره ، وعندما دخل الهيكل وناقش الكهنة اليهود ساد الهرج والخصام مما أودى بحياته كما تذكر الاناجيل .

وإذا كان تملك اليهود أورشليم لرقعتين صغيرتين من فلسطين في فترة زمنية محدودة يعطيهم الحق في بلاد العرب : فلسطين العربية دون أهلها العرب الاصلاء فإن من حق فارس ان تدعي مثل ذلك في فلسطين التي حكمتها مئتي سنة دراكا ، ومن حق اليونان التي حكمتها ثلاثمئة سنة تباعا ، ومن حق الرومان الذين حكموها حوالي ستة قرون وثمانية عقود تقريبا .

فإذا كانت دعوى اليهود بالحق التاريخي تعطيهم اياه فإن حق فارس واليونان والرومان ومصر أعظم وأبين ودعواهم أصح وأصدق ما دام احتلال الارض بالقوة يعد حقا دون العرب الذين يقطنون شبه الجزيرة بما فيه الشام وفلسطين منذ خمسين الف سنة وأكثر، بل منذ كان الانسان على ظهر هذه الارض .

ولكن ، ليس الامر قائما على الحق وإنما هو الباطل الصرف الذي يجول جولته في هذا العصر ليغتصب الامم والشعوب ، وتتصدى قوى الشر المتمثلة في الرأسمالية الامريكية بخاصة والشيوعية وأمها الصهيونية ، هذه القوى التي أوجدت اسرائيل في فلسطين العربية لتتحكم في العالم القديم ، وتقضي على القيم الدينية والانسانية الرفيعة والحضارة الكريمة .

وإذا كان اليهود يدعون من جملة دعاواهم أن حائط المبكي أثر باق من آثار هيكلهم الزائل من أساسه فإن حقائق التاريخ تنفي دعواهم ، كما تنفي كل دعاواهم ، فما حائط المبكي القائم اليوم بحائطهم ، بل هو حائط البراق الاسلامي ، لان الهيكل بكل توابعه ومن الاساس قد زال ومحي من الوجود محوا

بحيث لم يبق منه أي أثر يدل عليه منذ زمن بعيد ، منذ أن محاه هادريان الذي محا من الوجود كله أورشليم سنة ١٣٥ م وبني بدلها مدينة رومانية سماها ايليا كابتولينا ، ومعناها : ايليا الكبرى نسبة إلى ايليوس الاسم الاول لها دريان أو أسم الاسرة .

ولا وجود للهيكل ولا لأثر من آثاره مما يقطع بأن حائط المبكى ليس حائطا من حيطان الهيكل ، ولا يعرف بالدقة والضبط موقع مبنى الهيكل ، فإذا زعم اليهود ان ما يسمى « حائط المبكى » من توابع هيكلهم فهو زعم باطل تنفيه كل حقائق التاريخ والاحافير .

والواقع أن ما يسمى لدى اليهود « حائط المبكي » إنما هو في حقيقته « حائط البراق » الإسلامي الذي ربط فيه النبي محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذي عرج به إلى السماء ، فهو من أعظم المقدسات الإسلامية ، وذخر من ذخائر المسلمين ، وتراث اسلامي محض حافظوا عليه وتوارثوه جيلا فجيلا حتى اليوم وإلى أن يرث الله الارض ومن عليها .

ولم يبق لليهود في القدس أي أثر ديني ، فالهيكل قد محي محوا بحيث نسي موضعه ، ولم يعرفه اليهود أنفسهم مهما زيفوا وزوروا وأدعوا ، ولما دخل الإسلام المدينة لم يكن اسمها إلا ايلياء ، وعرف به في كتب التاريخ والسير في ذلك العهد بهذا الاسم الروماني ، فلم يعد هناك أورشليم مع أن كلمة أورشليم غير عبرية ، بل هي كنعانية ، أي عربية صرف .

ومن الثابت أن هادريان محا الهيكل وأورشليم بحيث لم يبق منهما أثر قائم ، فكيف يقال : إن الحائط الذي نسبوه إلى المبكى أثر يهودي بعد ثبوت زوال كل آثاره من الأساس منذ ألف وثمانمئة وتسع وثلاثين سنة ؟! .

والحفريات الحديثة تؤكد ذلك تأكيدا ، فقلعة القدس اليبوسية العربية قد امتنعت على الإسرائيليين في بداءة حروبهم الوحشية ضد السكان الأصليين ، وفصلت بين ما اغتصبوه في الشمال والجنوب منها ، وداود نفسه لم يستطع اقتحامها إلا بعد تسع سنوات أمضاها في حبرون (الخليل) ثم تمكن من احتلالها وجعلها عاصمة ملكه ، ثم جاء بعده ابنه سليمان وبنى فيها الهيكل المشهور .

وبعد أن محيت أورشليم والهيكل من الوجود محوا تاما نسي اليهود والناس موقع الهيكل ، وإذا كان اليهود والناس لم يعرفوا موقع الهيكل منذ مئات السنين فإن من المقطوع به أن يجهلوا اليوم موقعه بعد أن مضى على زواله أكثر من ثمانية عشر قرنا .

والحفريات التي قام بها علماء الآثار الغربيون تؤكد عدم معرفة الموقع ، ففي سنة ١٨٦٩ إلى سنة ١٨٧٠ قام عالم الحفريات البريطاني الاستاذ شارلزوارن Charles Warren بحفريات خارج السور الجنوبي الشرقي من المسجد الاقصى ، وقام بعده بثلاثين سنة العالم بلس Bliss و والعالم ديكي Dichei بتنقيبات أخرى في المكان نفسه ، وبعد ثلاثين سنة أخرى جدد مكلستر Macalister الحفر والتنقيب ، ثم في سنة ١٩٦٠ قامت الآنسة الدكتورة كثلين كيون Kethleen Keyon باسم المدرسة البريطانية ـ وانضمت إليها المدارس الفرنسية والامريكية ـ باعادة البحث والحفر والتنقيب في المكان الذي نقبت فيه البعثات السابقة ، والفارق بين عمل كثلين ومن سبقوها أنها استخدمت وسائل علم الآثار بعد أن تطور وتقدم .

وبدأت الحفريات في السفح المنحدر من وادي سلوان[1] إلى عين أم الدرج ، وحفرت أخاديد في هذا السفح فظهر لها من حفر القسم العلوي من الاخاديد أن ما ظنته البعثات السابقة سور المدينة اليبوسية التي احتلها داود حوالي سنة ١٠٤٨ قبل الميلاد لم يكن السور الذي بناه اليبوسيون ، بل هو السور الروماني القائم على أسس رومانية لا تتجاوز القرن الثالث قبل الميلاد ، وعثرت على آبار وصهاريج تعود إلى المدينة الرومانية التي بناها هادريان سنة ١٣٥ م باسم ايليا كابتولينا .

وكلما وسعت الحفر نحو الشمال كانت تقترب من التحصينات القديمة حتى انتهت إلى سور يمكن رجعه إلى سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد ، وجدد ورمم بعد حوادث طرأت عليه حوالي سنة ٤٠٠ قبل الميلاد .

---

(١) سلوان ، تقع في القدس ، وهي التي وقف سيدنا عثمان بن عفان الخليفة الراشدي الثالث رضي الله عنه عين مائها على ضعفاء بيت المقدس (معجم البلدان ٣/٣٤١) .

وهذا هو السور اليبوسي الذي وقف في وجه الإسرائيليين قرونا حتى احتل داود قلعة اليبوسيين ومدينتهم .

وأتمت الدكتورة كثلين موسم حفرياتها الاولى بنتائج تثبت عدم العثور على أي أثر لليهود ، ثم في موسمها الثاني سنة ١٩٦٢ ثبت لها أن تلك الاسوار قد هدمت أربع مرات وأعيد بناؤها أربع مرات أيضا كان آخرها سنة ٥٨٧ قبل الميلاد عندما هدمتها بابل على يد نبوخذنصر سنة ٥٨٧ ق . م ، إذ هدم أورشليم والهيكل ، فاختفت معالم المدينة اليبوسية بعد أن عاشت أكثر من ثمانية قرون ، وفي عهد الملك قورش الفارسي الذي سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين جددوا بناء السور على نطاق ضيق محدود ، وفي الشمال ظهر السور الذي بناه هيرودوس ومن بعده أغريبا ٤٠ ـ ٤٤ م وقد هدمه تيطس سنة ٧٠ م .

وأظهر الحفر الذي قامت به الدكتورة كثلين شارعا مبلطا يرجع تاريخه إلى القرن الاول الميلادي ، وهو أثر روماني محض ، وفي هذا التاريخ لم يكن لليهود أي وجود سياسي .

وفي موسم البحث الثالث الذي كان في سنة ١٩٦٤ كادت النتائج التي انتهت إليها الدكتورة كثلين من حفرياتها وتنقيباتها وبحوثها تقنعها بأن المدينة اليبوسية المسماة « أورشليم » أو « يبوس » كانت في الشرق من أسوار المسجد الاقصى وعلى السفح إلى وادي قدرون ، ولم تكن على الجبل المسمى جبل موريا حيث يقوم المسجد الاقصى اليوم .

وخلاصة هذه الحفريات تثبت عدم العثور على أي أثر يهودي في القدس ، فإذا كانت هناك آثار فلغيرهم ، منها ما هو للسكان الاصليين العرب وهم اليبوسيون ، ومنها ما هو للرومان ، والآثار المعثور عليها تثبت زوال أورشليم اليهودية وهيكلهم[1] .

---

(١) لم تكن أورشليم يهودية صرفا أبان مملكة داود وسليمان أو غيرهما ، وإن اغتصبوها ، وأثبتت الحفريات مضافة إلى التاريخ ومصادر اليهود المقدسة أن المدينة عربية خالصة ، وكل ما كتبناه عن بعثات التنقيب والحفريات مقتبس من كتاب « محنة القدس » للاستاذ محمود العابدي ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠ عمان .

أما الحائط الذي يسميه اليهود « حائط المبكى » ويدعون أنه أثر يهودي فليس ذلك بحق ، بل هو الباطل المحض ، وهو في حقيقته وما تبقى منه ليس إلا أثرا إسلاميا خالصا يدل عليه طراز البناء ، ويؤكد ذلك أن موقع الهيكل ومدينة اليبوسيين التي تسمى أورشليم لم تكن في الموضع الذي به الحائط اليوم والمسجد الاقصى .

والحائط هو حائط البراق ، وهو إسلامي محض ، ودعوى اليهود فيه باطلة مدحوضة ، فمنذ مارس (آذار) ٦٢٢ كان معراج الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحيث الحائط ربط رسول الله دابته البراق التي حملته إلى السماء ، ويقع قبل الهجرة ببضعة شهور ، والآن مضى عليه حوالي ألف وأربعمئة سنة إلا بضع سنين .

وقبل هذه الاربعة عشر قرنا سبقت قرون معدودات على زوال الهيكل بكل ما يتبعه ومن أساسه فلا حق لليهود وبخاصة في حائط البراق الذي يدعون أنه حائط مبكاهم .

ودعوى اليهود في حائط المسلمين بأنه حائطهم لم تلد إلا في عهد الانتداب البريطاني الذي يعد حكما يهوديا صرفا تحت اسم بريطانيا ، وما أعلنوها إلا ليجعلوها مثل وتد جحا ، فهم لا يهمهم الحائط ، ولكنهم يجعلونه قاعدة من قواعد الانطلاق إلى اعادة مملكة داود التي لا تتم إلا ببناء الهيكل كما يزعمون ، وزعموا أن المسجد الاقصى ومسجد الصخرة قائمان على الارض التي كان بها الهيكل ، فاعادة بنائه إزالة للمسجدين تمهيدا لإزالة كل أثر إسلامي حتى تكون القدس وفلسطين خالصتين لليهود .

ولما كان الحكم البريطاني حكما يهوديا فقد استغل اليهود قوة بريطانيا العظمى في الاستيلاء على الحائط ، ولكن المسلمين الفلسطينيين وقفوا لقوة الباطل والطغيان ، ووقف المسلمون على ضعفهم ووقوعهم تحت سيطرة الاستعمار الغاشمة مع اخوانهم عرب فلسطين ، ونشرت في العالم أخبار الصراع الدموي الرهيب في القدس بسبب الحائط المتنازع فيه بين المسلمين واليهود ، وكانت اليابان ذات قوة ، وكان هواها مع أهل فلسطين أصحاب الحق ، فسألت اليابان حكومة الانتداب في

فلسطين ، فأجاب سكرتيرها العام الكولونيل « سايمس » في ٢٥ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٥ قائلا في جوابه :

« ان اليهود قد جرت عادتهم في التوجه إلى قرب حائط المبكى الغربي للبكاء على سقوط عظمة اسرائيل ، على أن الموقع الذي يحصل فيه العويل داخل في حوزة وقف إسلامي .

« نعم ، إننا نرى المسلمين يسمحون بالاذن لليهود في التوجه إلى هذا المكان ، ولكن اليهود من الوجهة القانونية الشرعية ليس لهم الحق في أن يحدثوا أي شيء يمكن أن يترتب عليه إيجاد أثر في النفس بأن الموقع مملوك لهم .

« وكل طائفة دينية تسعى بكل ما في وسعها لمنع الطائفة الاخرى من اكتساب أي حق قانوني بأي صفة على ما تعتبره ملكا لها ، وعلى ذلك فالمسلم الواضع يده على الموقع المذكور قد منع اليهود من جلب مقاعد هناك ، لأنه يقال : ان هذه المقاعد لا تلبث أن تصير دككا ، وأن هذه الدكك لا تلبث أن تصير ثابتة في الارض ، وأنه لا يمضي على هذه الدكك الثابتة زمن طويل حتى يكون اليهود قد أوجدوا لانفسهم حقا شرعيا على الموقع .

« هذا ، ومهما كان العطف الذي تشعر به الادارة نحو هؤلاء اليهود فإن واجبها بصفتها الانتدابية هو احترام الحالة الراهنة .

« وبناء على ذلك فلو أحضر اليهود مقاعد إلى هذا الموقع فإن واجب الشرطة أن ينتزعوها ، إذ من المقرر أن اليهود يكونون من الوجهة القانونية قد تجاوزوا حقهم ، ولو كانت الشرطة تهاونت في نزع المقاعد لحدثت أمور موجبة للأسف مثل السوابق التي حدثت في الماضي .

فالمسألة لا تتسنى تسويتها إلا بالتراضي بين المسلمين واليهود ، وأما الحكومة فستعمل كل ما في وسعها للمعاونة على هذا الاتفاق » .

وهذه الرسالة وثيقة تاريخية تثبت أن الحق للعرب ، والحائط لهم ، فهو داخل في الوقف الإسلامي وفي حوزته ، وهذا برهان تملك المسلمين اياه ، وأن مجرد إحضار اليهود مقاعد تحت الحائط هو تجاوز لحقهم ، كما أثبتت الوثيقة أنه ليس لليهود حق

في إحداث أي شيء يمكن معه إيجاد أي أثر في النفس بأن الموقع مملوك لهم ، ومع هذا تسامح المسلمون فسمحوا لليهود بالتوجه إلى الحائط .

وهذا التسامح أطمع اليهود فحدثت ثورة البراق ، لأن اليهود نظموا مظاهرة كبيرة في يوم ١٥ أغسطس (آب) **١٩٢٩** اعقبت حوادث دموية رهيبة ترويها شاهدة عيان بريطانية هي « مس نيوثن » وكانت من بين الشهود الذين شهدوا لدى لجنة والترشو ، وقد روت في كتابها « خمسون عاما في فلسطين » في صفحة **١٨٩** ما وقع من اليهود على مرأى منها ومسمع ، وقد قالت :

« منذ وقوع أول احتكاك بين العرب واليهود ، والاحتكام الى السلاح لاول مرة في القدس سنة **١٩٢٠** وفي يافا سنة **١٩٢١** إلى ثورة البراق سنة **١٩٢٩** اخذت حكومة الانتداب من لندن إرسال لجنة تحقق فيما حدث ، وصار الناس ينتظرون لجنة إثر اخرى ، إلا أن اثر هذه اللجان كان مقصورا على التخدير وأخذ النفس الطويل ، وقد يعجب الناظر إلى تلك اللجان والهيئات التي جاءت بين فتنة يافا وفتنة المبكى ، وما يسبق كل فتنة وما ينجم عنها من عواقب » .

وتقول : « وكان من عادة اليهود في تاسعهم - وهو يوم صوم ذكرى سقوط أورشليم - أن يقيموا على رصيف تجاه جزء من الحائط الغربي من المسجد الاقصى ، وهو المكان المعروف بالمبكى ، ولكنهم في هذه المرة خرجوا على مألوف ما كانوا يصنعون منذ قرون متوالية ، وجاءوا بمقاعد وكراسي جعلوها على الرصيف ، وأحضروا حجابا نقالا يفصل بين الرجال والنساء وأقاموه ، فتدخلت السلطة البريطانية وأزالت الحجاب .

« واستعد اليهود لهذا التاسع القادم ليوم ١٥ أغسطس (آب) سنة **١٩٢٩** ولايام قبله واصلوا التعرض للقرويين ، وكانوا يقذفونهم بالقشور والخضراوات وهم على أبواب المدينة ، وفي عشية يوم الصيام اتخذ عدوانهم شكل مظاهرة مؤلفة من آلاف الشبان والشابات احتشدوا في تل أبيب وغيرها ، ومشوا في شوارع القدس بنظام مدبر ، وفوق الرؤوس علم ملفوف مجلل بالسواد ، حتى إذا بلغوا المبكى نشروه وانشدوا النشيد الوطني اليهودي بحماسة محمومة ، وعلت أصواتهم

وهم يهتفون : الحائط حائطنا ، والويل لمن يدنس اماكننا المقدسة ، ولتسقط الحكومة .

« وفي يوم ١٦ أغسطس (آب) **١٩٢٩** وكان يوم جمعة وعشية المولد النبوي ، وقد ساور المسلمين الخوف من عدم قدرة الحكومة على الوقوف في وجه هذا الاختراق المتعمد لحرمة البراق ، فألفوا مظاهرة مضادة ، لكن الحكومة استطاعت وقف المظاهرتين ، وكاد الامر يقف عند هذا الحد إلا أنه تجددت الفتنة بسبب شجار وقع في مكان بعيد أدى إلى مقتل صبي يهودي ، فاتخذ اليهود من جنازته فرصة لمظاهرة سياسية دبروها ، وتدخلت الشرطة ووقع الاشتباك ، واشتعلت الفتنة التي أدت إلى وقوع حوادث مؤسفة ، وقد بذلت الحكومة كل ما استطاعت حتى وقفت الفتنة ، ثم طلبت من لندن تعيين لجنة تقضي في المشاكل بين الطرفين .

وفي اكتوبر سنة **١٩٢٩** وصلت اللجنة إلى فلسطين وباشرت عملها برئاسة السير والترشو الذي كان كبير القضاة في احدى المستعمرات ، والتف حوله اثنا عشر من رجال القانون بالنيابة عن حكومة فلسطين والهيئة العربية العليا والوكالة اليهودية يضاف إلى ذلك عدد كبير من الشهود كنت أحدهم ، وصدر تقرير اللجنة في مارس (آذار) سنة **١٩٣٠** وقد عالج القضية من شقيها الماضي والمستقبل ، وأوصى بلجنة خاصة تسمى « لجنة البراق » أو المبكى ، لتعيين ما لكل من الفريقين من الحقوق » .

وقضت هذه اللجنة بثبوت حق العرب في الحائط الذي يسميه المسلمون « حائط البراق » ويسميه اليهود « حائط المبكى » وأن ملكية الحائط تعود للمسلمين وحدهم .

وأحيل ما قررته لجنة ولترشو إلى لجنة تحقيق دولية انشأتها عصبة الامم بقرارها الذي اتخذته في ١٤ يناير سنة **١٩٣٠** م للتحقيق في مزاعم اليهود ، وألفت هذه اللجنة من عضو سويدي وعضو سويسري وعضو هولندي للبحث في ملكية هذا الحائط المتنازع عليه ، وانتهى تحقيقها بتقرير رفعته إلى عصبة الامم التي جعلته قرارا أوصت بتنفيذه ، وها هو ذا القرار :

« للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي[1] ، ولهم وحدهم الحق العيني فيه ، لأنه يؤلف جزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف .

وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن امام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفا حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير .

وإن أدوات العبادة وغيرها من الادوات التي يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط إما بالاستناد إلى احكام هذا القرار أو بالاتفاق بين الفريقين لا يجوز في حال من الاحوال ان تعتبر أو أن يكون من شأنها انشاء أي حق عيني لليهود في الحائط أو في الرصيف المجاور له » .

وهذا القرار التاريخي صريح في إثبات الحق للمسلمين وحدهم ونفي دعوى اليهود نفيا باتا ، والحق العيني للمسلمين وحدهم ، فحائط البراق أو المبكى ملك عيني للمسلمين وحدهم وخاص بهم ، ولكن ، متى كان اليهود يسمعون لكلمة الحق ؟ انهم قد تجاهلوا قرار عصبة الامم واستكبروا عليه كما عصوا كل قرار قررته المنظمة الدولية الحاضرة .

وهذا القرار ينفي كل دعوى لليهود في فلسطين والقدس ، فهم قد زعموا أن الحائط بقية هيكل سليمان الذي أزيل من الوجود منذ أكثر من ثمانية عشر قرنا ، فإذا ثبت أن الحائط للمسلمين وحدهم وليس لليهود فيه أي حق فقد ثبت أن كل زعم أو ادعاء من قبل اليهود في فلسطين بالحق التاريخي باطل كل البطلان وبخاصة بعد أن أقمنا البراهين التي لا تنقض على عروبة فلسطين منذ أكثر من خمسين ألف سنة حتى اليوم ، وأنه لا حق لليهود بتة ، وأن الحق كله للعرب وحدهم منذ كانت فلسطين وحتى يرث الله الارض ومن عليها .

---

(١) هو حائط البراق الذي يسميه اليهود حائط المبكى .

قضيّة فلسطين قضيّة عقيدة ومصير

أستطيع أن أقول في ثقة واطمئنان : إن اهتمام ابن سعود بقضية فلسطين هو نوع يغاير اهتمام كل المسؤولين العرب الألى في مستواه ، فليس اهتمامه من قبل أداء الواجب ، وليس غير ، وليس من قبل الدعاية التي يقصد منها كسب الانصار ، وليس رغبة في « الاستهلاك المحلي » أو التضليل والخداع .

وليس من خلائق ابن سعود الغش ، وما عرف عنه قط التلون والتدليس ، فهو واضح العقيدة ، وواضح الطريق ، وصريح في أدب ، وقوي كل القوة مع الزكانة والاناة والحكمة والرأي الصواب .

وكل حكام العرب المسئولين في طبقة ابن سعود لم يكونوا في صلاحه وتدينه وصراحته وقوته وخلائقه العربية والإسلامية والإنسانية ، وكان فيهم « ممثلون » على المسرح السياسي والوطني ، وكان فيهم تجار وطنية ، ولهذا كانت قضية فلسطين « دراما » أو تجارة .

أما ابن سعود فكانت لديه قضية فلسطين قضية نفسية وعقائدية وعربية وإنسانية ، فهي منه بمنزلة النفس ، والإنسان يتنفس ولا يقول للناس بلسان حاله : تعالوا ، وانظروا ، فأنا أتنفس ، وكذلك كانت القضية بالنسبة له .

وابن سعود يجامل الانكليز كثيرا ، ولكنه لا يذل لهم ولا لمخلوق على وجه الارض ، والمجاملة من كمال الإنسان ومن الصفات الجليلة ، لأنها ابداء جانب

الجمال ، وهو غير الكذب والنفاق ، يجامل الانجليز لأنهم هم أنفسهم يحترمونه ويجلونه ، وعندما تصل الامور إلى الكرامة فكل قوى الارض لا تستطيع إذلالها أو التعرض لها ، والبراهين على ذلك ساطعة ، والامثلة كثيرة ، ومنها ـ على سبيل المثال ـ قضية لجوء رشيد عالي الكيلاني إليه سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) وإصرار الانجليز الذين خرجوا من الحرب منتصرين على المانيا على تسليمه إليهم بدون قيد ولا شرط ، فوقف ذلك الموقف الصلب الذي تحطم عليه عنادهم وإصرارهم .

انه قال للانجليز : « والله ، ثم والله ، ثم والله ، إن رشيد عالي سيظل عندي آمنا مطمئنا ما بقيت وما بقي أحد من آل سعود حيا ، ووالله ، ثم والله . لو جاء الانجليز بأساطيلهم وصفوا بوارجهم من لندن إلى جدة فلن يأخذوه ما دمت حيا » .

وهذا موقف لن يقفه احد إلا نادرا جد نادر ، فما ابن سعود وقوته بجانب بريطانيا العظمى ؟ وإذا كانت كل أموالها وأموال العالم لا تكون ثمنا لعقيدته فإن كل قوات بريطانيا لا تستطيع إذلال كرامة ابن سعود ما دام حيا ، وإذا مات دون كرامته فما بعد الموت لجرح بميت إيلام .

وقضية فلسطين أكبر من الافراد وأعظم من الشعوب لأنها قضية تقوم على العقيدة والوطنية والعربية والإنسانية ، فإذا كانت قضية فرد يتصدى لها ابن سعود ذلك التصدي فإن قضية فلسطين عنده فوق كل قضاياه المصيرية ، فوق قضايا بلاده وأمته ، ولهذا كان موقفه موقفا فذا لم يقفه أحد في تاريخ قضية فلسطين الحديثة ، ولكن ، لا رأي لمن لا يطاع .

ففلسطين ليست تحت حكمه ، وشعبها ليس تحت امره ، فحكمه غير مقبول ، وأمره غير نافذ ، ومن هنا أصاب القضية الفلسطينية ما أصابها .

وأول رأي رآه فيها أن تكون وقفا على الفلسطينيين وحدهم ، وعلى العرب جميعا حكومات وشعوبا بأن تمدهم بالمال والسلاح والرجال والرأي ، وأن يكون الرجال متطوعين ، لئلا تقع الحكومات تحت سطوة المسئولية عندما يتحدون ويشتركون رسميا في القتال .

وأول رأي رآه ان يكون الدفاع صادرا من الإيمان الحق ، وأن يكون الدفاع عن القضية والصراع من أجلها جهادا وليس قتالا ، لأن ابن سعود يفرق بين القتال والجهاد ، فالقتال يكون اعتداء على حق طمعا في استلابه واغتصابه ، ويكون دفاعا عن الحق ، أما الجهاد فحق كله ، والقتال سجال ، يوم لك ، ويوم عليك ، أما الجهاد فلا هزيمة فيه ، لأن كلمة الفصل له .

وقال ابن سعود لزعماء فلسطين : آمنوا بالله ورسله وباليوم الآخر ثم جاهدوا ، فإن النصر ثمرة الجهاد الصادق .

ولكن السبل تشعبت بقادة فلسطين منذ كانت لها قضية ، ولم يكن حكام العرب مستقلين باقطارهم فلم يكن لهم جيش حر يسير بأمر الحاكم المقيد ، ولم يكن هناك الايمان الذي يفهمه ابن سعود ، مما أدى إلى الكوارث التي أخذ بعضها برقاب بعض حتى كانت الكارثة التي انتهت بقيام الكيان الإسرائيلي في ارض فلسطين العربية المحض .

ففي مارس سنة ١٩٤٨ علم ابن سعود بما يدور في أروقة الامم المتحدة ، وكان معروفا للعرب وحكامهم أن الإدارة البريطانية ستترك فلسطين للعرب واليهود ، وما تركتها إلا بعد أن أضعفت القوة العربية اضعافا شديدا ، وقوت اليهود وساعدتهم في إيجاد قوة مسلحة .

وبمجرد مغادرة الانجليز أعلن اليهود دولة اسرائيل ، وطلبوا إلى دول العالم أن تعترف بها ، فاعترفت الولايات المتحدة الامريكية يوم اعلانها عن نفسها ، واعترف الاتحاد السوفياتي واعلنت اعترافها بعد امريكا بسويعات ، والفارق بين الاعترافين ان اعتراف الولايات المتحدة الامريكية لم يكن إلا اعترافا بالامر الواقع ، وهو اعتراف لا يقضي بتبادل التمثيل الديبلوماسي ، أما اعتراف السوفييت فتام يقضي بتبادل التمثيل السياسي .

وقبيل خروج الانجليز بزمن رأى ابن سعود أن يجمع الفلسطينيون أمرهم ، ويقيموا الكيان الفلسطيني ، وبمجرد خروج الانجليز يعلنون دولتهم ، ويطلبون إلى العالم الاعتراف بها ، وبذلك يكون لهم حق الدولة القائمة ، وقدم رأيه لزعماء

فلسطين الذين كانوا مشغولين بـآراء وأفكار وأمور غير التي كان يهتم بها ابن سعود .

وقد ذكرت في كتابي « صقر الجزيرة » في مقدمة طبعته الثانية الصادرة سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) ما نصه :

« وقضية فلسطين لم يكن هو محاميها الوحيد ، ولم يكن مسيطرا عليها ومسئولا عنها مثل سيطرته على بلاده فلم تنجح ، لأن العرب لم يأخذوا برأيه فيها ، ولو اخذوا لما كان هناك كيان اسرائيلي قائم .

« رأى عبد العزيز الذي عرف عنه وسمعناه منه غير مرة : ان ينفرد أهل فلسطين بالدفاع عنها ، وألا يشترك العرب رسميا في الحرب ، بل تقوم الدول العربية بمساعدة أهل فلسطين بالسلاح والمال والرجال متطوعين .

« بل كان له رأي عظيم في الكيان الفلسطيني سمعته منه وحدثت به الحاج امين الحسيني في لقاء لي معه فأيده وأعجب به ، ولكن بعد فوات الفرصة والأوان .

« رأي عبد العزيز ان تقوم حكومة فلسطينية بمجرد ترك الانجليز للسلطة في الوقت الذي حددوه ، وكان يعلم حق العلم ان اسرائيل أعدت العدة لتسلم السلطة من الانجليز ، وانهم سيعلنون حكومتهم في اللحظة التي يترك الانجليز فيها السلطة ، ويطلبون إلى الدول الاعتراف بها ، ورأي عبد العزيز أن يعلن الفلسطينيون حكومة فلسطين ويطلبوا إلى الدول الاعتراف بها ، وتنهض هي تجاه اسرائيل ، ويكون الصراع بينهما ، وسينتهي بكسب العرب .

« ولكن لم يؤخذ برأيه في المسألة الاولى وفي الثانية ، لم يترك أهل فلسطين يدافعون عن بلادهم ، ولم يعلن قيام حكومة فلسطين ، بل أخرج أهلها ليحل مكانهم غيرهم في الدفاع ، وفرق بين الإنسان يدافع عن نفسه وبين آخر يأتيه من بعيد للدفاع عن غيره .

« بل انتهى الامر إلى أن العرب أنفسهم قضوا على كيان فلسطين ، فبعد اعلان الهدنة بين اسرائيل والعرب كانت الحكومة السعودية معترفة بفلسطين ، حتى أن إدارة الجوازات كانت تكتب اسم « فلسطين » في حقل الاقطار بالجواز السعودي ،

وعندي جواز برقم ٦٩٢ في ١٩٤٩/٧/٢٠ م[1] من السفارة السعودية بالقاهرة كتب اسم « فلسطين » في حقل الاقطار .

« وأردت زيارة القدس فغادرت دمشق إليه ، ولكن السلطات الاردنية في « الرمثا » منعت دخولي ، لأنه لا وجود لفلسطين ، ولم يكن بحقل الاقطار اسم الاردن ، فعدت إلى دمشق واضفته وسمح لي بالدخول .

« ولا وجود لكيان فلسطين ، وكان عبد العزيز وحده هو الذي يعترف به ، فكانت إدارة الجوازات تكتب اسم فلسطين في حقل الاقطار .

« واليوم يعودون الى بعض رأي عبد العزيز الذي أثبتت الحوادث أنه كان الرأي الصواب ، وكان أبعد من كل الحكام نظرا واصفى فكرا وأعرف بما يجب أن يكون ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

« ولو أخذ برأيه لما احتاج الامر إلى ما يحتاج إليه اليوم من البذل ومن التضحيات والتبعات والخسائر الفادحة .

« وضاعت فلسطين من ايدي أهلها ، لأن الرأي الذي رآه عبد العزيز لم يصادف هوى عند من كان بيدهم أمر قيادة فلسطين من حكام العرب وزعماء فلسطين .

والمتتبع لتاريخ العرب منذ سنة ١٣١٩ هـ حتى اليوم يدرك أن ما صنعه عبدالعزيز وحده للعرب هو مفخرتهم وزينة تاريخهم » .

وقضية فلسطين بالنسبة لابن سعود قضية عقيدة ووطن ومصير ، ولهذا بذل كل ما في وسعه من قدرات وجهود وفوق طاقته من أجل هذه القضية ، ولكنه لم يكن المسؤول المتفرد والوحيد عنها ، بل كان عودا من حزمة مفككة ، ولم يكن عودا هشا ، بل كان صلبا لا يكسر ، ولو كان صاحب الامر والنهي في فلسطين مثلما هو في بلاده لما انتهت إلى قيام دولة اسرائيل .

---

(١) يوافق ٢٤ رمضان سنة ١٣٦٨ هـ .

الحكم البريطاني لفلسطين حكم يهودي

انتهت الحرب الاولى بغدر الحلفاء وبخاصة الانجليز بالعرب غدرا لا يمحى عاره عن الغادرين ، فقد كانت إدارة فلسطين من نصيب الانجليز الذين حشدوا كبار الصهيونيين واليهود ليمهدوا لقيام دولة يهودية في فلسطين ، ويفتحوا الطريق أمام اليهود ومطامعهم .

وعندما هيأ الانجليز الإدارة في فلسطين وملاوها بالصهيونيين واليهود ، وأخذوا يعملون لاضعاف العرب وسلب حقوقهم ، وتمكين اليهود من شراء الاراضي الحكومية والاستيلاء عليها بشتى الطرق ، وشراء الاراضي من غير أهل فلسطين ومنهم لم يكن لابن سعود حينذاك أي نفوذ سياسي في غرب الجزيرة وشمالها الغربي حيث يقع في جانب منه فلسطين .

ويشاء الله أن تتسع رقعة حكم ابن سعود ، ويصبح ملك الحجاز ، وتواجهه مشاكل وقضايا جديدة ، أوجبت الظروف عليه أن يواجهها ، فهناك أعداؤه من الهاشميين في العراق والاردن يشتركون معه في حدود مملكته الواسعة ، وهم تحت الاستعمار البريطاني ، وسوريا ولبنان تحت الاستعمار الفرنسي ، وبذلك قام حاجز حصين وكبير وقوي بين مملكة ابن سعود وفلسطين ، ولا سبيل له إليها من البر ولا من البحر ، فمصر مستعمرة بريطانية .

وأدرك الاستعمار البريطاني أن تحقيق حلم الصهيونية في تحويل فلسطين كلها

إلى دولة يهودية لا يتم إلا إذا أعدت له عدته ، فوضعت خطة شيطانية محكمة بالاتفاق مع الصهيونيين البارعين في وضع مخططات الهدم والتخريب .

ومعاهدة سايكس ـ بيكو السرية تعطي فرنسا اجزاء من الوطن العربي كما تعطي بريطانيا ، وأما فلسطين فتكون تحت الإدارة الدولية ، ولم يكن الانجليز راضين بهذه المعاهدة التي قيدتهم وانتزعت منهم فلسطين التي كانوا يحلمون بها لتكون قلعة لهم تحمي طرقهم ومصالحهم في المنطقة العربية وفي الهند ، ولكنهم لا يستطيعون مواجهة الفرنسيين فاستعانوا بالصهيونيين الذين استطاعوا أن يغيروا وضع معاهدة سايكس ـ بيكو .

وفلسطين تهم الانجليز إلى أبعد حد ، فهي مسألة حيوية بالنسبة لهم ، وهذا ما يقوله أحد رجال الاستعمار البريطاني البارزين المستر ايمري في خطبة له :

« ان فلسطين تشغل مركزا عسكريا خطيرا من وجهة الدفاع عن الامبراطورية البريطانية ، فهي ملتقى جميع الطرق الجوية بين بريطانيا وافريقيا وآسيا ، كما انها من أهم المواقع البحرية في البحر الابيض المتوسط ، وكل هذا يفسر الحرص الشديد عليها من وجهة النظر البريطانية » .

وكان الانجليز مدركين أن العرب المسلمين أو المسيحيين بفلسطين لن يخدموا سياستهم الاستعمارية ، وليست لهم رؤوس أموال ضخمة يستخدمونها في تحقيق مـآربهم ، وعرفوا أن اليهود الذين ينفعونهم دون غيرهم ، فقرروا التعاون معهم إلى أبعد مدى مستطاع ، وقد ذكر ذلك المؤرخون والسياسيون الانجليز في مؤلفاتهم ومذكراتهم وتصريحاتهم .

وكان الانجليز تحت إمرة اليهود ، وكانوا يصنعون سياسة بريطانيا ، ففصل الانتداب ـ مثلا ـ لم تضعه الحكومة البريطانية ، بل وضعته الجمعية الصهيونية وزعماء اليهود ، ويقول حاييم وايزمان في مذكراته : ان اليهودي الامريكي بنجامين كوهين كان يتولى مع سكرتير اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية حينئذ وضع صك الانتداب والاتفاق على نصه وبنوده .

وأول ما فعل الانجليز انهم استطاعوا أن يحققوا بوساطة الصهيونيين مـآربهم في تحقيق فكرة تهويد فلسطين ، والعمل من أجل أن تكون بريطانيا هي الدولة صاحبة الانتداب على فلسطين .

وأراد الانجليز أن يخدعوا العرب ويضللوهم فوفقوا لذلك مثل توفيقهم في إغراق العرب في مشاكل كثيرة ومعقدة ، فما كاد العرب يخرجون من الحرب منتصرين على الترك حتى فاجأتهم تجزئة الوطن العربي ، فكان من نصيب الانجليز والفرنسيين الاقطار المجزأة التي خرجت من الدولة العثمانية .

كما غرق العرب في مشاكل الصلح التي شغلتهم عن بناء وطنهم ، ودخلوا في حروب وفتن مع الفرنسيين في سوريا ولبنان ، ومع الانجليز الذين استطاعوا خِدْع العرب .

وفي الوقت الذي كان العرب فيه غرقى المشاكل المعقدة والفتن العارمة تفرغ اليهود لتنفيذ مخططاتهم بحماية الانجليز .

فعندما احتل الجيش البريطاني فلسطين ودخلها « اللنبي » الذي كوفيء بترقيته إلى رتبة « فيلد مارشال » كان في ذهنه وعد بلفور ، بل كان أكثر منه أو مثله اخلاصا للصهيونية ، فعندما كان « اللنبي » في مصر فتح بابها لليهود فهاجروا إليها ، وبسط لهم حمايته ورعايته ، ومنحهم كل ما يستطيع حتى يكونوا قوة في مصر ، تنتقل منها إلى فلسطين فتدك صروح العرب .

وبلغ من إعجاب اللنبي باليهود وحبه لهم أن أنشأ منهم كتائب عسكرية في جيشه ، ودخلوا معه فلسطين جنودا وجواسيس ، ورأى أن يزيد في قوة اليهود فبعث إلى صديقه الإرهابي اليهودي المتطرف « جابوتنسكي » الذي كان يعمل في لندن في تنظيم الحركة الصهيونية أن يؤلف جيشا يهوديا يكون تحت إمرته مع الجيوش البريطانية ، فأسرع جابوتنسكي إلى تأليف جيش يهودي قوامه ثلاثة آلاف محارب التحقوا باللنبي ، وكان هذا الجيش اليهودي المدرب أساس جيش اليهود في فلسطين .

وبلغ من غرور اللنبي أنه حينما دخل فلسطين قال علانية : الآن ، قد انتهت الحروب الصليبية ، وفي كلمته هذه اذلال للعرب والمسلمين ، وإنذار بعدائه السافر لهم ، واتهامهم بأنهم هم الذين كانوا يوقدون نار الحرب الدينية ، وتصميم منه على ضرب العرب وإضعافهم .

ومقابل هذا كان اللنبي أكبر عون لليهود ، فقد أعلن أن بريطانيا حريصة على مساعدة اليهود وتمكينهم من إنشاء وطنهم القومي في فلسطين ، وقد ساعد حركة الصهيونية العالمية على تهجير آلاف اليهود إلى مصر عندما كان في مصر ، ثم فاتحا لفلسطين .

وكان اللنبي من المعجبين بوايزمن ، فلما جاء هذا اليهودي من لندن إلى فلسطين في شهر مارس (آذار) سنة ١٩١٨ رئيسا للوفد الصهيوني ليقدم الرأي والمشورة للحاكم العسكري البريطاني ، ويعمل على تنظيم الإدارة في فلسطين ، ويضع قواعد تأسيس الدولة اليهودية كان اللنبي قد تلقى برقية من وزارة الحرب البريطانية تأمره فيها بأن يكون تصرف الحكام العسكريين في المدن الفلسطينية متمشيا مع رغبات اليهود .

وهذا الوفد أو اللجنة الصهيونية كانت مؤلفة من صهيونيين يهود يرأسهم حاييم وايزمن ، ومن أعضائها : اليهودي الامريكي « وولتر ماير » وهو من غلاة الصهيونية ، وقد قابل في مصر بعض السياسيين السوريين واستطاع أن يخدعهم ، ولكن الزعماء الفلسطينيين كشفوا امره .

وهناك أعضاء يهود منهم : الملازم « ادوين صموئيل » وأدى خدمات لليهود وبريطانيا في فلسطين ، ولما نشبت الحرب الكبرى الثانية عينه تشرشل في حكومته إذ جعله مديرا للرقابة البريطانية أيام الحرب .

ولما كان ادوين صموئيل من اليهود الحاذقين المهرة في الدعاية فقد عين مدير إذاعة اسرائيل عند قيام دولتها .

وكان من أعضاء هذه اللجنة : اليهودي البريطاني « اسرائيل سيف » وهو من

دهاة اليهود الذين سيطروا على سياسة بريطانيا واقتصادها ، وكان يعمل في الخفاء فوجه السياسة البريطانية لمصلحة اليهود ، وقد كان رئيس لجنة التخطيط الاقتصادية والسياسية التي توجه السياسة الاقتصادية والشؤون السياسية للوزارات التي تتعاقب على الحكم في بريطانيا العظمى[1] .

وانتقت الصهيونية أعضاء هذه اللجنة ، ولو كان فيها وايزمن وحده لكفى ، ولكن أضيف إليه عديد من اليهود من ذوي النفوذ في بريطانيا وامريكا لتكون ايام حكم الانتداب البريطاني اساسا لبناء الدولة اليهودية المنتظرة وتمهيدا لقيامها المرتقب .

يقول الكاتب الامريكي فرانك أ . مانويل في كتابه « بين امريكا وفلسطين » صفحة ٩٧ و١٠٠ و١٠٢ :

« كانت لجنة وايزمن الصهيونية التي ألفتها الحكومة البريطانية عام ١٩١٨ لتزور فلسطين ، وهي محاولة حاولتها وزارة الخارجية البريطانية برئاسة بلفور وبالاشتراك مع مارك سايكس لتضليل العرب ، وتخفيف وضع وعد بلفور عليهم » .

و « كان وايزمن رئيس اللجنة الصهيونية التي ألفتها الوزارة البريطانية ، وعززت الاعتراف بها بشيئين : مقابلة وايزمن لجلالة ملك الانجليز قبل مغادرته إلى فلسطين ، وتعيين الميجر أورمبي غور[2] وزير المستعمرات البريطانية منذ اضطرابات ١٩٣٦ عضوا فيها » .

و « حين ذهب وايزمن ولجنته إلى يافا قابلتهم هناك عاصفة هوجاء من الوطنية المتطرفة وصفها « ييل » فقال « ففي يافا كان العرب قد هاجوا وماجوا وأسسوا الجمعية الإسلامية المسيحية لمحاربة اليهود ، وافهام العالم أن الوطنية العربية لا تفرق بين مسلم ومسيحي ، وكلهم ضد اليهود وضد سياسة بريطانيا الصهيونية . وكان الانجليز كلما تأزمت الحالة بين العرب اطلقوا أبواق الدعاية عن

(١) الدنيا لعبة اسرائيل ، تأليف الكومندور وليم كار ، الترجمة العربية ، صفحة ١٩٧ .
(٢) عينه اليهود فيها بعد مديرا لبنك ستندارد بجنوب افريقيا ، وهو البنك الذي يسيطر على مناجم الذهب والالماس هناك ، وهو الذي يمول سياسة التفرقة العنصرية .

امبراطورية عربية كبرى ووحدة عظمى وما إلى ذلك من الاكاذيب ، فماذا كانت غاية الانجليز من ذلك؟ كانت الغاية ـ في رأيي ـ شغل العرب بمثل هذه الاحلام عن اليهود ووطنهم القومي ، ثم ضرب العرب بعضهم ببعض ، فالامبراطورية التي تحدثت عنها الدعاية الانكليزية المأجورة كانت تحت خلافة إسلامية ، وكان لبنان ينفر من ذكر امبراطورية عربية تحت خلافة اسلامية ، فماذا هناك لو ضربنا المسلمين بالمسيحيين من العرب » .

وكان المسئولون البريطانيون يخدعون العرب ، ولا يبالون أن يعلنوا أنهم يعملون لتحقيق وعد بلفور ، ففي مساء يوم ٢٧ أبريل سنة ١٩١٨ أقام الحاكم العسكري البريطاني رولند ستورز مأدبة عشاء على شرف اللجنة الصهيونية ، وكان من المدعوين كبار أهل فلسطين العرب ، وعلى رأسهم السيد كامل افندي الحسيني مفتي القدس .

وحيا ستورز ضيوفه الصهيونيين أجمل تحية ، وجدد الوعد لهم بإنشاء الوطن القومي لليهود ، وتبارى الحكام العسكريون الانجليز واليهود في الخطب التي ألقوها ، وأجمعوا على العمل الجاد على إنشاء الوطن القومي مما عده العرب المدعوون إهانة لهم وسطوا على حقوق الوطن العربي والشعب الفلسطيني ، وانبرى لهم السيد الحسيني بالرد عليهم ، ثم غادر المأدبة سخطا دون أن يتناول منها شيئا ، واحتجاجا صارخا على السياسة البريطانية التي أظهرت ما كانت تخفي ، وقبل أن يغادر الحفلة أعلن سخط العرب على سياسة بريطانيا وأعمالها الرامية إلى تمكين اليهود من الوطن العربي الفلسطيني بعد أن تسلبه من أهله الشرعيين .

وللتاريخ نذكر ان كامل الحسيني أدرك مرامي السياسة البريطانية ، وأنذر الامة العربية وحكامها ومفكريها بما يبيت للعرب ، ودعاهم إلى وحدة الصف والعمل ، وتكهن بكل الاحداث التي وقعت قبل حدوثها بعقود من السنين .

ولكن العرب وحكامهم كانوا مشغولين بواقعهم الذي أوجدته السياسة البريطانية ، ولو لم ينتبهوا إلى ما نبههم إليه السيد الحسيني ثم من بعده الحاج محمد أمين الحسيني حتى انتهى الامر إلى قيام دولة اسرائيل وهزائم العرب جميعا .

فبريطانيا مصممة عزمها على ان تنتهز فرصة وجود الحكم العسكري لوضع أسس الدولة اليهودية تحت حماية قواتها العسكرية ، وما ألفت اللجنة الصهيونية إلا ليكون وضع الاسس تحت اشرافها ، وقد صرح العضو اليهودي الامريكي ولتر بقوله : « ان اللجنة لم تأت إلى فلسطين لتقيم حكومة يهودية في الوقت الحاضر[1] » ثم أردف قائلا : « ليس في امكان اليهود ان يتولوا الدعاية الواجبة لتشجيع الهجرة المطلقة إلى فلسطين » .

وما صممت بريطانيا عزمها على تمكين اليهود من وضع اسس دولتهم إلا لتتمكن هي نفسها من تنفيذ اغراضها الاستعمارية ، وليحقق لها اليهود هذه الاغراض التي يأتي في مقدمتها ان تكون هي وحدها التي تتولى الحكم في فلسطين ، وتبعد فكرة تدويلها بوساطة اليهود انفسهم حتى تتفرد بالحكم المطلق والسلطة التامة .

وعندما سافر الرئيس ولسون من باريس إلى لندن سنة **١٩١٩** ليتسلم براءة « مواطن شرف » لمدينة لندن اصطحب معه أحد اقطاب الصهيونية الحاخام اليهودي ستيفن وايز ، وتولى تقديم وايز إلى بلفور ، وكان ولسون واقعا تحت نفوذ الصهيونية ، فكان أكبر مستشاريه على الاطلاق هو القاضي اليهودي الصهيوني برنديس .

وفي مقابلة بين الحاخام وايز وبلفور قال له الحاخام : لقد قرر مؤتمر اليهود في امريكا ان يطلب من مؤتمر الصلح انتداب بريطانيا لفلسطين ، فاجابه بلفور : ان شعبكم العظيم يحمل بريطانيا شرفا عظيما بمثل هذا الطلب ، وانا افهم من انتداب بريطانيا على فلسطين السماح لكل اليهود الراغبين في سكنى فلسطين ان يحققوا رغبتهم بملء الحرية ودون أي مانع[2] .

يقول وايزمن في مذكراته (الطبعة العربية الرديئة وقد عدلنا صياغة الترجمة الركيكة وهي في صفحة ٢٨) :

---

(١) بين امريكا وفلسطين ، صفحة ٩٩ .

(٢) بين امريكا وفلسطين ، صفحة ١٠٧ .

« لا بد من حمايتنا من قبل دولة مدة من الزمن إلى ان يقوى اليهود في فلسطين ، ويستطيعوا الوقوف على ارجلهم ، وكان الحل ان ننتدب بريطانيا على فلسطين لتتولى الاشراف علينا عشر سنوات أو عشرين حتى إذا قوينا ذهبت بريطانيا وبقينا نحن ، فنحن الذين اعطينا بريطانيا فلسطين إلى اجل ، وليست بريطانيا التي اعطتنا فلسطين » .

ونجحت بريطانيا ونجح اليهود في ان تكون بريطانيا دولة الانتداب ، وقد هيأ الحكم العسكري البريطاني كل ما يريده الصهيونيون ، ولم تبق نياته مكتومة ، فقد افصح الحكام الانجليز عنها وجاهروا العرب بالعداوة الحاقدة المستمرة ، حتى ان الفيلد مارشال اللنبي القائد العام البريطاني مضى بنفسه إلى الشريف فيصل بن الحسين في يوم ٩ سبتمبر سنة ١٩١٩ بانذار سلمه اياه ، ويحوى امرين فظيعين هما :

أولا - عزم بريطانيا على ان ينشىء اليهود وطنهم القومي في فلسطين .

ثانيا - تهديد العرب بأن كل حركة تقاوم فكرة انشاء الوطن القومي اليهودي ستقابل من بريطانيا بكل قوة للقضاء عليها .

ولم يفد انذار المارشال الطاغية ، فقد صمم العرب العزم على خوض المعركة ضد بريطانيا مهما كانت النتائج ، وتأكد لهم ان كل وعود بريطانيا لهم لم تكن إلا كذبا وخداعا ، وانها مع اليهود ضدهم .

وانتهت مهمة الحكم العسكري ، ورأت بريطانيا أن تنتقل منه إلى الحكم المدني لتكمل سياستها المبيتة لتمكين اليهود من السيطرة على فلسطين حكوميا وعمرانيا واقتصاديا ، واختار اليهود الحاكم المدني البريطاني ، ولم يكن لدى الحكومة البريطانية ما يمنع تنفيذ رغبة اليهود ، فهم الذين جاءوا ببريطانيا إلى فلسطين دولة منتدبة ، وبريطانيا خاضعة لنفوذهم ، وسرها اختيارهم هربرت صموئيل حاكما على فلسطين ، وتسلم في أول يوليو سنة ١٩٢٠ زمام الحكم خلفا للمارشال اللنبي .

وفي المؤتمر اليهودي العالمي المنعقد بلندن سنة ١٩٢٠ قال رئيس المؤتمر[1] ـ وكان اليهودي الامريكي القاضي برنديس ـ في خطبة القاها على الاعضاء : « ان اليهود قد احرزوا انتصارين عظيمين : الانتصار الاول قرار الانتداب البريطاني على فلسطين في مؤتمر سان ريمو ، والانتصار الثاني هو تعيين هربرت صموئيل مندوبا ساميا على فلسطين ، وقد حول فوز اليهود في هذين الانتصارين الحاسمين قضية فلسطين من قضية سياسية إلى قضية عمرانية ، ففلسطين في دورها السياسي قد انتهى امرها وأصبحت لليهود ، ولم يبق إلا ان يهاجر اليهود ويجعلوها وطنا لهم يبنونه كيف شاءوا » .

ويقول حاييم وايزمن : « كنت مسؤولا بشكل رئيسي عن تعيين صموئيل لفلسطين ، فالسير هربرت صموئيل صديقنا ، وقد قبل المنصب الصعب نزولا عند طلبنا ، نحن عيناه في هذا المنصب ، انه صموئيلنا[2] » .

وبتعيين هربرت صموئيل انتهى عهد الحكم العسكري ليبدأ عهد الانتداب البريطاني ، وكان صموئيل مندوبا ساميا لبريطانيا في فلسطين ، وكان الحاكم المطلق الذي يملك كل ضروب السلطة ، فهو الرئيس الاعلى للسلطة التنفيذية ، وهو القائد الاعلى للقوات البريطانية التي تحتل فلسطين ، وهو الرئيس الاعلى للسلطة التشريعية وللسلطة المدنية .

ولما كان هربرت صموئيل يهوديا صهيونيا ، وكان تعيينه برغبة بني دينه اليهود فقد كان منهج الحكم وغايته معروفين بالبداهة ، وقبل ان يغادر لندن إلى فلسطين كان قد اتفق مع الحركة الصهيونية على مخطط رهيب لجعل فلسطين يهودية[3] .

ولا غرابة في ان يكون كل موظفي صموئيل والعاملين معه يهودا صهيونيين ، ومن لم يكن يهوديا بدينه فهو يهودي بقلبه ولسانه ويده ، ولهذا تألف المجلس التنفيذي الاعلى الذي يملك كل السلطات من اربعة يهود ، رئيسهم صموئيل

---

(١) بين امريكا وفلسطين ، صفحة ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٢) مذكرات وايزمن .

(٣) حول الصهيونية واسرائيل ، تأليف هاني الهندي ، الطبعة الاولى سنة ١٩٧١ صفحة ٧٦ .

نفسه ، والثلاثة الاخرون يهود مثله ، وفي طليعتهم : اليهودي « نورمان بنتوفتش » سكرتير الشؤون القضائية والعدلية ، وإليه مرجع صياغة كل القوانين والانظمة ، وهو المشرف على القضاء كله سواء أكان يهوديا أم مسيحيا أم اسلاميا ، وبذلك صار المشرف على المحاكم الشرعية الإسلامية ، وهو رئيس النيابة العامة .

وبنتوفتش هذا من اخطر اليهود الصهيونيين المتطرفين ، وقبيل شخوصه إلى فلسطين صدر له كتاب في لندن سنة ١٣١٩ باسم « فلسطين واليهود » وهو من اعظم الكتب التي بحثت بناء الدولة اليهودية ، وقد جاء فيه دعوة إلى استعادة الهيكل واقامته من جديد وهدم المسجد الاقصى .

وما اختير بنتوفتش لهذا المنصب الخطير واعطي كل تلك السلطات إلا ليعمل باسم القانون والنظام على سلب حقوق العرب أراضيهم ونقلها إلى اليهود ، وليضع كل فلسطين بسكانها العرب في اوضاع اقتصادية تضطرهم إلى التخلص من اراضيهم ، فقد طولب الفلسطينيون بضرائب فادحة على اراضيهم منذ سنوات مضت ، وفرضت هذه الضرائب بقوانين سنها بنتوفتش .

فاذا طولب العربي بالضريبة التي تجمعت وتضخمت لانها ضرائب سنوات ماضية عجز عن الدفع لاسباب منها : سوء الحالة الاقتصادية الذي اوجده الحكم اليهودي الخالص المطلي باسم بريطانيا ، وضخامة الضريبة .

وما ثم سبيل للعربي غير الدفع أو بيع ارضه أو اراضيه رغم انفه ، فإذا كان لديه ما يدفعه دفعه وخلت يده ، وعندئذ لا يجد قوته وقوت اولاده فيضطر إلى البيع .

وسن بنتوفتش قوانين الهجرة المطلقة في الواقع ، وان كان في الظاهر تقييدها خداعا للرأي العام العالمي ، وتهيئة لادانة العرب إذا قاوموا بأي مظهر من مظاهر المقاومة .

وهناك سكرتير آخر في المجلس التنفيذي الاعلى وهو اليهودي الصهيوني المتطرف « بيرون حايمسون » واسندت إليه ادارة الهجرة ، وقد استطاع ان يفتح فلسطين كلها لطوفان كاسح من المهاجرين اليهود .

وكان روتشيلد وغيره من اثرياء اليهود على صلة بحايمسون ، فدفعوا ملايين الجنيهات لشراء الاراضي .

ونحب ان نذكر ان اليهود بوسائلهم الاعلامية استطاعوا ان يثبتوا في اذهان شعوب الامة العربية ان الفلسطينيين باعوا اراضيهم طمعا في الاثمان الباهظة التي كان يدفعها اليهود لهم ، وارادوا من هذا زرع الحقد على الفلسطينيين في قلوب العرب والمسلمين حتى يتهموهم بالتفريط في اراضيهم .

وإذا وقع ان فلسطينيين باعوا اراضيهم طمعا في ثمن خيالي يدفعه اليهود فتلك حالات شاذة ونادرة ، وندر ان يبيع فلسطيني ارضه ليهودي طواعية واختيارا ، ولم تدون في سجلات البيع إلا بضع حوادث من هذا القبيل ، واكثر البيوع كان المشترون في الظاهر غير يهود ، كأن يكونوا فرنسيين أو المانيين أو عربا مسيحيين .

واثقال الاراضي المملوكة للفلسطينيين بالضرائب المرهقة المنهكة ، وايقاعهم في ظروف اشبه بظروف القحط والمجاعة من اسباب تخلص الفلسطينيين من اراضيهم ، بل كان بعضهم لا يبيع أرضه ، وإنما يتركها هملا لئلا يدون عليه انه باع ارضه .

وكان بعض اللبنانيين والسوريين يملكون مئات الالوف من الدونمات ، وكان ما يملكون من اخصب الاراضي ، وبعض هذه الاراضي بلغت من السعة انها تحوي عشرات القرى ، وباعوها اليهود وتسلموا اثمانها اضعافا ، ولما آلت ملكية تلك الاراضي لليهود طردوا الفلاحين الاجراء وكانوا بالآلآف ، فهاموا على وجوههم ، وتفرقوا في المدن والقرى الفلسطينية ، وكانوا عبئا جد ثقيل على اخوانهم .

وهؤلاء كانوا اول اللاجئين ، وتوالى من بعدهم سيول اللاجئين دراكا حتى زادت الضائقة على اهل فلسطين .

وعلى سبيل المثال كان آل سرسق اللبنانيون يملكون من بين ما يملكون في فلسطين بعد زوال الحكم العثماني مرجا يسمى مرج « ابن عامر » ومساحته نصف مليون دونم من أخصب اراضي فلسطين ، وكان فيه اكثر من خمس وعشرين قرية

عامرة بالسكان ، وبلغ عدد اسر هذه القرى حوالي الفي اسرة عربية فلسطينية ، وأغرى اليهود آل سرسق على بيعهم مرج ابن عامر بثمن لا يحلمون به فوافقوا ، فانتقلت ملكية المرج إلى اليهود الذين انذروا سكان القرى الواقعة في المرج الذي اشتروه من آل سرسق بالاخلاء ، فلما ابطأوا تولت حكومة الانتداب اخراجهم بالاكراه .

وهناك آل التيان السوريون كانوا يملكون من جملة ما يملكون واديا كثير الخصب والنماء يسمى « وادي الحوارث » تبلغ مساحته ٣٦ ألف دونم ، وقد باعوه لليهود ، وكان عدد المزارعين العرب الفلسطينيين ١٥٠٥ مزارعا مع اسرهم ، واجبرتهم الحكومة على الاخلاء .

وخرج آلاف الاسر من مرج ابن عامر ووادي الحوارث من الاراضي التي عاش فيها اسلافهم منذ مئات السنين مطرودين وهاموا على وجوههم في القرى والمدن الفلسطينية لاجئين في ديارهم ، يعانون البؤس والتشرد والفاقة .

وكان هؤلاء اللاجئون اول اللاجئين ، ليس لهم ارض ولا دار ، وضاقت بهم الارض ، وساءت احوالهم .

وهناك مؤامرة من الحكومة البريطانية المنتدبة على الفلسطينيين الاصلاء يجب ان تدون بالنسبة للاراضي ، فقد ارادت اجلاء السكان العرب الفلسطينيين من منطقة « الحولة » واتخذت لتحقيق غرضها الاجرامي وسائل غاية في الخسة والسفالة والدناءة والاحتيال ، فزعمت ان حالات وبائية ظهرت في المنطقة ، ثم ادعت كثرتها ، واوفدت لجنة طبية قررت ان منطقة الحولة مستنقع لوباء الملاريا ، ولا بد من تجفيفها صيانة للصحة .

ولم يكن شيء من ذلك ، بل كانت الدعوى باطلة ، فلا ملاريا البتة ، وإنما الرغبة في الاستيلاء على الاراضي وتمليكها لليهود حملت حكومة الانتداب على الكذب والتلفيق ، وطردت السكان العرب بتلك الحجة المخترعة ، ووكلت التجفيف لشركة يهودية ، فلما تم التجفيف ملكها اليهود بعد مدة .

وشركات الانشاء والتعمير في فلسطين يهودية ، وما أسست إلا للاستيلاء على

المزيد من الاراضي وتحويلها الى مستعمرات يهودية .

وفي عهد الانتداب البريطاني ساعدت حكومته على تسليح اليهود ، وعلى تجريد العرب من السلاح ومن الاراضي حتى تجعل الاغلبية لليهود بالهجرة التي فتحت بابها ، وتجعل لهم القوة التي يهددون بها العرب ، فإذا جاء اليوم الموعود للدولة اليهودية كان لدى اليهود ما يتفوقون به على العرب .

وما كان الانتداب البريطاني إلا برغبة اليهود ، لانهم ادركوا ان قوة بريطانيا العظمى ستكون قوة لهم ، إذ لو استقلت فلسطين لما كان في وسع اليهود أن ينازعوا العرب الذين كانوا الاغلبية الساحقة ، وكانوا قوة كبيرة ، ولهذا سعى اليهود إلى تمكين بريطانيا من الانتداب حتى يستعدوا على مر الزمن لتحقيق حلمهم الطافر .

وبريطانيا هي المسئولة عن كل كوارث العرب والمسلمين وفلسطين ، تلك الكوارث التي ازدادت على مر الايام بشاعة وسوءا ، وهي التي أقامت الدولة اليهودية بكل ما تملك من قوة شيطانية .

وقبل حكم الانتداب البريطاني لم يكن اليهود يسكنون إلا في بضع مدن فلسطينية هي : القدس وصفد وطبريا ويافا وحيفا ، وكان عددهم لا يزيد على خمسة واربعين الفا ، وكانوا يعيشون مواطنين تحت حكم المسلمين في أمن ، وكانوا على وفاق مع العرب ، وكانوا مستضعفين ، ومع ذلك لم يلقوا من العرب غير العطف والرعاية حتى ان كثيرا من الاسر اليهودية الفقيرة كانوا يحصلون على مساعدات من الاوقاف الإسلامية ومن المسيحيين والعرب .

ولم يكن لليهود كيان مستقل ، وكان كثير منهم لا يعرفون العبرية التي لم تكن لغة رسمية في كل فلسطين ، ولم يكن يخطر على بالهم فكرة الوطن القومي ، وكانوا حريصين على ان تستمر حياة الامن التي يحيونها في رعاية الفلسطينيين تحت الحكم الإسلامي ، ولم يكن يملكون من الاراضي غير خمسين الف دونم من اصل مساحة فلسطين البالغة سبعة وعشرين مليون دونم ، مضافة إلى الخمسين الف دونم التي كانت لهم من قبل .

ومن هذه الاراضي ٦٠٠٠٠٠ دونم اشتراها اليهود من الاسر اللبنانية والسورية في مرج ابن عامر ووادي الحوارث ومن تجفيف الحولة .

وهناك مئتا الف دونم منحة حكومة الانتداب البريطانية لليهود مقابل قيمة رمزية ، وثلاثمائة الف دونم هبة من حكومة الانتداب لليهود بدون ثمن ، وهذه المساحة كانت من املاك الدولة وليست ملكا لحكومة الانتداب .

وكان هناك ستمئة الف دونم من الاراضي حصل عليها اليهود ابان الحكم العثماني وقبيل الحرب الاولى ببضع سنوات لاقامة المدارس والمنشـآت العلمية والرياضية وميادين ومزارع ، ولم تكن ملكا خاصا لليهود ، بل كانت اشبه بالمرافق التي حولها اليهود في زمن الانتداب الى ارض يملكها اليهود .

وبين هذه الاراضي عشرات الالوف من الدونمات كانت ملكا للاوقاف الاسلامية التي سمحت بها لتكون مرافق عامة كالحدائق وميادين الرياضة .

وعندما انتهى الانتداب لم يكن تحت يد اليهود من ارض فلسطين إلا نحو سبعة في المئة ، وما بقي تحت يد العرب .

أما عدد اليهود في فلسطين فلم يكن يذكر ، فقد كان من الضـآلة بحيث لا يشار إليه ، حتى ان الاحصاء الرسمي الذي قامت به بريطانيا يذكر ان عدد اليهود في فلسطين سنة ١٨٥٠م كان يعد على الاصابع .

والاحصاء الرسمي الذي اجرته حكومة الانتداب سنة ١٩٢٢ ذكر ان عدد اليهود كان ٨٣٧٩٤ وعدد العرب ٦٧٠٦٢٠ وهم مسلمون ما عدا سبعة آلاف مسيحي وسبعة آلاف درزي والف من نحل وديانات اخرى ، ومعنى هذا أن اليهود لا يبلغون ٧ بالمئة أما العرب فهم ٩٧ بالمئة .

وفي احصاء الوكالة اليهودية ان عدد اليهود في سنة ١٩١٨ كان ستة وخمسين الف يهودي .

وعندما كان هربرت صموئيل مندوبا ساميا في فلسطين حتى مغادرته اياها سنة ١٩٢٥ لم يكن عدد اليهود اكثر من مئة الف إلا قليلا .

وفى التقرير الذي وضعه هربرت صموئيل بعد اعتزاله العمل افتخر بما قدم للصهيونية من خدمات وقال ما ترجمة نصه :

« لقد تضاعف عدد اليهود بالهجرة المنظمة ، فبعد ان كان ثلاثة وخمسين ألفا اصبح يوم انتهاء مدة حكمي سنة ١٩٢٥ حوالي ١٠٣,٠٠٠ وبذلك صار العنصر اليهودي يكون ٣٠ بالمئة من مجموع السكان بعد أن كان لا يتجاوز ٦ بالمئة » .

وهذا تقرير رسمي من اكبر مسئول بريطاني حكم فلسطين تحت علم الانتداب الغشوم يعترف فيه مفتخرا بأعماله الاثيمة .

ومع كل ما بذل الاستعمار البريطاني والصهيونية من جهود واموال فإنهما لم يستطيعا ان يضمنا التكافؤ بين اليهود والفلسطينيين ، بل كان عدد اليهود اقل من الثلث .

وموجز القول : ان الحكم البريطاني لفلسطين لم يكن إلا يهوديا محضا ، فبريطانيا هي التي أنشأت الوطن اليهودي ، وهي التي وضعت اساس الدولة اليهودية ثم اقامتها منتزعة من العرب املاكهم واراضيهم وحقوقهم وحكمهم واعطت ذلك كله اليهود .

المواجهة الأولى بين ابن سعود وبريطانيا

لم يفت ابن سعود العلم بأن الانتداب البريطاني ليس إلا تمكينا لليهود من الاستيلاء على الاراضي العربية ، وادخار السلاح ، والتدريب العسكري ، والتجمع في فلسطين عن طريق الهجرة الرسمية وغير الرسمية ، وانهاك القوة العربية ، واثخان عرب فلسطين بالجراح القاتلة ، وتجريدهم من سلاحهم واراضيهم وحقوقهم الطبيعية والتاريخية والمدنية ، وتهيئة اليهود خلال فترة الانتداب المنتظرة بينهم وبين العرب حتى يضمنوا النصر بالتفوق الذي يحصلون عليه بمساعدة حكومة الانتداب البريطانية التي تعمل لاستنزاف القوة العربية والقضاء عليها بالكذب والغش والتدليس والبطش والارهاب والجبروت .

لم يفت ابن سعود العلم بكل هذه الحقائق ، ولكنه يعرف ان العالم العربي والإسلامي كله واقع تحت نير الاستعمار وحكمه البطاش الرهيب ، ويعرف ان العالم العربي والإسلامي مفكك الاوصال ، غارق في الخمول والضعف والضعة والهوان ، وليس لديه جيش ، ولا يملك نظاما .

أما هو فكان يملك جيشا مدربا على القتال ، ولديه نظام يعتصم به ، وكان حرا في سياسته ، وبلاده تتمتع باستقلال تام لا وجود لنفوذ اجنبي فيه ، ولم تكن قوة ابن سعود بخافية على بعض السياسيين ، فذكر فرنك مانويل في كتاب « بين امريكا وفلسطين » صفحة ١٠٣ ـ ١٠٤ ما نصه :

« وكان اثر الحركة الوهابية على « ييل »[1] عظيما ، ذلك ان ييل كان يرى في تلك الحركة دعوة تلهب شعور اتباعها من سكان نجد ، ومثل هذه الحركة إذا انطلقت اكتسحت ما امامها بفضل التعصب للفكرة » .

وكان هذا سنة ١٩١٨ عندما كان ابن سعود محدودا ، ولم يكن له شأن بارز في السياسة العربية في تلك الفترة ، وعندما دان له الحجاز صار اعظم ملوك العرب والمسلمين ، وجيشه اقوى جيش عربي مسلم .

وإذا كان ييل قد فطن لقوة ابن سعود وهي لم تأخذ بعد امتدادها الحيوي فإن انضمام الحجاز إليه جعل ابن سعود ذا شأن خطير في السياسة العربية .

وما كان هذا الخطر بغائب عن دهاقنة السياسة البريطانية ، فهم قد رأوا استرداد ابن سعود ملك آبائه واجداده بأربعين رجلا فتح بهم الرياض واستولى عليها سنة ١٣١٩ (١٩٠٢ م) ثم قضى على آل الرشيد وصار الحاكم المطلق ، كما حرر الاحساء من الترك واستولى عليها ، كما انه سيطر على عسير ، واخيرا دان له الحجاز كله في سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) .

وهذا التوسع اعطى ابن سعود مزيدا من القوة ، وليس ذلك في مصلحة بريطانيا التي صممت على اقامة دولة يهودية في فلسطين .

وما كان الانجليز ليرضوا عن قوة ابن سعود ، إذ لو ترك وشأنه لكان في وسعه انشاء امبراطورية عربية ضخمة ، فقد بهر كثيرا من زعماء العرب في السياسة والحكم والدين بقوته وشخصيته وخلائقه ، وكانوا يودون ان تتاح له الفرصة ليوحد شعوب الامة العربية .

أما وابن سعود قد اصبح يحكم اكبر مساحة في الجزيرة العربية فإن على بريطانيا ان تحد من مطامحه ، وان تحاصره بقوى معادية تشغله من جميع جهات مملكته .

وإذا كان في جنوب مملكة ابن سعود الامام يحيى عاهل اليمن على غير وفاق

---

(١) وليم ييل : امريكي كان يمثل شركات البترول الامريكية ، ثم في يونيو سنة ١٩١٨ ارسلته وزارة الخارجية الامريكية الى القاهرة ليلتحق بجيش اللنبي ، وكان يعمل في قلم الاستخبارات ، ودخل مع اللنبي الى فلسطين ، وكتب تقارير هامة لوزارة الخارجية الامريكية ، وكان أكثرها ضد اليهود .

معه ، ويتوجس خيفة من قوته الرهيبة فإن الانجليز والفرنسيين يحيطون به من كل جانب ، فجنوب الجزيرة (عدن وحضرموت) وشرقها الكويت ومسقط وعمان وامارات الخليج والعراق ، وفي الشمال فلسطين والاردن تحت نفوذ البريطانيين ، وسوريا ولبنان تحت نفوذ الفرنسيين .

ومعنى هذا ان ابن سعود محاصر في منطقته ـ وان كانت شاسعة ـ ولا يجد سبيلا للانطلاق بسبب هذه المحاصرة التي ارادها الانجليز عن عمد ، فصنعت سياستهم حاجزا حصينا من اقطار عربية لا يستطيع تخطيها للوصول إلى فلسطين .

وسياسة بريطانيا صنعت الحاجز الحصين الذي يقع تحت سيطرتها وسيطرة حليفتها فرنسا حتى لا يكون لابن سعود سبيل إلى فلسطين ، فبينه وبينها سوريا التي وقعت في حكم فرنسا ، والاردن الذي يحكمه الشريف عبد الله بن الحسين خصم ابن سعود ، وهو تحت النفوذ البريطاني ، والانجليز والفرنسيون مدركون ان كل جيوش حكام العرب المستقلين في الجزيرة لا قيمة لها ، وجيوش البلدان العربية المستعمرة ضعيفة وضئيلة العدد ، وتحت سيطرة الاستعمار .

ولم يبق إلا جيش ابن سعود ، وهو اقوى جيش عربي ، ويعد بمئات الآلوف ، وذوو عقيدة تحملهم على إيثار الموت على الحياة ، ولا يبالون الاخطار والمشاق ، بل يسعدهم الجهاد والموت في سبيل الله ، فهو وحده الخطر على فلسطين ، ولهذا اقيم الحاجز القوي الذي يفصل بين مملكة ابن سعود وفلسطين التي قرر اعطاؤها لليهود .

وليس من اليسير على ابن سعود ان يقاوم الاستعمار والصهيونية والشيوعية في فلسطين ، فهو حديث عهد بضم الحجاز الى رقعة حكمه الكبيرة ، وكل جيرانه من الجهات الاربع خصومه ، ويتربصون به الدوائر ، ويقعدون له في كل مرصد ، وأي تطلع منه إلى فلسطين سيقضي على حكمه ، لان قوى الاستعمار ستتفق مع قوى خصومه من جيرانه الحكام العرب .

وليس في وسعه ان ينطلق ، فالمعاهدة التي بينه وبين الانجليز تكبله وتقيد خطاه ، وإذا اراد ان ينطلق فلا بد ان يتحرر من قبضة تلك المعاهدة الجائرة .

وكان ابن سعود وابنه فيصل مدركين خطر هذه المعاهدة المعقودة سنة ١٩١٥ وإذا اراد العمل من اجل مستقبل بلادهما فلا بد من التحرر من قيودها قبل أي تفكير في الانطلاق الحر .

وكان فيصل ابرز سياسي في مملكة ابن سعود ، ورأى ان يطلب إلى الانجليز فتح باب المفاوضة بين مملكة ابن سعود وبينهم ، لان ظروف معاهدة العقير غير ظروف ابن سعود الحالية .

ووكل ابن سعود إلى ابنه فيصل الشؤون الخارجية قبل ان تكون لدى الحكومة السعودية وزارة خارجية ، فاتصل بالانجليز ، وطلب إليهم فتح باب البحث في امر معاهدة جديدة تحل محل معاهدة العقير القديمة التي لا يمكن ان تكون نافذة بعد ان اصبحت مملكة ابن سعود اكبر ممالك الجزيرة العربية ، ولم تعد هناك اسباب تجعل لتلك المعاهدة أي قيمة واقعية غير قيمتها التاريخية .

ولكن الانجليز لم يستجيبوا للطلب السعودي ، فـآثروا التريث والاناة اللذين لم يكونا إلا مطالا وتسويفا ، ورأوا انه ليس من مصلحتهم تحرر ابن سعود من ربقتهم ، فما دامت المعاهدة قائمة فابن سعود ملزم بها ، ولم تنص المعاهدة على اجل مسمى ينتهي فيه مفعولها ، فهي دائمة ومستمرة .

ولم يغب عن فيصل ما يدور بخلد السياسة البريطانية ، فعاود الاتصال ببريطانيا ، والح عليها ان تستجيب لطلب الحكومة السعودية ، ورأى الانجليز الفرصة سانحة لهم ليعطي ابن سعود بعض ما يطلب ، وتأخذ منه ما ترجو ، وكان ما ترجوه بريطانيا هو اخذ اعتراف صريح ومدون منه في معاهدة رسمية بالوجود الخاص لها في فلسطين فوافقت على الطلب ، وانتدبت السير جلبرت كلايتون ليمثل الجانب البريطاني في المفاوضة ، وكان قد تسلم منصب المسئول عن السياسة البريطانية في منطقة البحر الاحمر ومصر ، وفوضته في توقيع المعاهدة ، وكلايتون من اصدقاء الصهيونيين ، وما اختير إلا ليلعب لعبته ، وقد وصفه وايزمن في مذكراته بقوله : « ومن الانصاف ان اذكر انه كان لنا بين كبار رجال الجيش اصدقاء مخلصون ، أخص بالذكر منهم اللنبي وويدز وجلبرت كلايتون » .

وكان كل مقصد بريطانيا ان تظفر من ابن سعود بمعاهدة يعترف فيها بوجودها

في فلسطين ، لان اعترافه يضمن الهدوء والاستقرار فيها ، ويمنح بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين قوة يسعها ان تضعف قوى المعارضة العربية .

وجاء المفاوضون البريطانيون الى مملكة ابن سعود لعقد المعاهدة الجديدة ، واتخذوا اسلوبا لبقـا ظنوه جائزا على ابن سعود وفيصل ، وصاغوا مادة من مواد المعاهدة تنص على اعتراف ابن سعود بوجود بريطانيا الخاص أو المركز الخاص لها في فلسطين .

وادرك ابن سعود مقصد المفاوضين البريطانيين ، وابى ان يقبل المساومة على الحقوق ، وإذا كان البريطانيون قد انتزعوا منه حقا من حقوقه من بلاده وشعبه في معاهدة سنة ١٩١٥ لسبب من الاسباب فإن من الحق اعادة ما انتزع من الحق إلى صاحبه ، واما فلسطين فالشيء الذي يقبله فيها ان يكون الحق لصاحبه أيا كان ، فإذا كان مطلب بريطانيا من الوجود الخاص أو المركز الخاص في فلسطين حقا لها فهو يعترف به ، أما وذلك ليس بحق فمن المحال ان يعترف به ، ثم ان فلسطين خاصة بأهلها الشرعيين ، وإذا طلب إليه أمر يتصل بها فالشيء الوحيد الذي يعمله هو تأكيد الحق لهم ، لا العمل على نزعه منهم .

وهذا الموقف الصلب من ابن سعود ادى الى قطع المفاوضات ، وغادر الجانب البريطاني ارض المملكة السعودية ، وقبل مغادرته جدة حيث كانت المفاوضة تجري ذكر فيصل نائب الملك ومندوب والده للجانب البريطاني ان قطع المفاوضة بسبب هذا المطلب البريطاني الخاص بفلسطين يفضي إلى ما لا تود المملكة السعودية ان يقع بينها وبين بريطانيا ، ورجا الاعتصام بالذكاء والحكمة حتى تكون العلاقة بين الدولتين علاقة مودة وصفاء ، لان الخلاف ليس في مصلحتهما .

وبعد شهور عاد الوفد البريطاني برئاسة كلايتون الى جدة لتجديد البحث والمفاوضة ووصل ما انقطع منها ، وكان فيصل يمثل والده وبلاده ، واتخذ البريطانيون اسلوب الدهاء واللباقة رجاء ان يقع المفاوض السعودي في حبائلهم ، ولكنه فطن لهم دون ان يحرجهم بهذه الفطنة ، بل ساق الحجج والبراهين في اسلوب اكثر دهاء وحذقا منهم ، بحيث بدا وكأنه سهل يخفي وراء السهولة قوة المنطق والدليل .

ثم تطور البحث إلى نقاش بين فيصل من جهة ، وكلايتون ومن معه من جهة اخرى ، لان ما كان ملفوفا بثوب الدهاء قد شف عما وراءه فظهر المقصد البريطاني الذي يراد منه الحصول على اعتراف ابن سعود بالمركز الخاص البريطاني في فلسطين .

والذين يعرفون طبيعة فيصل وحكمته لا يستغربون منه التنزه عن الحدة في موضع لا تستحسن فيه ، ومع احتدام النقاش بين الجانبين كان فيصل متدرعا بالحكمة والزكانة والاناة التي تجبر الاخرين على قدره واحترامه .

والشيء الذي حسب لفيصل من مزاياه ان علمه بالحق التاريخي والحق الواقعي والحق الطبيعي كان اصح واوثق واغزر من علم المفاوض البريطاني ، فالفلسطينيون هم اصحاب فلسطين ، فهم لم يتركوها قط خلال عشرات القرون ومئاتها ، وبالرغم مما تعرضوا له من غزو الجبابرة والحروب الضارية فانهم لم يفارقوا ارضهم حتى اليوم ، اما اليهود فقد كانوا غرباء وافدين على فلسطين ، ولم تقم لهم دولة قط في جميعها ، بل قامت لهم دويلة في رقعة ضيقة ، ثم زالت بحيث لم تترك أي اثر حضاري ، ثم تشتتوا في اقطار الارض ، ورحل الآلاف منهم بطوعهم واختيارهم وحريتهم دون ان يطردهم احد ، فلو كانت فلسطين وطنهم حقا أو اعترفوا بها وطنا لهم لثبتوا به مثلما ثبت الفلسطينيون ، وهذا الثبات منذ آلاف السنين حتى اليوم هو الحق الواقعي ، وأما الحق التاريخي فإن الاسم المطلق على تلك الرقعة من الارض يثبت انها للفلسطينيين وحدهم ، أليس اسمها فلسطين ؟ بلى ، فهي لمن نسبت إليهم بنص توراة اليهود واسفارهم ومصادر التاريخ القديم ، وكلا هذين الحقين يثبت الحق الطبيعي .

وليس ليهود العصر الحاضر جنسية ولا قومية ولا وطن ، ولا يسع عاقلا ان يزعم ان يهود المانيا وروسيا أو بريطانيا أو امريكا فلسطينيون ، واين الدم اليهودي ؟ انه لا وجود له ، واقرب دليل على هذا ان يهود المانيا تختلف دماؤهم واشكالهم عن يهود اليمن ويهود افريقيا .

وتحدث فيصل حديثا عجبا راع سامعيه الذين يمثلون بريطانيا ، ورأوا ان من الاسلم لهم ألا يفتحوا باب البحث والمناقشة اكثر من الحد الذي فتح ، فاغلقوه

هم انفسهم ، ورأوا حذف ما يتصل بفلسطين من جدول العمل لئلا يورطوا انفسهم في الارتباط بمعاهدة تنص مادة منها على ما ذكره فيصل ، فتركوا البحث في ذلك واتجهوا إلى المعاهدة التي يراد بحث غايتها ومحتواها .

واظهرت هذه المفاوضة براعة فيصل وعبقريته السياسية ، كما اظهرت علمه الواسع بالتاريخ القديم والحديث ، واستطاع ان يقضي على معاهدة العقير ويمحوها ويستبدل بها معاهدة جديدة نصت مادتها الاولى على ان « يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لممالك حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها » ونصت المادة التاسعة على أن « تعتبر المعاهدة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ديسمبر سنة ١٩١٥ يوم كان جلالته حاكما على نجد وما كان ملحقا بها إذ ذاك ملغاة ابتداء من تاريخ ابرام هذه المعاهدة » ونصت المادة الثامنة على ان مدة العمل بها سبع سنوات .

وموقف ابن سعود هذا او موقف فيصل ابنه ونائبه في الحجاز ومندوبه المفوض عنه اول موقف رسمي يقفه ابن سعود من القضية الفلسطينية ، ثم بعده اخذت مواقفه تتعدد وتعظم حتى انتقل بها من النطاق الاقليمي إلى النطاق الاسلامي ثم العالمي .

عُدوان اليهود على المسجد الأقصى والمصلّين فيه

عندما أنهى ابن سعود معاهدة العقير التي كبلته وجعلته تحت الحماية البريطانية بمعاهدة جدة التي حرر بها نفسه وبلاده من تلك الحماية اصبح اكبر حاكم عربي مستقل يحكم مساحة جد كبيرة من جزيرة العرب ، وتحد مملكته كل أقطار الجزيرة من الشمال والجنوب والشرق والغرب ، وسيطر على الخليج من الشرق والبحر الاحمر من الغرب .

ودان له العالم العربي كله ادبيا لانه اكبر العرب طرا ، إذ جمع في شخصيته الفذة اكبر مزاياهم ، ولانه اكبر الحكام العرب بشخصيته واتساع رقعة مملكته ، كما دان له المسلمون في مشارق الارض ومغاربها لاسباب ، منها : انه خادم الحرمين الشريفين اللذين يقع فيهما وفي المدينتين المقدستين مكة والمدينة حرسهما الله اعظم مقدسات الاسلام وبهما كل مناسك الحج والعمرة .

دان له المسلمون روحيا حتى ان كثيرا من زعمائهم واقطاب مفكريهم رأوه امير المؤمنين وخليفة المسلمين ، ولم يكن ابن سعود طامعا في الخلافة الاسلامية مع أنه اهل لها دون منافس أومنازع ، وإنما أراد الابتعاد عن الوقوع في خصومات جديدة مع ملوك يطمعون فيها دون ان يكونوا أهلا لها .

وكان أهل فلسطين وزعماؤهم ينظرون إليه على اعتبار انه عاهل العرب الاكبر وسيد المسلمين ، ولذلك كانوا يعولون على جهوده ، وكان عند حسن ظنهم .

وكان ابن سعود بعد معاهدة جدة يتتبع احداث فلسطين ، وبلغه ان اليهود

القوا قنابل على المصلين بالمسجد الاقصى وهم يؤدون فريضة الجمعة في شهر جمادي الاولى سنة ١٣٤٨ (اكتوبر ١٩٢٩) وقتل عدد من المصلين .

وغضب ابن سعود لهذا العدوان الآثم على بيت من بيوت الله وعلى أبرياء كانوا يؤدون الفريضة ، وارسل الى ملك بريطانيا كتابا يستنكر فيه هذا الحادث الاليم ، ويعرب له عن الاثر السيء الذي تركه في نفسه ونفس شعبه ، ويناشده المحافظة على الدين ، وحماية المصلين ، ومعاقبة الآثمين ، والحيلولة دون تكرار هذا الحادث ، واجابه ملك بريطانيا في ١٠ ديسمبر ١٩٢٩ (السبت ٨ رجب ١٣٤٨ هـ) جوابا يؤكد له فيه اهتمام حكومته للامر ، وينفي له وقوع الاعتداء على المسجد الاقصى والمصلين فيه .

وارسل ابن سعود للجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بالقاهرة وللمجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين برقية هذا نصها :

« بلغنا الآن ما كان من اعتداء نفر من اليهود في المسجد الاقصى على المسلمين في يوم جمعتهم ، وقتل عدد منهم ، وقد كانت هذه الفاجعة مدعاة للالم العظيم والكدر الشديد في قلوبنا ، وانا وسائر من في الجزيرة من العرب والمسلمين لنشارك سكان المسجد الاقصى ومن حوله فيما اصابهم من هذا العمل المنكر الذي وقع عليهم فى صلاتهم بمسجد المسلمين المقدس ، واننا لواثقون بأن الحكومة البريطانية بما نعهده فيها من تقاليدها ستعامل باقصى أنواع الشدة أولئك الاثمة ، لا سيما أولئك الذين اقترفوا ذلك الاثم المبين ، وانا في هذا الموقف الذي امتلأت فيه النفوس ألما وكدرا نقدم للعرب والمسلمين عامة تعزيتنا بمن فقد في ذلك المسجد المقدس من المصلين » .

ولم يقف ابن سعود جهوده على الاحتجاج والاستنكار ، ولم يقنع بما كتب للملك الانجليز ، بل تجاوز ذلك الى الاتصال بالحكومة البريطانية وبادارتها المسئولة في فلسطين ، ولما لم يجد من بريطانيا غير النفي بالقول والتهرب والادعاء بأن ما بلغه من عدوان اليهود على المسجد الاقصى والمصلين فيه من المسلمين لم يقع ، وان بريطانيا لن ترضى بوقوع أي عدوان من هذا النوع أو غيره ، وستحكم العدالة في كل حادثة بين العرب واليهود .

وانكار الواقع من الحكومة البريطانية والمسئولين البريطانيين في فلسطين ليس برهانا على الظلم وعلى التواطؤ مع اليهود وحسب ، بل هو الدليل على ان الحكومة البريطانية لم تبذل كل محاولتها لتكون صاحبة الانتداب على فلسطين إلا لتفتح كل الابواب امام اليهود وتغلقها في وجه العرب ، وتنتزع الحق العربي المحض انتزاعا وتقدمه لقمة سهلة سائغة للافعى اليهودية .

وأراد الانجليز ارضاء ابن سعود فبعثت لجنة تحقيق مكونة من اعضاء البرلمان البريطاني لحادث المسجد الاقصى ولما سبقه من حوادث كحادث المبكى (البراق) ووصلت اللجنة برئاسة المستر والترشو إلى القدس في يوم **٢٣** سبتمبر سنة **١٩٢٩** وقامت بتحقيق واسع بعد ان زارت المدن الفلسطينية ، وانتهت إلى تأييد العرب ونقد السياسة البريطانية .

وكانت الادارة البريطانية والصهيونية ترغبان في القاء مسئولية الحوادث والاضطرابات الدموية التي حدثت على مفتي فلسطين الحاج محمد امين الحسيني واللجنة التنفيذية العربية ، وبذلت جهودها لادانتهما ، إلا أن اللجنة رأت أنه لا دخل لهما ، ولا يتحملان أي تبعة فيما حدث .

وكانت قرارات اللجنة بالاجماع إلا ان عضوا واحدا شذ وهو مندوب حزب العمال المستر سنل الذي كان متعصبا لليهود أشد من تعصبهم لانفسهم ، وسبب ذلك ـ كما جاء في الموسوعة الفلسطينية المسماة « الارض المقدسة » الجزء الخامس والعشرين ، صفحة ٥٨٠ ـ : « أنه قبض كمية من الاموال اليهودية قبل مغادرته ارض وطنه ، وحاول كثيرا اقناع زملائه اعضاء اللجنة بتأييده في مساعدة اليهود ، فلم يجد له نصيرا من بينهم ، وانتهى الامر باللجنة ان رفضت آراء أحد زملائها المتعصبة المتحزبة ، وقررت قرارا اجماعيا ـ عدا واحدا ـ في نسب جميع قلاقل فلسطين الى طمع الصهيونيين في تهويد الارض المقدسة » .

وجاء في تقرير لجنة شو :

« لم تقم بينة ما على ان المفتي أو اللجنة التنفيذية العربية في فلسطين تعمدت هذه الاضطرابات أو نظمتها قبل وقوعها كما زعم بعضهم ، وما كان الاضطراب ضد السلطة البريطانية ، ولا قصد به كذلك » .

و « وترى اللجنة ان الحكومة البريطانية افرطت في تخفيض الحامية في فلسطين وشرقي الاردن ، وعندها ان العلة الاساسية في حوادث الاضطرابات عداوة العرب لليهود بسبب خيبة امل العرب وعدم تحقيق امانيهم السياسية والقومية ، وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي » .

وكان قرار اللجنة ردا بليغا على منشور المندوب السامي البريطاني في فلسطين السيرجون تشانسلور الذي كان غائبا عن فلسطين في اجازة له ، فلما حدثت الفتن قطع اجازته وعاد إليها ، واصدر « منشورا » ظالما في يوم اول سبتمبر سنة **١٩٢٩** جاء فيه ما نصه :

« عدت فوجدت البلاد في حالة اضطراب وفريسة لاعمال عنف غير مشروعة ، وهو امر احزنني جدا ، وقد استفظعت ما علمت ـ من اعمال القسوة التي اقترفتها جماعات من السفاحين الظمـآنين إلى الدم ، والاشرار الذين ارتكبوا جنايات قتل وحشية ضد اشخاص آمنين من السكان اليهود على اختلاف اعمارهم ، وقد اقترنت تلك الجنايات كما في الخليل بأعمال همجية كحرق المزارع والمنازل في المدن والريف مع سلب الممتلكات وتخريبها ، وهذه الجنايات جلبت على مقترفيها سخط جميع الشعوب المتمدنة في العالم .

ان اول واجباتي هي اعادة النظام الى البلاد ، وانزال العقاب بالذين ثبتت عليهم تهمة ارتكاب اعمال العنف ، وستتخذ جميع التدابير اللازمة للوصول الى هذه الغاية ، واني اطلب من جميع سكان فلسطين مساعدتي على تأدية هذه الواجبات » .

ومنشور المندوب السامي يثبت ثبوتا قاطعا تحيزه مع اليهود ، فقد ثبت ان اليهود هم المعتدون ، وانهم هم الذين مثلوا بالعرب بعد قتلهم واعتدائهم عليهم ، فقد ألفت الحكومة البريطانية لجنة ثلاثية قوامها : ثلاثة اطباء من الانجليز ، وثلاثة اطباء من العرب ، وثلاثة اطباء يهود ، وفحصوا جثث قتلى العرب وقتلى اليهود ، ففي الخليل اخرجت اللجنة في يوم ١٢ سبتمبر **١٩٢٩** جثث اربعة وعشرين يهوديا من قبورهم ، وفحصتها فلم تجد بها أي اثر للتمثيل ، وكتبت تقريرا بذلك ، وصدر بيان حكومة فلسطين ينفي تهمة التمثيل عن العرب ، ويثبتها على اليهود ،

لان تقريرا من تقارير اللجنة الطبية الثلاثية اثبت ان اليهود في تل أبيب قتلوا اسرة عربية مسلمة في ثكنة أبي كبير ، ومثلوا بكل افرادها ، فقد قتلوا رب الاسرة ـ وكان صديقهم ـ ثم بقروا بطنه بمذراة الحصاد ، كما حطموا رأس ابن اخيه وزوجه وابنه وله من العمر ثلاث سنين .

وتكرر عدوان اليهود على المساجد حين ازدحامها بالمصلين ، فكانوا ينتهزون فرصة استغراقهم في الصلاة فيشنون عليهم غارة اجرامية ، ويمضي فريق من اليهود الى البيوت المسلمة الآمنة يقتلون النساء والاطفال .

ويقع كل ذلك تحت سمع حكومة الانتداب وبصرها وسمع العالم وبصره ، فلا يلام غير العرب المعتدى عليهم ، ويكونون موضع النقمة من الحكومة البريطانية ، اما اليهود المعتدون القتلة الغادرون فتحميهم الحكومة ، وتزودهم بالسلاح ، وتجرد العرب منه ، حتى لا يكون هناك تكافؤ بين الفريقين ، وحتى يستطيع اليهود الانتصار على العرب في كل المعارك والميادين .

وهذا هو نفسه الذي يقع اليوم ، فامريكا وروسيا ودول اخرى غربية وشرقية تزود اليهود بالمال والسلاح والرجال وتعطيهم اسلحة الهجوم ليستطيعوا ضرب العرب في اقطارهم ودولهم .

ورأى ابن سعود ان ما يعمله اليهود اجرام محض ، وسياسة حكومة الانتداب سياسة ظالمة ، تحابي اليهود ، وتجافي العرب ، فرأى الاتصال بحكومة لندن رجاء ان تمنع حكومة فلسطين من الظلم والعدوان على العرب في ارضهم .

الحلّ في نظر ابن سعود

الواقع ان قضية فلسطين مرت بظروف غاية في الصعوبة ، فالحكومة البريطانية مهدت لتمكين اليهود في الارض العربية بشتى ضروب التمكين ، فتقاسمت مع حليفتها فرنسا سوريا ولبنان وفلسطين والاردن والعراق ، وكان الاستعمار الفرنسي والانجليزي يقبض بيد الارهاب على اطراف الجزيرة العربية ومصر والسودان والصومال واقطار كثيرة في افريقيا وآسيا .

ولم يكن للعرب والمسلمين قوة ودولة إلا ما لا يستطيع ان يقف في وجه الاستعمار الغاشم ، وكان لليهود نفوذ وسلطان على الاستعمار الموالي لهم ، ولم يكن للعرب غير ابن سعود ، ولكنه كان مفصولا عن فلسطين بحاجز حصين اقامه الانجليز وقووه وحموه بجيوشهم حتى يحولوا بين ابن سعود وفلسطين ومع هذا لم يقف ابن سعود عن بذل جهوده ، والوقوف مع الفلسطينيين ومع كل حركات التحرر العربي والإسلامي .

ولم تثمر جهود ابن سعود الثمر المنشود ، لا لأنها ضعيفة أو ضئيلة ، بل لانه وحده في الميدان فحكام العرب في سوريا ولبنان والاردن وفلسطين والعراق كانوا خاضعين للاستعمار فلا حول لهم ولا قوة وكانوا متفرقين ، ولاجل ذلك كله كان ابن سعود وحده في الميدان مع الفلسطينيين .

وعلى مر الايام والشهور والسنوات كان ابن سعود مع حوادث فلسطين ، يتابعها باهتمام ويبذل جهوده الخاصة وجهود حكومته وشعبه في سبيل تأييد

قضيتها ، ويقف معها بكل ما يملك .

وخير ما يعبر عن عمله الدائب من اجل قضية فلسطين ان تنشر بعض مكاتبات ابن سعود ومفاوضاته ورسائله الرسمية منذ تطور القضية حتى انتقل إلى رحمة الله ، والشيء الذي يجب ان يذكر في تاريخ ابن سعود انه نقل قضية فلسطين من نطاقها المحلي والعربي الى النطاق الإسلامي ثم إلى النطاق العالمي .

وخطب ابن سعود التي كان يلقيها في كل موسم حج على وفود بيت الله الحرام وفيهم مئات المفكرين والكتاب والزعماء والرؤساء زاخرة بذكر فلسطين ، ولم يقتصر في توجيه كلامه على هؤلاء الخاصة ، بل كان يشرك العامة في تبصيرهم بهذه القضية حتى يكونوا على علم بها .

وكان تحيز بريطانيا لليهود واضحا ضد العرب ، وكانت تضرب العرب في الصميم وتمكن اليهود ، وتسهل لهم الهجرة حتى يتملكوا ، ونقلت إليهم ملكية الاراضي الحكومية والعامة ، وكانت الصهيونية تسوق تلال الاموال لتمهيد قيام دولة اسرائيل .

ولا شك ان الحكومة البريطانية نفسها كانت واقعة تحت النفوذ الصهيوني ، وتشرشل ـ حينما كان رئيسا للحكومة ـ كان يصف نفسه بأنه صهيوني ، وإذا كان بين الوزراء الانجليز من يتصف بالانصاف مثل اللورد لويد أو يتصف بالشجاعة مثل اللورد موين فقد ناوأهما تشرشل ، وكف ايديهما عن قضية فلسطين .

واذا كان هناك أفراد من المسئولين البريطانيين معروفين بالانسانية وساءهم ظلم العرب فإن الحكومة البريطانية لم تكن راغبة في الانصاف ، بل كان كل عزمها ان تعمل على تحقيق وعد بلفور مع التمكين لليهودية والصهيونية ان تمهد لليوم الموعود لاقامة دولة اسرائيل .

ولم تتسلم الحكومة البريطانية ادارة فلسطين ، وتساعد على استعمار سوريا من قبل فرنسا ، وتبسط نفوذها على الاردن حتى يكون مكفوف اليد إلا لتضرب العرب وتمكن اليهود ، وبفضل جهودها قامت دولة اسرائيل .

وعندما اندلعت نيران الثورة الفلسطينية سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) اتخذت

بريطانيا اعنف ما يتخذ لقمع الثورات ، واشترك معها اليهود لتكون الضربة الموجهة الى الثورة وإلى الفلسطينيين عامة بالغة الضراوة والعنف .

ولما كانت الحكومة البريطانية مصممة على التمكين لليهود بكل وسائلها ، وضرب الثورة والفلسطينيين بكل قوتها فقد نقلت في سنة **١٩٣٦** قوات كبيرة وضخمة من مصر ومالطة ، واعطي افرادها وافراد الحامية البريطانية سلطات واسعة للضرب والتنكيل ، واخذت الادارة البريطانية تعتقل السكان دون تفريق ، وتعرضت للاسر والطلاب ، واقامت محاكم عسكرية لمحاكمة العرب الابرياء ، واعفت اليهود من دخولها ، لانهم محميون منها ، واخذت هذه المحاكم تصدر الاحكام جزافا وقاسية وجائرة وشديدة البطش ضد العرب وحدهم ، مع ان اليهود هم المعتدون .

ومع كل ما اتخذت بريطانيا من الظلم والارهاب والجبروت لم تستطع ان تقتل في نفس الشعب الفلسطيني روح الحمية والوطنية والاستعداد للتضحية ، بل ازدادت الثورة ضراما ، وسخت في البذل والتضحية .

ورأى ابن سعود أن يمد يده إليها ، فاصدر امره في **١٥** ربيع الاول سنة **١٣٥٥** (**٥** يونيو **١٩٣٦**) برقيا على وزارتي خارجيته وماليته بارسال مساعدة عاجلة إلى منكوبي فلسطين ، وأن تكون المساعدات من الارزاق والمؤن والنقد ، وأمر في **٢٥** ربيع الاول **١٩٥٥** (**١٥** يونيو **١٩٣٦**) بتحويل العون المادي إلى المنكوبين أيضا ، وكانت مساعداته تصل إليهم دراكا ، ولم تنقطع حتى اليوم .

واستنجد زعماء فلسطين بابن سعود ، وطلبوا إليه مساعدته وبذل جهوده في نصرتهم ، ورفع الظلم عنهم ، وذكر الحاج محمد امين الحسيني في رسالة منه إليه ان الانجليز يحمون اليهود وينصرونهم ، وان هؤلاء اليهود سيكونون اكبر خطر على العرب والمسلمين إذا لم يقض على حركتهم ، وإذا لم يقف العرب وحكامهم من الآن فإن الصهيونية ستحقق حلمها في تأسيس الدولة اليهودية ، وعندئذ لن يستطيع العرب مقاومتهم ، لان العالم سينصر باطلهم على حق العرب .

وتدخل ابن سعود رسميا ، فأبرق الى المفوضية العربية السعودية بلندن في صفر **١٣٥٥** هـ (اواخر ابريل **١٩٣٦**) ليتصل بالحكومة البريطانية ، وينقل إليها تأثره

البالغ مما يقع بفلسطين من الاحداث الخطيرة ضد الحق العربي الواضح ، وطلب منها الاسراع بتدارك الموقف مما يضمن للعرب حقوقهم .

فاجابته الحكومة البريطانية في ٣ يوليو ١٩٣٦ (١٤ ربيع الآخر ١٣٥٥) بأنها توافق على توسط ملوك العرب ، وان يقوم جلالته بالاتصال بالعراق واليمن والاردن لنصح الفلسطينيين حتى يخلدوا الى الهدوء .

فرأى ابن سعود ان يطلب الى الانجليز بعض المطالب ، فابرق الى المفوضية السعودية في يوم ١٩ ربيع الآخر ١٣٥٥ هـ (٨ يوليو ١٩٣٦) لتبلغ الحكومة البريطانية أنه يرى اطلاق سراح المعتقلين والمحكوم عليهم ، ووقف الهجرة تمهيدا للوساطة .

وابرق الى ملك العراق وامام اليمن وامير شرقي الاردن مقترحا توحيد الجهود والكلمة في الاتصال بالحكومة البريطانية بشأن ما يحدث بفلسطين ضد العرب ، ووقف الصدام المسلح بينهما ، والعمل ـ وهم متحدون ـ على ايجاد حل لذلك الصدام .

واتفق الملوك الاربعة على ان وساطتهم بين الحكومة البريطانية واهل فلسطين يجب ان يسبقها ما يثبت لهم ان هذه الوساطة مثمرة ، وما يبعث فيهم الامل والطمأنينة والثقة فرأوا ـ ما سبق لابن سعود ان رآه وطلبه ـ أن يصدر عفو عام عن المعتقلين والمحكوم عليهم ، ووقف الهجرة ، وبعد ذلك يتصلون بالفلسطينيين .

ووافق الانجليز على مطالب الملوك الاربعة ، واما الهجرة فلم توافق الحكومة البريطانية على وقفها ، بل وافقوا ـ بعد الحاح الملوك والاخذ والرد ـ على تخفيض الهجرة الرسمية ، فقد وافقت على تخفيضها من ٤٥٠٠ الى ١٨٥٠ مهاجر يهودي ، وان كان باب الهجرة غير الرسمية مفتوحا يدخل منه آلاف اليهود القادمين الى فلسطين .

وفي شهر ابريل ١٩٣٦ كان عدد من دخلوا فلسطين بقانون الهجرة الرسمية ٤٥٠٠ فلما توسط الملوك الاربعة هبط عددهم الى ١٨٥٠ .

ولم تكن ثورة فلسطين العربية على اليهود ، بل كانت على الحكم البريطاني ،

واعلنت كل فلسطين العصيان السلمي المدني والاضراب العام الشامل ، ولم يشهد العالم العربي قط مثل هذه الثورة السلمية الى يومنا هذا ، ولم ينثن عزم الفلسطينيين ، وما كان الانجليز يظنون ان الفلسطينيين يستطيعون الصبر على الاضراب مدة طويلة ، ولكنهم صبروا واستمروا ، ومضى الاسبوع يتبعه آخر حتى بلغ خمسة وعشرين اسبوعا تعطلت فيه الاعمال والمصالح والادارة البريطانية .

وارسل ابن سعود برقية الى اهل فلسطين بوساطة اللجنة العربية العليا في يوم ٢٢ رجب ١٣٥٥ (٨ اكتوبر ١٩٣٦) هذا نصها :

« لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين ، ونحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والامير عبد الله ندعوكم للاخلاد الى السكينة وحقن الدماء معتمدين على حسن نيات صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المخلصة بتحقيق العدالة ، وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم » .

واستجاب اهل فلسطين لرغبة ابن سعود واخوته ملوك العرب الثلاثة ، فانهوا اضرابهم العام وعصيانهم السلمي ، وعادوا الى اعمالهم ، واجابوا الملوك بأنهم امتثلوا لما رغبوا فيه ، فبعث ابن سعود برقية بتاريخ ٢٨ رجب ١٣٥٥ (١٤ اكتوبر ١٩٣٦) الى اللجنة العربية ، وهذا نصها :

« سرنا اخلاد اخواننا عرب فلسطين للسكينة واقبالهم على مزاولة اعمالهم حقنا للدماء وحبا للاصلاح ، فنشكر لهم هذه العاطفة والشعور نحونا ، ولما ابدوا من حب السلام واظهار نياتهم الحسنة ، وفي الطريقة التي نتمنى ان تكون موصلة إلى الغاية المنشودة ، اما من جهتنا فكونوا واثقين من اننا لم ولن نقصر في السعي لمعاونة اخواننا في هذا السبيل ، وندعو الله ان يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح » .

وتلقاء اخلاد الفلسطينيين الى السلم وانهاء الاضراب قررت الحكومة البريطانية ايفاد لجنة ملكية بريطانية ـ وقد عرفت فيما بعد بلجنة اللورد بيل الذي رأسها ـ لدرس المشكلة من جميع جوانبها ، ووضع المقترحات التي تكفل حقوق العرب كما زعموا .

وفي ١٥ نوفمبر ١٩٣٦ (غرة رمضان ١٣٥٥) وصلت اللجنة وقامت باتصالات واسعة بالموظفين البريطانيين وباليهود ، ولم تستطع الاتصال بالعرب ، لانهم قاطعوا اللجنة ووقفوا منها موقفا سلبيا ، ثم استجابوا لنصح ملوك العرب واتصلوا باللجنة الملكية ، وفي يوم ٨ يوليو ١٩٣٧ (٢٨ ربيع الآخر ١٣٥٦) نشر تقرير اللجنة الذي ذهب إلى تقسيم فلسطين على النحو التالي :

القسم الاول - يضم الاماكن المقدسة ، ويبقى تحت الانتداب البريطاني .

والقسم الثاني - وهو يخص اليهود ، ويباح له انشاء دولة يهودية تحت الانتداب البريطاني .

والقسم الثالث - ويبقى لعرب فلسطين .

وعملت خرائط للتقسيم توضح منطقة كل قسم وحدوده .

وما كاد التقرير ينشر حتى ضج العالم العربي بالسخط والاستنكار ، وتبعه العالم الإسلامي ، واما اهل فلسطين فقد رأوا في التقسيم كارثة لن يرضوا بأن تنزل عليهم ، وسيدفعونها بكل ما وهب لهم الله من قدرة وقوة .

ولما كان الملوك العرب وعلى رأسهم الملك عبد العزيز بن سعود هم الذين قاموا بالوساطة ، وطلبوا الى الفلسطينيين انهاء الاضراب فهم مسئولون ادبيا عن الغدر البريطاني ، فابرقوا الى الملوك الوسطاء ، فرد ابن سعود على اللجنة العربية العليا بفلسطين ببرقية ختمها بقوله :

« وان قضية عرب فلسطين كانت ولا تزال موضع اهتمامنا الشديد ، وتعلمون اننا ما ادخرنا ولا ندخر وسعا في سبيل حلها بطريقة تحقق العدل والانصاف ان شاء الله » .

وطبيعي ألا يرضى ابن سعود بمشروع التقسيم ، وطبيعي ان يؤيد أهل فلسطين في رفضه ، واليهود انفسهم رفضوه ايضا ، لانه لم يحقق كل آمالهم ، ووجهت اعتراضات كثيرة الى تقرير لجنة اللورد بيل ، فرأت الحكومة البريطانية تأليف لجنة اخرى تكون اكثر ارضاء لها ولليهود وان لم تذكر ذلك في سبب التأليف .

وتألفت اللجنة ووضعت قرارا جديدا اوصى برفض التقسيم الذي قررته لجنة اللورد بيل ، وحوى مشروعات جديدة لم ترض عنها الحكومة البريطانية ، ونشر قرار هذه اللجنة بتاريخ ٨ اكتوبر ١٩٣٨ (١٣ شعبان ١٣٥٧) .

ورأت الحكومة البريطانية عقد مؤتمر في لندن تحت اشرافها ومشاركتها يضم العرب واليهود ، واشتركت فيه مصر والمملكة العربية السعودية والعراق واليمن والاردن وزعماء فلسطين .

ويظهر من كل هذه اللجان والمؤتمرات ان الحكومة البريطانية تريد من ذلك أن « تميع » القضية الفلسطينية ، وكان في حسابها ان تحكم على العرب وتدينهم ، وألا تنصفهم ، وان تخذلهم ، ولم يفت زعماء فلسطين هذا الميل المكشوف من بريطانيا الى اليهود ، كما لم يفتهم انها لن تنصفهم ولو نزلوا عن كل فلسطين ، لان المطامع الصهيونية اكبر من ان تقتنع بفلسطين كلها .

ولم يكن عبد العزيز بن سعود يرضى بالاعتراف بقيام دولة يهودية في ارض عربية ، ولما كنا نكتب هذا الفصل في تبيان موقفه من القضية الفلسطينية فاننا نشير الى ان وفدا قوامه : الاساتذة كامل القصاب ، وعوني عبد الهادي وعزة دروزة ، ومعين الماضي مبعوثا من اللجنة العربية العليا بفلسطين إلى ابن سعود ، ووصل الى الرياض في ١٥ شوال ١٣٥٥ (٢٩ ديسمبر ١٩٣٧) وقابل ابن سعود وعرض عليه ما جد بالقضية وما يطلبه اليه اهل فلسطين ، وبعد ان بحث معهم اسلمهم كتابا منه الى اللجنة العربية ، وهذا نصه :

« وبعد ، فقد وصل الينا وفد اللجنة العربية العليا ، وعرض علينا الموقف الحاضر في فلسطين والاسباب التي حملت لجنتكم على مقاطعة اللجنة الملكية .

« وبعد استماعنا لكل ما أبداه الوفد الكريم من مبررات لموقف لجنتكم ، وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في انصاف العرب فقد رأينا ان المصلحة تقتضي الاتصال باللجنة الملكية والادلاء إليها بمطالبكم العادلة ، لان ذلك اضمن لحقوقكم وادعى لمساعدة اصدقائكم في حسن الدفاع عنكم ، وقد ابدينا للوفد الكريم ما لدينا من الاراء في ذلك .

ونحب أن تكونوا على ثقة بأننا لا نألو جهدا في سبيل مساعدتكم لاصلاح الحال بقدر امكاننا ، وانا لنرجو من الله ان يوفقنا جميعا لما فيه الخير للاسلام والعرب . »
في ١٨ شوال سنة ١٣٥٥ « ١ كانون الثاني ١٩٣٧ » .

وتسلمت اللجنة العربية العليا كتابا من الملك غازي ملك العراق يتفق مضمونه مع كتاب ابن سعود ، فاصدرت بيانا في ٦ يناير « كانون الثاني » ١٩٣٧ « ٢٣ شوال ١٣٥٥ هـ » جاء فيه :

« ان اللجنة استمعت الى بيانات الوفد الذي عاد من رحلته ، واطلعت على كتابي صاحبي الجلالة ملك المملكة العربية السعودية وملك العراق فلم يسعها إلا أن تستجيب للطلب السامي فقررت الاتصال باللجنة الملكية ، وبسط القضية العربية لها » .

وبلغ من اهتمام ابن سعود بالقضية الفلسطينية ان ما بقى من سنة ١٣٥٥ وكل شهور سنة ١٣٥٦ انفقها في نشاط واسع على الصعيد الشعبي والدولي فقد امر الامير فيصل بن عبد العزيز نائب الملك بالحجاز بتأليف لجنة في كل مدينة وقرية ومقاطعة سعودية تسمى لجنة فلسطين ، مهمتها العمل على اسماع العالم العربي والإسلامي والعالم اجمع صوت الشعب السعودي ، وامداد الحركة الوطنية الفلسطينية بكل المعونة التي يقدمها الشعب السعودي ليشترك مع حكومته في مساندة الحركة .

وفي خلال سنتي ١٣٥٥ و ١٣٥٦ ارسل ابن سعود مذكرات ورسائل الى بريطانيا ، كما تعددت اجتماعاته بالمسئولين البريطانيين رجاء ان يصل مع الحكومة البريطانية الى حل لمشكلة فلسطين ، ومن هذه الاتصالات مذكرتان تكشفان عن بعض نشاطه الدؤوب ، ففي ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٥٥ (٣١ يناير ١٩٣٧) بعث مذكرة عن طريق وزارة الخارجية السعودية الى الحكومة البريطانية بوساطة مفوضيتها في جدة ، وهذا نصها :

« لسنا في حاجة الى ان نؤكد للحكومة البريطانية صداقتنا وسعينا في تقوية هذه الصداقة ، وان السياسة التقليدية التي سرنا عليها هي التي حملتنا على تبادل الرأي مع بريطانيا الصديقة في كل ما له صلة بالصالح العربي .

« ان كل ما نسعى اليه من قديم هو ان يسود السلام ، وتزداد الطمأنينة ، ويقوى التعاون بين العرب جميعا وبين الحكومة البريطانية التي اثبتت الحوادث صداقتها للشعب العربي وسعيها للأخذ بناصره ، والشعب العربي لم يشذ عن هذه القاعدة إلا في فلسطين ، لا لان بريطانيا لها رأي آخر في الشعب العربي ، بل لشذوذ في وضع فلسطين بسبب تكاثر العناصر الغريبة من اليهود وطغيانها على سكان بلاد العرب الاصليين .

« ان هناك قلقا من تكاثر اليهود في فلسطين ، لا في فلسطين وحدها بل في سائر البلاد العربية والإسلامية ، ولقد عانينا الشيء الكثير في الضغط على رعايانا كيلا يظهر منهم أي أمر يزيد تعقيد المشكلة ، وكثير مما عملناه لم نخبر الحكومة البريطانية به ، لعلمنا ان ذلك شيء تقضي به الصداقة .

« ولقد وردت إلينا كتب كثيرة تزيد في مخاوف المسلمين ، وهي أن اليهود ينوون احتلال المدينة وخيبر وهدم قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ونحن وان كنا نشك في صحة هذه النيات إلا ان ذلك يدل على مبلغ الدعايات التي يقوم بها اعداء بريطانيا ، ونشاطهم في كل مكان .

« وقد منعنا عقد المؤتمر الاسلامي في مكة خشية من ان تثار هذه القضية الخطيرة التي سيكون لها أسوأ الاثر في نفوس المسلمين والعرب على الاخص .

« ان قلق العرب والمسلمين اساسه هو تصريحات اليهود المتكررة من ان غرضهم هو انشاء مملكة يهودية في فلسطين ، وسيل الهجرة في السنوات الاخيرة جعل العرب والمسلمين يقلقون على مستقبل فلسطين كبلد عربي له قداسته الدينية ، فقد كان اليهود اقلية ضئيلة ، ثم صاروا اليوم الثلث تقريبا . وإذا ظل باب الهجرة مفتوحا فإنه ستصبح الاكثرية في فلسطين لليهود ، وتتحقق المخاوف التي تساور العرب في طردهم من بلادهم .

« ان بريطانيا العظمى تعلم ان بعض البلاد الاوروبية التي تفوق فلسطين في سعة الارض والتقدم الاجتماعي والاقتصادي قد ضاقت ذرعا باليهود ، فهل يلام اهل فلسطين ومجاوروهم من العرب إذا رأوا سيل اليهود يطغى على سكان البلاد ويهدد مستقبلهم ؟

« لا نرى من العدل ان نلوم بريطانيا على تصريحات صدرت من زعماء اليهود ، وبريطانيا قد برهنت في موقفها من العراق على ما هو معهود فيها من حب العدل والانصاف وما تنويه من الصداقة نحو الشعب العربي ، ولكن القلاقل والفتن المتكررة في فلسطين وما ساور الشعب من المخاوف هو الذي جعلنا كأحد اصدقاء بريطانيا القدماء نلفت نظرها الى هذا الامر .

« وقبل بسط توصياتنا نريد ان نحيط الحكومة البريطانية علما بأنه ما دفعنا الى التدخل في قضية فلسطين إلا صداقتنا لها ، وحرصنا على ايجاد جو من السلام والتعاون بين العرب جميعا وبين الحكومة البريطانية .

« ان حوادث الزمان ليس في مقدور احد ان يمنعها ، واعداء بريطانيا ناشطون في كل الاقطار العربية ، واننا لا نريد إذا ما حدث حادث في اوروبا إلا ان تعتمد بريطانيا على العرب جميعا ، وتأمن جانب اهل فلسطين على الاخص ، وإلا فإن اليهود انفسهم في خطر من جراء الدعايات التي يبثونها هم واعداء بريطانيا ، ونخشى ان تتجدد القلاقل والفتن مرة اخرى ، فالاعداء الذين لا يخفى امرهم على بريطانيا ينفثون سمومهم في فلسطين وغيرها من الاقطار الاسلامية والعربية .

« واننا نجمل فيما يلي الاقتراحات والتوصيات التي وعدنا بتقديمها ، والتي وعدت الحكومة البريطانية بالنظر إليها بعين الاعتبار :

« أولا - نقترح على الحكومة البريطانية اعلان عفو عام عن سائر الجرائم التي ارتكبت اثناء الاضراب والاضطرابات ، واطلاق سراح المسجونين ، وهذا ليس بكثير على حلم الحكومة البريطانية وسعة صدرها ، لان ذلك يساعد على ايجاد جو جديد من الثقة والطمأنينة يساعد على حل جميع المشاكل .

« ثانيا - مسألة الهجرة اليهودية ، ان هذه المسألة هي في الدرجة الاولى لدى اهل فلسطين ، بل لدى سائر العالم العربي والعالم الإسلامي ، وهي في الدرجة الاولى لدى كل من ينظر للقضايا القومية بعين العدل والانصاف فإن مكاثرة شعب آمن في وطنه وبلاده بشعب غريب اجنبي له مطامع قومية في وطنه مما لا يستطيع شعب في العالم ولا حكومة من حكومات الارض قبوله راضية به ، ولم يسبق له مثيل في تاريخ الشعوب والامم .

« واليهود كما ذكرنا قد ملأوا الدنيا بدعاياتهم وغاياتهم ، وان مقصدهم تشكيل حكومة يهودية في فلسطين ، ويضمرون مطامع وراء هذه تشغل بال العالم العربي والإسلامي في كل بلد وقطر .

« وحيث ان العدد الذي في فلسطين من اليهود قد اصبح عددا وافرا ، ولا بد قد تحقق للجنة الملكية هذا الامر ، فإذا رأت الحكومة البريطانية ان تعلن ايقاف هجرة اليهود فإن كل سماح بهجرة جديدة سيجدد المخاوف ويقضي على الطمأنينة التي سعينا لتثبيتها في قلوب من يثق بنا وبنصائحنا من عدل الحكومة البريطانية .

« وقد تحققنا من هذه المخاوف بصورة اكيدة مما وصلنا من الرسائل ومن المعلومات التي وصلت الينا من الذين درسوا القضية في فلسطين بكل انصاف واعتدال ، وان رأت الحكومة البريطانية ان توقف الهجرة مدة عشر سنوات على الاقل الى ان ترى الموقف فى المستقبل فلعل هذا يكون اقرب الى حل المشكلة من الجهات الاخرى .

« ثالثا - ان مسألة بيع الاراضي نقترح فيها ان تسن الحكومة نظاما لحماية الملكية الصغيرة كما فعل في مصر حتى تصون املاك الضعفاء الجهلاء من الضياع .

« رابعا - اما المسألة الرابعة والتي هي في نظر اهل فلسطين مهمة ، وهي شكل الحكومة فنرى ان تحل الحكومة البريطانية هذه القضية بينها وبين اهل فلسطين ، ونحن من جهتنا سنوصي اهل فلسطين بقدر امكاننا واقتدارنا بالتزام السكون التام والتفاهم مع الحكومة البريطانية على هذا الاساس الذي نعتقد أنه وان كان يهمهم فهو في الدرجة الثانية من الاهمية بنسبة الهجرة اليهودية .

هذا ولنا الامل العظيم في صديقتنا بريطانيا صديقة العرب جميعا ان تكون عند حسن ظن العرب بها فتحقق ما يتطلبه العدل لاهل فلسطين ، وتزيل ما ساور نفوسهم من الخوف على مستقبل بلادهم ومستقبلهم » .

وأما المذكرة الثانية فتاريخها شهر رجب ١٣٥٦ (سبتمبر ١٩٣٧) وقد ارسلها ابن سعود عن طريق وزارة خارجيته الى الحكومة البريطانية عن طريق مفوضيتها بجدة ، وهذا نصها :

« ١ ـ لسنا في حاجة لان نؤكد للحكومة البريطانية الصديقة رغبتنا الشديدة في ان نسير في السياسة العامة التي لها علاقة بمصالحنا المشتركة على خطة موحدة متفق عليها فيما بيننا ، وقد كانت هذه خطتنا التي سرنا وما نزال نسير عليها ، بالرغم من ان الحكومة البريطانية كانت تقف في اكثر الاحيان سلبيا من حيث عدم رغبتها في التقيد بسياسة معينة ثابتة يسار عليها في المستقبل ، غير ان الظروف الحاضرة الناشئة عن القلق الدولي والمخاوف من المستقبل المجهول تضطرنا الى مفاتحة صديقتنا بكل صراحة في موضوع من المواضيع الخطيرة سبق لنا معالجته معا بروح الاعتدال والمودة والصداقة .

٢ ـ ان الموضوع الخطير المشار اليه هو موضوع فلسطين ، وما يمكن ان يجر إليه من التطورات ذات الخطر الاكيد في مستقبل الشرق الادنى والبلاد العربية ، وقد تحققت للحكومة البريطانية من دون شك رغبتنا الاكيدة في المساعدة على معالجة هذه القضية بروح النصفة والاعتدال حين اشتداد الاضطرابات بفلسطين في العام الماضي ، وحين تحقيقات اللجنة الملكية ، وبعد ذلك إلى الآن وبنفس تلك الروح قد ابلغنا السر « ريدر بولارد » دهشتنا من تقرير اللجنة الملكية ، واعتبارنا له ضربة مؤلمة تصيبنا نحن خاصة ، فضلا عن اصابتها لاماني العرب والمسلمين في الصميم ، وقد ابلغناه ذلك قبل أن ينشر التقرير ويعلم الاثر البليغ الذي احدثه بين العرب في فلسطين وسائر الدول العربية ، فلما رأينا صدى الرأي العام في فلسطين والبلاد العربية وبالاخص في بلادنا لم نجد بدا من لفت نظر الحكومة البريطانية الصديقة الى الاخطار التي تنجم عن الخطأ في معالجتها ، والى الظروف المحيطة بها أو التي يمكن ان تؤثر فيها ، وبالتالي في علاقاتنا ، بل علاقات العرب اجمالا ببريطانيا .

٣ ـ لا يخفى أن هناك اسبابا جوهرية جدا تحملنا على الاهتمام بقضية فلسطين واستعمال كل ما في وسعنا من قوة لكي نوضح للحكومة البريطانية ما عندنا ، ونلح عليها لايجاد حل عادل دائم لها . وتلك الاسباب هي :

أولا ـ ان وعود بريطانيا للعرب بالاستقلال اعطيت في الاساس باسم الحجاز الذي هو الآن قسم مهم من مملكتنا .

ثانيا - ان عدم حل قضية فلسطين على وجه مقبول يؤدي الى ايجاد هوة سحيقة وبرزخ لا يمكن اجتيازه بين العرب وبريطانيا ، ولسنا في حاجة الى التوسع في ذكر الاخطار التي تنجم عن ذلك مما نسعى جهدنا لعدم حصوله ولتجنب وقوعه .

ثالثا - واخيرا ، المسؤولية الادبية العظمى التي اخذناها على عاتقنا بموافقة صديقتنا بريطانيا حينما اصدرنا بالاشتراك مع ملوك العرب وامرائهم البيانين اللذين كان لهما الاثر الفعال والمباشر في وقف الاضطرابات وتعاون العرب مع اللجنة الملكية .

٤ - اننا بالرغم مما مر ، وبالرغم من التشاور الواقع بين الحكومات العربية لتوحيد خطة العمل في معالجة قضية فلسطين لم نشأ ان نزيد في الصعوبات الكثيرة التي تواجهها الحكومة البريطانية بالاحتجاج على تقرير التقسيم أو باعلان استهجاننا له وعدم موافقتنا عليه ، وإنما اكتفينا بابداء ملاحظاتنا وبيان رأينا لها رأسا وفيما بيننا لوثوقنا انها تتلقى ما نوضحه لها بكل صراحة واخلاص ، وتعتبره دليلا قويا على وجود رغبة صادقة من جانبنا في اتباع خطة مشتركة من شأنها مواجهة الصعوبات وحلها على الوجه الموافق غير ان مضي الحكومة البريطانية في خطتها وبرغم ما ظهر لها من هياج الرأي العام وظهور بوادر الخطر في هذه القضية يجعلنا نتقدم ببياننا هذا ، راجين منها ان تحمله محمل الاخلاص للمصلحة المشتركة ، والرغبة في زيادة توثيق التعاون بيننا ، وتوحيد خطتنا نحو هدف واحد هو تأمين السلم واقراره بشكل دائم في هذا القسم من العالم .

٥ - اننا نرى بوادر الخطر ظاهرة في التحفز والاستعداد في فلسطين وشرقي الاردن نفسها وفي البلاد العربية المجاورة ، وقد تحقق لدينا ان العرب يعتبرون هذه القضية قضية موت أو حياة ، ونخشى أن ينقلب هذا النزاع - وليس من المستبعد ان ينقلب - الى نزاع عنصري بين العرب وبريطانيا ، وهذا امر يجب ان نبذل جهدنا للحيلولة دونه ، ولكن قوة الرأي العام ودافع الشعور يجعل الوقوف في سبيله - فضلا عن مساعدته - أمرا في حكم المستحيل ، وهذه احدى المشكلات التي علينا ان نواجهها إذا جد الجد .

٦ - فإذا امعنت الحكومة البريطانية في كل ما ذكرناه نعتقد انها ستعمل جهدها

على تغيير قرارها باجراء التقسيم ، لاننا نعتقد ان الحكومة البريطانية قد برت بوعدها بالنسبة لليهود ، بينما ان في التقسيم اجحافا كبيرا بحقوق العرب لا سيما اذا اخذنا بعين الاعتبار ان ما اطلق عليه « تبادل السكان » من المنطقة اليهودية إلى المنطقة العربية إنما هو في الحقيقة اجلاء للعرب لم يجر له مثيل من قبل ، لان المنطقة العربية ليس بها من اليهود عدد يذكر ، ووعد بلفور في أساسه لم ينص على اجلاء العرب من بلادهم ، بل بالعكس اوصى بعدم الاجحاف بحقوقهم . وسيكون من دواعي سرورنا ان نقترح عليها حلا عادلا يرضى به جميع من يهمهم الامر ، ويحل القضية حلا نهائيا دائميا ، على الاسس الاتية :

أولا ـ تأسيس حكومة دستورية في فلسطين يشترك بها سكان فلسطين الحاليون بنسبة عددهم في الوقت الحاضر على اسس يتفق عليها ، وتوضع ضمانات كافية لحماية الاماكن المقدسة ، والوصول إليها للجميع ، وكفالة حقوق الاقليات ، وتوزيع العدالة ، وضمان مصالح بريطانيا العظمى .

ثانيا ـ تحديد الهجرة اليهودية بنسبة ثابتة هي النسبة الحالية بين سكان فلسطين بحيث لا تجوز زيادتها عن ذلك مهما تقلبت الاحوال .

ثالثا ـ وضع تدابير معينة لانتقال الاراضي بشكل يضمن عدم تجريد العرب من اراضيهم .

٧ ـ اننا نأمل ان تلاقي ملاحظاتنا هذه قبولا عند الحكومة البريطانية الصديقة ، ونرجو ان توافينا بـآرائها في ذلك قبل استفحال الخطر ، وستجد منا دواما ذلك الصديق الذي يهمه ادامة حسن التفاهم وتثبيت الصداقة بين العرب وبريطانيا ، مستعدا لبذل ما في وسعه لإيجاد احسن الفرص والظروف لتفاهم دائمي وصداقة وطيدة » .

وكان ابن سعود ينتهز كل فرصة تسنح له للدفاع عن فلسطين ، والعمل على نصر قضيتها ، ففي مساء يوم السبت ١٣ ذي القعدة ١٣٥٦ (١٦ يناير ١٩٣٨) اجتمع اللورد بلهافين وستنتون بالملك عبد العزيز في « الشميسى[1] » وكان يصحبه

---

(١) الشميسى : محط بين مكة المكرمة حرسها الله وبين جدة ، وتبعد عن مكة تسعة عشر كيلو مترا .

الوزير المفوض البريطاني بجدة السير ريدر بولارد ، وقد دعاهما للعشاء ، وبعد تناوله اختلى ابن سعود بريدر بولارد ، وتحدث له عن قضية فلسطين في صراحة ووضوح ، وذكر له صداقته لبريطانيا ، وان هذه الصداقة قد تفسر من العرب ـ وبخاصة أهل فلسطين ـ تفسيرا لا يتناسب مع كرامته ، وان من مصلحة الطرفين ومصلحة الجميع ان تتفهم بريطانيا الوضع الصحيح للمنطقة العربية وقضية فلسطين ، ثم تناول الملك خطة الحكومة البريطانية في تقسيم فلسطين ، واقطاع اليهود جزءا منها ، ثم قال :

« لا شك ، ان بريطانيا قوية وقادرة على ان ترغم الناس بالعنف والقوة على الاذعان لرغبتها ، ولكن هل يأمن عاقل للحوادث المقبلة وما يمكن ان يسنح من فرص ؟ كلا ، لا شك ان قوة بريطانيا إذا استعملت تمكن أيا كان من القيام باعباء الحكم ولو كان امرأة ! ولكن ، هل من المصلحة ان تنصب بريطانيا اشخاصا على عروش وتنشئ حكومات لا تستطيع ان تقف بنفسها أو ان تؤمن حياتها إلا بمعونة الانجليز ؟ وما فائدة الانكليز من هؤلاء الاشخاص وتلك الاشكال ؟ .

ان مشروع تقسيم فلسطين يحسب بحق نكبة عظيمة على العرب والمسلمين ، ولكنه نكبة مهددة لبريطانيا ايضا ، فلا تغتر الحكومة الانكليزية ولا تسر على ضلال فإنه لا يوجد مسلم أو عربي يستطيع ان يقنع عرب فلسطين ـ فضلا عن العرب في سائر الاقطار ـ بالقبول بهذا ، ولو ادعى أي زعيم أو ملك أن في استطاعته ذلك فإن ادعاءه كاذب .

وأضرب لكم المثل بنفسي ، فأنا مهما كان لي نفوذ قوي ، ومهما بلغت صداقتي للانجليز فانني ـ إذا جد الجد ـ لا استطيع مقاومة تيار عواطف المسلمين والعرب القوية ، ولا اقدر ان اقف مع الانجليز في ذلك .

أما اليهود ـ فلو تركوهم والعرب ـ فإن امرهم يسهل ، ولكن المشكل هو ان العرب يشتبكون مع الانكليز من أجل اليهود ، وهؤلاء بقوتهم ومالهم لا يؤمن لهم ، فإذا اسسوا دولة كانوا بانفسهم خطرا على الانكليز ، وبما لهم من قوة ومداخلة يمكنهم ان يتفقوا في اية ساعة متى تقووا مع اعداء بريطانيا ، وقد يأتي وقت يجازف فيه العرب ويخاطرون ، فاما أن يقتلوا اليهود في غفلة من الانكليز ،

واما أن يضطر الانكليز للقضاء عليهم . وفي هذا من الضرر ما فيه على موقف بريطانيا في المستقبل .

انني مؤمن بوجوب صداقة العرب للبريطانيين ، ولكن من يستطيع ان يضمن استمرار هذه الصداقة مع بقاء هذا الجرح الدامي في جسم العرب ما دام الانكليز يجلبون اعداء العرب والمسلمين ليحلوهم في بلادهم ؟

قد يقال : ان العداوة بين المسلمين والنصارى كانت موجودة وما تزال ، ولكن حكم القرآن في النصارى هو خلاف حكمه في اليهود ، فعداوة النصارى سياسية ، وعداوة اليهود ضرورة دينية يجب على كل مسلم أن يؤمن بها ويعمل بمقتضاها .

ولذلك فإن مشروع التقسيم يجب ان يصرف النظر عنه بتاتا ، وأن يسار على خطة اخرى على اساس حفظ حقوق اليهود الموجودين بفلسطين ، وضمان مصالح بريطانيا ، والاعتراف بحقوق العرب » .

وبدا على وجه بولارد التأثر الحسن من اقوال ابن سعود ، وتفهمها واقتنع بوجهة نظره ، ووعده بنقل كل ما سمع منه واستوعبه الى الحكومة البريطانية ، وعندما يتلقى جوابها يحمله إليه وهو سعيد مسرور .

ليس في جسمي ذرّة لا تدعوني لقتال اليهود

كانت قضية فلسطين شغل ابن سعود الشاغل ، فلما كان بالقرعاء وصلته انباء مقلقة عن فلسطين ، فأرسل في ٣ صفر ١٣٥٧ (٥ أبريل ١٩٣٨ م) إلى ابنه فيصل بمكة المكرمة ـ حرسها الله ـ برقية مصحوبة بمذكرة مرسلة إلى الحكومة البريطانية ، ويأمره فيها ان يبعثها الى الوزير المفوض البريطاني بجدة ليرسلها الى حكومته ، كما امره ان يكتب هو نفسه كتابا باسمه الى الوزير يخبره فيه بأنه مأمور من الملك بأن يرسل المذكرة الى الحكومة البريطانية .

وها هي ذي المذكرة ـ وتاريخها ٣ صفر سنة ١٣٥٧ (٥ أبريل ١٩٣٨) ـ :

« سبق لجلالة الملك ان اوضح للحكومة البريطانية في عدة مناسبات باسم الصداقة التي بينه وبين الحكومة البريطانية ما يرى ويشعر به بشأن قضية فلسطين ، ورغم كل ما أوضحه لا يزال يرى ان الحالة في فلسطين تتحرج من سيء إلى اسوأ ، ومن جهة ثانية ما زال يرى اصرار الحكومة البريطانية على خطتها في انشاء دولة لليهود في فلسطين ، وبإيجاد حالة قد تجعل اليهود اكثرية فيها .

ان جلالة الملك ـ رغم كل ما يراه من هذه المؤثرات ـ لا يزال يشعر بأن الشعب البريطاني والحكومة البريطانية نظرا لما هو معروف فيهما من حب الانصاف والعدل لم ييأس اليأس كله من ان تعود الحكومة البريطانية للتفكير في موقفها بتغيير السياسة التي انتهجتها في هذا البلد العربي الاسلامي المقدس الذي لم يجن أي جناية ضد بريطانيا .

لقد كان جلالة الملك ـ ولا يزال ـ هدفا للتأثرات النفسية ، وهدفا لانتقاد العرب والمسلمين من اجل صمته في قضية فلسطين ، وهو يشعر بأن روح الصداقة الموجودة بينه وبين الحكومة البريطانية تجعله يصبر على تحمل تلك الانتقادات نظرا لما يراه من اقتضاء الصداقة ومن اقتضاء المصلحة في سيره على خطة الكتمان وعدم الاعلان عما بينه وبين بريطانيا بشأن قضية فلسطين ، ولكن لا تزال هناك حركات قد تكون بنية حسنة وقد تكون غير ذلك باحراج مركز جلالته امام العالم الإسلامي والعربى فى هذه القضية .

ان جلالة الملك يحب بهذه المناسبة ، ان يناشد الحكومة البريطانية باسم الصداقة التي تربطها بالعرب ، وان يناشدها باسم العدل والانصاف الذي عرف به الشعب البريطاني ان تعطف النظر على قضية فلسطين بعين العدل والانصاف ، وان تضع نفسها موضع هؤلاء الضعفاء الذين يراد تمزيق شملهم وتقسيم بلادهم ، واحلال شعب اجنبي عنهم بالرغم منهم ، ليذلهم بأنفسهم ويهدد البلاد المجاورة لهم ، كما يهدد السلام في هذا الشرق العربي .

وان جلالته يبدي مرة اخرى ان الحل الذي يراد به تقسيم فلسطين وتقطيع اوصال اهلها لن يحل مشكلة اليهود العالمية ، لان فلسطين لن تستوعب اليهود المشتتين في العالم ، وان فلسطين ستكون بؤرة للقلاقل والفتن بما يتولد عن ذلك من خصومات بين العرب وبريطانيا لا تنتهي إلى الابد[1] .

ان حل قضية فلسطين العادل لا يكون إلا بمثل ما حلت به قضية العراق وسورية وعلى شكل يضمن امورا ثلاثة :

(الاول) المحافظة على المصالح البريطانية .

(الثاني) المحافظة على صيانة الاماكن المقدسة .

(الثالث) المحافظة على حقوق اليهود الموجودين في الوقت الحاضر ومعاملتهم كأقلية في البلاد .

---

(١) هذا الذي حذر منه ابن سعود منذ أربع وثلاثين سنة قد وقع ، وليس بغريب ، فقد كان ـ رحمه الله ـ ملهما ثاقب النظر .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن العنف والشدة التي يعامل بها اهالي فلسطين في الوقت الحاضر وهم ضعفاء يستنكرها الشعور والحس ، فإن جلالة الملك يلفت نظر بريطانيا لاستعمال الحلم والحكمة فيما هو واقع ، ويأمل ان يكون لندائه هذا الاثر الحسن لدى الحكومة التي يثق بأنها تتقبل نصيحته بكل اخلاص وصداقة ومودة » .

وتسلمت وزارة الخارجية السعودية في جدة مذكرة سرية من المفوضية البريطانية بجدة في يوم الخميس ١ يونيو ١٩٣٨ (١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٥٧) هذا نصها :

« كان قد تشرف وزير صاحب الجلالة البريطانية بأن عرف الحكومة السعودية في مخابرة بتاريخ ٢٨ أبريل[1] عن بلاغات مؤداها : ان اسلحة وذخيرة كانت على وشك التهريب من الجوف إلى فلسطين ، ويرجو الآن ان يبدي ان بلاغات اخرى قد وصلت الى علم حكومة فلسطين من مصادر شتى بسورية والعراق تقول : ان الثوار بفلسطين كانوا منذ عهد قريب يركنون بوثوق الى وصول مساعدة عملية من جلالة الملك عبد العزيز بكيفيات عديدة بما في ذلك المساعدة المالية ، ومشترى الاسلحة والذخيرة من اوروبا برسم الارسال الى الحكومة العربية السعودية اسما ، ولكنها لاستعمال الثوار الفلسطينيين حقيقة .

ولا يسع حكومة صاحب الجلالة البريطانية ان تتجاهل هذه البلاغات المتكررة ، وهي على اية حال مضطرة بالنسبة لصداقتها ان تحيط علم جلالة الملك بها في حالة ما إذا كان هؤلاء الاشخاص الذين لهم مـآرب خفية ممن سبق ان اشار اليهم جلالته يسعون وراء الحط من كرامته أو توريطه في المسألة على غير علم منه » .

وكان لهذه المذكرة وقع غير حسن في نفس الملك عبد العزيز ، واجاب عليها ببيان مسهب ، وكان جلالته بالرياض ، وبعث به في يوم ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ (٢٠ يونيو ١٩٣٨) إلى وكيل الخارجية (الشيخ ابراهيم بن معمر) وأمره أن يسلمه بيده إلى يد الوزير المفوض البريطاني بجدة السير ريدر بولارد ، ويطلب إليه ارساله الى حكومته ، وهذا هو البيان :

(١) سنة ١٩٣٨ .

« اطلعنا على المذكرة التي سلمها السر ريدر بولارد لوكيل خارجيتنا بالنيابة بتاريخ ١٤ ربيع الاول ١٣٥٧ الموافق ٢٨ أبريل[1] عن الاخبار التي ذكرت الحكومة البريطانية انها وصلتها من سورية والعراق عن مساعدات قيل : انها وعد بها الثوار في فلسطين ، كما اطلعنا على اتهامات اخرى وجهت لبعض رجالنا ، بعد انباء اعلمتنا الحكومة البريطانية انها وصلتها عن نقل اسلحة للثوار من حقل والجوف .

اننا نشكر للحكومة البريطانية اخبارها لنا بكل ما يصلها عنا وعلى الاخص في مثل هذه الظروف والاحوال المقلقة في فلسطين التي تفضي بطبيعتها لكثير من القيل والقال مما يصدق منه ويكذب مما يشيعه ارباب الاهواء والاغراض واهل المصالح ، ونعتبر هذه المصارحة من الحكومة البريطانية وسيلة لفتح الباب لندلي لها بكل ما لدينا في هذه القضية من الامور التي لم يكن هناك داع لابدائها لولا هذه المناسبة .

ونحن على يقين ان الصراحة في جميع ما اخبرتنا به الحكومة البريطانية سواء في المراسلات أو المحادثات التي جرت وتجري بيننا وبينها نعتقد انها أعظم وأحسن وسيلة لتأييد الصداقة بيننا وبينها ، وهي التي درجنا عليها منذ نشأتنا السياسية الى اليوم .

وتذكر الحكومة البريطانية انه في الاعمال السابقة التي وقعت في بلادنا ، ولم تكن موجهة لطرف من اطرافنا ، بل كانت موجهة لشخصنا مباشرة ولاساس ملكنا كنا نخبر الحكومة البريطانية بما يصلنا عنها من اخبار واقوال ، سواء ايام حركات الدويش واجتماعاته ببعض الموظفين البريطانيين ، سواء يوم خروج ابن رفادة من العقبة في رابعة النهار بين سمع الموظفين هناك وبصرهم ، وقد كان افضل شيء لمداواة مثل تلك الوقائع هو المصارحة والاخبار بما يصل لتجري معالجته .

واننا حينما اطلعنا على مثل تلك الاتهامات التي نسبت إلينا لم يكن لها في نفسنا تأثير ذو اهمية ، لان الذي يعلم البراءة من نفسه لا يتشوش ذهنه حينما يسمع اتهامات تلقى حوله .

---

(١) سنة ١٩٣٨ .

اما الحقيقة الواقعة فإن أهل فلسطين ـ بعد ان رأوا من الحكومة البريطانية اصرارها على تقسيم بلادهم ، ثم ما آلت إليه الحالة من جراء الاجراءات الاخيرة اعتقدوا ان الحكومة البريطانية تريد افناءهم عن آخرهم ، لتحل اليهود محلهم في بلادهم ، وهم بعد هذا الاعتقاد لم يتركوا بابا للمقاومة إلا طرقوه ، ولا سبيلا لنيل المساعدات إلا سلكوه ، وفي جملة الذين توخوا أن يلقوا منهم مساعدات بالمال والسلاح والقوة نحن بصورة شخصية ، كما توخوا ذلك من اهل بلادنا .

لقد سبق ان اخبرتنا الحكومة البريطانية بالتأثير الحاصل في نفوس أهل بلادنا ، وان اثر ذلك في نفوس النساء والاطفال ان لم يكن بأكثر مما هو في نفوس الرجال المدركين للخطر الحاضر والمستقبل على العرب كافة من اليهود فهو مثله على الاقل .

وإذا قلت لكم : انه لا يوجد في جسمي ذرة لا تدعوني لقتال اليهود فاني غير صادق ، ولو ان المقصود اليهود وحدهم فإني أفضل ان تفنى الاموال والاولاد والذراري ولا يتأسس ملك لليهود في فلسطين .

ولكن القائم في القضية هو الحكومة البريطانية وليس اليهود وحدهم ، وبيننا وبينها عهود صداقة مكتوبة ، وعهود مصالح متبادلة .

وفي اعتقادنا اليقيني ان افضل ما للعرب لمصالحهم الحاضرة والمستقبلة ان يكونوا مع بريطانيا اصدقاء على الدوام ، ولو اطاعني اهل فلسطين لاتخذوا المطالبة بالطرق السلمية الوسيلة الوحيدة لمطالبهم مع بريطانيا .

ونحب ان تتأكد الحكومة البريطانية ان محاولات وجهودا كثيرة بذلت لدينا لنوال مساعدات من اجل الثورة في فلسطين ، ولكن لا يمكن ان شاء الله ان نعمل عملا يخل بالتعهدات التي بيننا وبين بريطانيا ، ولو عرضنا مثل هذه المساعدات على العقل لادرك انه من المستحيل على مثلنا ـ بعد الذي خبرناه من امور الدهر ـ ان يقدم على مثل ما يقال ، فان فلسطين ليست امام اليهود ، وإنما هي امام بريطانيا ، وفلسطين بالنسبة لبريطانيا ليست إلا جزءا قليلا لا قبل لها بشيء من قوات بريطانيا ، ولو فرضنا ان قوات العرب الذين حولهم اجتمعت معهم على قتال بريطانيا ، فهل يمكن لهذا المجموع كله ان يغلب بريطانيا ؟ فإذا كان هذا هو

الواقع ، فهل يمكن ان يخطر لنا على بال ان نمد اهل فلسطين بشيء من السلاح لا يغني عنهم فتيلا ، ونوقعهم في مشكلات مع بريطانيا تكون سببا لذهابهم ؟ .

واما اقوال الناس فنحن ما يمكن ان نؤخذ بما يتقوله المتقولون ، وهم اما عدو يحب الايقاع بيننا وبين بريطانيا ، واما صاحب هوى أوغرض ، واما من اهل فلسطين الذين يريدون تقوية معنويات الثوار بقولهم : ان ابن سعود سيساعدنا أو يعطينا ، الى غير ذلك من الاقوال ، فمطلوب ان يعرض ما يقال على العقل ، ويدقق في تاريخ علاقتنا مع بريطانيا وآرائنا السياسية فيما نعتقد انه المصلحة للعرب من صداقتها .

وليت الحكومة البريطانية اطلعت على ما يشاع عنا مقابل هذه الاشاعات ، فلقد فسر كثير من العرب سكوتنا في قضية فلسطين انه تواطؤ منا مع بريطانيا مقابل مصالح خاصة ضمنتها لنا لقبولنا في التقسيم ، فهذه التهم وجهت لنا سرا وجهارا ، حتى من اشد الناس وثوقا بغيرتنا الإسلامية العربية ، لقد قالوا ذلك حينما رأوا ذلك السكوت منا في الوقت الذي يجدون فيه الآخرين معالنين بما يجول ويتردد في النفوس الإسلامية العربية عن قضية فلسطين .

ومن اجل ذلك نلخص لها الموقف هنا بجلاء لتكون بريطانيا على يقين من حقيقة ما يقال :

١ ـ ان اهل فلسطين وكثيرا من العرب موقنون الآن بأن الحكومة البريطانية مصممة على تقسيمهم ، وانهم ان لم يرضوا بهذا التقسيم فستمحوهم عن بكرة ابيهم ، وتزيلهم من الوجود ، وتحل اليهود محلهم .

٢ ـ ان هذه العقيدة شملت اهل فلسطين ، واستيقنها غيرهم من العرب والمسلمين .

٣ ـ لقد وردت لنا رسائل عديدة من بعض الحكومات العربية ومن كثير من الجمعيات يستحثوننا لطلب المساعدة والنجدة .

٤ ـ ان اهل فلسطين يسعون بشتى الوسائل لادراك اقصى ما يمكنهم من الذخيرة والقوة لمواصلة القتال من أي جهة كانت ، لان الذي يشعر انه هالك

لا يبالي بسلوك أي طريق قد يكون له امل فيه .

٥ ـ ان الشعور العام في بلادنا متأثر من قضية فلسطين الى ابعد مدى ، ولولا خوفه من شخصي لاتى بأعمال تزيد الموقف حراجة .

٦ ـ اما نحن فانا لا نزال ولن نزال على عهدنا الذي تعاهدنا مع بريطانيا عليه ، ولا نزال نعتقد انه لا بد لبريطانيا ان تنظر بعين الانصاف للعرب ، وانه خير للعرب ان يكونوا على اتفاق مع بريطانيا في سائر الاوقات .

٧ ـ عملنا التحقيق الدقيق فيما ذكرته الحكومة البريطانية عن تهريب سلاح من « حقل » فلم نعثر على اثر لذلك ، وظهر ان ما قيل لم يقع ، وحققنا في جهات « الجوف » بعد اخبار الحكومة البريطانية لنا فارتبنا بشخصين كانا قد قدما للتجارة فأخرجناهما .

٨ ـ حققنا فيما نسبته الحكومة البريطانية من تصريحات ليوسف ياسين ، فتحقق لدينا يقينا لا شبهة فيه ان يوسف لم يتلفظ بمثل ما نقل عنه للحكومة البريطانية .

٩ ـ ان خطتنا التي نسير عليها في قضية فلسطين هي ان نصارح الحكومة البريطانية بنصائحنا وآرائنا فيها مصارحة الصديق لصديقه .

أما اعتقادنا فإن تأسيس دولة لليهود في فلسطين هو مناف لمصالح العرب ، ومهدد بمحو العرب ، ليس في فلسطين وحدها ، بل في سائر البلاد العربية . كما نعتقد ان ذلك ضد مصلحة بريطانيا ، واننا من اجل ذلك نواصل نصائحنا ورجاءنا للحكومة البريطانية لتعدل عن هذه الخطة ، كما نواصل نصائحنا الخاصة لاهل فلسطين بأن يتخذوا طريق التفاهم مع بريطانيا من اجل ذلك لانه اسلم الطرق للوصول للمقصود .

ونحب ان تكون بريطانيا على يقين من أننا ما زلنا ولن نزال اصدقاءها ، ولم ينقطع أملنا في انصافها » .

(الختم الملكي)
عبد العزيز السعود

ابن سعود وروزفلت وقرار التقسيم

عندما صدر قرار لجنة اللورد بيل بتقسيم فلسطين اصدرت الحكومة الامريكية بيانا أيدت فيه قرار التقسيم ، وطبيعي ان يقف ابن سعود في وجهه يرده بكل ما لديه من قدرة وقوة ورأى ان ينبه الحكومة الامريكية الى خطئها بتأييد ذلك القرار الجائر ، فأرسل الى الرئيس روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية رسالة هذا نصها :

«في ٧ شوال ١٣٥٧ (٢٩ نوفمبر ١٩٣٨)

ياصاحب الفخامة

لقد اطلعنا على ما أذيع من موقف حكومة الولايات المتحدة الامريكية في مناصرة اليهود بفلسطين ، وبالنظر لما لنا من الثقة في محبتكم للعدل والانصاف وفي تمسك الامة الامريكية الحرة بأعرق التقاليد الديمقراطية المؤسسة على تأييد الحق والعدل ونصرة الامم المغلوبة ، ونظرا للصلات الودية التي بين مملكتنا وحكومة الولايات المتحدة فقد اردنا ان نلفت نظر فخامتكم الى قضية العرب في فلسطين ، وبيان حقهم المشروع فيها ، ولنا ملء الثقة ، ان بياننا هذا يوضح لكم وللشعب الامريكي قضية العرب العادلة في تلك البلاد المقدسة .

لقد ظهر لنا من البيان الذي نشر عن موقف امريكا ان قضية فلسطين قد نظر إليها من وجهة نظر واحدة ، هي وجهة نظر اليهود والصهيونية ، وأهملت وجهات

نظر العرب ، وقد رأينا من آثار الدعايات اليهودية الواسعة النطاق ان الشعب الامريكي الديمقراطي قد ضلل تضليلا عظيما أدى الى اعتبار مناصرة اليهود على سحق العرب في فلسطين عملا انسانيا ، في حين ان مثل ذلك ظلم فادح وجه الى شعب آمن مستوطن في بلاده كان ولا يزال يثق بعدالة الرأي العام الديمقراطي في العالم عامة وفي امريكا خاصة ، وانا على ثقة بأنه اذا اتضح لفخامتكم وللشعب الامريكي حق العرب في فلسطين فإنكم ستقومون بنصرته حق القيام .

ان الحجة التي يستند إليها اليهود في ادعاءاتهم بفلسطين هي انهم استوطنوها حقبة من الزمن القديم ، وأنهم مشتتون في بلاد العالم ، وأنهم يريدون إيجاد مجتمع لهم يعيشون فيه احرارا في فلسطين ، ويستندون في عملهم الى وعد تلقوه من الحكومة البريطانية سمي بوعد بلفور .

أما دعوى اليهود التاريخية فإنه لا يوجد ما يبررها ، في حين أن فلسطين كانت ولا تزال مشغولة بالعرب في جميع ادوار التاريخ المتقدمة ، وكان السلطان فيها لهم ، وإذا استثنينا الفترة التي اقام اليهود فيها ، والمدة الثانية التي سيطرت فيها الامبراطورية الرومانية عليها ، فإن سلطان العرب كان منذ الزمن الاقدم على فلسطين الى زماننا هذا .

وقد كان العرب في سائر ادوار حياتهم محافظين على الاماكن المقدسة ، معظمين لمقامها ، محترمين لقدسيتها ، قائمين بشؤونها بكل امانة واخلاص ، ولما امتد الحكم العثماني على فلسطين ، كان النفوذ العربي هو المسيطر ، ولم يكن العرب يشعرون بأن الترك دولة مستعمرة لبلادهم . وذلك :

١ ـ لوحدة الجامعة الدينية .

٢ ـ لشعور العرب أنهم شركاء الترك في الحكم .

٣ ـ لكون الادارة المحلية للحكم بيد ابناء البلاد انفسهم .

فمما ذكر يرى ان دعوى اليهود بحقهم في فلسطين ـ استنادا الى التاريخ ـ لا حقيقة لها ، فإن كان اليهود قد استوطنوا فلسطين مدة معينة بصورة استيلاء فإن العرب قد استوطنوها مدة اطول بكثير من ذلك ، ولا يمكن ان يعتبر احتلال امة

لبلد من البلدان حقا طبيعيا يبرز مطالبتها به ، ولو اعتبر هذا المبدأ في العصر الحاضر لحق لكل امة ان تطالب بالبلدان التي سبق لها شغلها بالقوة حقبة من الزمن ، وتسبب عن ذلك تغيير خريطة العالم بشكل من اعجب الاشكال مما لا يتلاءم مع العدل ولا مع الحق والانصاف .

أما دعوى اليهود التي يستثيرون بها عطف العالم انهم مشتتون في البلدان ومضطهدون فيها ، وانهم يريدون إيجاد مكان يأوون إليه ليأمنوا على انفسهم من العدوان الذي يقع عليهم في كثير من الممالك فالمهم في هذه القضية هو التفريق بين القضية اليهودية العالمية أو اللاسامية وبين قضية الصهيونية السياسية .

« فإن كان المقصود هو العطف على اليهود المشتتين فإن فلسطين الضيقة قد استوعبت منهم الآن مقدارا عظيما لا يوجد ما يماثله في أي بلد من بلدان العالم وذلك بالنسبة لضيق ارض فلسطين ، وبالنسبة لاراضي العالم التي يقيم اليهود فيها ، وليس في استطاعة رقعة ضيقة كفلسطين أن تتسع لجميع يهود العالم ، حتى لو فرض أنها اخليت من سكانها العرب كما قال المستر ملكولم ماكدونالد في خطاب ألقاه في مجلس النواب البريطاني مؤخرا ، فإذا قبل مبدأ بقاء اليهود الموجودين في فلسطين في الوقت الحاضر فتكون هذه البلاد الصغيرة قد قامت بأعظم قسط انساني لم يقم بمثله غيرها ، ويرى فخامة الرئيس أنه ليس من العدل ان تسد حكومات العالم ـ وفي جملتها الولايات المتحدة ـ أبوابها بوجه مهاجري اليهود وتكلف فلسطين البلد العربي الصغير ليحملهم .

وأما اذا نظرنا الى القضية من وجهة الصهيونية السياسية فإن هذه الوجهة تمثل ناحية ظالمة غاشمة ، سداها القضاء على شعب آمن مطمئن وطرده من بلاده بشتى الوسائل ، ولحمتها النهم السياسي والطمع الشخصي لبعض افراد الصهيونية .

وأما استناد اليهود الى تصريح بلفور فإن التصريح بحد ذاته جاء جورا وظلما على بلاد آمنه مطمئنة ، وقد اعطي من قبل حكومة لم تكن تملك يوم اعطائه حق فرضه على فلسطين ، كما ان عرب فلسطين لم يؤخذ رأيهم فيه ، ولا في نظام الانتداب الذي فرض عليهم ، كما صرح بذلك ملكولم ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية أيضا ، وذلك برغم الوعود التي بذلها الحلفاء ـ وبينهم

اميركا ـ لهم بحق تقرير المصير ، ومن المهم ان نذكر ان وعد بلفور كان مسبوقا بوعد آخر من الحكومة البريطانية بمعرفة الحلفاء بحق العرب في فلسطين وفي غيرها من بلاد العرب .

ومن هذا يتبين لفخامتكم ان حجة اليهود التاريخية باطلة ، ولا يمكن اعتبارها ، وحجتهم من الوجهة الانسانية قد قامت فيها فلسطين بما لم يقم به بلد آخر ، ووعد بلفور الذي يستندون إليه مخالف للحق والعدل ، ومخالف لمبدأ تقرير المصير ، والمطامع الصهيونية تجعل العرب في جميع الاقطار يوجسون منها خيفة وتدعوهم لمقاومتها .

أما حقوق العرب في فلسطين فإنها لا تقبل المجادلة ، لان فلسطين بلادهم منذ أقدم الازمنة ، وهم لم يخرجوا منها ، كما ان غيرهم لم يخرجهم منها ، وقد كانت من الاماكن التي ازدهرت فيها المدنية العربية ازدهارا يدعو إلى الاعجاب ، ولذلك فهي عربية عرفا ولسانا وموقعا وثقافة ، وليس في ذلك أي شبهة أو غموض ، وتاريخ العرب في تلك البلاد مملوء باحكام العدل والاعمال النافعة .

ولما جاءت الحرب العامة انضم العرب إلى صف الحلفاء أملا في الحصول على استقلالهم ، وقد كانوا على ثقة تامة من أنهم سينالونه بعد الحرب العامة للاسباب الاتية :

١ ـ لانهم اشتركوا بالفعل في الحرب ، وضحوا بأموالهم وانفسهم .

٢ ـ لانهم وعدوا بذلك من قبل الحكومة البريطانية في المراسلات التي دارت بين ممثلها السر هنري مكماهون وبين الشريف حسين .

٣ ـ لان سلفكم العظيم الرئيس ولسون قرر دخول الولايات المتحدة الامريكية في الحرب الى جانب الحلفاء نصرة للمبادئ الانسانية السامية التي كان من اهمها حق تقرير المصير .

٤ ـ لان الحلفاء صرحوا في نوفمبر سنة ١٩١٨ عقب احتلالهم البلاد انهم دخلوها لتحريرها واعطاء اهلها حريتهم واستقلالهم .

وإذا رجعتم فخامتكم الى التقرير الذي قدمته لجنة التحقيق التي أرسلها

سلفكم الرئيس ولسون عام ١٩١٩ الى الشرق الادنى علمتم المطالب التي طلبها العرب في فلسطين وفي سورية حينما سئلوا عن المصير الذي يطلبونه لانفسهم .

ولكن العرب ـ لسوء الحظ ـ وجدوا انفسهم بعد الحرب انهم قد خذلوا وان الاماني التي وعدوا بها لم تحقق ، وقد جزئت بلادهم ، وقسمت تقسيما جائرا ، وأوجدت لهذه الاقسام حدودا مصطنعة لا تبررها عوامل جغرافية ، ولا جنسية ، ولا دينية ، وعلاوة على ذلك وجدوا انفسهم امام خطر أعظم ، هو خطر غزو الصهيونية لهم واستملاكها لبقعة من اهم بقاعهم .

لقد احتج العرب بشدة عندما علموا بتصريح بلفور ، واحتجوا على نظام الانتداب ، واعلنوا رفضهم له وعدم قبولهم به منذ اليوم الاول ، وقد كان تدفق مهاجري اليهود من الآفاق المختلفة الى فلسطين مدعاة لتخوف العرب على مصيرهم وعلى حياتهم ، فحدثت في فلسطين ثورات وفتن متعددة سنة ١٩٢٠ و١٩٢١ و١٩٢٩ وكان أهم تلك الثورات ثورة عام ١٩٣٦ التي لا تزال نارها مستعرة حتى هذه الساعة .

ان عرب فلسطين ـ يا فخامة الرئيس ـ ومن ورائهم سائر العرب وسائر العالم الإسلامي يطالبون بحقهم ويدافعون عن بلادهم ضد دخلاء عنهم وعنها ، ومن المستحيل اقرار السلام في فلسطين إذا لم ينل العرب حقوقهم ويتأكدوا ان بلادهم لن تعطى الى شعب غريب أفاق تختلف مبادئه وأغراضه واخلاقه عنهم كل الاختلاف ، ولذلك فانا نهيب بفخامتكم ، ونناشدكم باسم العدل والحرية ونصرة الشعوب الضعيفة التي اشتهرت بها الامة الامريكية النبيلة ان تتكرموا بالنظر في قضية عرب فلسطين ، وان تكونوا نصراء للامن المطمئن الهادئ المعتدى عليه من قبل تلك الجماعات المشردة من سائر انحاء العالم ، لانه ليس من العدل ان يطرد اليهود من جميع انحاء العالم المتمدن ، وان تتحمل فلسطين الضعيفة المغلوبة على امرها هذا الشعب برمته .

ولا نشك في ان المبادئ السامية التي يتحلى بها الشعب الامريكي ستجعله يذعن للحق ويقدم لنصرة العدل والانصاف » .

حرر في قصرنا بالرياض ، في اليوم السابع من شهر شوال سنة سبع وخمسين

بعد الثلاثمائة والالف هجرية ، الموافق تسعة وعشرين نوفمبر سنة ثمان وثلاثين بعد التسعمائة والالف ميلادية .

واهتمت الصحافة العالمية والعربية برسالة ابن سعود الى روزفلت اهتماما عظيما ، ونشرتها كاملة ، وعلقت عليها ، وتصدى لها اليهود بالرد ، وتناولها جهابذة علمائهم بالنقد ، وكتبوا الفصول الطويلة يثبتون فيها حقهم التاريخي في فلسطين بحجج لا تثبت امام المنطق والحق والعدل والعقل ، ولم يسخط الصهيونيون على حاكم عربي سخطهم على ابن سعود ، فقد كان ـ دون منازع ـ حامل راية فلسطين في العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وجعل قضيتها قضية حياته بل أكثر .

وان مذكرة ابن سعود التي بعثها للحكومة البريطانية في ٢٠ يونيو ١٩٣٨ والتي سبق نشرها قبل هذه الرسالة تحوي صراحة قوله : « إذا قلت لكم : إنه لا يوجد في جسمي ذرة لا تدعوني لقتال اليهود فإني غير صادق ، ولو أن المقصود اليهود وحدهم فإني أفضل ان تفنى الاموال والاولاد والذراري ولا يتأسس ملك لليهود في فلسطين » .

وهذه الكلمة الموجزة تدل على عظم قضية فلسطين ، فهي اكبر من الاموال والاولاد ، بل هي اعظم لانها اكبر من الذراري التي يدخل فيها النساء ، فالقضية هي الحياة كلها بما تحوي ، وهي قضية الجيل الحاضر والاجيال المقبلة التي تمثلها كلمة « الذراري » .

وتلقى ابن سعود جواب روزفلت ، وهو هذا :

البيت الابيض ـ واشنطن : ٩ يناير ١٩٣٩ يوافق ١٦ ذي القعدة ١٣٥٧ .

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن سعود ملك المملكة العربية السعودية .

يا صاحب الجلالة :

يا صحاب الجلالة : لقد سرني كثيرا تسلمي كتاب جلالتكم المؤرخ في ٢٩ نوفمبر ١٩٣٨ الذي سلمه القائم بأعمال المفوضية العربية السعودية

بالقاهرة في ٦ ديسمبر الى القائم بأعمال المفوضية الامريكية هناك بخصوص مسألة العرب في فلسطين .

ولا يخفى على جلالتكم ان الحالة في فلسطين استرعت طويلا اهتمام الشعب الامريكي ، ولذلك فإني قد طالعت كتاب جلالتكم الذي خصصتموه لهذا الموضوع باهتمام خاص .

ان اهتمام الشعب الامريكي بفلسطين يرتكز على عدة اعتبارات ، منها ما هو ذو صبغة روحية ، ومنها ما هو ناشئ عن الحقوق التي نالتها الولايات المتحدة في فلسطين من الاتفاقية الامريكية البريطانية الخاصة بالانتداب في فلسطين ، المؤرخة في ٣ ديسمبر ١٩٢٤ .

وقد تبين موقف الولايات المتحدة بشأن فلسطين في « بيان عام » اصدرته وزارة الخارجية في ١٤ اكتوبر ١٩٣٨ ويسرني ان ابعث لجلالتكم بصورة منه .

ويمكنني ان اضيف الى ذلك ان هذه الحكومة لم تتخذ مطلقا أي موقف مخالف لما تمسكت به منذ البداية في هذا الموضوع .

صديقك الحميم

(التوقيع)

فرانكلين روزفلت

وهذا هو البيان الامريكي الذي أشار إليه الرئيس روزفلت :

وزارة الخارجية

للصحافة

١٤ اكتوبر ١٩٣٨ (رقم ٤٩٩)

قد تسلمت الحكومة في خلال الايام القليلة الاخيرة عددا من الرسائل البرقية والخطابات صادرة من افراد وهيئات في الولايات المتحدة بشأن الحالة في فلسطين ، وتشير اشارة خاصة لما يشاع من احتمال تطبيق الحكومة البريطانية لسياسة جديدة إزاء هذه البلاد وواضح انه من المتعذر الاجابة على حدة على الرسائل العديدة التي

وصلتنا ، ولهذا فهذا البيان صادر بديلا عن الردود الفردية .

وكما هو معروف حق المعرفة فالشعب الامريكي قد اهتم اهتماما وثيقا عدة سنين برقي الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وكل رئيس ـ ابتداء من الرئيس ولسون ـ قد عبر عن اهتمامه الخاص في مناسبة واحدة أو مناسبات عدة بفكرة وطن قومي . وابدى سروره بالتقدم الذي وصل إليه إنشاء هذا الوطن ، وفوق ذلك فقد عبر عن عطف الأمريكيين على الوطن اليهودي في فلسطين ، وبالقرار المشترك الذي اتخذه المجلس النيابي الامريكي[1] والذي امضاه الرئيس في ٢١ سبتمبر ١٩٣٢ مسجلا خطة الولايات المتحدة الودية نحو هذا الوطن القومي .

وقد أبدت لجنة الشؤون الخارجية في هذا المجلس عند تقديم القرار رأيها ، أي انه يعبر عن اهتمامنا الادبي وخطتنا الودية نحو انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وهو لا يربطنا بأي ارتباط خارجي أو يزج بنا في أي اشتباك .

وانه في ضوء هذا الاهتمام قد راقبت الحكومة الامريكية وشعبها بأشد العطف تدرج الوطن القومي في فلسطين ، وهو مشروع لعب فيه الذهب ورأس المال الامريكي دورا رئيسا .

وفي مناسبات عدة قد عرضت هذه الحكومة آراءها بخصوص حقوق الولايات المتحدة ومواطنيها في فلسطين على انظار الحكومة البريطانية ، وإذا رجعنا قليلا الى عام ١٩٣٧ فقد تبودلت رسائل رسمية ، والفقرة الاتية الغنية عن كل بيان مقتبسة من المذكرة النهائية المؤرخة ٤ اغسطس ١٩٣٧ التي بعث بها سفير امريكا في لندن لوزارة الخارجية البريطانية . وهي :

« إزاء التعبير عن ارتياحنا وتقديرنا للتوكيدات المقدمة من حكومة صاحب الجلالة عن رغبتها في احاطة حكومة الولايات المتحدة احاطة تامة بأية مقترحات قد تعرضها على مجلس عصبة الامم لتعديل الانتداب في فلسطين ، فإني مكلف بالرجاء لتقديم هذه المقترحات لحكومتي قبل وقت كاف يسمح لها بتوجيه أية ملاحظات قد ترغب في ابدائها ان كان هناك محل للملاحظة بخصوص حفظ الحقوق الامريكية في فلسطين » .

---

(١) الكونجرس .

ولذلك فمن المأمول ان تتاح الفرصة لهذه الحكومة لتقديم آرائها للحكومة البريطانية بخصوص أي تغييرات تمس الحقوق الامريكية مما قد يقترح في الانتداب على فلسطين ، وهذه الحقوق التي حددتها اتفاقية الانتداب بين امريكا وبريطانيا أو معاهدة ٣ ديسمبر ١٩٢٤ تشمل معاهدة عدم التمييز في مسائل التجارة ، وعدم المساس بالحقوق الامريكية المكتسبة ، والترخيص للرعايا الامريكيين بإنشاء وادارة المعاهد التعليمية والخيرية والدينية في فلسطين ، والضمانات الخاصة بالنظام القضائي ، وعلى العموم المعاملة على قدم المساواة مع كافة الرعايا الاجانب .

وحقوق الولايات المتحدة بخصوص اي تغييرات تطرأ على الانتداب في فلسطين مبينة في المادة (٧) من المعاهدة السالفة الذكر ، وهاك نصها :

« لا يمس أي شيء تشمله الاتفاقية الحاضرة من جراء أي تعديل قد يطرأ على شروط الانتداب كما هو مبين من قبل إلا إذا وافقت على هذا التعديل الولايات المتحدة » .

وهذه المادة في مجموعها مشابهة لما يماثلها من المواد الموجودة في ثمان اتفاقيات اخرى عقدتها الحكومة بخصوص الاقاليم تحت الانتداب ، وهي : سورية ، ولبنان ، والجزر الالمانية سابقا في شمال المحيط الهادي ، والكمرون البريطاني ، وشرق افريقيا البريطاني ، وتوجولند البريطانية ، ولا تخول أية مادة من هذه المواد حكومة الولايات المتحدة ان تمنع تعديل اية مادة من مواد احدى هذه الانتدابات ، إلا انه بمقتضاها تستطيع هذه الحكومة ان ترفض الاعتراف بمشروعية تطبيق أي تعديل يطرأ على الانتدابات فيما يختص بتطبيقه على المصالح الامريكية ، إلا إذا كان هذا التطبيق قد وافقت عليه حكومة الولايات المتحدة .

وترى هذه الوزارة (وزارة الخارجية) ان لجنة تقسيم فلسطين التي عينت من بضعة شهور خلت لتشير على الحكومة فيما تراه بخصوص التقسيم ستقدم تقريرها للحكومة البريطانية في نهاية هذا الشهر ، وان هذه الحكومة لن تصل إلى قرار ما في هذا الموضوع إلا بعد اتاحة الفرصة لها لبحث هذا التقرير .

واجابة على سؤال قدم في مجلس العموم في ٦ أكتوبر ١٩٣٨ نقل إلينا أن المستر ماكدونلد وزير المستعمرات البريطاني قد صرح بأن مجلس العموم قد لا يكون في

مركز يخوله التصديق على أي قرار يكون قد اتخذ فعلا ووضع موضع التنفيذ أو رفضه ، ولكن تتاح للمجلس الفرصة في بحث أية سياسة قبل التصديق عليها ووضعها موضع التنفيذ من قبل الحكومة البريطانية .

وبالطبع ، ستستمر وزارة الخارجية الامريكية في متابعة الحالة عن كثب ، وستتخذ كل الخطوات الضرورية لحماية الحقوق والمصالح الامريكية في فلسطين ».

وهذا البيان الامريكي يوضح وضوحا تاما موقف الحكومة الامريكية من قضية فلسطين ، فهي حامية اليهود ، وراعية مصالحهم ومنفذة خططهم في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

ولهجة البيان توحي بأن الحكومة الامريكية مصممة على نشوء هذا الوطن ، وسياستها في الشرق العربي قائمة على العمل الجاد على إنشاء هذا الوطن وقيامه .

والغرب كله وفي طليعته بريطانيا والولايات المتحدة لا ينثني عن عزمه في تحقيق حلم الصهيونية القائم على جعل فلسطين كلها دولة يهودية ، ولن يقصر جهوده على انشاء وطن قومي فيها ، وان كان بدأ خطته الجهنمية بفكرة وطن قومي لليهود ينشأ في فلسطين ، فما ذلك إلا البداية التي تجر وراءها نهاية بشعة كل البشاعة بالنسبة للعرب والمسلمين .

وما معاهدة سايكس - بيكو السرية بين فرنسا وبريطانيا التي قسمت البلاد العربية إلى اجزاء تسيطران عليها إلا حماية لخطتهما في قيام دولة يهودية ، وهذه المعاهدة غدر خسيس كل الخسة من جانب بريطانيا التي أعطت العرب عهدا باستقلال كل بلدانهم ، وذلك في الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين والسير مكماهون الذي قطع العهد باسم بريطانيا العظمى .

فهي في الظاهر تعهدت للعرب ، لانها كانت في موقف حرج ، ولانها كانت في حاجة الى معونة العرب ، فكذبت عليهم بوعد وعهد زائفين ، في حين انها ربطت شرف التاج البريطاني وسمعة الشعب البريطاني ابد الدهر بإرضاء اليهود ظلما ، وخادعت العرب وغدرت بهم وخانت عهودها ، واعطت اليهود ما ليس بحق لهم .

وامريكا لم تكن بخير من بريطانيا ، فكلتا الحكومتين موثقة مقيدة للصهيونية ، واكثر زعمائها وحكامها يهود أو صهيونيون ، أو واقعون تحت نفوذ اليهود .

وقد استغلت بريطانيا وامريكا ضعف العرب عسكريا ، وكانت بريطانيا سبب هذا الضعف الذي زادته ، كما كانت سبب تجزئة الوطن العربي الى دويلات ليزداد ضعفها وشتات شملها .

والشيء الذي قررته بريطانيا وامريكا وفرنسا هو جعل فلسطين دولة يهودية ، تمهد لقيامها في المستقبل بالتمهيد لانشاء وطن قومي في جزء من فلسطين ، ثم يتسع هذا الوطن القومي ليشمل كل فلسطين ، ثم تتولى دولة اليهود بمساعدة هذه الدول ودول غيرها انتزاع اراض جديدة من الاقطار المجاورة حتى تحقق حلم الصهيونية الذي جاء فى بعض اسفارهم المقدسة .

ولو كان الامر وقفا على اليهود وحدهم لهان ، فالعرب مع ضعفهم وهوان شأنهم وشتات شملهم وتجزئة وطنهم يستطيعون بحول الله ان يقضوا على احلامهم الشريرة في يسر وسهولة ، ولكن وراءهم امريكا وبريطانيا .

ومنذ دخول بريطانيا الى فلسطين وزوال دولة الخلافة وهي وحلفاؤها يعملون من اجل قيام دولة اسرائيلية قوية في المنطقة العربية الخالصة لتكون وارثة الاستعمار فيها ، وتكمل برامجه في الاستيلاء على ثروات البلاد العربية .

ولئن كان قد فطن الى ذلك بعض زعماء العرب مثل ابن سعود والحاج محمد امين الحسيني فإن وضع العالم العربي والإسلامي الواقع تحت نير الاستعمار الظلوم المتوحش لم يكن مستعدا للوقوف في صراع مع اقوى دولة على وجه الارض .

ومع هذا وقف ابن سعود في وجهها ووجه كل المتواطئين معها ، ولم يبال إلا ان تنتصر فلسطين ، ولكنه كان وحده في الميدان ، وليست معه قوة تقف معه إلا قوة فلسطين التي انهكتها بريطانيا ثم قضت عليها لتخلو فلسطين لليهود ، وإلا قوة الدول العربية الخاضعة للاستعمار الغربي .

وما تجدي قوة ابن سعود وحدها أمام قوة بريطانيا ؟ .

رسول روزفلت الى ابن سعود
يرجوه باسم روزفلت أن يسمح بمقابلة وايزمن

رأى روزفلت ان يعزز مكاتباته برسول يمثل شخصه لدى ابن سعود فاختار اللفتننت كولونيل هارولد هوسكنز الذي وصل إلى الرياض في شهر رجب سنة ١٣٦٢ (يوليو ١٩٤٣) ويحمل كتابا من روزفلت إلى ابن سعود ، هذا نص ترجمته العربية :

واشنطن - البيت الابيض

٧ يوليو ١٩٤٣

جلالة الملك عبد العزيز بن سعود ملك المملكة العربية السعودية

صديقي العزيز العظيم

لقد كلفت اللفتننث كولونيل هارولد هوسكنز بجيش الولايات المتحدة واضعا فيه ثقتي الكاملة ان يطلب مقابلة جلالتكم ليبحث باسمي بعض المسائل الخاصة ذات المصلحة المشتركة .

واني انتهز هذه الفرصة لاعبر لجلالتكم عن احسن تمنياتي بالصحة الطيبة لشخصكم ، والسعادة والرخاء لشعبكم الكريم .

صديقكم المخلص
فرنكلين د . روزفلت

وسبب اختيار روزفلت صديقه هوسكنز أو من الاسباب ان هوسكنز على هوى باعثه ، وكان لدى روزفلت كلام كثير يختص بفلسطين واليهود ، ورأى أن رسوله يأتيه بنتائج اعظم من رسائله ، وادرك ان ابن سعود اقوى حاكم عربي على الاطلاق ، وهو وحده الثقيل الراجح في الميزان الدولي ، فإذا استطاع ضمان غض النظر منه ضمن رضا اليهود ، ولهذا رأى ان يرسل إليه هوسكنز .

وكانت رسالة ابن سعود الاخيرة لروزفلت واضحة وصريحة ، فهو خصم اليهودية في جميع صورها واشخاصها ، وسيحارب اليهود إذا ارادوا ان يؤسسوا لهم وطنا قوميا في فلسطين ، وهو يملك جيشا قويا ذا مبدأ وعقيدة ، فحري بروزفلت ان يضمنه بعد ان اعطى الصهيونيين وعودا .

وصل هوسكنز الى الرياض يحمل رسالة روزفلت ، فرحب به ابن سعود ، وتولى هو نفسه المحادثة .

ويظهر ان هوسكنز كان متفائلا وعظيم الثقة في لباقته ، وله الحق ، فقد كان سياسيا لبقا ، وكان يظن انه يستطيع ان يقنع ابن سعود بما يريد ، ويحمله بمنطقه الخالب على الاستجابة لروزفلت فيحقق له رجاءه فيه ، وما كان يعلم بأن ابن سعود ليس كغيره من الحكام ، فهو واضح السياسة والسريرة ، وإذا اعتقد في شيء انه الحق فلن يتراجع عنه .

ولم يرد ابن سعود ان يبدأ الحديث ، بل ترك لهوسكنز ان يبدأه ويعرض عليه ما لديه ، وان ينقل إليه آراء روزفلت ، فقال هوسكنز :

« تعلمون جلالتكم ان الرئيس روزفلت تلقى كتبكم حول قضية فلسطين وسبق ان قدم إلى جلالتكم شكره على ما تفضلتم به من ابلاغه رأيكم ورأي العرب عامة في هذه المشكلة ، وهي كما تقدرون جلالتكم مشكلة معقدة ، وقد زادت اهميتها في الاشهر الاخيرة عند الرئيس وعند المستر هل وزير الخارجية ، والمسترولز نائب وزير الخارجية ، فازداد اهتمامهم بها .

ولا يخفى على جلالتكم انه قد اصبح من سياسة حكومة امريكا المقررة ـ وفيما اعتقد من سياسة حكومة بريطانيا ايضا ـ أن تؤجل بقدر الامكان إلى ما بعد انهزام

المحور الابحاث في المشاكل الاقليمية ومشاكل الحدود الكثيرة الكائنة في مختلف انحاء العالم ، لان غايتنا الاولى التي نحن في أشد الحاجة إلى ادراكها هي النصر على اعدائنا .

ولقد فهم الرئيس روزفلت من كتب جلالتكم اهتمامكم الخاص بمشكلة فلسطين ، ومع انه يقدر تلك الكتب الثمينة حق قدرها إنما يعتقد انه لا تمكن دراسة هذه القضية ولا البحث عن الوسائل لحلها من دون ان يطلع على آراء جلالتكم اطلاعا واسعا شاملا يزيد عما يمكن تدوينه في الكتب الرسمية ، لان قضية دقيقة وصعبة مثل قضية فلسطين لا يتضح كل ما تنطوي عليه إلا في المحادثات الطويلة ، ولهذا السبب أوفدني الرئيس روزفلت لاتشرف بمواجهة جلالتكم ، وآخذ رأيكم مباشرة ، ثم عندما أعود الى واشنطن استطيع ان ابلغ الرئيس رأسا وشخصيا ما تبدونه جلالتكم .

« وقد امرني الرئيس بصفة خاصة ان التمس من جلالتكم الاجابة على السؤال الآتي :

هل ترون جلالتكم انه مما يرغب فيه ومما يفيد في الوقت الحاضر ان تستقبلوا هنا في الرياض أوفي أي مكان آخر الدكتور حاييم وايزمن زعيم الصهيونيين لكي تتحدثوا معه وتبحثوا معا عن حل لمشكلة فلسطين يرضى به كل من العرب واليهود ؟

هذا هو سؤال الرئيس روزفلت ، ولكن إذا استصعبتم هذا الامر ورأيتم انه لا يمكن اجتماعكم بالدكتور وايزمن فيسأل الرئيس : هل ترون جلالتكم انه مما يرغب فيه ومما يفيد في الوقت الحاضر ان يعقد اجتماع بين شخص تعينونه لينوب عن جلالتكم وبين الدكتور وايزمن أو شخص آخر معين من قبل الوكالة اليهودية ، ويكون هذا الاجتماع إذا وافقتم عليه في مكان غير الرياض .

ويهم الرئيس روزفلت بهذه المناسبة ان يحيط جلالتكم علما بأنه قد أبلغ المستر تشرشل والمستر ايدن برغبته في ايفادي الى الرياض لمقابلة جلالتكم في هذا الشأن فعبرا عن موافقتهما على ذلك .

وأكون شاكرا لجلالتكم اذا تفضلتم بالنظر في هذا السؤال ، وتكرمتم بعد التفكير فيه باخباري عما إذا رأيتم ان اجتماعا يعقد بين جلالتكم والدكتور وايزمن يكون من المرغوب فيه ومن المفيد .

وقد امرت بعد ان اتشرف بتلقي اجابة جلالتكم ان اعود إلى واشنطن وابلغ الرئيس روزفلت شخصيا بقراركم » .

وأجاب ابن سعود بما نصه :

« أبلغتموني سعادتكم تفضل فخامة الرئيس روزفلت بسؤاله عن رأينا ورأي العرب في مشكلة فلسطين التي زادت أهميتها في الأشهر الأخيرة » .

« ونحن إذ نشكر لفخامته هذا الاعتناء المهم ، وإيفاده مندوبا لبقا مثل سعادتكم للاستفسار عن رأينا في قضية فلسطين نذكر لفخامته أن رأينا في هذه القضية لم يتغير ، وقد ذكرناه لفخامته بكل وضوح في كتابينا اللذين أرسلناهما إلى فخامته بتاريخ **١٩** نوفمبر (**١٩٣٨**) وتاريخ **٣٠** أبريل **١٩٤٣** وكل ما تريده في الأمر هو ألا يهضم حق العرب الصريح الذي هو مثل الشمس بمغالطات تاريخية ونظريات اجتماعية واقتصادية من قبل اليهود والصهيونيين .

« ثم اننا نؤيد كل ما أتينا به في كتابينا المشار إليهما ، ونرجو كذلك ألا تقترن أعمال من يريد العدل ونصرة الإنسانية ـ التي لا نشك بأن أمريكا لم تدخل هذه الحرب الضروس إلا لتأييدها ـ بعمل غير إنساني يقضي على حقوق العرب في فلسطين لعدم الوقوف على الحقيقة ، فتكون بذلك مأساة وضربة للعرب لم يأت التاريخ بمثلها .

« ونحن إذ تسرنا الوعود الكريمة بالنظر في هذه القضية بوجه الحق والإنصاف بعد اندحار المحور يمكننا أن نرجو من فخامته تطبيق أحكام الكتاب الأبيض على الأقل في مدة هذه الحرب ، لأن في عدم تطبيق أحكامه وعدم وقف الهجرة التي تجاوزت الحد المعين خرقا كبيرا لحرمة العهود والمواثيق ، وان ذلك في صالح اليهود على طول الخط ، وضد العرب بصورة لا تقبل الشك والتأويل .

« أما دخولي في مذاكرات لحل قضية فلسطين بصورة عملية غير إبداء الرأي

والنصائح فذلك غير ممكن ، ولا أستطيع أن أعمل أي عمل إلا بعد استطلاع أفكار ذوي العلاقة الذين في أيديهم الحل والعقد في هذه القضية .

وبذلك يمكن توجيه الآراء لحل المشكلات على ضوء هذه الأفكار ، فإذا رأى فخامته أن نقوم بمراجعة العرب للاستفسار عن آرائهم فنحن نقوم بذلك إن شاء الله .

« وأما ما ذكر فخامته من جهة مقابلتي للدكتور حاييم وايزمن فأحب أن يعلم فخامة الرئيس بأننا نقابل كل من يأتي إلينا من جميع الأديان بكل ترحاب مع القيام بالواجب لهم حسبما يقتضيه مقامهم من الاكرام .

« أما اليهود بصورة خاصة فلا يخفى على الرئيس ما بيننا وبينهم من عداوة سابقة ولاحقة ، وهي معلومة ومذكورة في كتبنا التي بين أيدينا ، ومتأصلة من أول الزمان ، فمن هذا يظهر جليا أننا لا نأمن غدر اليهود ، ولا يمكننا البحث معهم أو الوثوق بوعودهم ، أولا : لأننا نعرف نياتهم نحو العرب والمسلمين ، وثانيا : لأننا لم نتصل بالعرب لنعرف رأيهم ، وكما ذكرنا فيما تقدم إذا رغب فخامته أن نقوم باستمزاجهم واستطلاع رأيهم فنحن نقوم بتحقيق تلك الرغبة حينئذ .

« أما الشخص الذي هو الدكتور وايزمن فهذا الشخص بيني وبينه عداوة خاصة ، وذلك لما قام به نحو شخصي من جرأة مجرمة بتوجيهه إلي من دون جميع العرب والاسلام تكليفا دنيئا لأكون خائنا لديني وبلادي ، الأمر الذي يزيد البغض له ولمن ينتسب إليه ، وهذا التكليف قد حدث في أول سنة من هذه الحرب ، إذ أرسل إلى شخصا أوروبيا معروفا يكلفني أن أترك مسألة فلسطين وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها ، ويسلمني عشرين مليون جنيه مقابل ذلك ، وأن يكون هذا المبلغ مكفولا من طرف فخامة الرئيس روزفلت نفسه ، فهل من جرأة أو دناءة أكبر من هذه ؟ وهل من جريمة أبشع من هذه الجريمة يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف ، ويجعل فخامة الرئيس كفيلا لمثل هذا العمل الوضيع ؟! .

إني لا أشك بأن فخامة الرئيس روزفلت لا يقبل هذا ، لا في حقي ولا في حقه ، فهذه من جملة الأسباب التي أريد أن تعرضوها على فخامة الرئيس حتى

يرى إلى أي حد يتجرأ اليهود للوصول إلى غاياتهم الباطلة ، وينظر برأيه السديد في هذه الأعمال التي يغني بيانها عن وصفها » .

وبعد انتهاء الاجتماع بين ابن سعود والممثل الشخصي للرئيس أسلمه جواب رسالته إليه ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية إلى صاحب الفخامة الرئيس فرانكلن روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية.

يا صاحب الفخامة

« تلقيت ببالغ السرور كتاب فخامتكم الصادر عن البيت الأبيض بتاريخ ٧ يوليو **١٩٤٣** الذي حمله إلى مندوب فخامتكم اللفتننت كولونيل هارولد هوسكنز ، وقد كان من دواعي اغتباطي انني اجتمعت بالمندوب المشار إليه ، وأطلعني على آراء فخامتكم الخاصة ببعض الشؤون والمسائل ذات المصلحة المشتركة ، وبحثت معه في هذه المواضيع على ضوء المصالح المذكورة ، وهو سينقل ـ بدوره ولا شك ـ لفخامتكم آرائي وأفكاري .

« هذا وقد تلقيت بالحبور تحيات فخامتكم التي حملها إلى المندوب المشار إليه ، والذي قام بما عهد إليه من المهمة بما تقتضيه فطنته ولباقته اللامعة ، واني أغتنم فرصة عودته إلى الولايات المتحدة فأبعث لفخامتكم بشكري الخالص على نبل غايتكم بانتداب سعادته مما دل على متانة الصداقة التي تربط بلدينا ، كما أبعث بتحياتي الخالصة وتحيات حكومتي وشعبي وتمنياتنا الطيبة لفخامتكم وللشعب الأمريكي الكريم .

صديقكم
(التوقيع)
عبدالعزيز السعود

ولقد كشف الممثل الشخصي لروزفلت عن سر هذا الابتعاث ، فكل ما جاء من أجله هو توسط الرئيس الأمريكي بوساطة مبعوثه وممثله الشخصي لدى ابن سعود أن يسمح بمقابلة زعيم الصهيونية حاييم وايزمن .

وطبيعي أن عرضا كهذا لا يجد من ابن سعود إلا التجهم له ، وما كان ليرضى باستقباله بالرياض أو بأي مكان آخر ولو كان روزفلت نفسه شفيعا ووسيطا ، فابن سعود يعرف طبيعة اليهود وما جبلوا عليه ، ولن يقبل الحديث في مثل ما جاء من أجله هوسكنز .

وقطع السبيل على كل أحد ، فالعداء بين اليهود والعرب عداء طبيعي منذ كان العرب وكان اليهود ، ولما جاء الاسلام اشتدت العداوة والبغضاء من قبل اليهود ، ومع محاولات رسول الاسلام محمد ﷺ التقرب لليهود والعمل لنشر التوحيد وإعلاء كلمة الله فإن اليهود قد تنكروا للإسلام وحاربوه وكادوا له ودسوا عليه وتآمروا على الرسول الكريم نفسه ليغتالوه ، ثم تآمروا على الإسلام كله برسوله وأتباعه ليقضوا عليه عندما خانوا العهد المبرم بينهم وبين محمد عليه صلوات الله وسلامه ، وعاهدوا الوثنيين سرا عندما جاءوا إلى المدينة المنورة وحاصروها ، وكادوا يستأصلون الإسلام من الأرض لولا أن الله حفظه .

فالعداء بين ابن سعود واليهود عداء أصيل ، هو عداء الشر والباطل والخيانة التي يمثلها اليهود للخير والحق والفضيلة والأمانة التي يتصف بها ابن سعود ويمثلها ، ولا يمكن لمثل هذا النوع من العداء أن يزول .

ويزيد في اشعال هذا العداء أن وايزمن ليس أهلا لأن يكون له شرف لقاء ابن سعود والحديث معه ، فكل منهما نقيض الآخر في كل شيء ، ولن يقبل ابن سعود أبدا أن يقابل وايزمن الذي سبق له أن أراد من ابن سعود أن يخون دينه وبلاده تلقاء عشرين مليونا من الجنيهات يقدمها له ، ويتعهد بها تحت ضمان روزفلت نفسه .

وظن وايزمن أن ذهب اليهود قادر على شراء ابن سعود ، وغاب عنه أن ذهب الدنيا كله لن يكون ثمن عقيدة المسلم الحق ، وعلى قول ابن سعود « هل من جرأة أو دناءة أكبر من هذه ؟ وهل من جريمة أبشع من هذه الجريمة ؟ » والجواب :

لا ، فهي أكبر الدناءات وأبشع الجرائم على الإطلاق .

ولعل القاريء يود أن يعرف « الشخص الأوروبي المعروف » الذي أرسله وايزمن إلى ابن سعود ليعرض عليه ما كلفه به زعيم الصهيونية ، ونحن نكشف هذا الشخص ، انه سنت جون فلبي ، أو عبد الله فلبي كما سمي نفسه عندما ادعى الإسلام .

وكان فلبي في أوروبا ثم عاد إلى المملكة ، وفي يوم ذكرى جلوس ابن سعود الذي صادف يوم الأربعاء غرة ذي الحجة سنة ١٣٥٩ (٨ يناير ١٩٤٠) عرض فلبي على ابن سعود مشروعا زعم أنه يحل قضية العرب واليهود في فلسطين .

وكان الحل ـ في رأي فلبي ـ استئثار اليهود بكل فلسطين ، وإجلاء أهلها العرب إلى مكان آخر ، ويدفع اليهود كل نفقات « التوطين » وتقديم عشرين مليون جنيه لجلالته الخ .

وما كاد ينتهي فلبي من عرضه حتى ثار ابن سعود عليه وأرسل عليه شواظا من نار رده العنيف أحرقت فلبي وآراءه ومشروعه ، وزجره أعنف زجر ، ثم طرده شر طردة .

وإذا كان ابن سعود لم يبال ممثل روزفلت الشخصي ، بل لم يبال روزفلت نفسه عندما نقل ممثله أن مما يرغب فيه أن يسمح باستقبال وايزمن فهو أشد ما يكون عدم مبالاة مع فلبي .

وابن سعود سمح ومتسامح وعفو ، ولكن ، عندما تمس كرامته ـ وليس دينه ـ فإنه لا يبالي في سبيلها أن يلقى الموت عزيزا كما خلقه الله .

أما وان مشروع فلبي خيانة للدين والوطن فإن ابن سعود لن يصبر ولو كانت كل قوى الأرض تحاربه .

ونحن لا نرسل هذا القول أو هذه الدعوى على عواهنها ، بل ذلك ثابت ، وفي غير حاجة إلى دليل ، لأن خلائق ابن سعود مشهودة ومعروفة لا يخطئها القريب والبعيد ، ومع هذا ندون للتاريخ حادثه واحدة تكفي لإقامة الدليل على أن ابن

سعود لا يبالي أحدا ولا دولة في سبيل الاحتفاظ بكرامته ، ولعل لجوء رشيد عالي الكيلاني إلى ابن سعود أبلغ دليل .

في كتابنا « صقر الجزيرة[1] » بالصفحة **١٣٤٦** من الجزء السابع ما نصه :

« كان قرار ابن سعود الذي اتخذه ولن يحيد عنه حماية رشيد عالي الكيلاني ، والعزم المصمم الذي لا يحول عنه بإذن الله هو ألا يسلمه ما دام حيا ، وما دام في الأرض واحد من آل سعود ، ولكنه لم يتخذ قرار الحرب ، لأنه يريد السلام والمودة ، وكان قد عاد إلى الرياض من الحجاز ، وأرسل إلى ابنه الأمير فيصل ونائبه أن يحضر إليه - فورا - ويصطحب معه الممثل البريطاني بالمملكة ، وحضر إليه ، وعندما أخذا مكانهما قال عبد العزيز للممثل البريطاني : لقد وصل إلى الرياض رشيد عالي الكيلاني ، وقد التجأ إلى واستجار بي ، وهو عندي الآن ، وضيفي ، وفي جواري وحماي ، وأرجو أن تأخذ الحكومة البريطانية علما بذلك .

« ولم يتمالك ممثل بريطانيا نفسه فوقف على قدميه وقال بلهجة شديدة : هذا مجرم حرب ولا يمكن قبول لجوئه ، ولا بد من تسليمه فورا للحكومة البريطانية .

« وتمالك الملك هدوءه وقال له : قلت لك : ان الرجل ضيفي ، وان التقاليد العربية لا تجيز تسليم الضيف بأي شكل ، وفي أي حال ، وفي أي ظرف ، ولما كنت لا أريد أن أسلم ضيفي الذي جاءني من غير دعوة مني له فإن تسليمه - لا قدر الله - عار الأبد الذي لا يمحى ، ولن أسلمه ، لئلا يكون اسمي مضغة في أفواه العرب أبد الدهر ، ولا أقبل أن يقال : ان ابن سعود سلم ضيفه ، لذلك يجب عليك أن تبلغ حكومتك ما قلته لك .

« ولم يتمالك الممثل البريطاني أعصابه ، ولعله كان يجهل تقاليد العرب ، ولا يعلم حقيقة ابن سعود ، وقال : هذا مستحيل ، ان انجلترا لا يمكن أن تقبل ، ولا بد من أخذه بأي حال .

«فرد عليه ابن سعود : ان رشيد عالي الكيلاني سيظل عندي آمنا مطمئنا ما بقيت وما بقي احد من آل سعود حيا، ووالله، ثم والله، لو جاء الانجليز

---

(١) طبع في بيروت « الطبعة الثالثة » سنة ١٣٩٢ « ١٩٧٢ » .

باساطيلهم وصفوا بوارجهم من لندن الى جدة فلن يأخذوه ما دمت حيا !!.

«فقال الانجليزي : هذا لن يكون.

«فقاطعه ابن سعود : اسمع، لا تطل الكلام، ان عليك ابلاغ حكومتك ما قلته لك، وهنا تنتهي مهمتك! والآن انتهى الاجتماع.

وغادر الانجليزي مجلس ابن سعود وصحبه الامير فيصل، وعادا الى جدة الخ ».

وهذا الموقف يكفي لبيان ثبات ابن سعود دون تقاليده العربية، فاذا وصل الامر الى المعتقد فقد انتهى الى الكرامة الدينية التي يسترخص المسلم الحق حياته. في سبيلها.

وجرأة فلبي على تقديم مشروعه الخبيث الدنىء الى ابن سعود جرأة لقيت مصرعها في لمح البصر، كما لقي فلبي جزاءه العاجل، اذ طرده ابن سعود من مجلسه، فتناولته ايدي الجلاوزة وقذفوا به بعيدا.

وأشار فلبي في كتابه «اليوبيل العربي» الى مشروعه الدنيء بما نصه :

«بعد دراسات واتصالات تكشف لي حل القضية الفلسطينية في ثلاث جمل موجزة صريحة شاملة وهي : ان يعطى اليهود فلسطين، وان يُجْلَى العرب عنها ويوطنوا في مكان اخر، وان يكون توطينهم على حساب اليهود، وعلى اليهود ان يضعوا عشرين مليون جنيه استرليني تحت حساب الملك ابن سعود لهذه الغاية.

«ويجب مقابل ذلك ان يعترف بالاستقلال التام لجميع البلاد العربية الاسيوية ما عدا عدن.

ويجب ان تقدم بريطانيا وامريكا هذه المقترحات الى الملك ابن سعود باعتباره عاهل الجزيرة العربية، ويجب ان تضمن له هاتان الدولتان معا تنفيذها في حال قبوله لها نيابة عن الدول العربية».

وجاء في كتاب فلبي : انه تناول الغداء مع حاييم وايزمن يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٣٩ وعرض عليه مقترحاته فرحب وايزمن بها، واتفقا على ان يقوم وايزمن

بالسعي لدى الحكومتين الامريكية والبريطانية لحملها على رعاية تنفيذ تلك المقترحات، وان يقوم فلبي بالسعي لدى الملك ابن سعود لاقناعه بالموافقة عليها.

وأشار حاييم وايزمن في مذكراته في فصل بعنوان «فلبي يقترح حلين» قائلا: «قابلت السير جون فلبي قبل ذلك ببضعة شهور وتحدثنا عن العرب واليهود، فكان مما قاله لي: «احسب ان هناك سبيلين لحل قضيتكم: الاول - ان يقول تشرشل وروزفلت لابن سعود: اننا نريد منك تحقيق برنامج اليهود في فلسطين، والسبيل الثاني - ان يعمل تشرشل وروزفلت على تمهيد السبيل لجعل ابن سعود سيد الاقطار العربية كلها، ثم تقديم قرض كبير له».

ومع ان فلبي عاش قرب ابن سعود زمنا طويلا فقد جهل حقيقة ابن سعود جهلا مطبقا، وإلا لما تجرأ بعرض مقترحاته التي لا يمكن لحاكم عربي ان يقبلها وبخاصة ابن سعود.

ولم يشر فلبي في كتابه «اليوبيل العربي» الى جواب ابن سعود وما لقيه منه من الطرد والزجر والتعنيف، فأضاف الى دناءة نفسه وسفالة مشروعه خيانة التاريخ، والكذب، فهو لم يجرؤ على ان يعرض عليه العشرين مليونا تلقاء استيلاء اليهود على كل فلسطين، واجلاء كل أهلها العرب منها الى مكان آخر، بل كان عرض فلبي ان يترك ابن سعود مسألة فلسطين وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها كما جاء في مذكرة ابن سعود لممثل روزفلت الشخصي هارولد هوسكنز.

ولكن، متى عرف فلبي النبل والصدق والامانة؟!..

وكانت الصهيونية وبريطانيا وامريكا مهتمة بموقف ابن سعود، وكانت تحاول بكل ما لديها من حذق ودهاء ونفوذ ان تبعد ابن سعود عن قضية فلسطين، وتشتري صمته بكل ما يرضيه، وتجيبه الى كل ما يطلب، وكانت بريطانيا مستعدة من اجل ارضاء الصهيونية ان توسع رقعة مملكة ابن سعود، وتجعله اكبر حاكم في الشرق الأوسط، وتمكنه من الاستيلاء على دول الجزيرة العربية، وكانت امريكا مستعدة لذلك واكثر منه، كما كانت الصهيونية على استعداد تام لتقديم عشرات الملايين من الجنيهات طمعا في ضمان سكوت ابن سعود عن قضية فلسطين.

ويذكر وايزمن في كتابه «التجربة والخطأ» صفحة ١٢٧ من طبعة عربية لا يعرف مترجمها وناشرها مع ترجمة من الانجليزية :

« عندما اردت الذهاب الى الولايات المتحدة تلبية لدعوة من الرئيس روزفلت للعمل في الشؤون الكيماوية قابلت تشرشل الذي ودعني متمنيا لي حظا سعيدا، ثم قال لي دون ان أسأله : « أود أن تعلم ان لدى مشروعا لا يمكن تحقيقه بالطبع إلا بعد انتهاء الحرب، وانا راغب في ان ارى ابن سعود سيدا للشرق الأوسط ورئيسا لكل حكامه، ولكن على شرط ان يسوي الأمور معكم، ومتى تم هذا فعليكم أن تأخذوا منه خير ما يمكن من شروط، ونحن ـ بطبيعة الحال ـ سنساعدكم ».

وذكر وايزمن أن تشرشل طلب اليه ان يحتفظ بتفاصيل هذا المشروع سرا، وصرح له في الوقت نفسه بأن يبحث هذه التفاصيل مع روزفلت بعد وصوله الى امريكا.

وكان وايزمن يمني نفسه بمقابلة ابن سعود، فاستعان روزفلت وطلب اليه ان يتوسط له لدى ابن سعود ليقابله في الرياض، وكان وايزمن يعتقد أنه قادر على اقناع ابن سعود بالموافقة على تنفيذ المشروع الاستعمارى الصهيوني، جاهلا ان ابن سعود اكبر من ان ينزل الى الدرك الذي يعيش فيه وايزمن.

وما ايفاد روزفلت لهوسكنز الى ابن سعود الا استجابة لطلب وايزمن، ولكن موقف ابن سعود الصلب قضى على آمال زعيم الصهيونية، وعاد هوسكنز يحمل الى روزفلت جواب ابن سعود القاطع.

وفي مذكرات وايزمن تشكيك في مسألة العشرين مليونا من الجنيهات، وها هوذا ادعاؤه : .

« قد كان جميع البارزين من رجال السياسة والحكم في امريكا من انصارنا ومن اشد المتحمسين لنا. . . والقارىء يذكر ما قاله لي السير جون فلبي عن ابن سعود، وهو يتفق تماما مع ما قاله لي تشرشل قبل سفري الى امريكا بساعات قليلة.

«وفي امريكا قابلت الكولونيل هوسكنز احد رجال القسم الشرقي بوزارة الخارجية، وكان كذلك مندوب روزفلت الخاص في الشرق الأوسط، ولم يكن هوسكنز من انصار اليهود الا انه لم يكن بالعدو اللدود مثل اخوانه من بقية إخوان تلك الطبقة.

«وكان لهوسكنز رأي في قضية فلسطين خلاصته: انه يجب على اليهود ان يخففوا من مطالبهم وان يقنعوا بادخال مليون يهودي الى فلسطين في عشرين سنة.

«وقد ذهب هوسكنز الى الشرق، فلما عاد وقابلته في امريكا كان قد تغير، وقال لي: لقد زرت ابن سعود وتحدث جلالته عنك في غضب وسخط قائلا: «إن وايزمن يحاول رشوي بعشرين مليون جنيه لابيع فلسطين العربية لليهود».

«ثم قال هوسكنز: ان ابن سعود لن يسمح لجون فلبي بدخول الحجاز مرة اخرى.

«ترى، لماذا غضب عليَّ ابن سعود، وهل كنت انا او تشرشل صاحب الفكرة التي غضب لها ابن سعود؟

«ترى من الذي يستطيع ان يقع على هذه المؤامرات فيبين لنا هل اخترع ابن سعود ما قال ام ان غيره هو الذي اخترع تلك الشائعات حتى اذا وصلت الى ابن سعود قام وقعد لها؟».

واراد وايزمن بهذا الأسلوب أن يشكك في جريمته اذ عرض على ابن سعود عشرين مليون جنيه تحت كفالة الرئيس روزفلت، ولا شك ان الواقعة صحيحة، ولا يجوز او لا يعقل ان ينسب الى ابن سعود اختراعها ويؤكد صحتها ان روزفلت لم ينفها عندما علم بها من رسوله هوسكنز.

ومن المؤكد ان وايزمن عرض ذلك العرض على ابن سعود بوساطة جون فلبي، وتشكيك وايزمن مردود عليه لأنه معروف بالتضليل وبشراء الذمم وارتكاب كل حرام في سبيل تحقيق غايات الصهيونية الآثمة اللئيمة.

وهذه المواقف التي وقفها ابن سعود تدل على انه الحاكم الوحيد الذي دون له التاريخ الحق انه الفريد الذي جابه قوى الاستعمار والصهيونية وحده، واستكبر

على اغراءاتها ووعيدهما ، وابى عراضة الملك وسعة الجاه وتلال الذهب من أجل الحق العربي في فلسطين .

عرض عليه ان يكون سيد الشرق الأوسط كله دون منازع ، وان يكون الحاكم الفذ، وان يعطى المال الذي لا تحلم به الدول الكبيرة، ومع ذلك كله خرج من هذه التجربة وهو اعظم سيادة ومجدا وجاها ونجاحا، فقد ارضى ربه، وارضى ضميره، وارضى الحق العربي، وزهد ان يكون سيد الشرق الاوسط على حساب فلسطين.

وبسبب موقف ابن سعود لم تستطع الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي وبريطانيا ضمان الامن لدولة اسرائيل التي اقامتها جيوش الاستعمار والشيوعية والصهيونية واموالها التي لا تحصى واسلحتها التي لا تعد، فهي تعيش في رعب مع انها قلعة بالغة القوة والتحصين، محمية من اقوى دولتين عملاقتين في العالم..

دعوى الصّهيونيّة في فلسطين باطلة

في أول سنة ١٩٤٥ تأكد للعالم أن المانيا قد انهزمت أفدح هزيمة عرفها تاريخها كله ، بل أيقن بهزيمتها النكراء قبل هذا التاريخ ، ولم يبق أي أمل لها ، بل لم يكن هناك مفر من الاستسلام التام دون قيد أوشرط .

ومنذ نشبت الحرب بين المحور والحلفاء اخترق ابن سعود ببصيرته الثاقبة حجاب المستقبل وصرح بأن المحور سيخسر الحرب ، وان الحلفاء هم كاسبوها لا محالة ، وكانت حجته أن المحور دخل الحرب وهو تام الرجولية والقوة والبلوغ ، والحلفاء كالوليد الضعيف .

وعندما زاد انتصار الالمان في كل الميادين بعد احتلال بولندا وغيرها حتى قرع روميل بعنف أبواب العلمين تمهيدا للاستيلاء على مصر أكد ابن سعود ان الهزيمة مكتوبة على المانيا ، لانها دخلت الحرب واعلنتها وهي بالغة القوة ، والحلفاء دخلوها كالوليد الضعيف الصغير ، وسنة الحياة أن يكبر الصغير ويقوى ، وان يضعف القوي ويشيخ حتى ينتهي ، وكان ما رآه ابن سعود حقا اثبتته الايام .

وفي أول سنة ١٩٤٥ فقدت المانيا كل قوتها ، وحوصرت في أرضها ، واخذت طائرات الحلفاء وامريكا بخاصة تدك قلاع المانيا ومعسكراتها ومصانعها الحربية والطرق والمنشـآت دكا ، وعلم ابن سعود بنشاط الصهيونية من اجل اقامة دولة يهودية في فلسطين ، متخذة من اضطهاد هتلر لليهود حجة على ضرورة قيام دولة تحميهم وتجمع شملهم المشتت .

ولم يفته ان قادة الحرب من رؤساء دول الحلفاء المنتصرة انتصارا مبينا مؤزرا

صهيونيون ظاهرا وباطنا مثل ستالين وتشرشل ، ومداجيا مثل روزفلت ، وأدرك ابن سعود نفوذ اليهود حتى انهم كانوا سبب دخول امريكا الحرب ، كما انه كان يعلم ان الرئيس روزفلت يهودي صميم ، وان بعض كبار مستشاريه في مؤتمر يالطا من غلاة اليهود الصهيونيين .

ولكنه كان يؤمل في ان يتغلب جانب الحكمة على التهور ، والحق على الباطل ، ومصلحة الشعب الامريكي والشعب البريطاني على « انانية » اليهودية العالمية ، وظهر ان محادثاته مع روزفلت وتشرشل حول فلسطين وما أغدقا من وعود سيكونان ملتزمين بها .

ولكنه علم بما يدور في الظلام من نشاط الصهيونية ، وخشي الغدر بأهل فلسطين والامة العربية كالغدر الذي وقع من الحلفاء في الحرب الاولى ، ودفعته انسانيته الى ان يذكّر ، لان اغفال الاستماع لرأيه ونصحه ستنجم عنه كوارث تزلزل الانسانية لا شعبا من الشعوب .

وكما ان اناسا من السياسيين والمفكرين انذروا العالم من العواقب السيئة الوخيمة من سيطرة اليهود على روسيا ، وطلبوا بالحاح ضرب الحركة البلشفية وهي في مهدها ولم يجدوا من الدول الكبرى اهتماما ، بل وجدوا منها النقيض ، لان ساستها كانوا يهودا أوخاضعين لسيطرتهم .

وأدى ذلك الى اغراق العالم في متيهات وشرور ، وقرعت قوارع الحرب الكبرى الثانية التي ذهب ضحيتها ملايين القتلى وعشرات الملايين من الجرحى والمشوهين ، كما ذهبت ضحيتها شعوب ومبادئ وقيم انسانية رفيعة .

وكذلك كان الامر بالنسبة لابن سعود ، فقد أصم روزفلت وتشرشل آذانهما عن صوت الحق والانسانية المنبعث من ابن سعود الملهم الصالح الرشيد .

ولم يقف ابن سعود جهوده لدى روزفلت على مكاتباته السابقة ، ولا على اجتماعه به ، ورأى الحرب توشك ان تنتهي بانتصار دول الحلفاء فكتب الى روزفلت رسالة مطولة هذا نصها[1] :

---

(١) نص هذه الرسالة ارسل باسم ونستون تشرشل رئيس الحكومة البريطانية في ذلك التاريخ نفسه .

الرقم : ٢٦ / ٤ / ١ / ٤٥

التاريخ : ٢٧ ربيع الاول سنة ١٣٦٤

١٠ مارس ١٩٤٥

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية الى حضرة صاحب الفخامة المستر روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة الامريكية ـ الافخم

يا صاحب الفخامة

انها لفرصة سعيدة انتهزها لأشارككم السرور بانتصار المبادئ التي اعلنت الحرب من اجل نصرتها ، ولاذكر الشخصيات العظيمة التي بيدها ـ بعد الله ـ تصريف مقاليد نظام العالم بحق صريح دائم منذ عرف التاريخ ، ويراد ـ الآن ـ القضاء على هذا الحق بظلم لم يسجل له التاريخ مثيلا ولا نظيرا .

ذلك هو حق العرب في فلسطين الذي يريد دعاة اليهودية الصهيونية غمطه وإزالته بشتى وسائلهم التي اخترعوها وبيتوها وعملوا لها في شتى انحاء العالم من الدعايات الكاذبة ، وعملوا في فلسطين من المظالم ، وأعدوا للعدوان على العرب ما أعدوه مما علم بعضه الناس ، وبقي الكثير منه تحت طي الخفاء ، وهم يعدون العدة لخلق شكل نازي فاشستي بين سمع الديمقراطية وبصرها في وسط بلاد العرب ، بل في قلب بلاد العرب ، وفي قلب الشرق الذي اخلص العمل لقضية الحلفاء في هذه الظروف الحرجة .

وان حق الحياة لكل شعب في موطنه الذي يعيش فيه حق طبيعي ضمنته الحقوق الطبيعية ، وأقرته مبادئ الانسانية التي اعلنها الحلفاء في ميثاق الاطلنطي وفي مناسبات متعددة ، والحق الطبيعي للعرب في فلسطين لا يحتاج الى بينات ، فقد ذكرت غير مرة لفخامة الرئيس روزفلت ، وللحكومة البريطانية في عدة مناسبات ان العرب هم سكان فلسطين منذ أقدم عصور التاريخ ، وكانوا سادتها والاكثرية الساحقة فيها في كل العصور ، واننا نشير اشارة موجزة الى هذا التاريخ

القديم والحديث لفلسطين حتى اليوم لنبين ان دعوى الصهيونية في فلسطين لا تقوم على اساس تاريخي صحيح .

يبتدئ تاريخ فلسطين المعروف من سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، وأول من توطن فيها الكنعانيون ، وهم قبيلة عربية نزحت من جزيرة العرب ، وكانت مساكنهم الاولى في منخفضات الارض ، ولذلك سموا كنعانيين .

وفي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد هاجر من العراق (أور الكلدانيين) بقيادة النبي ابراهيم فريق من اليهود[1] ، واقاموا في فلسطين ، ثم هاجروا الى مصر بسبب المجاعات حيث استعبدهم الفراعنة .

وقد ظل اليهود مشردين فيها إلى ان انقذهم النبي موسى من غربتهم ، وعاد بهم الى ارض كنعان عن طريق الجنوب الشرقي في زمن رمسيس الثاني سنة ١٢٥٠ أو ابنه منفتاح سنة ١٢٢٥ قبل الميلاد .

وإذا سلمنا بنص التوراة نجد ان قائد اليهود الذى فتح فلسطين كان يشوع ابن نون ، وهو الذي عبر بجيشه واحتل مدينة أريحا من الكنعانيين بقسوة شديدة ووحشية يدل عليها قوله لجيشه : « حرقوا كل ما في المدينة ، واقتلوا كل رجل وامرأة ، وكل طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم بحد السيف ، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها » . (يشوع ٦ : ٢١ ـ ٢٢) وقد انقسم بعد ذلك الى مملكتين : مملكة اسرائيل ، وقصبتها السامرة (نابلس) وقد دامت ٢٥٠ سنة ، ثم سقطت في يد شلمناصر ملك آشور سنة ٧٢٢ قبل الميلاد ، وسبى شعبها الى مملكته .

ثم مملكة يهوذا ، وقصبتها : أورشليم (القدس) وقد دامت ١٣٠ سنة بعد انقراض مملكة اسرائيل ، ثم أبيدت على يد نبوخذ نصر ملك بابل الذي احرق المدينة والهيكل بالنار ، وسبى الشعب الى بابل سنة ٥٨٠ قبل الميلاد .

---

(١) ان من اعد مذكرة الملك عبد العزيز هذه لم يفطن الى الحقيقة ، فذكر أن فريقا من اليهود هاجروا مع ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ، والواقع ان ذلك ليس بصحيح ، ففي حياة ابراهيم لم يكن اليهود قد عرفوا بعد ، فهم ينسبون الى يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، وبين يهوذا وابراهيم اكثر من قرنين ، ولم يعرف يهوذا إلا انه من ابناء يعقوب الذين رحلوا معه الى مصر في القرن السابع عشر قبل الميلاد (تقريبا) ولم يكن له ذكر تاريخي إلا بعد قيام مملكة يهوذا .

ودام السبي البابلي مدة ٧٠ سنة ، ثم رجع اليهود إلى فلسطين بأمر قورش ملك الفرس .

ثم تلا ذلك الفتح اليوناني بقيادة اسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، ودام حكمه في فلسطين مدة ٢٧٢ سنة ، وجاء بعده الفتح الروماني سنة ٦٣ قبل الميلاد بقيادة بومبي ، ودام حكم الرومان في فلسطين مدة ٧٠٠ سنة ، وفى سنة ٦٣٦ م احتل العرب فلسطين ، ودام حكمهم فيها مدة ٨٨٠ سنة متواصلة ، وكانت وصية الخليفة الفاتح : « لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا تعقروا نخلا أو تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا ، وسوف تمرون بأناس قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » وقد ذكر هذا ابن الاثير المؤرخ المشهور .

ثم انتقل الحكم في فلسطين الى الاتراك سنة ١٥١٧ ميلادية في زمن السلطان سليم الاول ، وظلت فلسطين في حوزتهم مدة ٤٠٠ سنة ، وكان العرب سكانها ، وكانوا شركاء مع الاتراك في حكمها وادارتها . وفي سنة ١٩١٨ احتلها البريطانيون ، ولا يزالون فيها إلى الآن .

ذلك تاريخ فلسطين العربية ، يدل على ان العرب اول سكانها ، سكنوها منذ ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة قبل الميلاد ، واستمر سكناهم فيها بعد الميلاد الى اليوم ، وحكموها وحدهم ومع الاتراك الفا وثلثمائة سنة تقريبا ، اما اليهود فلم تتجاوز مدة حكمهم المتقطع فيها ٣٨٠ سنة ، وكلها اقامات متفرقة مشوشة ، ومنذ سنة ٣٣٢ قبل الميلاد لم يكن لليهود في فلسطين أي وجود أو حكم الى ان دخلت القوات البريطانية فلسطين سنة ١٩١٨ .

ومعنى ذلك ان اليهود منذ ألفين ومئتي سنة لم يكن لهم في فلسطين عدد ولا نفوذ .

ولما دخل البريطانيون الى فلسطين لم يكن عدد اليهود فيها يزيد على ثمانين ألفا ، كانوا يعيشون في رغد وهناء ورخاء مع سكان البلاد الاصليين من العرب ، ولذلك فاليهود لم يكونوا إلا دخلاء على فلسطين في حقبة من الزمن ، ثم اخرجوا منها منذ أكثر من الفي سنة .

اما الحقوق الثابتة للعرب في فلسطين فتستند :

١ ـ على حق الاستيطان الذي استمرت مدته منذ سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، ولم يخرجوا منها في يوم من الايام .

٢ ـ وعلى الحق الطبيعي في الحياة .

٣ ـ ولوجود بلادهم المقدسة فيها .

٤ ـ ليس العرب دخلاء على فلسطين ، ولا يراد جلب احد منهم من اطراف المعمورة لاسكانه فيها .

أما اليهود فإن دعواهم التاريخية إنما هي مغالطة ، ثم ان حكمهم القصير في فترات متقطعة ـ كما ذكرنا ـ لا يعطيهم أي حق في ادعائهم أنهم اصحاب البلاد ، لان احتلال بلد ما ثم الخروج منه لا يخول أي شعب ادعاء ملكية تلك البلاد ، والمطالبة بذلك ، وتاريخ العالم مملوء بمثل هذه الامثال .

ان حل قضية المضطهدين في العالم يختلف عن قضية الصهيونية الجائرة ، فإن إيجاد اماكن لليهود المشتتين يمكن ان يتعاون عليه جميع العالم ، وفلسطين قد تحملت قسطا فوق طاقتها ، وأما نقل هؤلاء المشتتين ووضعهم في بلاد آهلة بسكانها والقضاء على اهلها الاصليين فأمر لا مثيل له في التاريخ البشري .

وانا نوضح بصراحة ان مساعدة الصهيونية في فلسطين لا يعني خطرا يهدد فلسطين وحدها ، بل انه خطر يهدد سائر البلاد العربية ، وقد أقام الصهيونيون الحجة الناصعة على ما ينوونه في فلسطين ، وفي سائر البلاد المجاورة ، فقاموا بتشكيلات عسكرية سرية خطيرة ، ومن الخطأ أن يقال : ان هذا عمل شرذمة متطرفة منهم ، وان ذلك قوبل باستنكار من جمعياتهم وهيئاتهم .

وانا نقول : ان اعمال الصهيونيين في فلسطين وفي خارجها صادرة عن برنامج متفق عليه ومرضي عنه من سائر اليهودية الصهيونية ، وقد بدأ هؤلاء اعمالهم المنكرة بالاساءة للحكومة التي احسنت اليهم وآوتهم ، وهي الحكومة البريطانية ، فأعلنت جمعياتهم الحرب على بريطانيا ، وأسست لذلك تشكيلات عسكرية خطيرة تملك فى فلسطين في الوقت الحاضر كل ما تحتاج إليه من الاسلحة والمعدات

الحربية ، ثم قام افرادها بشتى الاعتداءات ، وكان من أفظعها الاعتداء على الرجل الفذ الذي كان ممتلئا بالحب والخير لصالح المجتمع ، وكان من اشد من يعطف على اليهودية المضطهدة ، وهو اللورد موين ، ومما يدل على ان فعلتهم المنكرة كانت مؤيدة من جميع اليهود عدا المظاهرات والمساعي التي قام بها رجال الصهيونية في كل مكان في طلب تخفيف العقوبة عن المجرمين ليجرئوا غيرهم على أمثالها .

فهذه أفعالهم مع الحكومة التي احسنت اليهم كل الاحسان ، فكيف يكون الحال لو مكنوا من أغراضهم ، واصبحت فلسطين بلدا خالصا لهم ، يفعلون فيه وفي جواره ما يريدون ؟

ولو ترك الامر بين العرب وبين هؤلاء المعتدين فربما هان ، ولكنهم محميون من قبل الحكومة البريطانية صديقة العرب ، فاليهودية الصهيونية لم تراع حرمة هذه الحماية ، بل قامت بتدبير حبائل الشر ، وبدأتها ببريطانيا ، وأنذرت العرب بعد بريطانيا بمثلها وأشد منها ، فإذا كانت الحكومات المتحالفة التي تشعر العرب بصداقتها تريد أن تشعل نار الحرب والدماء بين العرب واليهود فإن تأييد الصهيونية سيوصل الى هذه النتائج .

وان اخشى ما تخشاه البلاد العربية من الصهاينة هو :

١ ـ انهم سيقومون بسلسلة من المذابح بينهم وبين العرب .

٢ ـ ستكون اليهودية الصهيونية من اكبر العوامل في افساد ما بين العرب والحلفاء ، واقرب دليل على ذلك قضية اليهوديين في مقتل اللورد موين في مصر ، فقد قدر اليهود ان يخفوا فاعلي الجريمة ، فيقع الخلاف بين الحكومة البريطانية ومصر .

٣ ـ ان مطامع اليهود ليست في فلسطين وحدها ، فإن ما أعدوه من العدة يدل على انهم ينوون العدوان على ما جاورها من البلدان العربية .

٤ ـ لو تصورنا استقلال اليهود في مكان ما في فلسطين فما الذي يمنعهم من الاتفاق مع أي جهة قد تكون معادية للحلفاء ومعادية للعرب ، وهم قد بدأوا بعدوانهم على بريطانيا وهم تحت حمايتها ورحمتها .

لا شك أن هذه الامور ينبغي أخذها بعين الاعتبار في اقرار السلام في العالم عندما ينظر في قضية فلسطين ، ففضلا عن ان حشد اليهود في فلسطين لا يستند الى حجة تاريخية ، ولا حق طبيعي ، فإنه ظلم مطلق ، فهو في نفس الوقت يشكل خطرا على السلم وعلى العرب ، وعلى الشرق الاوسط .

وصفوة القول : ان تكوين دولة يهودية بفلسطين سيكون ضربة قاضية لكيان العرب ، ومهددا للسلم باستمرار ، لانه لا بد ان يسود الاضطراب بين اليهود والعرب ، فإذا نفد صبر العرب يوما من الايام ويئسوا من مستقبلهم فإنهم يضطرون للدفاع عن انفسهم وعن أجيالهم المقبلة إزاء هذا العدوان ، وهذا بلا شك لم يخطر على بال الحلفاء ، العاملين على سيادة السلم واحترام الحقوق ، ولا نشك انهم لا يرضون هذه الحالة المقلقة المهددة لسلام الشرق الاوسط .

ما كنت أريد في هذا المعترك العظيم ان اشغل فخامتكم ورجال حكومتكم العاملين في هذه الحرب العظمى بهذا الموضوع ، وكنت أفضل ـ وانا واثق من انصاف العرب من قبل دول الحلفاء ـ ان يستمر سكوت العرب الى نهاية الحرب ، لولا ما نراه من قيام هذه الفئة الصهيونية اليهودية بكل عمل مثير مزعج ، غير مقدرين للظروف الحربية ومشاغل الحلفاء حق قدرها ، عاملين للتأثير على الحلفاء بكل انواع الضغط ليحملوهم على اتخاذ خطة ضد العرب تختلف عما أعلنه الحلفاء من مبادئ الحق والعدل .

لذلك أردت بيان حق العرب في فلسطين على حقيقته ، لدحض الحجج الواهية التي تدعيها هذه الشرذمة من اليهودية الصهيونية دفعا لعدوانهم ، وبيانا للحقائق ، حتى يكون الحلفاء على علم كامل بحق العرب في بلادهم وبلاد آبائهم واجدادهم ، فلا يسمح لليهود ان ينتهزوا فرصة سكوت العرب ورغبتهم في عدم التشويش على الحلفاء في الظروف الحاضرة ، فيأخذوا من الحلفاء ما لا حق لهم فيه .

وكل ما نرجوه هو ان يكون الحلفاء على علم بحق العرب ليمنع ذلك تقدم اليهود في أي أمر جديد يعتبر خطرا على العرب وعلى مستقبلهم في سائر أوطانهم ،

ويكون العرب مطمئنين من العدل والانصاف في أوطانهم .

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي . . .

عبد العزيز السعود

(الختم الملكي)

وتلقى ابن سعود جواب رسالته هذه من روزفلت وهذا نصها :

البيت الابيض ، واشنطن

٥ ابريل ١٩٤٥

إلى حضرة صاحب الجلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية .

الريـــاض

صديقي الطيب العظيم

لقد تسلمت رسالة جلالتكم التي بعثتم بها الي بتاريخ ١٠ مارس ١٩٤٥ والتي اشرتم فيها الى قضية فلسطين ، والى المصالح الدائمة للعرب في استمرار كل ما يؤثر في رقي تلك البلاد وتحسينها .

انني مغتبط ان جلالتكم انتهزتم الفرصة للفت انتباهي لآرائكم في هذه القضية ، وقد اعطيت أدق الانتباه للبيانات التي ادرجتموها في كتابكم . واني أيضا لمفعم بالمحادثات التي لا تنسى والتي جرت بيننا منذ أمد غير بعيد ، والتي في اثنائها تهيأت لي الفرصة لادرك أي أثر حي لآراء جلالتكم في هذه القضية .

وتذكرون جلالتكم انني في مناسبات سابقة أبلغتكم موقف الحكومة الامريكية تجاه فلسطين ، وأوضحت رغبتنا بألا يتخذ قرار فيما يختص بالوضع الاساسي في تلك البلاد دون استشارة تامة مع كل من العرب واليهود ، ولا شك أن جلالتكم تذكرون ايضا أني في خلال محادثاتنا الاخيرة أكدت لكم أني لن أتخذ أي عمل - بصفتي رئيسا للسلطة التنفيذية لهذه الحكومة - يتضح أنه عدائي للشعب العربي .

وانه لمما يسرني ان اجدد لجلالتكم التأكيدات التي سبق ان تلقيتموها جلالتكم

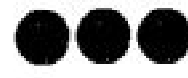
بشأن موقف حكومتي وموقفي كرئيس للسلطة التنفيذية فيما يتعلق بقضية فلسطين ، في هذا الخصوص ، وأن أؤكد لكم ان سياسة هذه الحكومة في هذا الامر لن تتغير .

وأود في هذه الفرصة ان ابعث اليكم بأحسن تمنياتي بدوام صحة جلالتكم ورفاهية شعبكم .

صديقكم الحميم

(التوقيع)

فرنكلين . د . روزفلت



ويقول فرانك مانويل في كتابه « بين امريكا وفلسطين » صفحة ١٨٢ - ١٨٣ : « كان روزفلت قد ارسل كتابا خاصا الى الملك عبد العزيز آل سعود بتاريخ ٥ ابريل ١٩٤٥ - أي قبل وفاته بقليل - وهذا الكتاب نشره بيرنز وزير الخارجية الامريكية بعد ذلك بستة اشهر ، وكان الغرض من نشره بيان ان الحكومة الامريكية كانت حريصة دائما على التمسك بمبدأ عدم تعزيزها لاي حل نهائي لقضية فلسطين إلا بعد التشاور مع العرب واليهود .

« وقد ذكر روزفلت في كتابه ذلك تأكيدا لابن سعود بأنه لن يعمل عملا بوصف كونه رئيسا للسلطة التنفيذية في امريكا يعد عدائيا للشعب العربي ، كما وعد روزفلت بأنه يستشير العرب واليهود في كل ما يتعلق بفلسطين ، ومن الممكن ان يزعم اليهود ان الوطن القومي اليهودي لا يعتبر عملا عدائيا للعرب .

« ومهما يكن من مثل هذا الزعم فالشيء الذي لا يختلف فيه اثنان هو ان كتاب روزفلت لابن سعود يعتبر عند من يفسر الكلام على حقيقته مخالفا تمام المخالفة لما تعهد به روزفلت في عام ١٩٤٤ للصهيونيين من العمل على تحقيق غاياتهم في فلسطين ، ولكن تعهد روزفلت لليهود في تصريحه لهم في عام ١٩٤٤ كان شيئا قاطعا وسياسة محددة ، فهو وعد اليهود بتحقيق اقامة دولة لهم في فلسطين دون ان يربط هذا بإرادة العرب .

« أما كلام روزفلت لابن سعود فغاية ما فيه انه كلام قابل للجدل .

« وقد يؤجل العمل الى تنفيذ الدولة اليهودية ، ولكنه لا يقضي عليها ، ترى هل تسرب تلاعب السياسة البريطانية الى امريكا فصارت تتلاعب تلاعب بريطانيا مدة ثلاثين سنة في قضية فلسطين .

« أما الأعضاء البريطانيون في لجنة التحقيق الانجليزية الامريكية فهم لم يجدوا في كلام روزفلت المتناقض للعرب مرة ولليهود مرة ما يبعث على النقد واللوم ، بل بالعكس لقد وجدوا فيه ما يبعث على الرضا ، وقد تحدثوا في ذلك الى « كروم » فقالوا له : ليس المهم في قضية فلسطين هم اليهود والعرب ، وإنما المهم في ذلك ان يتعاون الانجليز والامريكيون ، وما دام ان الامريكيين قطعوا من العهود للفريقين ما قطعنا نحن لهما فإن هذا يساعد على التعاون الامريكي البريطاني .

« وذكر سمنر ولز في كتابه المسمى « يجب ألا نفشل » ان روزفلت تحدث اليه مرة فقال : ان تحقيق الوطن القومي لليهود لا يكون من ورائه ايواء عدة مئات من اللاجئين فحسب ، ولكن سيكون من جرائه ـ كذلك ـ قيام دولة ديمقراطية في وسط الشرق المتأخر ، تنير له السبل ، وتعمل على رفع مستوى المعيشة بين سكانه .

« وأضاف سمنر ولز قائلا : ان روزفلت كان يرجو ان تتقدم فلسطين تقدما كبيرا في شؤون الزراعة والصناعة ، وان يثير هذا التقدم تقدما مماثلا في الاردن وسوريا ولبنان .

« كذلك كان روزفلت في محادثاته مع وزير خارجيته دائم التفاؤل بإمكان تسوية كل خلاف بين اليهود والعرب بالمفاوضات بين الفريقين .

« وتناول سمنر ولز حكاية رسالة روزفلت لابن سعود فقال : انها كانت دسيسة من وزارة الخارجية ، فهي التي دبرتها فوضعت الرسالة في الايام الاخيرة من حياة روزفلت حين كان ضعيفا ولا يقوى على عمل من التفكير العميق والدراسة الصحيحة فامضى الرسالة وليس فيها على كل حال ما يتعارض مع ما سبق لروزفلت ان اعلنه لليهود .

« وقد تناول وايزمن في كتابه عن تاريخ حياته هذا الموضوع ، إلا أنه لم يستطع ـ كما لم يستطع غيره ـ ان يجلو حقيقة موقف روزفلت ، ذلك أن وايزمن يعترف بأن صلاته مع روزفلت كانت صلات صداقة وأدب ، ولكن روزفلت لم يكن ـ ولا في مرة واحدة ـ قاطعا في حكمه على قضية فلسطين ، إنما كان دائما بعيدا عن القطع .

« وتكلم وايزمن عن ان تشرشل وجون فلبي حاولا جعل ابن سعود سيد سادة العرب ان هو اتفق مع اليهود ، وان هذا المشروع ضم كذلك روزفلت وهوسكنز ووايزمن ، ولكن احدا لم ينظر الى مشروع تشرشل نظرة جدية ، فكتب وايزمن يقول : لقد كان هناك خلاف قائم بين البيت الابيض في عهد روزفلت وسمنر ويلز ووزارة الخارجية بسبب قضية فلسطين . وهذا خلاف لم نجد نحن اليهود شيئا منه في بريطانيا ، فلقد كان الجميع في بريطانيا معنا » .

وظاهر من رسالة ابن سعود وجواب روزفلت الفارق بين الرجلين ، وبين السياسة العربية المسلمة والسياسة الامريكية المنافقة، فروزفلت يعطي العرب وعودا كما يعطي اليهود ، ولكنه كان مع اليهود بقلبه وسلطته ، كما كان معهم بدينه وكل مشاعره ، فهو يهودي صميم من أسرة يهودية ، واكبر مستشاريه كانوا يهودا وصهيونيين .

والشيء الذي يذكر في تاريخ ابن سعود أنه وقف في وجه الباطل سواء أكان من امريكا أم من بريطانيا وقوفا يدل على ثبات وايمان لم يقفه أحد من زعماء العرب وحكامهم حتى اليوم غير ابنه الملك فيصل الذي كان الرأس المفكر السعودي لقضية فلسطين[1] .

ووقوف ابن سعود هذا الموقف الصلب في قضية فلسطين دفع الحكومة الامريكية على إيجاد ثورات وحكام في بعض البلدان العربية هيأوا كل الفرص لاسرائيل لتقوى وتبقى ، كما يعتقدون ـ وان تظاهروا بمخاصمتها ، وإذا كانوا قد خاصموا اسرائيل فقد خاصم هؤلاء الحكام الذين أوجدتهم المخابرات الامريكية

---

(١) وكذلك وقف الملك سعود فالملك فيصل فالملك خالد حتى اذا تولى الملك فهد عرش المملكة كان هو وحده بين حكام العرب والمسلمين المحامي الأول بكل ما وهب الله له عن قضية فلسطين وكل شعبها .
(هذه التعليقة كتبت فى شهر رمضان المبارك سنة ١٤٠٤ هـ) .

دول العرب التي كانت خطرا على اسرائيل ، والفارق بين الخصامين انهم بخصومتهم العرب حطموا القوى العربية ، وبخصومتهم المزيفة لاسرائيل مكنوها من ضرب جيوش العرب ضربا شديدا ، وبفضل هؤلاء الحكام الذين أوجدتهم المخابرات المركزية الامريكية CIA قويت اسرائيل .

وإذا كان لنا تعليق على رسالة ابن سعود فإن أوجز ما يقال : انه كان ملهما تقشع عن بصيرته حجاب المستقبل ، فذكر ما وقع بعد ان قال ما قال بسنوات كثيرة ، فقد قال : ان اليهود سيقومون بسلسلة من المذابح ، وهذا قد وقع ، وذكر ان ما أعده اليهود يدل على انهم ينوون العدوان على البلدان العربية المجاورة ، وهذا قد وقع ايضا .

قال ابن سعود ذلك قبل ان يتأسس لليهود دولة ببضع سنوات ، ولما اقيمت الدولة اخذ ما ذكره ابن سعود قبل وقوعه بسنوات كثيرة يقع تباعا حتى كانت كارثة يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ التي انتهت باحتلال اراضي عربية من سوريا ومن مصر ومن الاردن .

وكل ما ذكره ابن سعود قد تحقق ، ووقعت الواقعة على العرب وتجاوزتهم الى امة الإسلام ، وكان السبب الحلفاء الذين طبعوا على الغدر والخيانة .

ليس لليهود أي حق في فلسطين

(هذا ما قاله ابن سعود في رسالته لروزفلت)

وصل الى علم ابن سعود ان الحركة الصهيونية نشيطة ، وبخاصة وقد برهنت الاحداث على هزيمة المحور وانتصار الحلفاء الألى رجحت كفتهم بعد دخول الولايات المتحدة الحرب بكل قواها وطاقاتها ، وخاف ابن سعود من تكرار ما حدث في الحرب العالمية الاولى عندما اعطى بلفور الصهيونيين وعدا بتحقيق حلمهم في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

خاف ابن سعود ان تقدم الولايات المتحدة على تجن مثل تجني بريطانيا وغدرها بالعرب في الحرب الاولى ، وعلم ان الصهيونيين يسيطرون على البيت الابيض ، وأن اعظم مستشاري روزفلت من اليهود ، وادرك ان أمورا خطيرة تجري في الخفاء ضد فلسطين ، فرأى ان يقف في وجه هذا التيار الصهيوني ، ويكتب للحكومة الامريكية برأيه لكيلا تتورط في مشاكل هي في غنى عنها ، وحسبها مشاكلها وما سيجد من مشاكل معقدة بعد الحرب ، وليس من السياسة والحكمة ان تتورط الولايات المتحدة في خلاف لا يقتصر على اهل فلسطين وحدهم ، ولا على العرب وحدهم ، بل ستتورط في خلاف شديد مع كل العرب وكل المسلمين وكل الامم التى تدين بالقيم الرفيعة أو بمذاهب اجتماعية شديدة الخطر على أمريكا .

ولم يبال ابن سعود بقوة الصهيونية ونفوذها على البيت الابيض ، وظن ان المبادئ التي ادعت الولايات المتحدة انها التي دفعتها لخوض غمار الحرب هي التي تعتنقها بحق ، وهي المبادئ التي تسيطر على سياستها فبعث كتابا الى الرئيس

روزفلت في ٢٥ ربيع الآخر ١٣٦٢ (٣٠ أبريل ١٩٤٣) هذا نصه :

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية

الى فخامة الرئيس فرانكلين روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية .

يا صاحب الفخامة :

في هذا المعترك العالمي العظيم الذي قامت فيه الامم تهدر دماءها ، وتبذل ثرواتها دفاعا عن حرياتها واستقلالها ، في هذا المعترك الذي اعلنت فيه المبادئ السامية التي يكافح عنها الحلفاء في ميثاق الاطلانطيك .

في هذا الصراع الذي اهاب فيه زعماء كل بلد بشعوبهم وبحلفائهم واصدقائهم أن يكونوا عونا لهم في النزاع الحيوي راعني وراع المسلمين والعرب ما شاع من انتهاز فئة من اليهود الصهيونيين هذه الازمة الخانقة وقيامهم بدعاية واسعة النطاق أرادوا بها السعي لتضليل الرأي العام الامريكي من جهة ، والضغط على دول الحلفاء في موقفهم الحرج من جهة ثانية ليحملوا بذلك دول الحلفاء على مساعدتهم في القضاء على الشعب العربي الآمن المطمئن في فلسطين من آلاف السنين يريدون اخراج هذا الشعب الكريم من موطنه ، وان يحل اليهود المشردون من كل الأفاق في هذا الموطن الاسلامي العربي المقدس ، وأي ظلم فادح فاضح - لا قدر الله - أن يكون من نتائج هذا الصراع العالمي أن يأتي الحلفاء في آخره ليكللوا ظفرهم المقبل بهذا الجور من اخراج الشعب العربي من موطنه في فلسطين ، وان ينزلوا مكانه شذاذ آفاق من اليهود لا تربطهم بهذا الموطن أية رابطة غير دعوى خيالية لا اصل لها في نظر الحق والعدل إلا ما يحيكونه بوجوه مملوءة بالخداع والغش ، منتهزين بذلك هذه الفرصة الحرجة للحلفاء ، ومنتهزين فرصة جهل الشعب الامريكي بحقيقة قضية العرب عامة ، وقضيتهم في فلسطين خاصة .

لقد سبق ان كتبت لفخامتكم بتاريخ ٧ شوال ١٣٥٧ الموافق (١٩ نوفمبر ١٩٣٨) كتابا[١] اوضحت فيه حقيقة الامر بين العرب واليهود في

---

(١) انظر صفحة ١٤٩ من هذا الكتاب .

فلسطين ، ولا بد أن فخامتكم اذا رجعتم الى ذلك الكتاب ستجدون فيه أنه لا يوجد أي حق لليهود في مطالبتهم بفلسطين ، وان كل ما يطلبونه فيها ليس إلا اعتداء وعدوانا لم يسجل التاريخ له مثيلا في تاريخ البشرية ، ففلسطين عربية منذ التاريخ الاقدم ، وموقعها في وسط البلاد العربية ، ولم يسكنها اليهود إلا حقبة من الزمن ، وكان اكثر مدة تاريخهم فيها مملوءا بالمجازر والمـآسي ، ثم أجلوا عنها ، وجلوا منها منذ حقب من الزمن ، هؤلاء القوم يراد اليوم أن يعيدوا سيرتهم الاولى فيعتدى بذلك على الآمنين المطمئنين .

تكاد السماوات يتفطرن وتنشق الارض وتخر الجبال هدا من كل ما يدعيه اليهود في فلسطين دينا ودنيا .

وكنت بعد كتابي المشار إليه لفخامتكم أعتقد ـ ولا ازال اعتقد ـ ان حق العرب في فلسطين اصبح واضحا لدى فخامتكم ، لاني لم الاحظ في جوابكم لي بتاريخ ٩ يناير **١٩٣٩** ان فخامتكم لاحظتم أية ملاحظة على الحقائق التي ذكرتها في ذلك الكتاب .

وكنت ارغب ألا اشغل فخامتكم ورجال دولتكم في هذا الظرف العصيب بهذه القضية ، ولكن ما تواترت به الانباء عن عدم تورع هذه الفئة من الصهيونيين في إثارة هذه القضية الظالمة الخاطئة هو الذي جعلني اذكر فخامتكم بحقوق المسلمين والعرب في ذلك البلد المقدس لتعملوا على منع هذا الظلم ، وليكون بياننا لفخامتكم مساعدا على ايضاح حق العرب في فلسطين للشعب الامريكي بأسره ، ليعلم الشعب الامريكي ـ الذي يراد تضليله من طرف الصهيونية اليهودية بما لها من وسائل الدعاية الواسعة ـ الحقيقة الواقعة ، فيعمل لنصرة العرب المظلومين ، ويكلل جهاده الحاضر بإقامة قسطاس الحق والعدل في سائر المواطن من العالم .

اننا لو تركنا جانبا العداوة الدينية القائمة بين المسلمين واليهود من اول نشأة الإسلام بأسباب ما كاده اليهود للاسلام والمسلمين ونبيهم من اول يوم ، لو تركنا ذلك جانبا ونظرنا الى قضية اليهود من الوجهة الانسانية البحتة لوجدنا الامر كما ذكرته لفخامتكم في كتابي السابق من ان فلسطين ـ باعتراف سائر من عرف فلسطين من ابناء البشر ـ لا تستطيع ان تحل قضية اليهود العالمية .

ولو فرضنا ان احكام الظلم طبقت على فلسطين بكل معانيها ، بمعنى انه لو فرضنا ان قتل ابناء فلسطين العرب عن بكرة أبيهم رجالا ونساء واطفالا ، واخذت اراضيهم ، وسلمت كلها لليهود فإن ذلك لا يمكن ان يحل المشكلة اليهودية ، ولا يمكن ان يؤمن ارضا كافية يسكنها اليهود ، فلماذا يراد القيام بهذا الظلم الفرد الفذ في تاريخ البشرية بدون وصول الى نتيجة ترضي الساعين انفسهم في هذا القتل ونعني بهم اليهود؟

لقد ذكرت لفخامتكم في كتابي السابق أنه اذا نظر الى الموضوع من وجهته الانسانية فإن فلسطين البلد الصغير قد زج فيه من اليهود الى ما قبل الحرب العالمية الحاضرة ما يقرب من اربعمئة الف ، فصارت نسبتهم فيها بعدما كانت في آخر الحرب العالمية الماضية سبعة في المئة ، وهذه الزيادة لا تزال مستمرة ولا ندري الى أي حد ستنتهي ؟ وأصبح ما يملكونه الى ما قبل الحرب العالمية الحاضرة مليونا وثلاثمئة واثنين وثلاثين دونما من اصل سبعة ملايين دونم ، وهو كل ما هو قابل للزراعة في فلسطين جميعها .

اننا لا نريد محو اليهود ، ولا نطالب بذلك ، ولكننا نطالب بألا يمحى العرب من ارض فلسطين من اجل اسكان اليهود فيها .

ان ارض العالم لن تضيق على اليهود ، فإذا تحمل كل بلد من بلدان الحلفاء الآن في الوقت الحاضر عشر ما تحملته فلسطين لأمكن حل قضية اليهود ، وأمكن حل قضية اسكانهم ، وكل ما نرجوه في هذا الموقف الحاضر هو مساعدة فخامتكم لايقاف سيل هذه الهجرة ايقافا تاما بإيجاد اماكن لليهود في غير فلسطين يأوون إليها ، ومنع بيع الاراضي لليهود في فلسطين منعا باتا ، ثم ينظر فيما بعد بين العرب والحلفاء لتأمين حياة من يمكن ان تتحمله فلسطين من اليهود المقيمين فيها الآن .

اني أكتب هذا الرجاء لفخامتكم وانا على يقين بأنكم ستقبلون هذا الرجاء من صديق يشعر بتقديركم للصداقة ، كما يشعر بتقديركم للحق والعدل والانصاف ، وكما اشعر بأن الشعب الامريكي من اقصى امانيه ان يخرج من هذا المعترك ظافرا بنصر المبادئ التي يحارب من أجلها ، وهي حرية الشعوب واعطاء كل شعب

حقه ، لانه ـ لا سمح الله ـ لو اعطي اليهود بغيتهم في فلسطين لظلت فلسطين مقرا لفتن دائمة كما حصل في الماضي تسبب المتاعب للحلفاء عامة ولحكومتكم الصديقة خاصة ، واليهود بما أوتوا من قوة في المال والعلم قادرون على إيقاع الشقاق بين العرب والحلفاء في كل وقت ، كما كانوا سببا لكثير من المشاكل التي وقعت من قبل .

وكل ما نحرص عليه هو ان يسود العدل والحق سائر الحلول التي ستحل بها قضايا الشعوب والامم بعد هذه الحرب ، وان تكون علاقات العرب على الدوام مع الحلفاء على احسن حال واقواه وامتنه .

وفي الختام ارجو ان تتقبلوا فائق تحياتي .

حرر في مخيمنا بروضة خريم في اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وستين بعد الثلاثمائة والالف ، الموافق لليوم الثلاثين من شهر إبريل سنة ثلاث واربعين بعد التسعمائة والألف ميلادية .

(التوقيع)

عبد العزيز

وتلقى ابن سعود جواب كتابه من روزفلت ، وتاريخه ١٥ يوليو١٩٤٣ (١٩ رجب١٣٦٢) وكان هذا نصه :

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ

أيها الصديق العظيم

قد تلقيت رسالة جلالتكم المؤرخة في ٣٠ إبريل ١٩٤٣ المتعلقة بالشؤون التي تمس فلسطين . واني اقدر روح الصداقة التي أبديتموها في اعرابكم لي عن هذه الآراء ، ولقد احطت علما بكل دقة بالتصريحات الواردة في هذه الرسالة ، كما أني احطت علما بما جاء في كتاب جلالتكم المؤرخ في ١٩ نوفمبر١٩٣٨ والرسالة الشفوية التي بلغ بها المستر كيرك الوزير الامريكي في نهاية زيارته الاخيرة الى الرياض ، ولا شك ان جلالتكم قد تلقيتم رسالتي التي بلغها المستر موس لحضرة

صاحب السمو الملكي الامير فيصل ، وكما ذكرت في تلك الرسالة يظهر لي من المرغوب فيه للغاية ان العرب واليهود ممن تهمهم المسألة يتفاهمون تفاهما وديا فيما يتعلق بفلسطين ، وذلك بمساعيهم الخاصة قبل انتهاء الحرب ، ويسرني أن تتاح لي هذه الفرصة لاكرر تأكيدي بأن رأي حكومة الولايات المتحدة هو أنه في كل حال يجب ألا يتخذ أي قرار يغير وضعية فلسطين الاساسية من دون التشاور الكامل مع كل العرب واليهود .

وفي الختام اكرر التعبير عن خير التمنيات لدوام صحة جلالتكم والرفاه لشعبكم .

صديقكم المخلص

(التوقيع)

فرنكلين د . روزفلت

روزفلت يطلب مقابلة ابن سعود ويجتمع به

عندما ارسل الملك عبد العزيز رسائله ومذكراته لروزفلت كان المفوض الامريكي بجدة الكولونيل وليم ادي قد بعث تقريرا لحكومته في ٥ يناير ١٩٤٥ ذكر فيها ان الملك عبدالعزيز عاهل المملكة العربية السعودية قال له :

« شرف لي ان اموت شهيدا في ميدان الجهاد دفاعا عن فلسطين في معركتها ضد اليهود » .

كما ذكر وليم ادي ان ابن سعود قال له في حديث آخر : « لن يقبل العرب ابدا قيام دولة يهودية في بلادهم » .

وهناك تقرير كتبه وليم ادي في شهر فبراير سنة ١٩٤٥ وأرسله لوزير الخارجية الامريكية جاء فيها أنه حضر اجتماعا لابن سعود مع ممثلي الدول الاجنبية في جدة ، وقال لهم : « على امريكا وبريطانيا الاختيار بين ارض عربية يسودها الامن والسلام وأرض يهودية غارقة في الدم » .

واهتم روزفلت بهذا الامر ، فهو يعرف عن ابن سعود انه ليس كغيره من الحكام الذين يقتصرون على الاقوال ، بل هو رجل سياسة وحرب ، ولا يبالي في سبيل مبدئه ان يموت شريفا وشهيدا ، وخطر له ان يجتمع به ، وكان الرئيس الامريكي يعتقد أنه سيؤثر في ابن سعود ، وسوف يحمله على التغاضي عن قضية فلسطين ، وسيقنعه باسم الانسانية ان يرضى بهجرة اليهود الى فلسطين واتخاذها وطنا لهم .

ولا شك ان تقارير وليم ادي لقيت اهتماما من الرئيس الامريكي ووزارة الخارجية الامريكية ، وما أشك ان كبار مستشاري روزفلت من اقطاب اليهود الصهيونيين قد اشاروا عليه بمقابلة ابن سعود رجاء اقناعه حتى يطمئن اليهود الى وجودهم المرتقب في الارض العربية .

وكان من خطة السياسة الامريكية ان تخلف بريطانيا العظمى على العالم بعد ان بدأت شمس امبراطوريتها تأذن بالمغيب من جراء سياسة تشرشل الحمقاء ، ويهم امريكا مصالحها في الشرق الاوسط ، كما تهمها اماني الصهيونيين المسيطرين على السياسة الامريكية .

وبعد الانتهاء من مؤتمر يالطا الذي انعقد بين روزفلت وستالين وتشرشل لاعداد الخطة لما بعد الحرب الثانية بعد ان هزمت المانيا وسقطت حليفتها ايطاليا ، قرر روزفلت ان يجتمع بالملك عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية ، والملك فاروق ملك مصر ، وهيلاسلاسي امبراطور الحبشة .

ولم يفصح روزفلت لتشرشل عن قراره هذا ، بل كتمه عنه ، ولم يعلم به إلا قبيل مغادرة روزفلت ليالطا ، وقد جاء في مقال نشره الكولونيل وليم ادي جاء فيه[١] :

« في فبراير سنة ١٩٤٤[٢] تلقيت رسالة تفيد ان الرئيس روزفلت يرغب في ان يقابل في طريق عودته من مؤتمر يالطا الملك عبد العزيز ، وترك لي أمر تدبير هذه المقابلة لتتم تحت طي الكتمان ، حرصا على سلامة الرئيس روزفلت .

وفي تلك الايام كنا لا نزال في حرب مع المانيا ، وكانت الطائرات الالمانية لا تزال تقصف القاهرة وقناة السويس بين الفينة والاخرى بقنابلها ، ولم يكن هناك هدف اكثر استهواء لقاذفات القنابل الالمانية مثل طراد يرسو في البحيرات المرة في قناة السويس ، وعلى ظهره الرئيس روزفلت والملك ابن سعود .

---

(١) مجلة « آخر ساعة » القاهرية ، العدد ٢٠١٠ الصادر في ٢٩ ربيع الاول سنة ١٣٩٣هـ (٢ مايو ١٩٧٣) حديث الاستاذ طاهر رضوان مندوب المملكة العربية السعودية لدى الجامعة العربية .

(٢) الصحيح ١٩٤٥ لا كما ذكر ، وأظنه من خطأ المطبعة .

وقبل موعد السفر اعلنا أن المدمرة الامريكية « مورفي » ستزور جدة زيارة ودية اثناء مرورها بالبحر الاحمر .

وساعدنا الرئيس روزفلت نفسه في تضليل رجال المخابرات الاجنبية بالدرجة التي جعلته يكتم عن المستر تشرشل اثناء مؤتمر يالطا رغبته في مقابلة ثلاثة ملوك ، هم : الملك ابن سعود ، والملك فاروق ، والامبراطور هيلاسلاسي امبراطور الحبشة .

وفي رأيي ان البريطانيين قد علموا بحقيقة ما يجري من بعض اعوانهم في قصر فاروق .

وقد ارغى تشرشل وازبد عندما عرف بالترتيبات التي أعددناها ، ثم أخذ يمطر مبعوثيه الدبلوماسيين في الشرق الاوسط بالبرقيات مهددا متوعدا إذا لم يدبروا له مقابلات مماثلة مع الملوك الذين سيقابلهم روزفلت .

ومما زاد في غضب تشرشل ان المستر روزفلت لم يدع أي ممثل بريطاني لحضور مقابلاته مع الملك ، لذلك صمم على ان يرى بنفسه الملوك الثلاثة اثر اجتماعهم بروزفلت حفاظا منه على مركز بريطانيا ونفوذها ، وقد نجح تشرشل في ذلك ، وان لم ينجح في تحقيق اغراضه من هذه المقابلات .

والواقع ان تشرشل لم يكن في مقدوره ان يقول شيئا خليقا بأن ينزع من قلب فاروق كراهيته للبريطانيين الذين فرضوا عليه مصطفى النحاس في يوم ٤ فبراير .

اما الملك عبد العزيز آل سعود فلم يرد على دعوة تشرشل له إلا بعد ان قابل روزفلت .

اما موقف الامبراطور هيلاسلاسي فقد كان مزيجا من الكبرياء والحذر ، فبعد ان قابل تشرشل اثر مقابلته الرئيس روزفلت قيل له : انه سيغادر الى عاصمة ملكه على متن طائرة بريطانية فأضرب عن العودة وقال لمضيفيه البريطانيين : « لقد بعتموني ومملكتي في عصبة الامم ، وليلعني الله إذا رضيت ان اعود الى عاصمتي بطائرة بريطانية ، انتم خليقون باسقاطها فوق قمة جبل ناء » .

وامام هذا الجواب اضطر البريطانيون للجوء الى الجنرال بنيامين جايلز قائد

السلاح الجوي الامريكي في الشرق الاوسط ، طالبين نقل الامبراطور هيلاسلاسي الى أديس أبابا على طائرة امريكية » .

ويروي هاري هوبكنز احد مرافقي روزفلت الى مؤتمر يالطا في مذكراته التي نشرت في نيويورك قائلا :

« في الليلة الاخيرة بعد انتهاء اعمال مؤتمر يالطا فاجأ الرئيس روزفلت المستر تشرشل بعزمه على الطيران الى مصر لمقابلة الملك فاروق ، والملك عبد العزيز آل سعود ، والامبراطور هيلاسلاسي على ظهر طراد امريكي صدرت إليه التعليمات بأن يلقي مراسيه في مياه البحيرات المرة امام الاسماعيلية .

وكان قرار الرئيس روزفلت مفاجأة لتشرشل الذي حاول ان يخفي عجبه في كتمان هذا القرار عنه .

وحاول تشرشل ان يعرف مقصد الرئيس الامريكي من اختياره هؤلاء الحكام الثلاثة لمقابلتهم بأنفسهم ، ولكن جميع محاولاته باءت بالاخفاق .

وتبادر الى خاطره أن شيئا يدبره الرئيس الامريكي في الخفاء ضد النفوذ البريطاني في المنطقة .

وفي اليوم الثاني قال تشرشل لروزفلت : انه سيذهب هو نفسه الى القاهرة لمقابلة الحكام الثلاثة انفسهم ، ولكن بعد ان يقوم بزيارة قصيرة لليونان ، وانه اتخذ ـ فعلا ـ اجراءات التمهيد لاجتماعاته بهم بعد انتهاء اجتماعاته (أي الرئيس روزفلت) بهم » .

وقال هوبكنز :

« وفي آخر الليل بحث عني تشرشل ، وهو شديد القلق ، يريد ان يعرف ما يقصد إليه الرئيس روزفلت من مقابلة أولئك الحكام الثلاثة ، وكان من حسن حظي ان اجبته بأنني لا أعرف شيئا عن الموضوع .

وقلت له : اني سألت الرئيس هذا السؤال نفسه ولم اظفر منه بجواب .

والواقع ، اني كنت عالما ان مقصد الرئيس كان التحدث مع ابن سعود عن فلسطين .

ولكن اجابتي لم تقنع تشرشل ، ولعله ظن ان هناك مؤامرة لنسف الامبراطورية البريطانية في تلك الجهات » .

وأراد تشرشل ان يعقب روزفلت رجاء ان يطلع على ما أجرى من حديث مع الملوك الثلاثة ، فإذا رأى مؤامرة قضى عليها ، واعطى تشرشل نفسه ثقة اكثر مما تستحق ، فاخفق ، وتحولت المنطقة العربية والافريقية من بريطانيا الى امريكا التي ورثت الامبراطورية في العالم ، وزوتها في جزيرتها لتتقاسم العالم مع الاتحاد السوفييتي .

وأشار تشرشل في مذكراته بإيجاز واقتضاب الى ذلك قائلا[1] :

« كان الرئيس متلهفا للعودة الى بلاده ، والى ان يمر في طريق عودته بمصر حيث يستطيع أن يبحث في مختلف قضايا الشرق الاوسط مع مختلف حكامه ورؤسائه » .

و« شعرت ان من واجبي ان أقوم بزيارة خاطفة لاثينا . . . وفي الساعات المبكرة من صباح الخامس عشر من شباط (فبراير) اخذنا الطائرة الى مصر ، ووصل الى ميناء الاسكندرية في الساعات المتأخرة من ذلك الصباح الطراد الامريكي « كوينسي » ومضيت قبيل الظهر الى سطح الطراد لاتحدث آخر حديث لي مع الرئيس روزفلت ، واجتمعنا بعد ذلك في مقصورته نتناول الغداء بشكل عائلي غير رسمي ، وكان في رفقتي : سارة وراندولف ، كما انضمت الينا ابنة روزفلت السيدة « بوتيجر » ومعها هاري هوبكنز والمستر ونيانت » .

هذا كل ما أشار إليه تشرشل ، ولم يذكر في مذكراته ما كان بينه وبين ابن سعود من حديث .

ولما وصلت دعوة روزفلت الى ابن سعود كتمها عن الناس إلا ثلاثة كانوا على علم بها ، وهم : ابناه سعود وفيصل ، وأخوه عبد الله .

واعدت اسباب الرحلة في تكتم شديد ، ووضعت احدى المدمرات الامريكية تحت تصرفه لنقله هو ومن سيصحبونه الى البحيرات المرة حيث تتم المقابلة .

---

(١) مذكرات ونستون تشرشل ، ترجمة خيري حماد ، الطبعة الثانية بيروت سنة ١٩٦٥ صفحة ١٠٢٧ من الجزء الثاني .

وفي صباح يوم الثلاثاء ٣٠ صفر سنة ١٣٦٤ هـ (١٣ فبراير سنة ١٩٤٥ م) اتخذت المدمرة طريقها في البحر، مقلة ابن سعود، يصحبه شقيقه الامير عبد الله وابناه الامير محمد (وكان امير المدينة المنورة) والامير منصور (وزير الدفاع) والشيخ عبد الله السليمان (وزير المالية) والشيخ يوسف ياسين (نائب وزير الخارجية) والاستاذ عبد الله بلخير (مترجم جلالته) والشيخ حافظ وهبه (وزير المملكة المفوض بلندن) وبعض اركان حربه، وبعض الفنيين من رجال المواصلات اللاسلكية مهمتهم الاتصال بمكة المكرمة حرسها الله كل نصف ساعة خلال الرحلة كلها، وطاهيه وساقيه وبعض خدمه.

وكان في صحبة جلالته الكولونيل وليم ادي وزير الولايات المتحدة المفوض بجدة، وقد تولى الترجمة الرسمية في الاجتماع الذي عقد بين ابن سعود وروزفلت.

وفي صباح يوم الخميس ٢ ربيع الاول سنة ١٣٦٤ هـ (١٥ فبراير ١٩٤٥ م) كانت المدمرة في البحيرات المرة حيث ينتظر الرئيس روزفلت في الطرادة الامريكية «كوينسي» استقبالا لضيفه العظيم، وكان الرئيس على سطح الطرادة يرقب المدمرة التي تبادلت مع الطرادة التحية والنداءات البحرية بالبوق، واخذت مرساها تجاه «كوينسي» ومد بينهما جسر عبره الملك، فاستقبله روزفلت والبحارة وكبار الضباط ورؤساء اركان الحرب المرافقين للرئيس استقبالا حماسيا رائعا، ثم سعى الى الملك وصافحه وحياه واحتفل به احتفالا جد عظيم، وتبادلا عبارات التحية والمودة.

وكان ابن سعود بطلعته المشرقة وقامته الطويلة الفارعة وزيه العربي موضع اعجاب مستقبليه، فقد علموا ببطولته وشجاعته مما قرأوا، واطلعوا على فتح الرياض بأربعين رجلا، وخيل إليهم من قراءاتهم لتاريخه الموجز انه من غير طينة البشر، لان فتح الرياض يعد من الاساطير.

ولشد ما سرهم ان يروا البطل العظيم نفسه بين ايديهم، وهتفوا باسمه هتافا مدويا، وتطلعوا إليه معجبين مفتونين بشخصيته.

وكان اعجاب روزفلت بابن سعود اعجابا لا حد له، فلقد ملأته شخصية

الزعيم العربي الاكبر ، وقد طابق ما سمع عنه ما رأى الآن ، بل ما رآه كان اعظم بكثير مما سمع ، وقال له : كنت أود ان اجتمع بك قبل هذا اليوم .

ثم تناول الملك والرئيس الغداء ، وبعد الفراغ منه بدأ حديثهما الخطير في جو يسوده الود والتقدير والاعجاب ، واستعرضا فيه ما بين المملكة السعودية والولايات المتحدة من روابط كثيرة يحرص عليها الطرفان ويبذلان الجهد في سبيل المصالح المشتركة بينهما وتنمية الصلات الودية ، وقال روزفلت : يجب أن يتاح لرؤساء العالم فرصة تبادل الآراء لكي يزداد تفاهمهم وتقدير كل منهم لمشاكل الآخر وبحث المشاكل المشتركة بين دولهم .

ثم تناول الملك والرئيس شؤونا اخرى اقليمية وعالمية ، وكان جلالة الملك أيده الله كثير الاهتمام بقضية فلسطين ، وأبان للرئيس وجهة نظره ، كما دلل على عدالتها وصحتها ما أقنعه فوعد بأن ينظر في ذلك بعين العدل .

ثم تناولا بالبحث شؤونا عربية هامة ، وكان الملك المعظم صريحا كعادته في مخاطبة الرئيس ، ومن الكلمات الخالدة التي قالها : « لا أريد كتابات ! بل أريد ان تعطى الكلمة من عبد العزيز لروزفلت ، ومن روزفلت لعبد العزيز » وهذا حق ، فكلمة من عبد العزيز فوق الكتابات والمعاهدات لانه رجل شريف .

ثم ابدى الرئيس روزفلت لجلالة الملك عبد العزيز رغبته في تقديم طائرة امريكية هدية تذكارية لهذا الاجتماع التاريخي ، وقبل جلالته الهدية[1] .

---

(١) في يوم السبت ٢ جمادَى الأولى سنة ١٣٦٤ هـ (١٤ ابريل ١٩٤٥ م) وصلت مطار جدة الطائرة الأمريكية التي أهداها الرئيس إلى جلالته ، واشترك في تقديمها إلى وكيل نائب جلالة الملك في الحجاز (الأمير منصور) كل من : الكولونيل ماكين والكولونيل هويت والكولونيل أولدريش واللفتنانت كولونيل كد ، وفي الساعة التاسعة والنصف من يوم السبت تقدم الكولونيل وليم ادي وزير أمريكا المفوض بجدة وقدم الطائرة وهي من طراز دوجلاس مجهزة بمقاعد وثيرة وبأحدث الوسائل الفنية وقال : « ان قوات الطيران في جيش الولايات المتحدة قد أعدت هذه الطائرة الأمريكية للخدمة في بلادكم العظيمة التي أتشرف بتقديمها لسموكم بوصفكم نائبا لجلالة الملك » .

فأجابه الأمير منصور بخطاب موجزه : « أتقبل باسم جلالة والدي الملك عبد العزيز هذه الهدية الثمينة التاريخية المهداة من الراحل العظيم الرئيس فرنكلين روزفلت ، تلك الهدية التي ترمز في نظرنا بين المملكة السعودية والولايات المتحدة ، وقد أصبح لهذه الطائرة مكانة خاصة سيحتفظ بها كذكرى خالدة في هذه البلاد =

وقد مر بالقارئ اسم هاري هوبكنز ، وهو من اصدقاء روزفلت ومن اقرب مقربيه ، ومن مستشاريه الادنين ، واختاره روزفلت ليصحبه إلى مؤتمر يالطا الذي جمع بينه وبين ستالين وتشرشل قبل انتهاء الحرب الثانية ، وكان ـ وما يزال ـ هوبكنز احد الافراد القلائل الذين حضروا مؤتمر يالطا ، واحاطوا بكل اسراره وماجرى فيه .

وبلغ من قربه من الرئيس الامريكي وثقته فيه انه حضر معه اجتماعه بالملك عبد العزيز ، وسمع كل ما دار بينهما من بحث ونقاش .

واستطيع ان أقول : ان روزفلت لم يقصد من اجتماعه هذا بابن سعود إلا خدمة اليهود بأن تكون فلسطين خالصة لهم من دون اصحابها الشرعيين العرب ، واراد ان يضمن عدم معارضة ابن سعود ، وظن أنه قدير على اقناعه والحصول منه على ما يريد .

وقد دون هوبكنز في « مذكراته » المطبوعة بنيويورك اجتماع الزعيمين ، وما جاء فيها لا يخرج عما جاء في المحاضر الرسمية التي تحتفظ وزارة الخارجية السعودية بنسخة منها .

وكان هوبكنز امينا في تدوين ما جرى بين الزعيمين ، فقد دون اقوال ابن سعود بأمانة لم يفقدها عندما ذكر رئيسه روزفلت .

ومما جاء في مذكرات هوبكنز قوله :

« لقد كتب شيء كثير عن المظهر العام لاجتماعات الرئيس بالثلاثة : الملك عبدالعزيز ، والملك فاروق ، وملك الحبشة . ولكن الأمر الجدير حقيقة بالاهتمام من تلك الاجتماعات أو المؤتمرات هو المناقشة التي دارت بين الرئيس وابن سعود بشأن فلسطين ، فلقد كانت قصيرة وحاسمة .

« واني على يقين من ان الرئيس لم يكن يتوقع ان يرى في ابن سعود الذي طلب مقابلته ما رآه فيه ، فهو رجل ذو مهابة خارقة ، وقوة عظيمة ، ولد جنديا وقضى

= للزعيم الذي كان زعيما إنسانيا عالميا كما كان زعيما بحق للولايات المتحدة » .
وكان تسليم الطائرة بعد موت روزفلت .

حياته كلها في خوض المعارك التي تلذ له ولكل اتباعه الكارهين لليهود ، وهو عربي من اوله الى آخره ، وفي كل وقت .

« وعندما طلب الرئيس من ابن سعود السماح بدخول عدد آخر من اليهود الى فلسطين مبينا له ان عددهم ضئيل بالنسبة إلى مجموع سكان الاقطار العربية صدم صدمة عنيفة باجابة ابن سعود له ، وعلا وجهه العبوس قائلا : لا ، ثم ابان انه بنى رفضه على اساس الحقيقة التالية : وهي ان اليهود لم ينجحوا في العمل على ازدهار المنطقة التي يسكنونها إلا بفضل رؤوس الاموال الامريكية والانكليزية التي تدفقت عليهم بملايين الدولارات ، وقال : لو ان هذه الملايين اعطيت للعرب لامكنهم ان يعملوا مثل عملهم .

« وذكر عبد العزيز لروزفلت : ان هناك جيشا اسرائيليا في فلسطين كامل التسليح يريدون به فيها يعتقد محاربة العرب لا محاربة الالمان .

« واوضح ببساطة ان العالم العربي لن يسمح لليهود بأي توسع آخر في فلسطين للتوطن في المستقبل .

« واكد بوضوح ان العرب سيحملون السلاح قبل ان يوافقوا على هذا الامر ، وان دينه يوجب عليه العمل معهم في فلسطين وحولها .

« ويظهر ان الرئيس لم يفهم كل الفهم ما كان يقوله ابن سعود ، فقد اعاد عليه السؤال مرتين وثلاث مرات ، وكان ابن سعود في كل مرة اشد تصميما مما قبلها في اجابته .

ولا شك في ان ابن سعود ترك اثرا كبيرا في نفس الرئيس بأن العرب ينوون العمل لا مجرد القول » .

وردد هوبكنز قوله : « ان الرئيس قد تأثر جد التأثر بما قاله ابن سعود » وقال : « لا يمكنني ان استسيغ تصريح الرئيس في مؤتمر صحفي عقب ذلك بأن ما عرفه من ابن سعود عن فلسطين في خمس دقائق اكثر مما عرفه في حياته كلها .

وبعد عودة الرئيس روزفلت الى واشنطن صرح في « الكونجرس » يوم اول مارس ١٩٤٥ بقوله :

« في طريق عودتي من بلاد القرم اتخذت التدابير لاقوم بمقابلة شخصية للملك فاروق ملك مصر ، وهيلاسلاسي امبراطور اثيوبيا ، والملك ابن سعود ملك المملكة العربية السعودية وقد تناول حديثنا من المسائل ما يتصل بالمصلحة المشتركة . وسيكونون ذوي نفع مشترك ، لانهم منحوني كما منحوا كثيرا منا فرصة مقابلتهم والتحدث إليهم وجها لوجه ، ومبادلتهم الرأي في أحاديث خاصة بدلا من الوسائل الرسمية .

فقد وعيت ـ مثلا ـ عن مسألة الجزيرة العربية تلك المشكلة بحذافيرها : ان مشكلة المسلمين ومشكلة اليهود ، وعيت عنها في حديث دام خمس دقائق مع ابن سعود اكثر مما كنت استطيع معرفته بتبادل ثلاثين أو اربعين رسالة » .

وقد جاء في كتاب « خمسون عاما في الجزيرة العربية » للشيخ حافظ وهبة (صفحة ٦٨) قوله : « وفيما يلي نص ما دار بينهما » ثم ذكر الحديث الذي جاء بنصه الاستاذ خير الدين الزركلي في كتاب « شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز » (صفحة ١١٦٥ ـ ١١٦٦) ذكر انه رأى في اضبارة بوزارة الخارجية بجدة في موضوع المقابلة ما نصه حرفيا ، وكلا المؤلفين تيسر لهما الاطلاع على المكاتبات والوثائق الرسمية بوزارة الخارجية بحكم عملهما فيها ، ونحن ننقل عنهما وعن غيرهما ما جاء في هذا الفصل من المكاتبات والتصريحات والوثائق مما يتعلق بقضية فلسطين ، وها هو ذا ما جاء في هذين المرجعين :

« سأل فخامة الرئيس روزفلت جلالة الملك عن نصيحته فيما يراه بخصوص قضية هجرة اليهود الذين اجلوا من اوطانهم في أوروبا ، فرد جلالته على فخامته بقوله : من رأيي ان يعود اليهود المقصون عن بلادهم ليعيشوا في البلدان التي اخرجوا منها ، اما اليهود الذين دمرت اوطانهم تدميرا تاما ، والذين لا تواتيهم الفرص لان يعودوا للعيش في احضانها فيجب ان يعطوا اماكن يعيشون بها في اراضي دول المحور التي اضطهدتهم .

« وقد لاحظ فخامة الرئيس ان بولندا يمكن ان تعتبر مثالا في هذا الصدد ، إذ يبدو ان الالمان قتلوا من سكانها ثلاثة ملايين يهودي بولندي ، وهذا معناه وجوب إيجاد اماكن لكثير من هؤلاء اليهود الذين اصبحوا بلا مأوى .

« وحينئذ عبر جلالة الملك عن وضع العرب وحقوقهم الشرعية في بلدانهم ، ثم صرح بأن العرب واليهود لا يمكن ان يتعاون بعضهم مع بعض لا في فلسطين ولا في أي بلد آخر ، واسترعى جلالته الانتباه الى تهديد حياة العرب ، وتفاقم الازمة الناجمة عن استمرار الهجرة اليهودية ، وشراء اليهود الاراضي العربية ، وان أمل العرب مبني على كلمة الشرف التي قالها الحلفاء ، وعلى الحقيقة المشهورة لدى الجميع من حب الولايات المتحدة الامريكية للعدل ، وعلى ما أناط العرب من الرجاء والامل في الولايات المتحدة الامريكية لمعونتهم ومساعدتهم .

« وقد رد فخامة الرئيس على ذلك بأنه يود ان يؤكد لجلالته أنه لن يعمل أي شيئ يساعد به اليهود ضد العرب ، وانه لن يعمل اية حركة عدائية نحو العرب ، وذكر لجلالة الملك انه من المستحيل ان يمنع الكلام أو ابداء الآراء في البرلمان الامريكي أو في الصحافة الامريكية فيما يتعلق بأي موضوع ، وان تأكيداته تعتبر سياسته المقبلة نفسها كسلطة تنفيذية لحكومة الولايات المتحدة الامريكية .

« وقد شكر جلالة الملك الرئيس على هذه التأكيدات ، وذكر لفخامته المشروع الرامي الى ارسال وفد عربي إلى كل من امريكا وبريطانيا لتوضيح قضية العرب بفلسطين ، فقال فخامته : انه يرى انها فكرة جيدة جدا ، لانه يعتقد ان كثيرا من الناس في امريكا وانكلترا يجهلون ذلك ، فقال جلالة الملك : ان ارسال وفد عربي لتنوير الرأي العام عن قضية العرب في امريكا وانكلترا فكرة صائبة ومفيدة ، ولكن الاهم من كل ذلك عنده هو ما صرح به فخامته الآن لجلالته فيما يتعلق بسياسته الطيبة تجاه العرب .

« وتكلم الرئيس عن حبه الشديد للزراعة ، وان نفسه أن يكون مزارعا ، ولاحظ الحاجة الى إيجاد المياه الكافية لزيادة الاراضي التي يمكن زراعتها وريها بالآلات لتقوم بري البلاد ، وعبر عن رغبته الخاصة في الري وتشجير الارض ، وقوة المياه التي يؤمل ان تنتشر بعد الحرب في كثير من البلدان ومن بينها بلاد العرب الذين يحبهم ، وشكر جلالة الملك فخامته على تشجيعه الخاص للزراعة ولكنه قال : انه شخصيا لا يرى الارتباط بشيئ بشأن الزراعة إذا كانت النتيجة ستكون بتغلب اليهود في بلاد العرب » .

(٢ ربيع الاول ١٣٦٤ (فبراير ١٩٤٥)

وهناك تفصيل لما دار بين ابن سعود وروزفلت دونه الكولونيل وليم ادي الذي كان حينئذ الوزير المفوض الامريكي بجدة في كتيب نشره وطبعه[1] ، وكان يتولى الترجمة بين الزعيمين ، وقال وليم ادي : « وغاية ما كان يرجوه جلالته توثيق روابط الصداقة ، وفي تفكيره العربي ان هذه الصداقة تعتمد على مشاعر المودة وحسن النية ، فإذا كانت هذه الصداقة قد دفنت مع الرئيس روزفلت ولم تنتعش على ايدي الذين خلفوه فليس في وسع قصاصة ورق ان تعيد الحياة إلى تلك الصداقة .

ولما كان ابن سعود ضيف روزفلت الذي طلب المقابلة فقد امسك عن تحديد الموضوعات التي يراد بحثها ، بل ترك ذلك للرئيس الامريكي » .

ويقول وليم ادي : « ومما يجدر ذكره ان ابن سعود لم يحاول أثناء حديثه ـ ولو مرة ـ ان يشير ولو تلميحا الى معونة مالية يرجوها للحكومة السعودية ، فقد كان مقصده من رحلته نشدان صداقة لا طلب مال ، مع ان الزيت في تلك الايام لم يتدفق بكميات تضاعف موارد الدولة ، بل كان الامر على النقيض ، فكانت البلاد في سنة ١٩٤٥ على مستوى أرض ريفية محرومة من الانتاج ما يكفي حاجات السكان ، والحرب القائمة حرمت البلاد من الحصول على ضروراتها .

« وبعد حديث في الحرب ونتائجها ذكر روزفلت لابن سعود : ان في باله امرا عظيما يشغله ، ويرغب في استشارته ويطمع ان يكون له عونا في حله ، وهذا الامر هو قضية انقاذ بقايا اليهود في اوروبا الوسطى ، واعادة توطينهم بعد ان عانوا من الاضطهاد والعذاب على يد النازيين الذين اضطهدوهم وشردوهم وخربوا ديارهم وقتلوهم بالجملة ، أنه يشعر بمسئولية شخصية حيالهم ، وانه مصمم على ان يبذل العون لحل مشكلتهم ، وسأل روزفلت الملك السعودي رأيه ومساعدته اياه في ذلك .

« واجابه ابن سعود جوابا موجزا وسريعا إذ قال له : هذا حسن ، اعطوا اليهود

---

(١) F. D. R. MEETS IBN SAUD, William A. Eddy.
American Friends of The Middle East, Inc. New York 1954.
وقد ترجم لنا الشواهد الأستاذ أحمد مرزا .

واحفادهم احسن بيوت الالمان واراضيهم ، أليس الالمان هم الذين اضطهدوا اليهود - كما تذكرون - اذن ، هم الذين يغرّمون .

« فرد عليه روزفلت : ان للناجين من اليهود رغبة عاطفية في سكنى فلسطين ، وانهم يخشون - عن حق - الاقامة في المانيا خوفا من تكرار العذاب الذي اصابهم .

« فقال ابن سعود : انني اعرف ان لليهود اسبابا تمنعهم من الثقة بالالمان ، إلا انني اعرف حق المعرفة ان الحلفاء سيقضون القضاء التام على قوة النازيين الى الابد ، وسيكون نصرهم عزيزا بحيث يبسط الحماية على ضحايا النازية ، وإذا كان الحلفاء لا ينوون ان يشرفوا بحزم على سياسة المانيا في المستقبل فلماذا يخوضون مثل هذه الحرب ذات الثمن الفادح ؟ اني - شخصيا - لا أتصور عدوي في مركز يسمح له بأن يرد الضربة بعد هزيمته ، ولا استطيع ان اترك له قائمة تقوم ! .

« ولم ينل الرئيس روزفلت مطلبه ومتمناه من ابن سعود فعاد الى مطلبه نفسه باسلوب آخر وقال : اني اعتمد على الكرم العربي ، وعلى الملك عبد العزيز في حل المشكلة الصهيونية ، فأجابه ابن سعود قائلا : دع العدو الظالم يدفع الثمن ، وعلى هذا الاساس نحن العرب نخوض الحرب ، فالمجرم هو الذي يجب ان يؤدي الغرامة وليس البريئ الذي لا يد له ولا دخل .

« ثم قال ابن سعود في اسلوب الاستفهام : أي شر ألحقه العرب بيهود اوروبا ؟ انهم المسيحيون الالمان الذين سلبوهم أموالهم ، إذن ، فليدفع الالمان الثمن ! .

وعاد الرئيس الامريكي الى الموضوع ليشكو من ان العاهل السعودي لم يمده بعونه لحل هذه المشكلة » .

ويقول وليم ادى : « يبدو ان صبر العاهل السعودي قد نفد بعض الشيءُ فقال بشيءٍ من الحدة : انه كبدوي غير متعلم لا يفهم مقصد الرئيس من عدم الزام الالمان بالتعويض على اليهود ! .

وأنهى العاهل السعودي حديثه قائلا : ان من تقاليد العرب توزيع الضحايا الناجين من المعركة على العشائر المنتصرة وفقا لعدد كل عشيرة ، وبمقدار ما سمحت به من ماء وطعام في تموين المحاربين ، وقال : ان في المعسكر الحليف

خمسين بلدا اصغرها وافقرها فلسطين التي عهد إليها بأكثر مما تطيق من اللاجئين الاوروبيين » .

ويذكر وليم ادى ان الرئيس روزفلت أكد لابن سعود انه ـ بصفة كونه رئيسا للولايات المتحدة ـ لن يفعل شيئا من شأنه ان يكون عدائيا للعرب ، وان حكومة الولايات المتحدة لن تغير من سياستها الاساسية حيال فلسطين دون مشاورات سابقة وكاملة مع كل من العرب واليهود .

وذكر وليم ادى في الفقرة السابقة ان الرئيس روزفلت قد اعطى ضمانات مؤكدة قبل موته باسبوع في كتابه الى ابن سعود بتاريخ ٥ أبريل سنة ١٩٤٥ .

وعندما زارت ابن سعود لجنة التحقيق الانجليزية الامريكية بالرياض في ١٦ ربيع الآخر سنة ١٣٦٥ (٩ مارس ١٩٤٦) سأله رئيسها عما دار بينه وبين روزفلت فأجابه بما سنذكره في فصل بعنوان « مع لجنة التحقيق الانجليزية الامريكية » لئلا يتكرر القول .

اضطهاد اليهود أكذوبة

دعوى اضطهاد اليهود التي رددها المسئولون الامريكيون والبريطانيون والصحافة البريطانية والامريكية تدل على سوء نياتهم جميعا ، ومغالطاتهم التي يسوغون بها احتلال فلسطين من قبل اليهود ، فمنهم من يعرف ان الاضطهاد كما تصوره الصهيونية غير واقع ، ولكنهم يؤيدون الصهيونيين الظلمة بكل ما يملكون ، وبخاصة ونستون تشرشل وروزفلت وكل رؤساء الولايات المتحدة الذين خلفوه .

واليهود لم يكونوا مضطهدين ابتداء ، بل هم الذين يدفعون الناس دفعا شديدا الى ان يقفوا منهم موقف العداء لاعمال اليهود التي يقصدون منها هدم المجتمعات التي يعيشون فيها ، ومن مهارة الصهيونيين وبراعتهم أثبتوا في اذهان كثير من السياسيين والمفكرين ان اليهود مضطهدون .

وعندما ذكر روزفلت للملك عبد العزيز اضطهاد اليهود لم يجابهه بالرد الذي يفحم ، وإن جاءه من طريق آخر بما يحول اتجاهه الى غير الوجهة التي يريدها الرئيس الامريكي ، ووافق ابن سعود روزفلت ـ جدلا ـ وذكر ان حق المضطهد على مضطهده وظالمه لا على الابرياء ، وإذا كان الالمان المسيحيون اضطهدوا اليهود وسلبوهم اموالهم وممتلكاتهم واخرجوهم فعلى اليهود ان يرجعوا على الالمان انفسهم وحدهم .

ومن الظلم الذي لم يقع في تاريخ البشر حتى اليوم ان يكون العرب محل النقمة والظلم والاستئصال والضراوة والفتك من قبل اليهود والغرب والشرق . مع ان

العرب المسلمين كانوا الوحيدين في العالم في جميع فترات التاريخ الذين احسنوا الى اليهود .

وفي الوقت الذي كان فيه المسيحيون يضطهدون اليهود كان اليهود يجدون في ظل السيادة الإسلامية الحرية التامة والامن الكامل والعدل والرحمة والإنصاف وحرية العمل وحرية الحركة وحرية العبادة وكل أنواع الحريات ، ولكنهم يهود وحسب ، يجحدون احسان المحسن إليهم ، ويقابلونه بالاساءة والنكران .

يقول برتراند رسل فيلسوف بريطانيا وأحد مشاهير العالم في كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية » ٢ : ١٨٦ (الطبعة العربية) :

« كان المسلمون خلال العصور الوسطى اكثر مدنية وأرق قلبا من المسيحيين ، فقد اضطهد المسيحيون اليهود ، وبخاصة في عهود الاضطراب الديني ، وصاحبت الحروب الصليبية مذابح مروعة ، وذلك على نقيض ما كان في البلاد الاسلامية ، حيث لم يسيء احد معاملة اليهود بأي معنى من معاني الاساءة » .

ومع هذا يدفع المسلمون العرب وحدهم ثمن انسانيتهم ، حيث اجتمع عليهم المسيحيون واليهود على تحطيم كيانهم ، وتمزيق اوطانهم ، ومحاربتهم في كل ميدان ، وقتلهم وتشريدهم وسلب ثرواتهم .

واذا كان المسيحيون اضطهدوا اليهود فلماذا يكون الانتقام من المسلمين العرب الذين لم يسيئوا الى اليهود قط بأي معنى من معاني الاساءة ؟

وإذا كان الالمان المسيحيون اضطهدوا اليهود واخذوا اراضيهم فلماذا يكون الانتقام من العرب الابرياء ؟ .

وأي حجة لليهود الامريكيين الذين وفدوا الى فلسطين العربية المحتلة في الهجرة اليها واحتلالها ؟ .

أقام احد باضهادهم في امريكا ؟ .

وكيف نفسر قول الحاخام ستيفن وايز في خطبة له في شهر مايو سنة **١٩٤٥** عندما كانت الدول الحليفة المنتصرة مجتمعة في سان فرانسيسكو لتأسيس منظمة هيئة الامم المتحدة عندما قال صارخا : « نريد ان نعود الى ديارنا ، الى وطننا

الاول » أكان هذا الحاخام مضطهدا في امريكا ؟ أكان بغير وطن ودار حتى يخطب في اعضاء الدول الحليفة عندما كانوا مجتمعين للمشاورة في تأسيس الهيئة الدولية ؟

أكان اليهود الامريكيون مضطهدين لا دار لهم ولا وطن حتى يطلبوا تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين ؟

لا احد يدعي ذلك حتى اليهود انفسهم لا يستطيعون ان يدعوا انهم مضطهدون في امريكا ، بل هم الذين يحكمون ويملكون الاراضي التي تبلغ ملايين الكيلومترات المربعة في الولايات المتحدة ، كما يملكون المال والدعاية والقوة والجاه .

فدعوى الاضطهاد دعوى باطلة ، تنقضها الحقائق الثابتة ، ويكفي ان ينقضها واقع اليهود في امريكا ، ومع هذا يدعون الاضطهاد ويريدون لهم في فلسطين وطنا قوميا .

وإذا كان اليهود مضطهدين في المانيا فما شأن العرب بألمانيا ؟ انهم قاموا مع الحلفاء بمحاربة المانيا في الحربين العظميين ، ومع هذا غدر الحلفاء بهم في الحربين كلتيهما غدرا يتجدد على مر الايام .

وتاريخ العرب كله لم يدون حادثة واحدة قط اعتدى فيها العرب على اليهود ، أو اضطهدوهم ، أو اساءوا معاملتهم ، بل احسنوا إليهم اعظم الاحسان فنالوا جزاء احسانهم شرا مستطيرا لا نظير له في تاريخ العالم كله ، وما كان العرب ليبالوا اليهود لوكانوا هم المعتدين وكانوا وحدهم في الميدان ، فمعهم المسيحيون ، ومعهم الشيوعية الملحدة ، ومعهم كل قوى الشر في العالم .

وتاريخ الانسانية يدون للعرب انهم فطنوا لخطر اليهود على المسيحية والاسلام واخذوا يقاومونه بكل قوة ، في حين ان المسيحيين غفلوا عن الخطر اليهودي وعن اليهود الذين حطموا كل القيم المسيحية ، وافسدوا دين المسيح وكل مجتمعاته حتى لم يبقوا للمسيحية اثرا مذكورا .

ومع ان اليهود يجاهرون المسيحيين والمسيح نفسه بالعداوة فإن المسيحيين يجبنون عن مقاومتهم ، بل يسيرون في ركابهم ، ويؤيدونهم ، لان اليهود محوا الايمان من

قلوب المسيحيين فلم يعودوا يغارون على المسيح ، على نبينا وعليه افضل الصلاة وأتم التسليم .

وقد بلغت الدعاية الصهيونية من المهارة ان المسئولين الالمان بعد عهد هتلر اعتقدوا ان المانيا الهتلرية اضطهدت اليهود حقيقة ، فهم يكفرون عن جرائمها ضد اليهود بتعويضهم بالمال والسلاح وكل انواع المعونات .

وقد فندت فرية « اضطهاد اليهود » عندما كنت في المانيا ، وأرى ان أعيد نشر ما قلت في التفنيد من كتابي « اليهودية والصهيونية » الذي صدر سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧٢ م) وها هو ذا نصه :

« في صباح يوم الاحد ٢٩ شعبان ١٣٨٩ (٩ نوفمبر ١٩٦٩) كان في البرنامج الذي اعدته الاذاعة الالمانية لي مقابلة مسؤول في وزارة الاعلام الالمانية في برلين .

« وكان مرافقي الاستاذ مروان الشوربجي - وهو سوري من دمشق ومن كبار موظفي الاذاعة الالمانية بالقسم العربي ، والمعلق السياسي بها - وهو الذي يقوم لي بالترجمة ، وهو ذو خلائق فاضلة .

« بدأت زيارتي اياه بمكتبه في الساعة العاشرة صباحا ، ودامت المقابلة ثلاث ساعات شغلها الحديث في الشيوعية والصهيونية واليهود ودولة اسرائيل وقضية فلسطين .

« ولم يكن المسئول الالماني متعصبا لليهود ، بل استطيع ان اقول : انه كان صديقا للعرب .

« وقال المسئول الالماني : الواقع ان قضية الاسلحة التي قدمتها المانيا لاسرائيل لم تكن في صالح الشعب الالماني ، ولم يكن المسؤولون الالمان - غير المستشار السابق ووزير الدفاع الالماني - على علم بها ، وان البرلمان استنكر صفقة الاسلحة التي تمت بين اسرائيل ومستشار المانيا السابق ووزير خارجيته .

« ثم قال : ان الشعب الالماني لا يخلو من شذوذ ، ومن هذا الشذوذ أنه لا يعرف الوسط ، فهتلر اضطهد اليهود وقتلهم بالجملة ، وهذا اندفاع شاذ ،

واضطر الشعب الالماني الى دفع التعويضات ، لان هتلر قتل اليهود ، وصادر[1] املاكهم واموالهم ، وشعر الشعب الالماني بالاثم الفظيع ، وأراد ان يكفر عن خطيئته فدفع لليهود تلك التعويضات الضخمة ، ومن بينها الاسلحة .

« فأجبته : لنفرض ان هتلر اضطهد اليهود ، وقتلهم بالجملة ، وشعر الشعب الالماني بالاثم ، وصمم على التكفير ، واستعد بدفع التعويضات عن ارواح اليهود واموالهم واملاكهم المصادرة ، أترى ان هتلر صادر لهم اسلحة ومعدات حربية ؟ ان تكفيرهم عن إثم مفتعل بإثم أشد وأفظع يحتاج الى تكفير ! انكم شعرتم بالاثم لان هتلر قتل آلاف اليهود ، وانتم ابحتم لليهود ان يقتلوا آلاف الابرياء المدنيين الذين لم يؤذوا احدا بالاسلحة التي دفعتموها لهم .

« وإذا كان هتلر قتل آلاف اليهود ، أفترى هؤلاء اليهود كانوا أبرياء .

« اني لا ادافع عن هتلر ، فهو ليس أهلا لان أدافع عنه ، ولكني أجعل التاريخ هو الذي يذكر لك الحقائق ، فاليهود في المانيا لم يكونوا يوما بارين بوطنهم الالماني ، بل كانوا مع اعدائه دائما ، وهم سبب هزيمته في حربين كبريين .

« وما يزال اليهود حتى اليوم يعادون المانيا الغربية ، وإذا كانوا يتظاهرون لها بترك العداء السافر فسببه حاجتهم الى اموال المانيا واسلحتها ومساعداتها .

« واليهود دائما يبالغون ، فإذا طلبت إليه حقا من حقوقك وكان غير راغب في الوفاء به هاج وماج ، وصاح : قف ، هنا لا سامية ، هنا حرب لليهود .

« وأنتم باعترافك تبالغون ، وتسرفون ، والاسراف في الشعور بالاثم المكذوب دفعكم الى تضخيم التعويضات ، والى دفع الاسلحة والمعدات الحربية لليهود .

« انكم تزعمون انكم اصدقاء العرب ، اما العرب فقد كانوا وما يزالون اصدقاءكم ، ووقفوا معكم في الحربين ، وكانوا معكم دائما ، وانهزمت دولة المسلمين وخلافتهم حتى أزيلت الخلافة من الوجود وكسرت شوكة المسلمين في الارض بسبب وقوفنا معكم .

---

(١) في العربية : استصفى بمعنى صادر ، واستعملنا صادر لشهرتها ، وأتينا بالكلمة العربية التي تقابلها رجاء ان تحل محلها .

« واليهود وقفوا ضد الشعب الالماني ، وكانوا من اسباب هزيمته النكراء في حربين كبريين وقبلهما ، وعد الى تاريخ المانيا فستجد ان اليهود الالمان كانوا ضد المانيا في كل فترات تاريخها .

« ومع ذلك جحدتم فضل العرب والمسلمين ، وهم اصدقاء لكم ، وايدتم اليهود وقدمتم لهم الاسلحة التي قتلوا بها اصدقاءكم العرب والمسلمين قتلوا بها الاطفال والرضع والنساء والعجزة ، أيدتم اليهود وهم اعدى اعدائكم .

« ثم ان اليهود لم يضطهدهم هتلر الى الحد الذي بالغ اليهود في تصويره ، ولم يذكر عنه انه قتل اطفال اليهود ، ولكن اسلحتهم التي اعطيتموها اليهود قتلت مئات الاطفال العرب .

« ثم زعم المسؤول الالماني بوزارة الاعلام ان اليهود قد اضطهدوا على مر التاريخ ، وان آلاف اليهود هاجروا من المانيا بسبب الاضطهاد الهتلري كما هاجروا من غير المانيا ، وفلسطين وطن اليهود الاصلي ، فاذا هاجروا الى فلسطين فقد عادوا الى وطنهم القومي ، ولكننا لا نوافق على اخراج العرب من ديارهم في فلسطين ، ويجب ان يعيش العرب واليهود في فلسطين بسلام .

« فقلت له : انني اتحدث اليك حديثا تدعمه الحقائق ، اما أنت فتحدثني حديثا بعيدا عن الحق ، فاليهود لم يضطهدهم احد في التاريخ كله ، بل هم الذين نكبوا الشعوب التي عاشوا في أوطانها ، ووسعتهم بفضلها وخيراتها .

« وأما أن فلسطين وطن قومي اصيل لليهود فذلك زعم مردود ، فاسم فلسطين يثبت انها ليست لليهود . ولم تكن مدينة القدس موضعا دينيا لهم .

« فابراهيم عليه الصلاة والسلام الذي يدعي اليهود نسبتهم إليه ، وهو أبو كل رسلهم لم تكن فلسطين وطنا له ، فهو نفسه عليه الصلاة والسلام قد هاجر من العراق الى فلسطين ، وسكن مع أهلها الاصلاء ، ولم يملك فيها شبرا من الارض ، ولما توفيت زوجته سارة لم يكن يملك قبرا يدفنها فيه ، فاشترى من عفرون الحثي في جبل صهيون مكانا دفن به زوجته ، وارجع الى سفر التكوين تجد ذلك .

« والتوراة نفسها تثبت ان فلسطين ارض الكنعانيين ، وليست لليهود ، بل اليهود يعترفون انهم هاجروا اليها وشاركوا أهلها السكن ، وكان اليهود عشائر غير متحضرة ، وكانوا منحطين عقليا وثقافيا ، ولم تكن لهم مملكة ولا دولة ، بل كان لكل عشيرة شيخ يسمى قاضيا ، ومشهور في التاريخ أن عصر القضاة هو اول عصورهم في فلسطين .

« وهاجر يعقوب واولاده الى مصر حيث وجدوا الامن والرخاء ، وعاشوا تحت حكم الفراعنة ، ولسوء نيات اليهود وفساد اخلاقهم اضطهدهم الفراعنة ، فقرروا الهجرة ، ولم تكن فلسطين مقصدهم لانها وطن قومي ، أو مكان ديني لهم فهاجروا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الشرق من مصر ، ولكنهم لم يدخلوا ارض فلسطين إلا بعد اربعين سنة ، وبعد موت موسى .

« ولم تكن لليهود دولة إلا لفترة قصيرة من سنة **١٠٢٠** قبل الميلاد الى سنة **٩٢٣** قبل الميلاد ، وهي الفترة التي حكم فيها اول ملوكهم شاوول ثم داود وسليمان ، وبعد وفاة سليمان انقسمت المملكة الى قسمين : مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا ، ولم تكن المملكة الموحدة إلا في جزء صغير من فلسطين ، وأما المملكتان فكانتا صغيرتين ، وانتهى حكم الدولتين في فترتين ، فمملكة اسرائيل وعاصمتها السامرة انتهت في اوائل القرن الثامن قبل الميلاد ، ومملكة يهوذا انتهت في اواخر القرن السادس قبل الميلاد .

« ثم يجب ان نلاحظ ان اليهود قد نفوا وهاجروا من فلسطين بأعداد كبيرة ، ومن بقي منهم في فلسطين كانوا في احط الدركات .

« فأرض فلسطين ليست وطنا قوميا لهم وهيكل سليمان لم يكن مقدسا لدى اليهود جميعا ، فقد هدمه احد ملوك اليهود كما تذكر أسفارهم المقدسة .

« لا حق لليهود في فلسطين لا من ناحية الدنيا ولا من ناحية الدين .

« وأما خرافة اضطهاد اليهود فيجب فهمها على حقها ، وعلى سبيل المثال : من الذي اضطهد اليهود في مصر في عهد موسى ؟ وما أسبابه ؟ ان الشعب المصري لم يضطهدهم ، بل كانوا على وفاق معه ، بدليل نجده في سفر الخروج أحد اسفار

التوراة ، فهو يذكر ان بني اسرائيل استعاروا من المصريين مصوغات ذهبية وفضية وملابس وهربوا بها ، ولو كان المصريون اعداء اليهود لما أعاروهم نفائسهم .

« وما يدعيه اليهود من اضطهاد الشعوب إياهم كذب ، فهم الذين يضطهدون الجوييم ، والجوييم غير اليهود ، يتاجر اليهود في كل بلد اكرمهم أهله بأرزاقه ويحتكرونها ، ويسلبون الناس اموالهم واملاكهم ومزارعهم بوساطة القروض الربوية ، ويعزلون انفسهم في كل بلد عن أهله ، فلا يؤاكلونهم ، ولا يشاركونهم في ضرائهم ، بل ضراؤهم ناجمة من اليهود .

« ان اليهود حتى اليوم هم الذين يضطهدون الشعوب الاخرى ، ولا تدل الهجرة اليهودية الى فلسطين على اضطهاد الناس إياهم ، بل سياسة زعمائهم ورغبتهم في حشد اليهود بفلسطين هي التي دعتهم الى تهجيرهم .

« ونكتفي بالمانيا مثالا نسوقه ، فالمعروف المستقر في اذهان الناس ان الهتلريين اضطهدوا اليهود فاضطروا الى الهجرة فرارا من اضطهاد النازيين ، ولكن الواقع غير ذلك ، فقد كان للوكالة الصهيونية مكتب رسمي في برلين ، يرعى شؤون يهود المانيا ، وله فروع في مدنها ، وعلاقته بالجستابو علاقة وثيقة ، وانت تعرف - ولا شك - شارع « ماين شستراوس » في برلين ، ففي هذا الشارع يقع المكتب اليهودي الصهيوني ، وكان يحتل العمارة رقم ١٠ قبل هدم برلين ، وفي ايام هتلر .

« وكان مدير المكتب يهوديا صهيونيا مشهورا في اوروبا يدعى جلعاد .

« وكان هذا المكتب يقوم بترحيل اليهود الالمان الى اوروبا وامريكا وفلسطين .

« وكان اليهود المهاجرون ذوي صحة حسنة ، ويخرجون ومعهم اموال طائلة ينقلونها معهم الى البلدان التي يهاجرون إليها .

« أفيتفق هذا مع الاضطهاد ؟ .

« ان المضطهد لا يكون موفور الصحة ، حرا في نقل أمواله .

« فرد المسؤول الالماني قائلا : اني اسمع هذه الحقائق لاول مرة ، وسأرجع الى المصادر التي ذكرتها ، والى الوثائق الرسمية والكتب التي ذكرت هجرات اليهود

لا تزود منها بمعلومات ، وأعدك انني سأرفع الى المسؤولين الكبار كل ما ذكرت .

« ومضت ثلاث ساعات في الحديث بيني وبين المسؤول الالماني وقلت له : اني لم اذكر لك كل ما أعلم مما يتصل باليهود والصهيونية ، وما ذكرته ان هو إلا عناوين ومن الذاكرة ، ولم أكن مستعدا للبحث العلمي الشامل في موضوع اليهود ، ومع ذلك ففيما ذكرت بعض الغناء لمن يريد أن ينصف العرب والمسلمين وشعب فلسطين .

« وقلت له في ختام الحديث : انكم تزعمون ان النَازيين صادروا املاك اليهود واموالهم في المانيا ، لنفترض صحة هذا الزعم ، ولنفترض ان لهم الحق في التعويض ، وأنا اوافق على ان ذلك حق ، فأنتم أعطيتم دولة اسرائيل الاموال بدلا من اموالهم واملاكهم ، أفترى ان النازيين صادروا من اليهود اسلحة ومعدات حربية حتى تعطونهم إياها ؟

« ثم انك تعترف بأن الشعب الالماني والحكومة لم يكونا على علم بصفقة الاسلحة التي تمت بين اسرائيل ومستشاركم السابق ووزير دفاعه ، ولم يوافق الشعب والحكومة عندما علما بهذه الصفقة ، وهذا يدل على ان العملية مريبة وغير شرعية ، وإلا لما استنكرتم .

« فوافق المسؤول الالماني على كل ما قلت ، ورجا ان تكون العلاقات بين المانيا والعرب حسنة في الحاضر والمستقبل .

والحق ان الشعب الالماني المعروف بالشجاعة والكرم يكره اليهود لما طبعوا عليه من اللؤم والخسة وكراهيتهم لكل شعوب العالم » .

فاضطهاد اليهود فرية وليس حقيقة ، ولكن السياسة الامريكية واقعة تحت تأثير الصهيونية التي لها نفوذ يجبر كل من يرشح نفسه للرئاسة والرئيس الذي يرغب في اعادة ترشيحه يستجديان اليهود اصواتهم فيتحكمون فيهما ، وينتزعون منهما الوعد بتأييدهم ، ولا يكتفون بالتأييد ، بل ينتزعون منهما الوعد بمعاداة العرب ، فإذا الرئيس المنتخب أو المعاد انتخابه ينقلب صهيونيا ، وهذا ما رأيناه في ترومان وفي جونسون وفي نيكسون ـ الرئيس الحالي ـ وسنراه فيمن يخلفه ، ولن يخرج أحد من

رؤساء الولايات المتحدة عن قبضة الصهيونية ، فهذا ماكجوفرن منافس نيكسون على منصب الرئاسة يعلن في خطبه انه مع اسرائيل ضد العرب ليعطيه يهود الولايات المتحدة اصواتهم فيفوز بمنصب الرئاسة .

مَع تشرشل

في صباح يوم السبت ٤ ربيع الاول سنة ١٣٦٤ هـ (١٧ فبراير ١٩٤٥ م) ركب السيارة المستر ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية (وكان مرتديا بذلة الكولونيل الاول بفرقة الهوسار الرابعة) يصحبه المستر أنطوني ايدن وزير الخارجية البريطانية واللورد موران طبيب رئيس الوزارة البريطانية الخاص ، وهيئة مكتبه التي رافقته في مؤتمر يالطا ، ووجهتهم الفيوم .

وفي ضحى يوم الاحد ٥ ربيع الاول (١٧ فبراير) وصل تشرشل ومن معه الى الاوبرج فاستقبلهم الملك عبد العزيز بن سعود الذي كان قد سبقهم الى الفيوم ومعه شقيقه الامير عبد الله وابناه الاميران : محمد (أمير المدينة) ومنصور (وزير الدفاع) والشيخ عبد الله السليمان (وزير المالية) والشيخ يوسف ياسين (السكرتير الخاص لجلالة الملك ونائب وزير الخارجية) والشيخ حافظ وهبه (الوزير المفوض للمملكة السعودية بلندن) استقبالا رائعا وتبادلوا عبارات التحية ، وقد كان الملك عبدالعزيز مرتديا في هذه المقابلة ثيابه العربية عليها دثاره الرسمي الاحمر الموشح بالذهب ، ويشع على رأسه عقال مقصب جميل .

وتبادل الفريقان التحية ، واعجب تشرشل ومن معه بالملك العربي المسلم الكبير اعجابا عظيما .

ودار بينهم حديث ودي ، ثم انعقد مجلس خاص جمع بين الملك ورئيس وزراء بريطانيا وتولى الاستاذ عبدالله بلخير مترجم جلالته الترجمة بينهما ، ومكثا أكثر من ساعة يتباحثان في مسائل شتى ، أهمها قضية فلسطين ومايتعلق بالعرب ومستقبلهم

ثم غادرا الاجتماع وكل منهما مسرور من هذه المقابلة والمحادثة اللتين انتهتا بنجاح .

وبينما كانا في المحادثة مدت اخونة الغداء في ردهة الفندق المستطيلة المكسوة باللونين : الازرق والاحمر ، المشرفة على بحيرة قارون الهادئة الصافية ، ولما خرجا تصدرا المائدة وكان معهما فيها من الجانب البريطاني : ايدن وموران والمستر جوردن الوزير البريطاني المفوض السابق في جدة والجنرال السير برنارد باجيت القائد العام لقوات الشرق الاوسط واللورد كليرن السفير البريطاني بالقاهرة ، والسير والتر سمارت المستشار الشرقي بالسفارة البريطانية بالقاهرة والسير الكسندر كادوجان وكيل وزارة الخارجية ومارشال الطيران مدهيرست قائد القوات الجوية في الشرق الاوسط والمستر جرافتي سمث الوزير الانكليزي المفوض في جدة والمستر لسلي روان السكرتير الخاص لرئيس الوزراء والسير وليم كروفت سكرتير مكتب وزير الدولة والبريجادير كلايتون والماجور راندولف تشرشل ابن رئيس الوزراء .

اما من الجانب العربي فأصحاب السمو الامراء السعوديون وحاشية جلالته .

وقد دار بحث طويل بين تشرشل وابن سعود في قضية فلسطين ، وقد اوضح ابن سعود لتشرشل ما كان قد دار من بحث فيها مع روزفلت وما وعد به .

وعندما كانت اللجنة الانجليزية الامريكية بالرياض في زيارة للملك ابن سعود في ۹ مارس ١٩٤٦ سأله رئيس اللجنة فأجابه ابن سعود قائلا :

« أطلعت المستر تشرشل على حديثي مع روزفلت ، وعلى الوعد الذي وعدني به ، فوعد المستر تشرشل بأن يقوم بالواجب من قبله في مساعدة العرب ، وعدم الاجحاف بحقوقهم » .

ولكن شيئا من هذا لم يقع ، بل وقع النقيض ، والسياسة البريطانية معروفة بالغش والتدليس والكذب ، فتشرشل يعد العرب ويعد اليهود ، والفارق بينهما ان وعده للعرب تضليل وتخدير ، ولليهود عطاء وتحقيق وتأييد في كل شيء .

وما كاد يمضي على هذه المقابلة غير بضعة اسابيع حتى جد في السياسة جديد حمل ابن سعود الى ان يكتب لتشرشل كتابا هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ

« ١٠ مارس ١٩٤٥ م

« من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية .

إلى حضرة صاحب الفخامة المستر تشرشل ، رئيس الوزارة البريطانية

يا صاحب الفخامة

إنها لفرصة سعيدة أنتهزها لأشاطركم السرور في انتصار المبادئ التي أعلنت الحرب من أجل نصرتها ، ولأذكر الشخصيات العظيمة التي بيدها ـ بعد الله ـ تصريف مقاليد نظام العالم الخ » .

ولم نكمل الرسالة لأنها هي نفسها التي بعثها إلى روزفلت ، وقد سبق لنا ذكرها في صفحة من هذا الكتاب ، فلا ضرورة لإعادتها .

وإذا كان تشرشل قد وعد ابن سعود بمثل ما وعده به روزفلت فانه كان عازما على الغدر ، وهو طبع بريطانيا في كل وعودها وعهودها مع العرب والمسلمين منذ نكبوا باستعمارها الغاشم .

وبريطانيا هي السبب في كل ما حل بالمسلمين والعرب من نكبات وويلات ، وجاءت بعدها الولايات المحدة الأمريكية لتزيد في البلاء الواصب ، فقد أيدت وعد بلفور ، وشاركتها في تمكين اليهود حتى تسلمت الراية منها وأخذت تعطي اليهود كل ما تستطيع لتضرب العرب في الصميم .

ويروي اللورد كيلرن الذي كان في ذلك الوقت سفير بريطانيا بمصر في مذكراته التي تنشرها مجلة « آخر ساعة[1] » ما نصه :

(١) العدد ٢٠٠٨ الصادر في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٩٣ (١٨ أبريل ١٩٧٣) .

« في منتصف شهر فبراير (١٩٤٥) وصل الرئيس روزفلت إلى مصر وتلقيت تعليمات من لندن أن أرتب اللقاء بينه وبين الملك عبدالعزيز بن سعود وامبراطور اثيوبيا أو الأسد كما كانوا يسمونه ، وكانت التعليمات أيضا أن أعد ترتيبات أخرى للقاء آخر بين هذين الملكين وتشرشل في القاهرة ، أما اللقاء بين روزفلت وبينهما فكان مقررا أن يتم في الاسماعيلية » .

و « اشتغلنا بعد ذلك بوصول الملك ابن سعود على متن مدمرة أمريكية إلى مدينة الاسماعيلية ، وكان مقررا أن يقابله الرئيس الأمريكي روزفلت هناك ، وبعد انتهاء الاجتماع كان روزفلت سيبحر على متن الطراد الأمريكي إلى الاسكندرية مرة أخرى ، وقال لنا الأمريكيون : إنهم بعد انتهاء اجتماع روزفلت والملك ابن سعود لا شأن لهم بأي ترتيب آخر ، وكان معنى ذلك أن تتكرر مشكلة امبراطور أثيوبيا » .

و « وفي هذه المرة كانت المشكلة أسوأ لأننا كنا مضطرين إلى الاستعانة بالملك فاروق إذا فكرنا في احضار[1] الملك ابن سعود إلى القاهرة لانتظار تشرشل ، وزاد الأمر تعقيدا عندما بعث الملك ابن سعود من الاسماعيلية يقول : أنه يسره لقاء تشرشل ، ولكنه غير مستعد للحضور إلى القاهرة ، وقررت الذهاب إلى قصر عابدين وقابلت الملك فاروق أثناء الحفل الذي أقامه لتكريم الرئيس السورى شكري القوتلي » .

و « واقترح فاروق أن يذهب ابن سعود إلى الاسكندرية ، ولكن قلت : إنه لا يحب ركوب الطائرة ، وبعد مضي بعض الوقت توصلنا إلى أن أفضل ترتيب أن ينزل في الفيوم ، وكان فندقا جديدا في ذلك الوقت ، وقال فاروق : إنه سوف يوصي مدير الأوبرج (صوصه) أن يتخذ اللازم لاخلاء الفندق حتى تنتهي اقامة ابن سعود في مصر » .

---

(١) هذه الكلمة (احضار) من سوء أدب كيلرن ، ولا تسمى الدعوة احضارا ، فتشرشل كان حريصا على مقابلة الملك عبدالعزيز ، ووجه اليه الدعوة التي قبلها ومع أن الانجليز كانوا منتصرين فان ابن سعود كان شديدا مع تشرشل في قضية فلسطين .

و « قال تشرشل : انه يريد اجراء مزيد من المحادثات مع ابن سعود ، وتركتهما في الفندق كي أسبق تشرشل إلى كوم أوشيم ، وجاء تشرشل بعد الظهر ، وكان أول شيء طلبه عندما جلس فى الحديقة بكوم أوشيم كأسا من البراندي القوي حتى يستطيع أن يستعيد توازنه الذي فقده مع الملك ابن سعود على المائدة التي خلت من الويسكى » .

ويقول كيلرن : « دعيت إلى قصر عابدين لتحية الملك ابن سعود الذي كان يزور مصر . . . ودخلت غرفة العرش حيث وجدت ابن سعود جالسا هناك وإلى يمينه أبناؤه الاثنا عشر ، وإلى يساره وزراؤه ، وكانوا يرتدون جميعا الزي العربى ، ولهذا كان المنظر مؤثرا . . وخلف الملك ابن سعود كان يقف عزام بك والنقراشي باشا رئيس الوزراء ، وبعد أن صافحنا الملك عدنا إلى قاعة الانتظار » .

ويقول كيلرن : « كتبت تقريرا إلى وزارة الخارجية عن اراء ابن سعود التي سمعتها منه في حفل غداء أقمناه تكريما له ، يقول الملك : ان بريطانيا تعترف بأنه مد يده إليها في أيامهم السود ، وأنه سيمدها إليهم أيضا في أيامهم البيض ، وان العرب يعتبرون بريطانيا صديقتهم ، ويتوقعون منها الحماية[1] » .

و « قال لي الملك ابن سعود : لا شيء يستطيع أن يمزق الصداقة البريطانية العربية إلا إذا وقعت أعمال اضطهاد أو شيء يهدد الاسلام أو مستقبل العرب وقال : إنه من أجل الاسلام قد يحارب بريطانيا نفسها ، ثم انتقل الحديث إلى فلسطين واليهود الذين قال عنهم ابن سعود : إنهم خطر ـ الآن ـ على الاسلام وعلى الصداقة العربية الانجليزية » .

و « ثم قال ابن سعود : أنا لا أفهم لماذا يقتل النازي اليهود ويضطهدونهم ثم يعاقبون العرب ؟ ولا أفهم لماذا يتدخل أصدقاؤنا الامريكيون في هذه المشكلة ؟ وبأي حق يتدخلون ؟ وإذا كان الانجليز قد خاضوا الحرب العالمية الثانية وضحوا بكثير من الأرواح من أجل العدالة والحق فهل يضحون بكل هذا من أجل اليهود في فلسطين ؟ هل اليهود أقوى من النازيين واليابانيين ؟ وأستطيع أن أقول : إن

---

(١) لم يقل ابن سعود : « الحماية » وانما قال : « العدالة » وسياق الكلام يدل على ذلك .

مجمل حديث ابن سعود كان أشبه بانذار ودي لبريطانيا ، وقد ذكر أن روزفلت قال له : ان اليهود ليست لهم أهمية حقيقية في السياسة الأمريكية ، لأنهم يتحكمون في ثلاثة ملايين صوت من بين خمسين مليون صوت انتخابي ، وقال روزفلت أيضا : إنه لا يخشى الرأي العام اليهودي في بريطانيا ، وإنه سيحاول الا يلحق بالعرب أي ضرر ، وقال ابن سعود ردا على سؤال : انه لا يوجد يهودي واحد في السعودية من ١٤٠٠ سنة ، وأنه لم ير يهوديا واحدا طول حياته » .

وليست الصداقة التي أشار اليها الملك عبدالعزيز تحتمل أي معنى من معاني الخوف والذل ، فهو صديق بريطانيا ما دامت هي الراغبة في الصداقة ، فإذا خرجت عن طريقها السوي فابن سعود لا يعترف بها .

وما كانت الصداقة قط فى مفهوم ابن سعود أن يذل ، فكرامته الشخصية أوكرامته الوطنية أو كرامته الدينية فوق كل الصلات ، ومستعد من أجل إحدى هذه الكرامات أن يقاتل دفاعا عنها .

وقد أفصح ابن سعود لكيلرن عن استعداده لمحاربة بريطانيا نفسها التي تربطه بها صداقة متينة إذا وجد أي تهديد لدينه أو للعرب .

وقضية فلسطين قضية العرب ، فإذا وقف الانجليز منها موقف المعادي فلا سبيل له إلا الحرب مهما كانت العواقب .

وفى حديث ابن سعود وتشرشل لم يخرج عما أفصح به لكيلرن ، فقد وضح سياسته بكل صراحة كما وضحها لروزفلت . ولكن ابن سعود كان وحده في الميدان ، وليس له طريق إلى فلسطين .

ابن سعود وترومان

غادرت اللجنة الإنجليزية الأمريكية الرياض متظاهرة بتصويب آراء ابن سعود ، وان لم يكن يخفى عليه أن أعضاءها لن يتحرروا عن الهوى ، لأن دولتيهم تسيران في خط سير الصهيونية وتؤيدانها ، ضاربتين بالحق والعدالة والانسانية التي لا تفهمانها إلا على أساس سلب صاحب الحق حقه واعطائه غيره يتمتع به ، فإذا عارض صاحب الحق كان جزاؤه التشريد والتقتيل .

فانسانية أمريكا وبريطانيا تتفق مع عدائهما للإنسانية الصحيحة ، وما أصدق قول الشاعر أديب اسحاق :

قتل امرىء في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

والعرب لم يبدأوا قط بقتل ، ولكن اليهود هم القتلة السفاكون دائما ، ومع هذا تؤيدهم بريطانيا وأمريكا ، بل هما سبب محنة العرب منذ بلفور حتى اليوم .

وتلقى ابن سعود من الحكومة الأمريكية مذكرة مصحوبة بتقرير اللجنة البريطانية ـ الأمريكية بشأن قضية فلسطين ، وبعد أن درسه ابن سعود كتب إلى هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كتابا هذا نصه :

الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥
٢٤ مايو ١٩٤٦

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية إلى صاحب الفخامة الرئيس هاري ترومان رئيس الولايات الأمريكية المتحدة .

يا صاحب الفخامة

تلقت حكومتنا منذ أيام قليلة مذكرة من الحكومة الأمريكية مرفقا بها تقرير « اللجنة البريطانية ـ الأمريكية » بشأن قضية فلسطين ، وقد أجابت حكومتنا بتسلمها المذكرة ، وأبدت مطالعاتها بصورة عامة ، ووعدت باعطاء الجواب المفصل خلال المدة المقترحة بعد الاجتماع الذي يعقد في مصر من ملوك وأمراء ورؤساء الدول العربية ، واجتماع مجلس جامعة الدول العربية وليس موضوع هذه المذكرة هو الذى قصدنا أن نتكلم عنه إلى فخامتكم ، وانما قصدنا أن نوجه اليكم خطابنا هذا على إثر ما سمعناه عن تصريح وزير خارجيتكم بشأن القواعد السياسية التي ما زالت حكومتكم الموقرة تستلهمها في موضوع تقرير لجنة فلسطين .

نحب أن نؤكد لكم ـ يا صاحب الفخامة ـ ان البلاد العربية والاسلامية تعلق أكبر الآمال على الحكومة الأمريكية بصفتها مشعل الحرية ، والمناضلة عن الحق والعدل في جميع أنحاء العالم من دون تفريق بين العناصر والألوان والمذاهب ، ونحن نعلن أن من بين الدوافع الرئيسية التي تحملها على مناصرة قضية الصيهونيين انما هو الدافع الناشئ عن اعتقادها أنها تخدم قضية العدالة والحق والانسانية .

ولكننا ـ يا صاحب الفخامة ـ نربأ بالحرية الأمريكية بان تعالج الظلم بارتكاب ظلم أفدح منه ، وأن تسعى لاغاثة شعب بائس على حساب بؤس شعب آخر ، وان تطالب بحرية شعب مضطهد مشتت بينما ذلك يؤدي إلى استعباد شعب آخر واضطهاده .

إننا لا نخاطبكم باسم المصحلة أو العاطفة فحسب ، وانما نخاطبكم بصفتنا أصدقاء نعمل معا على ما فيه خير بلادينا وشعبينا خاصة والعالم عامة ، ونناشدكم باسم الانصاف والعدل من حيث هما انصاف وعدل .

إن قضية ايجاد ملجأ لضحايا الظلم النازي والفاشستي لقضية انسانية تحتمها مبادىء العدل والانصاف والحرية ، ولكن فلسطين لا يمكن أن تحل قضية هؤلاء اليهود الذين انتهى الآن وقت اضطهادهم بزوال قوات الظلم والطغيان ، وقد أوضحت اللجنة المشتركة هذا الأمر في توصيتها الأولى ، والصهيونيون يتخذون أمر هؤلاء اللاجئين وسيلة لنوال أغراضهم السياسية في فلسطين ، واننا نربأ بالحكومة التي يترأسها فخامتكم أن تكون مؤيدة لهذا العمل الذي ينظر إليه كل عربي بأنه ظلم فادح لا مثيل له في التاريخ .

وأصبح العرب يا صاحب الفخامة ينظرون إلى قضية فلسطين كأنها قضية حياة أو موت ، وهي ان لم تعالج بالحكمة وعلى أساس احترام حقوق العرب فإنها قد تجر إلى متاعب ومشكلات لا يعلم نتائجها إلا الله ، والمهم أن يطمئن العرب إلى أن الأسس التي أعلنتها الحكومة البريطانية عام **١٩٣٩** لن تتغير ، وأن العرب ليأملون أن يجدوا في فخامتكم وفي الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكى نصراء لقضيتهم العادلة ، مدافعين عن حقوقهم الطبيعية وحرياتهم الأصيلة التى حاربت بلادكم مرتين من أجل نصرتها . وان ايجاد ملجأ لضحايا الاضطهاد والظلم أمر ضروري ، ولكنه يجب أن يكون منفصلا عن قضية الصهيونية السياسية وعن مطامعها ومبادئها العرقية المستمدة من التعاليم النازية والفاشستية .

هذا هو الذي نرجوه ونؤمله من فخامتكم ، وهو الأمر الذي حملنا على الكتابة اليكم في هذا الوقت الذي تدرسون فيه الحلول المختلفة لقضية فلسطين .

وتفضلوا بقبول تحياتنا »

(الختم الملكي)

عبد العزيز السعود

وأجاب الرئيس الأمريكى على كتاب ابن سعود بهذا الجواب :

البيت الأبيض : واشنطن

٨ يوليو ١٩٤٦[1]

حضرة صاحب الجلالة عبدالعزيز بن سعود ، ملك المملكة العربية السعودية

يا صاحب الجلالة

إنه لمن دواعي سروري العظيم تسلم خطاب جلالتكم المؤرخ ٢٤ مايو ١٩٤٦ المحتوي على آرائكم الأولية عن تقرير اللجنة الإنجليزية الأمريكية للبحث في موضوع فلسطين ، ذلك الخطاب الذي أحضره لي في نفس يوم وصوله إلى فلسطين صديقي العزيز الوزير لدى بلاط جلالتكم الكولونيل وليم إدي .

إني أود أن أؤكد لجلالتكم أنه سيكون مساعدا حقيقيا لي أن أستفيد من آراء جلالتكم السديدة في هذا الموضوع الصعب .

وإني لمغتبط جدا لعلاقات الصداقة الأكيدة التي توطدت بين حكومتنا وبين الأمريكيين والعرب السعوديين على وجه العموم ، ومع أن الموضوعات التي هي موضوع البحث بيننا ليست خالية من الصعوبات إلا أنني على ثقة كبيرة من أن علاقاتنا هذه ستبقى على أساس من الصداقة المتينة في المستقبل .

وقد سررت جدا من إدراك جلالتكم للأسباب الانسانية التي أوجبت على هذه الحكومة التدخل فى مشكلة فلسطين ، وان المصالح الأمريكية في هذا الموضوع يرجع عهدها إلى زمن طويل ، وقد أثارها وأوجب التعجيل بها حاجة أولئك الضحايا للاضطهاد ، وبالنظر لادراكي أهمية وجهة نظر العرب أجمعين وصلتهم بفلسطين فقد رحبت بفكرة زيارة لجنة فرعية للرياض من لجنة التحقيق الانجليزية الأمريكية .

إن تقرير اللجنة أوضح الاشكال في حالة فلسطين ، وان توصياتها التى وضعت

---

(١) يوافق ٨ شعبان ١٣٦٥هـ .

بعد دراسة وعناية طويلة أعتقد أنكم توافقون معى على أنها تتطلب عناية من الجميع .

وإني أعتقد مخلصا أن السماح لمئة الف يهودي بدخول فلسطين لن يعد تعديا على حقوق العرب وامتيازاتهم الآن في فلسطين ، ولا يؤدي إلى تبديل في الوضع الحالى ، واني لمقتنع بان فلسطين يمكنها أن تستوعب المئة ألف ساكن اضافي باحوالها الاقتصادية الموجودة بها من دون أن يؤثر في بقية السكان الحاليين .

وإني قد عينت ثلاثة أعضاء من وزارتي لضمان النظر بدقة في هذا التقرير من ناحيتنا ، واشعاري بما يرون فيه ، وسيتصلون في مباحثاتهم بالحكومة الانجليزية .

وإني لأرجو أن توضح الحالة بطريق الاستشارة مع العرب واليهود ، وان يبقى الاتصال وثيقا بيننا وبين كل الجهات المهتمة بهذه الأمور .

مع أعز تمنياتي باستمرار صحة وسعادة جلالتكم ورخاء شعبكم لي الشرف أن أبقى صديقكم المخلص لكم » .

هاري . اس . ترومان

ورد ابن سعود على ترومان بالكتاب التالى :

الرياض
في ١٨ ذي القعدة ١٣٦٥
١٥ أكتوبر ١٩٤٦
من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود
إلى حضرة صاحب الفخامة مستر هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

ان الصداقة التي تربط بلادي ببلاد الولايات المتحدة ، والصداقة التي بيني وبين الرئيس الراحل روزفلت ، والصداقة التي تجددت بيني وبين فخامتكم تجعلني شديد الحرص في المحافظة على هذه الصداقة وتغذيتها ، والعمل على تقويتها بكل

الوسائل الممكنة ، ولذلك تجدونني فخامتكم ألح وأكرر في كل مناسبة أشعر فيها بما يخل بصداقة الولايات المتحدة مع بلادي ومع سائر البلاد العربية لكي أزيل ما يمكن أن يعكر هذا الصفاء .

ولقد كتبت للراحل العظيم ولفخامتكم عن حقيقة الموقف في فلسطين ، والحق الطبيعي للعرب فيها ، وأن ذلك يرجع إلى آلاف السنين ، وأن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية ، اعتدت في أول الأمر باسم الإنسانية ، ثم أخذت تظهر عدوانها الصريح بالقوة والجبروت والطغيان مما ليس بخاف على فخامتكم وعلى شعب الولايات المتحدة .

أضف إلى ذلك أطماعهم التي يبيتونها لسائر البلاد العربية المجاورة ، ومنها أماكن في بلادنا المقدسة ، وليس لفلسطين وحدها .

ولقد دهشت للإذاعات الأخيرة التي نسبت تصريحا لفخامتكم بدعوى تأييد اليهود في فلسطين ، وتأييد هجرتهم إليها بما يؤثر في الوضع الحاضر خلافا للتعهدات السابقة .

ولقد زاد في دهشتي أن التصريح الذي نسب أخيرا إلى فخامتكم يتناقض مع البيان الذي طلبت مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية في جدة من وزارة خارجيتها أن ينشر في جريدة « أم القرى » باسم بيان أدلى به البيت الأبيض بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٤٦ وذلك البيان صريح في أن حكومة الولايات المتحدة لم تتقيد بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين ، وأظهرتم أملكم بحلها بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية ووزراء خارجية الدول العربية ، وبين الحكومة البريطانية والفريق الثالث ، وأظهرتم فخامتكم رغبتكم في اتخاذ تسهيلات في الولايات المتحدة لإيواء المشردين وفي جملتهم اليهود ، ولذلك كانت دهشتي عظيمة حين اطلاعي على البيان الأخير الذي نسب لفخامتكم مما جعلني أشك في صحة نسبته إليكم ، لأنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة والتصريح الذي صدر في ١٦ أغسطس ١٩٤٦ من البيت الأبيض ، واني لعلى يقين من أن شعب الولايات المتحدة الذي بذل دمه وماله في مقاومة العدوان الغاشم لا يمكن أن يسمح بهذا العدوان الصهيوني على بلد عربي صديق لم يقترف ذنبا غير إيمانه بمبادئ

بلاد الولايات المتحدة ، وكان لفخامتكم بعد سلفكم العظيم المجهود العظيم في هذا السبيل .

ورغبة مني في المحافظة على صداقة العرب والشرق مع الولايات المتحدة أوضحت لفخامتكم بهذا البيان الظلم الذي يمكن أن يحيق بالعرب إذا بذلت مساعدات لهذا العدوان الصهيوني ، ويقيني أن فخامتكم ومن ورائكم شعب الولايات المتحدة لا يمكن أن يقبل بأن يدعو للحق وللعدل والإنصاف ، ويحارب من أجل ذلك ليقره في سائر أنحاء العالم ، ثم يمنع هذا الحق والعدل عن العرب في بلادهم فلسطين التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم منذ العصور القديمة واقبلوا فائق تحياتي .

(التوقيع)

عبد العزيز آل سعود

ورد ترومان على ابن سعود بهذا الكتاب :

البيت الأبيض - واشنطن

٢٥ أكتوبر **١٩٤٦**

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية .

يا صاحب الجلالة

تسلمت الآن الكتاب الخاص بفلسطين الذي تفضلتم جلالتكم بإرساله إلي بواسطة المفوضية العربية السعودية بتاريخ **١٥** أكتوبر **١٩٤٦** ، وقد اهتممت للآراء التي احتواها ذلك الكتاب ، وإني أقدر حق التقدير الصراحة التي أعربتم عنها في كتابكم ، وإن صراحتكم لتتفق تمام الاتفاق مع العلاقات الطيبة التي لها زمن طويل بين بلادينا ، وتتفق أيضا مع الصداقة الشخصية التي بين جلالتكم وبين المرحوم سلفي ، تلك الصداقة التي آمل أن تبقى وتزداد قوة ، وان العلاقات الطيبة بين بلدينا ، وموقف جلالتكم الودي ليشجعني على أن ألفت نظر جلالتكم إلى بعض الاعتبارات التي حدت بحكومتي لاتخاذ الوجهة التي اتخذتها بالنسبة لفلسطين واليهود المشردين في أوربا .

واني لمتأكد من أن جلالتكم ستوافقون على أن حالة بقايا ضحايا الاضطهاد النازي في أوربا تخلق مسألة عويصة لا يمكن أن يتجاهلها أناس لديهم شيء من الانسانية ، وهذه المسألة مسألة عالمية ، ويلوح لي أن علينا جميعا مسؤولية عامة لإيجاد حل يسمح لهؤلاء التعساء الذين يجب أن يتركوا أوربا لإيجاد وطن جديد حيث يستطيعون المعيشة في سلام وطمأنينة ، وبين هؤلاء الذين بقوا على قيد الحياة مشتتين في أوربا يوجد عدد من اليهود الذين يرثى لحالهم ، فإنهم يمثلون بقايا ملايين قرر النازيون استئصالهم ، وكثير من هؤلاء الأشخاص يتطلعون إلى فلسطين ويعتبرونها جنة ، حيث يأملون أن يجدوا ملجأ بين أبناء ملتهم ، فيستأنفوا حياة هادئة نافعة ، ويساعدون على استثمار الوطن اليهودي القومي .

وان الحكومة والأمة الأمريكية قد أيدوا منذ البداية مشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وذلك عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى التي كان من نتائجها تحرير مساحات واسعة في الشرق الأدنى ، ومن ضمنها فلسطين ، وتأسيس حكومات مستقلة أصبحت اليوم أعضاء في منظمة الأمم المتحدة .

والولايات المتحدة التي بذلت دماءها ومواردها في سبيل كسب الحرب لا يمكن أن تخلي نفسها من المسئولية تجاه بعض الولايات التي تحررت ، ولا مصير الأهالي الذين أصبحوا أحرارا في ذلك الوقت ، وقد رسمت لنفسها طريقا ما زالت تسلكه إلى الآن ، وهو أن هؤلاء الأهالي يجب أن يهيأوا لأن تكون لهم حكومة ذاتية ، وأن يؤسس وطن قومي لليهود في فلسطين .

وإني لسعيد بأن أقول : إن أغلب الأهالي المحررين أصبحوا الآن مواطنين في ممالك مستقلة ، وعلى كل حال فإن الوطن القومي اليهودي لم يستكمل صفته بعد ، وإنه لطبيعي -بناء على ذلك- أن حكومتي تؤيد في هذا الوقت إدخال عدد كبير من اليهود ليس لهم مأوى في أوربا إلى فلسطين ، لا ليجدوا مأوى فيها فحسب ، بل ليساهموا بنشاطهم وذكائهم في بناء الوطن القومي اليهودي ، وتمشيا مع السياسة التقليدية لهذه الحكومة فانني بدأت منذ أكثر من عام أتبادل الرسائل مع رئيس بريطانيا العظمى ، محاولا أن أعمل على التعجيل بحل سريع لقضية اليهود الباقين في المعتقلات ، وذلك لنقل عدد كبير منهم إلى فلسطين ، وكان

اعتقادي الذي ما زلت أتمسك به - والذي يشاركني فيه عدد كبير من أهالي هذه البلاد - ألا شيء يخفف من آلام هؤلاء اليهود أكثر من التصريح العاجل بإدخال مئة ألف على الأقل إلى فلسطين ، ولم يكن من المستطاع الوصول إلى قرار بالنسبة لهذا الاقتراح ، ولكن حكومتي لا تزال تؤمل مواصلة السير على النهج الذي بينته لرئيس الوزراء ، وفي الوقت نفسه لا بد بالطبع من بذل جهود أخرى لفتح أبواب أخرى - بما فيها الولايات المتحدة - لهؤلاء التعساء الذين يواجهون الشتاء للسنة الثانية بدون مأوى منذ وقوف رحى القتال ، وأنا من جانبي قد أعلنت بأني مستعد لأن أطلب من الكونجرس - الذي لا بد من موافقته حسب قانوننا الدستوري - إصدار تشريع خاص يسمح لهذه البلاد بقبول عدد من هؤلاء الأشخاص زيادة عما يسمح به قانون الهجرة .

وزيادة على ذلك فإن حكومتي كانت مهتمة مع بعض الحكومات الأخرى لإمكان تأسيس مستعمرات في بلاد مختلفة خارج أوربا لهؤلاء المشردين المضطرين للهجرة من أوربا ، وبهذه المناسبة كان مما أثلج صدورنا أننا لاحظنا أن كثيرا من زعماء العرب أظهروا رغبة بلادهم بأن يساهموا في هذا المشروع الإنساني بقبول عدد معين من هؤلاء الأشخاص في بلادهم .

وإني أعتقد مخلصا أنه من الممكن الوصول إلى حل مرض لمسألة استيطان هؤلاء اللاجئين على النحو الذي ذكرته آنفا .

وفيما يختص باحتمال استعمال اليهود القوة والعنف ضد جيرانهم العرب حسب ما جاء في كتابكم فإنه يمكنني أن أؤكد لكم أن هذه الحكومة تقف ضد كل اعتداء من أي نوع من استعمال الإرهاب لأسباب سياسية ، وفوق هذا يمكنني أن أضيف بأنني مقتنع أن زعماء اليهود المسؤولين لا يفكرون في اتباع سياسة العدوان على الممالك العربية المجاورة لفلسطين .

ولا يمكنني أن أتفق مع جلالتكم بأن تصريحي في ٤ أكتوبر غير متفق بأي حال مع تصريحي الذي نشر في ١٦ أغسطس ، وفي التصريح الأخير كان الأمل أن تتجه المحادثات المقترحة بين الحكومة البريطانية وممثلي اليهود والعرب تؤدي إلى حل معتدل لمسألة فلسطين ، وتتخذ الخطوات مباشرة لتخفيف حالة اليهود في أوروبا ،

ومن المؤسف أن هذه الآمال لم تتحقق .

وإن المحادثات فيما بين الحكومة البريطانية والممثلين العرب قد أرجئت ـ كما فهمت ـ حتى ديسمبر من دون إيجاد حل لموضوع فلسطين ، ومن دون اتخاذ أية إجراءات لتلطيف حالة اليهود المشردين في أوروبا .

وفي هذه الحالة يظهر أن من الواجب على أن أقرر بقدر ما يمكن من الصراحة الاستعجال في الأمر وإبداء نظرياتي ، وكلاهما للتوجيه لإيجاد حل يتوصل إليه على أساس معقول مع رغبة طيبة في أمر الإجراءات الحالية التي لا بد من اتخاذها .

هذا هو ما أدليت به في بياني بتاريخ ٤ أكتوبر ، ولم أستطع أن أفهم لماذا يشعر جلالتكم بأن هذا البيان قد كان مخالفا للوعود السابقة والبيانات التي أدلت بها هذه الحكومة ؟ .

وسيكون من المستحسن أن يتذكر بأن هذه الحكومة ـ عندما أوضحت موقفها في الماضي عن موضوع فلسطين ـ قد أعطت تأكيداتها بأنها لن تقوم بأي عمل يبرهن على عداء للعرب ، كما أنه ـ بحسب نظرها ـ لن يكون هناك أي قرار فيما يتعلق بالحالة الأساسية لفلسطين من دون سابق استشارة مع العرب واليهود ، واني لا أعتبر بأنه حتى لقبول عدد معلوم من اليهود المشردين في فلسطين أو أن بياناتي فيما يختص بحل موضوع فلسطين هما بأي حال يمثلان عملا عدائيا للعرب ، لقد كان ـ ولا يزال ـ شعوري نحو العرب عندما أدليت بهذه البيانات شعور صداقة تامة .

واني آسف لأي نوع من النزاع فيما بين العرب واليهود ، واني لمقتنع بأن كلا الشعبين ـ لو اقتربا لحل مشاكلهما بروح الوفاق والاعتدال ـ يمكنهما حل المشكلات بطريقة تكون لهما فيها الفائدة الدائمة .

واني بالإضافة إلى ذلك لا أشعر بأن بياناتي تمثل ـ بأية طريقة كانت ـ إخفاق هذه الحكومة في الوقوف دون تأكيداتها ، إذ أنه ـ بحسب نظرها ـ سوف لا يتخذ أي قرار فيما يختص بالوضعية الأساسية في فلسطين من دون استشارة العرب واليهود .

ولا يغرب عن البال مقدار الأهمية العظمى التي لبلادكم وبلادي في حل المشاكل المتعددة التي أوضحتها فيما تقدم ، واني أنتهز هذه الفرصة لأعرب عن عظيم أملي في أن جلالتكم الذي يتمتع بشهرة ذائعة في العالم الغربي سيستعمل نفوذه ليساعد على إيجاد حل عادل دائم في المستقبل العاجل ، واني مستعد لأن أبذل ما يمكن للمساعدة في الموضوع ، ويمكنني أن أؤكد لجلالتكم بأن حكومة الولايات المتحدة وشعبها سيكونان مهتمين لمصالح العرب وسعادتهم ، مقدرين بذلك قيمة صداقتهم التاريخية .

وأنتهز الفرصة لأرفع لجلالتكم تحياتي الشخصية الحارة وأطيب تمنياتي لدوام صحتكم ولرفاه جلالتكم وسعادة شعبكم .

المخلص

هاري . اس . ترومان

ورد ابن سعود على ترومان بالكتاب التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرياض

في ٧ ذي القعدة ١٣٦٥

٢ نوفمبر ١٩٤٦

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سسعود

إلى حضرة صاحب الفخامة المستر هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة

يا صاحب الفخامة

لقد تلقيت بتقدير فائق رسالة فخامتكم التي بعثتموها إلي بواسطة مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٤٦ ، واني أقدر صداقة فخامتكم وشعب الولايات المتحدة لي شخصيا ولبلادي ولسائر البلاد العربية .

وتقديرا للغيرة الإنسانية التي أظهرتموها فإنني لم أعترض على أية مساعدة إنسانية تسدونها فخامتكم أو تسديها الولايات المتحدة للمشردين من اليهود إذا كانت تلك المساعدة الإنسانية لا يراد منها القضاء على شعب آمن في موطنه ، ولكن اليهود

الصهيونيين جعلوا من هذه الدعوة الإنسانية منفذا لأغراضهم الخاصة في الاعتداء على فلسطين للتغلب فيها بأكثريتهم ، وصيرورتها يهودية ، ليؤسسوا لهم دولة فيها ، ويطردوا سكانها العرب ، ويجعلوا منها قاعدة للتعدي على البلدان العربية المجاورة ، وتنفيذ برنامجهم الجائر .

ان مبادئ الإنسانية ومبادئ الديمقراطية التي قامت عليها دعائم الحياة في الولايات المتحدة تتنافى مع إكراه شعب آمن في وطنه بإدخال عناصر أجنبية عنه لتتغلب عليه وتخرجه من بلاده ، مستعملة في ذلك تضليل الرأي العام باسم الرحمة بالإنسانية ، ووضعوا من وراء ذلك الحديد والنار .

ولقد قامت الحرب العالمية الماضية ولم يكن في فلسطين من اليهود أكثر من خمسين ألف يهودي ، وقام العرب مع بريطانيا وحليفتها الولايات المتحدة وحلفائها فقاتلوا في سبيل قضية الحلفاء انتصارا لحقوقهم ، وانتصارا للمبادئ التي أعلنها الرئيس ولسن ، ومن جملتها : تقرير المصير ، فما كان من نتيجة ذلك إلا أن أعلنت الحكومة البريطانية وعد بلفور ، وأخذت تدخل اليهود إلى فلسطين بالقوة والجبروت خلافا للمبادئ الديمقراطية ، وخلافا لأي مبدأ إنساني ، وقد قام العرب باحتجاجات وثورات للدفاع عن حقوقهم ، ولكنهم كانوا يجابهون بأقصى ما يمكن من الشدة والقسوة حتى أجبروا على غير ما يريدون .

ولما قامت الحرب العامة الأخيرة وتألبت القوات على بريطانيا من كل جهة ، وثبتت بريطانيا وحدها ، وأظهرت من الثبات والجلد ما حاز إعجاب العالم ، وأدى ثباتها إلى انتشال العالم من الخطر المحدق به ، في تلك الأيام الحالكة المظلمة قام أعداؤها يبذلون الوعود للعرب بالقضاء على الصهيونية ، وكنت في ذلك الوقت أقدر حراجة الموقف حق قدرها ، فوقفت حينئذ بجانب بريطانيا ، ونصحت العرب أجمعين بوجوب الإخلاد إلى السكينة ، وأكدت للعرب أن بريطانيا وحلفاءها لن يخالفوا المبادئ الإنسانية الديمقراطية التي دخلوا الحرب لنصرتها ، فقبل العرب نصائحي ، وساعدوا بريطانيا وحلفاءها بكل ما يستطيعون حتى خرج الحلفاء من الحرب ظافرين .

والآن ، يراد باسم الإنسانية أن تكره الأكثرية العربية في فلسطين على إدخال

شعب بغيض لهم ليصبح أكثرية ، ويصبح الأكثرون الأقلين ، وأعتقد أن فخامتكم توافقون معي على أنه لا يوجد شعب في العالم يمكن أن يقبل بأن يدخل عليه في بلاده شعب أجنبي عنه حتى تكون له الأكثرية ، ويتحكم فيها بما يشاء ، وهذه الولايات المتحدة لم تسمح حتى الآن بإدخال العدد المقترح إدخاله لفلسطين لكي يدخل بلاد الولايات المتحدة ، لأن ذلك يختلف مع نظمها الموضوعة لحمايتها وحماية مصالحها .

ذكرتم فخامتكم في كتابكم أنه يمكنكم أن تؤكدوا أن حكومة الولايات المتحدة تقف ضد كل اعتداء أو أي نوع من أسباب الإرهاب لأسباب سياسية إذا نفذ اقتراحكم بشأن اليهود ، وذكرتم أنكم مقتنعون بأن زعماء اليهود المسؤولين لا يفكرون في اتباع سياسة العدوان على الممالك العربية المجاورة لفلسطين ، وبهذه المناسبة أحب أن أذكر فخامتكم بأن الحكومة البريطانية هي التي أعطت وعد بلفور ، وهي التي نقلت المهاجرين اليهود إلى فلسطين تحت حماية حرابها ، وهي التي آوتهم وآوت زعماءهم ولا تزال توليهم من شفقتها ورحمتها بهم . ورغم ذلك فإن الجيش البريطاني يكتوي بنار اليهود الصهيونية كل صباح ومساء ، ولم يتمكن هؤلاء الزعماء أن يمنعوا العدوان من أنفسهم عمن آواهم ونصرهم ، فإذا كان اليهود ـ وهم في حالتهم الحاضرة ـ لم تتمكن الحكومة البريطانية المحسنة إليهم من منع شرورهم وهي التي تملك من وسائل القوة ما لا يملكه العرب ، فكيف يستطيع العرب أن يأمنوا من اليهود في الحال والاستقبال ؟ أعتقد بأن فخامتكم توافقون معي ـ بعد استعراض هذا الموقف ـ على أن العرب الذين هم اليوم أكثرية في بلادهم لا يمكنهم أن يطمئنوا لدخول اليهود بينهم ، ولا يمكنهم أن يطمئنوا لمستقبل البلاد المجاورة لهم .

وذكرتم فخامتكم أنكم لا تستطيعون أن تفهموا لماذا شعرت بأن بيانكم الأخير كان مخالفا للوعود السابقة والبيانات التي أدلت بها حكومة الولايات المتحدة ، وذكرتم فخامتك أن التأكيدات التي بذلت لى بألا تقوم الولايات المتحدة بأي عمل يبرهن على أنه عداء للعرب ، وأنه لا يمكن أن يتخذ أي قرار يغير الحالة الأساسية لفلسطين بدون استشارة الفريقين .

وإني على يقين بأن فخامتكم لا تقصدون نقض عهد قطعتموه ، ولا تريدون اعتداء على العرب ، ومن أجل ذلك أستميح فخامتكم أن أبدي بصراحة أن التغيير الأساسي لفلسطين يكون بأن تصبح الأكثرية العربية أقلية ، وهذا هو الركن الأساسي ، والمبادئ الديمقراطية تقضي بأنه متى وجدت أكثرية في بلد فالحكومة تكون للأكثرية لا للأقلية ، فإذا فقد العرب نسبتهم العددية الحاضرة فقدوا كل ميزات الحكم في بلادهم ، وأي تغيير أساسي أعظم من هذا التغيير؟ وهل يرضى شعب الولايات المتحدة أن يدخل في بلاده عددا أجنبيا يتغلب عليه بأكثريته؟ وهل يمكن أن يعتبر مثل هذا عملا إنسانيا ديمقراطيا؟ .

واني على يقين بأن فخامتكم لا تقصدون معاداة العرب ، بل تتمنون الخير لهم ، وأعتقد بأن شعب الولايات المتحدة لا يمكن أن يرضى بمخالفة المبادئ الإنسانية والديمقراطية ، وقد أوضحت هذا لفخامتكم اعتمادا على الصراحة التي اعتدتها ، والتي أعتقد أن فخامتكم وشعب الولايات المتحدة يرغبان فيها ، واني على استعداد لبذل كل ما من شأنه أن يزيل سوء التفاهم ، وأن يجلو الحقائق ويوضحها لتأمين الحق والعدالة ولتوطيد الصداقة بيني وبين فخامتكم وبين شعب الولايات المتحدة .

وأحب أن تثقوا فخامتكم بأن رغبتي في الدفاع عن العرب ومصالحهم لا تقل عن رغبتي في الدفاع عن سمعة الولايات المتحدة في البلاد الإسلامية والعربية وفي العالم أجمع ، ولذلك تجدونني حريصا كل الحرص على أن أواصل مساعي لإقناع فخامتكم وشعب الولايات المتحدة بالحقوق الإنسانية والديمقراطية التي تستهدفها الأمم المتحدة ويستهدفها فخامتكم وشعب الولايات المحدة .

ولذلك أتوقع أن تعيدوا فخامتكم النظر في هذا الموقف لإيجاد حل عادل لهؤلاء المشردين يحفظ لهم حياتهم في البلاد الواسعة بدون اعتداء على شعب آمن مطمئن في بلاده .

وتقبلوا تحياتنا

(الختم الملكى)

عبد العزيز السعود

وهذا كان جواب ترومان لابن سعود :

البيت الابيض - واشنطن

في ١٣ يناير ١٩٤٧[1]

حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية - الرياض

يا صاحب الجلالة

آسف جدا لتأخير الاجابة على كتاب جلالتكم الخاص بفلسطين ، والمرسل الي في ٢ نوفمبر ١٩٤٦ بواسطة المفوضية العربية السعودية فى واشنطن وان التأخير هو نتيجة لرغبتي فى أن تدرس النقاط التي أبداها جلالتكم في الكتاب بعناية تامة .

واني مقدر جدا لاسلوب الصراحة وللصراحة التي أبديتموها في اجابتكم على رسالتي المؤرخة في ٢٨ أكتوبر واني لمقتنع بأن هذه الاجابة هي من الهام اهتمامكم ، لا برفاهية السكان العرب بفلسطين فحسب ، ولكنها رغبتكم الخاصة ايضا في تقوية اواصر الصداقة بين الولايات المتحدة والبلاد العربية السعودية ، وفي أن تتبع الولايات المتحدة في موضوع فلسطين سياسة ترفع من سمعتها في العالمين العربي والاسلامي .

أما من جهتي فأحب أن أؤكد مرة ثانية رغبتي في أن تستمر وتنمو قوية تلك الصداقة التي بين الولايات المتحدة والبلاد العربية السعودية ، والتي تقدرها هذه البلاد حق قدرها ، وأملي الخالص هو أن يستمر نمو الصداقة والتعاون بين الولايات المتحدة والعالم العربى ، بل وكل العالم الاسلامي ، اذ أنه أصبح من المفهوم بصفة عامة بين الاميركيين والعرب والمسلمين بأنهم يكافحون من أجل هدف عام واحد وهو عالم السلام والرفاه المشيد على مبادئ العدل والانصاف .

ومما لا شك فيه أن مشكلة فلسطين هي أصعب مشكلة يواجهها العالم في الوقت الحاضر ، وترغب الولايات المتحدة بأن تحل هذه المشكلة بالطريقة التي يتحقق لدى العالم أنها عادلة ومنصفة ، وكما قد ذكرت لكم في رسالتي بتاريخ ٢٥ أكتوبر

(١) يوافق ٢٠ صفر سنة ١٣٦٦ هـ .

أن الولايات المتحدة والقوات الاخرى الظافرة في الحرب العالمية قد تحملت مسؤولية معينة بشأن مستقبل فلسطين ، وقد أخذت موقفها بعد انتهاء تلك الحرب بأنه يجب أن تكون فلسطين موضعا للوطن القومي اليهودي ، وقد كان في هذه البلاد شعور قوي بأن الشعب اليهودي الذي قدم للعالم خدمات شهيرة له الحق في وطن قومي خاص ، ولقد ظهر أنه من المناسب أن يكون تأسيس هذا الوطن القومي في أرض كانت في نظر اليهود وطنهم الروحي منذ الاف السنين .

ولتأييد انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين لم يكن لدى الولايات المتحدة في الماضي ـ وليس لها الان ـ فكرة في مباشرة سياسة ستكون مجحفة بمصالح السكان الوطنيين بفلسطين ، وترغب حكومة وشعب هذه البلاد الصيانة التامة لحقوق العرب واليهود من سكان فلسطين ، وأن يحيا العرب واليهود في فلسطين حياة يسر مجردة من أي نوع من العسف السياسي أو الاقتصادي .

واننا سنعارض بشدة أي حل لمشكلة فلسطين يسمح بتمييز لاغلبية السكان ضد الاقلية من الوجهة الدينية والجنسية أو أي بواعث أخرى ، واعتقادنا بأن تحل هذه المشكلة بطريقة تعطي الجماعات المختلفة في الجنسية والدين الفرص والحريات المماثلة بصرف النظر عن أن يكون لاية جماعة أغلبية عددية في أي وقت كان .

زد على ذلك أني مقتنع بأن الجماعات اليهودية ورؤساءها المهتمين بانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ليس لهم مأرب لا في الوقت الحاضر ولا فيما بعد في اقصاء السكان الوطنيين بتلك البلاد أو في استعمال فلسطين كقاعدة للعدوان ضد الحكومات العربية المجاورة ، ولا يوجد هناك شعب تألم خلال السنوات القريبة من العدوان وعدم التسامح أكثر من اليهود ، ولا يوجد شعب يقف وهو في حاجة الى عطف العالم وتأييده في الوقت الحاضر أكثر من اليهود .

ولذا فان ما لا يدركه العقل ان تفكر الجماعات اليهودية ورؤساؤها المسؤولون في العمل على عدم التسامح ، والعدوان ضد العرب في فلسطين أو في أي مكان اخر ، اذ ان من المؤكد أن مثل هذا العمل سيثير الرأي العام ويستنفر سخط العالم ، كما أني مقتنع أيضا بأن الاعمال الارهابية التي تقوم بها في فلسطين بعض

الجماعات اليهودية غير المسؤولة لا تدل قطعا على مزاج اليهود بوجه عام في العالم كله ، أو هي رمز للتلهف اليهودي فيما يختص بفلسطين ، وفي الواقع أن القسم الاعظم من اليهود الذين يقدرون بأن الالتجاء الى الارهاب يضفي على مشكلة فلسطين من الصعوبات ما يحول دون حلها غير راضين عنه .

واني أنتهز هذه المناسبة ـ مرة ثانية ـ لاوضح لكم بأني لا أعتبر تلك البيانات المتعددة التي صرحت بها ـ بما فيها البيانات التي حرصت فيها على أن يسمح على الاقل لـ ١٠٠٠٠٠ من اليهود اللاجئين من أوروبا بالدخول الى فلسطين مناقضة للبيانات أو التأكيدات السابقة التي قطعتها حكومة الولايات المتحدة على نفسها ، ولقد أوضحت هذه الحكومة مرارا بان وجهة نظرها هي أنه لن يكون هناك تغيير في الوضع الاساسي بفلسطين من دون استشارة العرب واليهود كليهما ، ولقد حدث فعلا السنة الماضية اجراء عدة مشاورات مع العرب واليهود ، ولكن لسوء الحظ لم تفض هذه المشاورات الى حل متفق عليه للمشكلة الفلسطينية ، وانما أكدت ضرورة الاسراع في معالجة هذه المشكلة ولزوم ايجاد حل لها من دون تأخير أطول مما سبق . واني واثق من أن جلالتكم توافقون معي على أنه الى أن يتوصل الى قرارات بشأن مستقبل فلسطين فان الالتباسات (عدم التثبت) التي هي في الوقت الحاضر ـ على الاقل ـ مسؤولة الى حد ما عن الاحوال غير المستتبة في تلك البلاد ستستمر في بث تأثير مزعج في فلسطين والمناطق المجاورة .

وانى أحب أن أكرر تقديري للصراحة التي أبديتموها في كتابكم المؤرخ في ٢ نوفمبر ١٩٤٦ تلك الصراحة التي تدل دلالة واضحة لا على صداقتكم فحسب بل وصداقة الشعب العربي السعودي مع الولايات المتحدة .

ويمكنني أن أؤكد لكم بأن شعب الولايات المتحدة يرغب في أن يحافظ ويسعى لتقوية شعورنا بالصداقة نحو جلالتكم والشعب العربي السعودي وحكام البلاد العربية وشعوبها جمعاء .

المخلص لكم

هاري اس . ترومان

ورسالة ترومان هذه تفصح عن عزم وتصميم لمساعدة اليهود على انشاء دولة يهودية قوية تحت ستار الوطن القومي في فلسطين مهما كانت النتائج ، وليس موقفه هذا الا امتدادا لموقف سلفه ، الا أن موقف ترومان أقوى وأشد تصميما على السير مع الصهيونية .

واذا عدنا لسنة ١٩٤٤ نجد ان وزارة الحربية الامريكية لم تكن لتوافق روزفلت على عهوده لليهود ، ووقفت سياسته بالنسبة لهم ، ولكن اليهود لم يقفوا مكتوفي الايدي ، فقد ضاعفوا نشاطهم ، ووحدوا كلمتهم لاول مرة ، ونادوا بضرورة قيام دولة يهودية في فلسطين .

وكان اليهود قد حصلوا من حزب العمال البريطاني على وعد تضمنه تصريح له بأنه عندما يلي الحكم سيخلي فلسطين من العرب ويعطيها اليهود .

وهذا التصريح أعطى اليهود قوة لا حد لها ، وأرادوا أن يحملوا الحكومة الامريكية على تأييد ما صرح به حزب العمال البريطاني ، وأن تعمل على تحقيق ما يريد اليهود ، الا ان وزارة الخارجية الامريكية انضمت الى وزارة الحربية الامريكية في البعد عن هذه الاقوال والاعمال التي تهدد مصالح أمريكا ، ففي يوم ٨ يناير ١٩٤٤ أكد كوردل هل وزير الخارجية الامريكية ما كان قد صرح به من قبل وهو أن الولايات المتحدة الامريكية لا دخل لها في شؤون فلسطين ، وأنها لا تبيح لنفسها أكثر من اظهار العطف على اضطهاد اليهود في أوروبا .

وما كاد كوردل هل يعلن هذا الموقف حتى تصدى له السناتورماينك عضو مجلس الشيوخ الامريكي بالاحتجاج والرد ، معبرا بذلك عن كل يهود أمريكا ومجلس الشيوخ نفسه ، فرد عليه كوردل هل بكتاب في ١٨ يناير ١٩٤٤ قال له فيه : « ردا على استفهامك فاني أعلن لك بخصوص فلسطين ووضعيتها من اليهود المضطهدين في أوروبا أن حكومة أمريكا تعتبر فلسطين عهدة في عنق بريطانيا ، وليس لنا نحن أن نتدخل فيها » .

وموقف وزارة الخارجية الامريكية لم يعجب اليهود ، وبذلوا جهودهم لدى مجلس الشيوخ الامريكي فاتخذوا قرارا في الشهور الاولى من سنة ١٩٤٤ يقضي

بوجوب تدخل أمريكا لفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود المطلقة ، واقامة الدولة اليهودية فيها .

ولم يكتف المجلس باتخاذ القرار وحسب ، بل جعله سياسة موضوعة بين يدي الحكومة الامريكية لتتقيد بها وتسير على طريقها الذي يفضي الى تحقيق حلم الصهيونية .

وبينما كان المجلس يبحث هذه السياسة في شهر ابريل ١٩٤٤ ليجعل القرار نافذا تلقى رسالة مفاجئة من وزير الحربية الامريكية يطلب فيها اغلاق هذا الباب لاسباب وضرورات حربية ، فأسقط في يد المجلس ، واستحال القرار الى ورقة فاقدة الرصيد ، كما أن اليهود ضربوا في الصميم ، وثاروا على وزير الحربية وسياسة وزارته ، ورأوا أن يلجأوا الى روزفلت نفسه ، فهو وحده الذي يستطيع أن يوقف الوزير ويغير سياسته ، وأوفدوا الحاخام ستيفن وايز الى روزفلت ، وانتهى الحديث بينهما الى أن روزفلت خول وايز أن يعلن باسمه بكون وصفه رئيس السلطة التنفيذية يسره أن يسمح بفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية ، وعندما يحين وقت وضع القرارات الاخيرة فسوف ينصف كل اليهود المضطهدين الذين يبحثون عن وطن قومي يهودي .

ووقوف روزفلت مع الصهيونية بكل قوته الرئاسية اعطى اليهود قوة بالغة الضخامة والنفوذ ، كما جعل وزارة الحربية تتغير كل التغيير ، فأعلنت في شهر اكتوبر سنة ١٩٤٤ أن الموقف الحربي لم يعد حرجا كما كان من قبل ، وليس هناك سبب يتصل بل يدعو الى الاعتراض على قرار مجلس الشيوخ بشأن فلسطين .

وخلا الجو لليهود ، وانتصرت الصهيونية ، وخضعت الحكومة الامريكية لها كل الخضوع ، فاذا وزارة الخارجية تبرز للميدان وتضرب الصهيونية العالمية ضربة أفقدتها الصواب ، وعزمت عزما مصمما على كف يد مجلس الشيوخ عن قضية فلسطين ، واحتجت بغير وزارة الحربية ، واستبدلت بحجتها القائمة على الموقف الحربي حجة الموقف الدولي الحاضر الذي يفرض على أمريكا ألا تتدخل في أمر فلسطين .

وفطن ابن سعود لما يدور ، وبرز في الميدان بمكاتباته ورسائله المتبادلة مع

روزفلت ، ثم الاجتماع به ، وكان يتلقى الوعود بأن شيئا من ذلك كله لم يحدث ولن يحدث ، ولن يقضي ويحكم في قضية فلسطين الابعد أخذ رأي العرب ، ولم يكن ما يتلقاه ابن سعود من الرئيس الامريكي الا كلاما يذهب في الهواء ، أو حبرا على ورق يمحى بمجرد الانتهاء من استعماله في كتابة الوعود .

واذا كانت وعود الرئيس الامريكي مكتوبا لها عدم الوفاء ، ومقصودا منها الخداع والتضليل ، وتمكين اليهود فان وزارة الخارجية الامريكية كانت صادقة في وعودها ، وان لم تكن تملك تحقيقها والوفاء بها ، وعلى أي حال يدل موقفها على بطلان الوعود المعطاة لليهود ، ويثبت أن اليهود لا حق لهم وان وعدوا من الرئيس .

وما من وعد قطعته الرئاسة الامريكية أو من في القمة من المسؤولين الامريكيين لليهود منذ سنة **١٩٣٩** الا وتبعه نفي وزارة الخارجية الامريكية اياه ، وكانت دائبة على تكذيبه وطمأنة العرب .

ولم يكن عملها تضليلا للعرب بل كان موقفها صادرا عن يقينها بأن الحق مع العرب ، أو ـ على الاقل ـ البعد عن الدخول فى صراع لا شأن لها به ، ولكن وزارة الخارجية ـ كما قلنا ـ لم تكن تملك التنفيذ .

واذا كان روزفلت قد مات بعد أن أعطى اليهود ما يرغبون فيه ويطمعون به فان خلفه المستر ترومان أكمل جهود سلفه فكال لليهود بدون حساب ولا عقل ، وسلب أصحاب الحق حقهم واعطاه اليهود متحديا العرب والحق وكل القيم ، ولا غرابة ، فترومان صهيوني قبل أن يكون رئيسا ، فلما تربع على كرسي الرئاسة أسفر عن صهيونية عارمة ظالمة .

ولم يعد اتصال ابن سعود بأمريكا والرئيس الامريكي يعطي أي ثمر ، ولم يغب عن ذهنه قط أن الاستعمار مجبول على الكذب والغدر والخيانة ، ولم يعقد الصلات لانه لم يفطن الى حقيقة السياسة الامريكية والانجليزية ، بل فطن لها ، ولكنه أراد أن يحصل على عهود ومواثيق تدين الظالمين أبد الدهر ، وتفصح عن موقفه تجاه قضية فلسطين ، ذلك الموقف الذي لم يقفه أحد سواه .

مع لجنة التحقيق الإنجليزية الأمريكية

مات روزفلت بعد أن أيد الصهيونية ، ونقض عهوده ووعوده لابن سعود ، وخلفه ترومان ، وأسفر عن عداء أصيل وحقد بشع على العرب ، وأيد الصهيونية أيما تأييد ، وخضع لها خضوعا تاما ، وبدأ عهده بكتاب أرسله الى رئيس الحكومة البريطانية يؤيد فيه تقرير اللجنة الانجليزية ـ الامريكية ، ويدعو الى تنفيذه ، ولا يكتفي بذلك ، بل يعلن صهيونيته .

ولا غرابة أن ينقض موقف ترومان موقف سلفه وعهوده لابن سعود بعد أن نكثها روزفلت نفسه ، واذا كان في روزفلت بعض الخجل من ابن سعود فان ترومان لم يكن يعرف الخجل ما دام موقفه يرضي الصهيونية .

ويتصدى ابن سعود لترومان ، ويعارض بشدة قرار اللجنة وكل من أيده ، فتضطر اللجنة الى زيارته بالرياض ، وهي مؤلفة من السير جون سنجلتون رئيسا ، ومن كل من الميجرماننجها بولر والمستر باكستون عضوا ، وقابلوا الملك ابن سعود في ١٦ ربيع الاخر سنة ١٣٦٥ (٩ مارس ١٩٤٦) وبدأ رئيس اللجنة الحديث قائلا :

« ان اللجنة ـ كما يعلم جلالة الملك ـ قد أوفدتها الحكومة البريطانية والامريكية رغبة في الوصول الى حل مرض لمشكلة فلسطين الحاضرة ، وبعد انتهائها من زيارة مختلف البلدان العربية وغيرها ستقدم ما يتجمع لديها من معلومات وتقارير الى الحكومة البريطانية والامريكية ، وتنحصر مهمتها في معرفة ما لدى الجميع لتقدم

تقريرها الى الحكومتين المذكورتين . وليس لها أن تتعدى ذلك . كما أنه ليس من اختصاصها أن تؤيد فريقا دون آخر ، أو أن تفصل في القضية بحكم في مصلحة قوم دون آخرين » .

وقال : « انهم يشكرون الملك عبدالعزيز على قبوله لهم ليسمعوا آراء جلالته الشخصية في الموضوع » .

فاجابهم : « ان أمر فلسطين يشغل باله ويهمه ، لانه عربي ومسلم ، والعربي أخو للعربي ، والمسلم أخو المسلم ، وهو والعرب أصدقاء للحلفاء ، فمن مصلحة العرب مسلمين ومسيحيين دوام الصداقة والاتفاق مع الحلفاء ، وان هذه الصداقة وهذا الاتفاق من مصلحة الحلفاء أيضا ، وذكر أنه نصح العرب والمسلمين وبخاصة مسلمي الهند بأن يكونوا على اتفاق مع بريطانيا ، لان في ذلك مصلحة لهم » .

وتابع حديثه قائلا : « ان قضية الصهيونية في فلسطين تهم المسلمين والعرب بصورة عامة وتهمني بصورة خاصة ، وان العداوة التي بين اليهود والمسلمين ليست وليدة عهد جديد ، وانما هي نتيجة عداء تاريخي قديم يرجع الى آلاف السنين ، وقد ذكرها الله في كتابه حيث قال : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴾ وان ما جاء في هذه الآية الكريمة هو عماد سياستنا وسياسة المسلمين الدينية .

وأما الذي يهمني بصورة خاصة في هذه القضية زيادة عما يهم غيري من المسلمين والعرب فهو أنني من العرب وللعرب ، والمسلمون يعرفون دیانتي وتمسكي بأحكام الاسلام ، وما أقوله عنهم يقبلونه مني لحسن ظنهم بي ولما يعرفونه من صدق نيتي وتمسكي بعقيدتي » .

ثم قال : « اليهود اعداؤنا في كل مكان ، وهم في كل بقعة يأتون اليها يفسدون ويعملون ضد مصلحتنا ، واني لعلى يقين ـ أولا ـ من أن اليهود الصهيونيين لا يدخرون وسعا في احداث الاختلافات بين العرب وصديقتيهم بريطانيا وأميركا ، وهذا يتجنبه العرب ولا يريدونه ـ وثانيا ـ ان هجرة اليهود ـ اذا استمرت

على ما هي عليه وتوسعت أملاكهم في فلسطين ـ فسيكونون خطرا على العرب كافة ، لان لديهم جميع الوسائل لامدادهم بالاسلحة والنقود وغيرها ، وسيستعملون هذا ضد العرب ، وفيه ـ في نفس الوقت ـ اشكال على البريطانيين ، والدليل على هذا ما رأته اللجنة عند زيارتها لفلسطين ، هل رأت اللجنة حال العرب وحال اليهود ؟ هل رأت اليهود في ترفهم ومساكنهم وسلاحهم وأموالهم وقوتهم ، ورأت العرب أصحاب البلاد الشرعيين وما هم عليه من الفقر والعوز ؟ ألم يصرح اليهود للجنة بأنهم أصحاب زراعات واملاك ؟ وأنهم يعملون ويصلحون على نقيض ما يفعله هؤلاء الاشقياء ؟ ويعنون بذلك العرب ، اذا أرادت اللجنة أن تسأل عن اسباب ذلك فاني أخبرها بالاسباب التي أوصلت الفريقين الى ما هم فيه » .

فرجا رئيس اللجنة من الملك أن يذكر الاسباب ، وما يراه لمعالجة الحالة في فلسطين .

فأجاب الملك عبدالعزيز : « الاسباب تتلخص في جملة واحدة ، وهي أن العرب نهضوا للدفاع عن بلادهم والمطالبة بحقوقهم واستعادة ما سلب منهم » ثم شرح هذه الجملة بقوله :

« كيف يتسنى للعرب ان يباروا اليهود وهم ما بين مصلوب على أعواد المشانق وسجين وشريد ومغرب ؟ كيف يتسنى لهم أن يتقدموا وهذه العقبات أمامهم ؟ بينما اليهود تسهل لهم جميع الوسائل ، وكلما تكلم العرب مطالبين بحقوقهم لم يجدوا من يعينهم على أمرهم أو يسمع شكواهم .

أما اليهود فانهم ـ على مرأى ومسمع منكم أيها الانكليز ـ يقتلون عساكركم وكبرياءكم ، ويحاربونكم بشتى الاشكال ، وأنتم لا تجيبونهم إلا بإطلاق الرصاص في الهواء كأن لم يكن بينكم وبينهم حساب » .

وهنا علق رئيس اللجنة قائلا : ان الانكليز متساهلون كثيرا ، وهذا ما يجعل الناس يطمعون فيهم .

فرد الملك : « ليس الخبر كالعيان ، ان التساهل في بعض الاحوال يجعل الخطر

أعظم والبلبلة أعم ، وأضرب لكم مثلا بإنسان تحلق فوق رأسه الطائرات ويده مغلولة وخالية من السلاح وانسان آخر عنده سلاح ويده مطلقة ، فهل يتساوى الشخصان؟ تلك هي حال العرب واليهود في فلسطين » .

وأيد الملك قوله بالادلة التي تثبت العدوان المتكرر المتجدد الذي لا ينتهي من قبل اليهود ، وأنه لا حد لاعتداءاتهم ، واشار من بين اشاراته الى اغتيال اللورد موين ، وايده رئيس اللجنة وزميلاه وبخاصة في مقتل اللورد موين الذي وصفه الرئيس بقوله : ان موته خسارة على العالم ، لانه كان صديق العالم كله ، وتابع الملك حديثه قائلا :

« انني منذ ان أوجدني الله وصرت أسعى لاستعادة ملك آبائي واجدادي ما عرفت من الدول غير بريطانيا ـ وكانت صديقتي ـ ورأيت منها ما سرني ، ورأت مني ما سرها ، ولما نشبت الحرب أيدت سياستها وسياسة حلفائها وثوقا مني بأن ذلك في مصلحتي ومصلحة العرب جميعا .

« لهذا السبب كانت الحكومة البريطانية ـ ولا تزال ـ ترغب الى ان اسعى للتوفيق بينها وبين العرب منذ ايام الحرب وبعد انتهائها اتقاء لحدوث المشاكل بينها وبينهم ، وكنت أعمل ما في وسعي مع اخواني العرب ، وأنصحهم بألا يجعلوا سبيلا لحدوث اختلاف بينهم وبين بريطانيا ، لان اعداء الحلفاء هم اعداء العرب ، ويجب علينا الصبر والتروي ، وذلك لاعتقادي بأنه من مصلحة العرب .

« ولقد بلغ مني الامر ان تكلمت أمام جمع من المسلمين في مكة المكرمة ونصحتهم بأن يكونوا الى جانب بريطانيا وحلفائها ، لانها صديقتهم ، وتدافع في حربها عن حقوقهم ومصالحهم ، وألا يدعوها في حرج من أمرها .

« وتكلمت بهذا في وقت كان يجب فيه على ان اكتفي بالدعوة الى كلمة الله ، والتمسك بكتابه وبشريعة نبيه ، والناس جميعا يعلمون ان برنامجي الذي تسير عليه حكومتي هو برنامج ديني خالص ، لا مطمع لي في مال أو زيادة ملك ، أنا وحكومتي ندعو إلى عبادة الله ، والمسلمون عالمون بالامن والسكينة والراحة في مملكتنا ، وكل هذا من فضل الله ثم ببركة الدين .

«وعلى إثر ذلك تلقى علماؤنا كتبا من العلماء في بلاد المسلمين تنتقد موقفي ، ففاتحوني فيما جاءهم ، وأبدوا لي أنهم لا يتعرضون للمسائل السياسية ، ولكنهم يعجبون من معاضدتي لبريطانيا في الوقت الذي تؤوي فيه اليهود ، وتوليهم على فلسطين ، فأوضحت لهم الاخطار التي تستهدف لها أوطاننا إذا انتصر اعداء بريطانيا عليها ، فقالوا : هل تضمن ان بريطانيا ـ إذا انتصرت ـ لا تؤيد اليهود ولا تؤويهم في بلادنا ؟ وأنها تعامل العرب في فلسطين بالعدل ؟ فأجبتهم : اني لا أضمن لكم ان تفعل بريطانيا هذا أو تلك ، ولكن ما اعرفه عن بريطانيا ووعودها التي قطعتها على نفسها انها ـ إذا لم يقم العرب بأعمال ضدها ـ ستعاملهم بالانصاف .

«وأذكر لكم أمرا واقعا ، وهو ان الوزير البريطاني المفوض بجدة زارني بعد انتهاء الحرب بمدة وجيزة ، وقال لي : ان حكومتي ترى ان حركات اليهود الحاضرة ربما تكون من حظ العرب ، لانه كلما ازدادت حركاتهم انكشفت نياتهم ، ورجاني ان ابذل جهدي لدى العرب لالتزام الهدوء ، وأقنعني بأن هذا هو خير لمصلحتهم ، فلم أدخر وسعا في هذا السبيل الى أن وصلنا للموقف الذي نحن فيه .

«لقد وقعت الآن في مشكل خطير امام شعبي وجماعتي ، وأمام العرب والمسلمين ، فإذا كانت بريطانيا تريد ان تعدل عن الحق الواضح ، وان تذهب وعودها أدراج الرياح فليس أمامي إلا أن اقول للمسلمين : دونكم ونفسي ، اقتلوني ، أو أنزلوني عن الملك ، لاني مستحق لذلك ، وأنا الذي جنيت عليكم وثبطت عزمكم .

«هذه هي حقيقة موقفي شرحتها لكم بوضوح .

«وتسألون عن رأيي في بقاء اليهود في فلسطين ، وأنا أقول لكم : نحن ما تعدينا على اليهود ، ولم نأخذ أملاكهم وبلادهم ، فإنما استرددنا فلسطين من بلاد كنعان العربية من أيدي الرومان الاجنبية ، وعاد العرب من جديد حكاما فيها منذ ألف وثلاثمئة سنة وأكثر ، لا نعرف اليهود ولا هم يعرفوننا ، والبلاد بلادنا ـ أولا ـ بحق التاريخ ، ونحن الذين فرحنا بنصر الحلفاء نحب أن نتمتع بلذة النصر ، فهل يراد أن يتمتع غيرنا ببلادنا نتيجة لهذا النصر ؟ اليهود قوتهم بالدينار ، ونحن حجتنا في

فلسطين حجة تاريخية شرعية ، بلادنا استرددناها من الرومان بالسيف ، وقاتلنا دونها ، ورجعنا إليها بعد ان سفكت دماؤنا ، فكيف يأتيها تاجر ويأخذها بالفلوس ، ليس هذا من الإنصاف في شيء ! .

« ولي كلمة أخرى أريد أن أقولها لكم ، يزعم اليهود أن من المستحيل على العرب أن يحاربوا من أجل فلسطين ، وأنا أقول : ان الحرب لو كانت بين العرب واليهود لما تأخر العرب دقيقة واحدة عن خوضها ، ولكن دفاع بريطانيا عن اليهود يجعل الحرب بين العرب وبريطانيا ، والعرب لا يحبون محاربة بريطانيا ، وأعتقد أن حكومة بريطانيا رشيدة عاقلة ، تدرك حقائق الامور ، وتعلم أنه ليس من مصلحتها محاربة العرب أيضا ، كما أنه ليس من مصلحتها أن توجد أعداء من جميع المسلمين والمسيحيين يضمرون لها الشر في قلوبهم . والدنيا ليست على حال واحدة ، فقد يأتي يوم تقوى فيه شوكة اليهود فيكونون أول من يحاربونها مع أعدائها كما يحاربونها اليوم .

لماذا تعمل بريطانيا ـ بمساعدتها للصهيونية ـ على تأليف مجموعة ضدها من كل مسلم يوحد الله في الشرق والغرب ؟ ليس هذا من مصلحتها » .

وهنا قال رئيس اللجنة : ان بريطانيا دخلت حربين في ربع قرن لاجل السلام والحرية ، وبريطانيا يهمها كثيرا ألا تضيع صداقة العرب في الوقت الذي تدعو فيه إلى سلم عالمي ، فرد عليه الملك قائلا :

« نحن يهمنا وجود السلام العالمي ، ونريد أن نعيش في هذا العالم بسلام ، ولكن ما دام اليهود يؤتى بهم لبلادنا ، وعددهم يزيد في فلسطين يوما بعد يوم فمن المستحيل أن يستريح لنا بال أو يصلح لنا حال ، وقد كنت ذكرت للرئيس روزفلت ـ عندما اجتمعت به في العام الفائت ـ مطامع اليهود ومقاصدهم ، وأشار لي في أثناء حديثه إلى أنه يرغب بتزويدنا بمكائن وآلات زراعية حتى تنتج بلادنا ثمراتها ، فأجبته : ما دام اليهود في بلادنا فلا نريد زراعة ، ونفضل الموت على الزراعة .

« وأنا أسألكم عن رأيكم أنتم ، وأرضاكم حكما ، هل ترضون بأن يتعدى احد من العرب على امرأة انكليزية أو امريكية ويهينها ؟ ان اليهود يأتون إلى بلاد العرب

ويأخذون أملاكهم ويطردونهم ويؤذونهم ، فأي عقل أودين أوسياسة تحمل العرب على قبول مثل هذا ؟ .

« أنا لا أريد أن أجرح عواطفكم ، والذي يحملني على هذا القول هو صداقتي لكم ، وان من حق الصديق على صديقه أن يصارحه بالواقع .

هذا ما عندي ، وان أردتم ان تستوضحوا عن شيء فأنا مستعد لاجابتكم ، وهذا كلامي الشخصي ، وستقدم اليكم مذكرة خاصة توضح آرائي » .

وكانت لدى رئيس اللجنة أسئلة ، فلما انتهى ابن سعود من حديثه الجامع الشامل ألقى عليه سؤاله الاول وهو إذا كان في حديثه مع المستر تشرشل والرئيس روزفلت قد تطرق الى هذه القضية ، فقال :

« تحدثت مع الرئيس روزفلت حديثا طويلا في قضية فلسطين ، سجلت بمحضر خاص ، وقد كان من الذين حضروا حديثي مع الرئيس روزفلت الوزير الامريكي المفوض في جدة[1] ، وقد أطلعت المستر تشرشل على حديثي مع روزفلت ، وعلى الوعد الذي وعدني به ، فوعد المستر تشرشل بأن يقوم بالواجب من قبله في مساعدة العرب ، وعدم الاجحاف بحقوقهم ، ولقد كان الرئيس روزفلت يسعى لإيجاد مكان لإيواء اليهود ، وكان مقتنعا بأن فلسطين لا تصلح أن تكون مأوى لهم ، وأن في بلدان أوروبا متسعا لهم ، إذ تمكنهم الاقامة في الاماكن التي خلت بما أبيد من اليهود بسبب الحرب ، ولقد كان عجيبا ما روي عن الرئيس ترومان إذ قيل : انه طلب ايواء مئة الف يهودي في فلسطين ، بينما لم يسمح بإيواء اكثر من تسعة وثلاثين الف يهودي في الولايات المتحدة كما بلغنا » .

وألقى عليه رئيس اللجنة سؤاله الثاني قائلا : أيوافق جلالتكم على هجرة عدد من الأطفال والعجزة واليتامى اليهود الاوروبيين الى فلسطين على ان يكفلهم يهود فلسطين ، فأجاب :

« العرب متفقون على رفض الهجرة ، والطفل اليوم سيكون رجلا بعد بضع سنوات ، فأنا لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال بالقبول » .

---

(١) الكولونيل وليم ادي .

ثم استأذن رئيس اللجنة في سؤال قد يكون فيه بعض الازعاج . فأبدى الملك سروره لسماع أي سؤال ، وأنه صريح ويحب الصراحة ، فأشار الرئيس إلى قرار اللجنة البريطانية بتقسيم فلسطين الى قسمين .

وقال رئيس اللجنة : ارجو ان يسمح لي جلالتكم بسؤال قد يكون فيه بعض الازعاج وهو : ما رأيكم في قرار اللجنة البريطانية بتقسيم فلسطين الى قسمين فأجابه :

« أنا واحد من العرب ، ورأيي هو ما يجمع عليه العرب ، وقد أجمعوا على رفض التقسيم فأنا أرفضه لاني واحد منهم ، وليس لي رأي خاص يخالف ما أجمعوا عليه » .

وسأل رئيس اللجنة : أيمانع جلالتكم في مواصلة الهجرة اليهودية بمعدل ١٥٠٠ يهودي في الشهر ، فأجابه : « الموت خير لنا من الهجرة ! وكل جهادنا لنحول دون هجرة اليهود إلى فلسطين ، وامتلاك أراضيها » .

وسأل رئيس اللجنة : في بدء حديثكم أشرتم الى العداوة الدينية بين العرب واليهود ، فهل تستمر هذه العداوة بين العرب واليهود إذا امتنعت الهجرة ؟

فأجـــابه :

« إذا أرادت بريطانيا أن تحافظ على صلاتها الحسنة مع العرب فلتوقف الهجرة في الحال ، ولتمنع بيع الاراضي ، لان هذين الامرين هما أساس المشكلات ومصدر الاضطرابات ، ولتعقد مؤتمرا من رؤساء العرب والبريطانيين والامريكيين يتفق على الطريقة التي تؤمن الراحة والطمأنينة في فلسطين ، ويزال ما هنالك من خلاف ويحل السلام ، فإذا منعت الهجرة منعا باتا وأوقف بيع الاراضي أمكن الوصول الى حل جميع المشاكل المعترضة » .

وانتهت أسئلة الرئيس ، وبدا لعضو اللجنة الميجر باننجهام بولر أن يسأل الملك : هل الحديث دار بينكم وبين الرئيس روزفلت وأفضلتم بذكره هو كل ما دار بينكما ؟ فأجابه الملك : انني طلبت من الرئيس روزفلت أن أتحدث معه كرجل مسلم عربي اسمه عبد العزيز يتكلم مع رجل هو رئيس الولايات المتحدة

اسمه روزفلت ، فقبل الحديث معي بهذا الاعتبار ، فقلت له : لماذا تعين على هجرة اليهود الى فلسطين وتمكنهم من الاستيلاء عليها بغير حق ؟ فأجابني بصراحة وحزم : انني لم آمر بهجرة اليهود الى فلسطين ، ولم أقم بأي ضغط من أجلها ، ولا يمكن أن أعمل أي عمل ضد العرب في فلسطين ، ولن أعمل في المستقبل ، وقد أكد لي حديثه هذا بصفته المستر روزفلت وبصفته رئيس الهيئة التنفيذية للولايات المتحدة » .

وبجواب ابن سعود الاخير انتهى الحديث ، وشكره رئيس اللجنة وعضواها على تزويده اياهم بمعلومات يفخرون بالحصول عليها لصدورها من أكبر رجل في العالم العربي .

وإذا كان الحديث الذي وصفه ابن سعود بأنه شخصي فقد بقيت المذكرة التي أشار إليها في حديثه ، ووعدهم بتقديمها إليهم ، وهي توضح آراءه ، وقد بر بوعده ، وقدمت إليهم ، وهذا نصها :

« ١ ـ ان كل ما لدي من معلومات وآراء في قضية فلسطين أبديته للحكومة البريطانية في مذكرات وأحاديث متعددة ، كما أبديته للحكومة الامريكية برسائل ثلاث بعثتها لصديقي الراحل العظيم المستر روزفلت وأوضحت له في اجتماعي به في مياه الاسماعيلية حقيقة ما عندي وما عند العرب والمسلمين في هذه القضية ، فما كان منها عندكم فأنتم مطلعون عليه ، وما ليس عندكم فهو موجود في ديواني يمكنكم الاطلاع عليه .

٢ ـ بشأن الموقف الحاضر في فلسطين قدمت لكم جامعة الدول العربية الآراء التي تعبر عن رأي حكومتي وآراء سائر الحكومات العربية ، وقد أيد ذلك سائر مندوبي دول الجامعة .

٣ ـ ان الذي يدعو للحيرة في الموقف هو الاعتداء المجسم الصريح على حقوق العرب في بلادهم فلسطين ، تلك الحقوق الطبيعية التي جاءت بريطانيا ومن ورائها اليوم امريكا لتأييد العدوان الصهيوني عليها برغم كل الوعود الصريحة التي قطعت في شتى المناسبات .

« أ » : انظروا تصريح الحكومة البريطانية في يونيو ١٩١٨ للسبعة من العرب في القاهرة الذي عرف بتصريح السبعة .

« ب » : والتصريح البريطاني الفرنسي الصادر بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩١٨ ففيهما الوعود القاطعة للعرب .

« ج » : وانظروا الفقرة الاخيرة من كتاب الرئيس روزفلت بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٤٥ حيث يقول لي : « وجلالتكم تذكرون ايضا بدون شك انني أثناء محادثاتنا الاخيرة أكدت لكم اني لن أقوم بأي عمل بصفتي رئيسا للسلطة التنفيذية في هذه الحكومة يمكن ان يضر العرب » وهذه كلها صدرت بعد وعد بلفور ، فضلا عن الوعود التي كانت للعرب قبله .

٤ ـ علمت ان الصهيونيين اطلعوكم على بعض المزارع والمصانع التي أوجدوها في فلسطين ليلفتوا انظاركم الى مقدار ما يمكن ان يخدموا به البلاد ، وبينوا لكم انهم عمروا البلاد التي عجز العرب عن اعمارها .

فهؤلاء الصهيونيون اخذوا تأييدا من بريطانيا وامريكا بشكل لم يسبق له مثيل إزاء أية امة اخرى ، فتحت لهم الحكومة البريطانية سائر الطرق حتى يتمكنوا من تطبيق برنامجهم ، فجمعوا لذلك الاموال الطائلة من البلاد التي فيها ، واشتروا الارض التي تساوي خمسة بخمسين ، واخذوا ينفقون عليها بغير حساب من منابع خاصة لاغراضهم الخاصة ، وهي احتلال فلسطين واخراج اهلها منها ، فشردوا العرب وطردوهم بقوة الحكومة ، إذ كل قرية يشترونها يخرجون اهلها العرب ، ثم يمحون آثار القرية ويغيرون اسمها ومعالمها ، وبذلك شغل الاهلون بفقرهم وبدفاعهم عن أنفسهم ، والنظر في حالتهم عن أي عمران .

لقد ملأت الحكومة البريطانية السجون والمعتقلات بالعرب ، ونصبت لهم المشانق ، وبلغ بها من الشدة ان دلالة الكلاب على بيت من بيوت العرب كافية لادانة العربي ، وكل ذلك وهم صامدون لنيل حقوقهم الطبيعية ، والصهيونيون يقومون بأعمال الارهاب ، بل من الاعمال الحربية ضد القوات البريطانية ، ولم نسمع ان احدا قد أعدم ، بل علمنا ان القوات البريطانية عندما توجه لها أعمال الاعتداء من الصهيونيين تقابلها باطلاق الرصاص في الهواء ، والعرب

ليسوا اقل من غيرهم في الاعمال الزراعية ، فقد مررتم بالقطر المصري ، ووجدتم تقدمه الزراعي ، كذلك في سورية والعراق ، وهذه بوادر التقدم في أراضينا الزراعية .

اما ان يغدق المال بغير حساب على الصهيونيين ، ويغفر لهم جميع اجرامهم ، ثم يعامل العرب في فلسطين بأقسى أنواع المعاملات الى الآن ، ويقال : ان الصهيونيين أهل تعمير والعرب متأخرون ، فهذا منطق معكوس ولا يقوله إلا من يريد اقامة حجة لإنفاذ الظلم .

٥ ـ وإذا كان منطق الاشياء يطبق على العموم ولا يكال الكيل بمكيالين والوزن بميزانين فالحق والانصاف واضحان لذي عينين ، نرى رئيس الولايات المتحدة المستر ترومان يعلن ـ والكل يعلم ما هو تأثير المستر ترومان رئيس الولايات المتحدة في هذا الصراع التاريخي ـ ويطلب دخول مئة الف يهودي الى فلسطين الضيقة باسم الانسانية والرحمة على حساب العرب الضعفاء ، نقول : يطلب دخولهم الى تلك البلاد التي سيكون لكل اربعة واربعين نسمة فيها ميل مربع واحد ، بينما نفس المستر ترومان في الوقت ذاته لا يقبل في بلاد امريكا الواسعة الغنية إلا بدخول تسعة وثلاثين الف نسمة ، بحيث يكون للرجل النازح اليها خمسة وتسعون ميلا مربعا .

ان القيام بعمل كهذا ، والمناداة به من طرف انصار الحق والقائمين على الظلم والاعتساف لمن دواعي الاسف الشديد . وانها لمغالطة امام الحق والانصاف نترك لضمير الانسانية والتاريخ القول الفصل فيها .

ولا يمكننا ان نسكت ـ ونحن في معرض القول ـ عن الاراضي الواسعة الخالية في هذه الكرة الارضية مثل استراليا ونيوزيلندا والامريكتين وغيرها من المستعمرات والممتلكات التي يمكنها أن تؤوي وتسع اضعاف اضعاف يهود العالم ، ولكن لكون مالكي هذه الاراضي أقوياء ويسندهم حق القوة لا يكلفون أن يؤووهم ولا يلامون ـ إذا كلفوا ـ على رفضهم لمثل هذا الطلب الانساني .

٦ ـ انا صديق لبريطانيا ، وصديق لامريكا ، وسياستي قائمة على تحسين

سياستي مع هاتين الدولتين ، بل مع سائر دول العالم ، وقائمة على تحسين السياسة بين العرب وهاتين الدولتين ايضا ، ولا أريد ان تضطرني الايام بالرغم منا وبغير ارادتنا الى ان نتعادى مع بريطانيا وامريكا لدفع هذا الضرر المميت لنا جميعا .

وأحب ان تكونوا على يقين بأنه اذا استمرت هذه السياسة في استمرار الهجرة وبيع الاراضي ومنع العرب من حقوقهم الطبيعية التي وعدوا بالمحافظة عليها فإن الحكومتين البريطانية والامريكية لا تستهدفان لنقمة العرب وحدهم بل إنهما ستستهدفان لنقمة كل من يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله من عرب ، وعجم ، وهند ، وسند ، وصين ، وكل مسلم على وجه الكرة الارضية في مشرق الارض ومغربها وشمالها وجنوبها . وهذا لا مصلحة لاحد منه ، وفيه الضرر كل الضرر على المسلمين والعرب وعلى بريطانيا وامريكا .

والصهيونيون لا تهمهم مصلحة بريطانيا ولا امريكا ولا العرب ، ولا يهمهم إلا مصلحة انفسهم ، ولو تقوى اليهود في هذا المكان الدقيق ، وصارت لهم دولة - لا سمح الله - فمن السهل عليهم ان يكونوا في جانب أية قوة تعادي بريطانيا وامريكا ، لان الذين يقاتلون البريطانيين الذين احسنوا اليهم وآووهم ويقومون في وجوههم ايام الحرب من السهل ان يقوموا عليهم في احرج من هذه الاوقات » .

****

وإذا كان الغدر بالعرب مبينا فلا جدوى من استطلاع الرأي العربي ، وحق العرب واضح في فلسطين ، وغير مجهول من اولئك الذين يريدون ان ينتزعوه منهم لا يبالون بالحق والعدل والانصاف والسمعة ، بل هم اصدروا الحكم على العرب ثم اخذوا يعملون على تلفيق الادلة الزائفة لاثبات الحكم وصبغه بصبغة العدل ، فلجنة التحقيق البريطانية لم تكلف نفسها المجيء إلى ابن سعود من أجل العدل وإعادة الحق لاصحابه ، بل جاءت مؤملة ان يكون ابن سعود عونا لها ، وان يكون متساهلا ، وكانت تعتقد انها تستطيع اقناعه بمنطقها الخالب الخداع ، وجهلت ان ابن سعود وضعه الله في مكان المواجهة ضد الظلم الحائق بفلسطين والعرب والمسلمين ومقدساتهم .

واعتقد ان اللجنة قد ضربت مأملها في مقتله ، فحق ابن سعود قد ازهق

باطلها ، ومنطقه الصواب أذل منطقها ، فغادرته مخفقة ، لانها لم تستطع خدعه أو استمالته ، بل قهرها منطقه الغلاب ، ولكن الشيء الذي كان مقررا ان يكون قد أوصت به ألا وهو التمكين للصهيونية في فلسطين العربية المسلمة ، والاجحاف الشنيع بحق العرب الثابت .

ولم يكن ابن سعود غافلا عما سيكون ، ولم يغب عنه ان توصيات اللجنة الامريكية البريطانية ستكون مجحفة أيما اجحاف بحق العرب ، وان خاتمة « المسرحية » ستنتهي بفاجعة كبرى بالنسبة للعرب ، وسيضطرون الى ردها ما استطاعوا .

ولكن الشيء الذي يجب أن ندركه أن ابن سعود لم يكن بيده وحده مقاليد العمل من أجل انقاذ فلسطين ، بل كان كأي احد من حكام العرب ، ولو كان وحده لتغير مجرى تاريخ فلسطين ، وسيأتي ما يدل على ان ضياع فلسطين كان من عدم وجود القيادة في يد ابن سعود ، ومن عدم تمكينه من تنفيذ خطته في محاربة اليهود عندما اعلنت قيام دولة اسرائيل .

ابن سعود يُدخل فلسطين في الجامعة

اهتمام الملك عبد العزيز وابنه فيصل بالوحدة العربية والجامعة الإسلامية والتضامن الاسلامي يعود إلى ما قبل نصف قرن ، وقد فكرا في ذلك يوم ان كان العرب والمسلمون في جهل مطبق ، ويعيشون في حاضرهم الاليم من جراء الاستعمار الذي مزق استقلال اقطارهم ، ودمر قواهم ، واستولى عليهم وعلى اراضيهم وثرواتهم وحقوقهم .

وكان ابن سعود وابنه فيصل من اوائل من فكروا في إنشاء جامعة ، ودعوا إليها ، وتفردا بالعمل الجاد من أجل تحقيق ما فكرا فيه .

وإذا عرفنا حال العرب قبل خمسين سنة أدركنا عظم عبقرية ابن سعود وابنه فيصل اللذين سبقا عصرهما وحكامه ومفكريه وقادته في التفكير والعمل حتى وحدا اقطارا مفرقة ، وجمعا بلدانا وقبائل في وحدة متماسكة ، ولولا ما وجدا من مقاومة الاستعمار وبعض الحكام العرب لتمت الوحدة ، ولاصبح شأن العرب غير شأنهم الذي نرى .

وفي فصل بعنوان « الجامعة العربية » قلنا في كتابنا « صقر الجزيرة »[1] ٦٦٣/٣ ما نصه :

(١) طبع في مصر في ثلاثة أجزاء ، وصدرت الطبعة الاولى سنة ١٣٦٦ (١٩٤٦) والشاهد منقول من هذه الطبعة ، وقد طبع بعدها طبعتين .

« ان الحرب العظمى الماضية ايقظت فكرة الوحدة العربية ، واستيقظ العرب على صوتها الصارخ وانتبهوا لمصالحهم ، وكان ابن سعود اسبق حكام العرب - بعد تلك القرون التي قضي فيها على العروبة ولغتها - الى تلك الفكرة النبيلة .

« نعم ، كان ابن سعود اسبق من الحسين في فكرة الجامعة العربية ، فقد كتب إليه في سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) وإلى غيره من الحكام والامراء كالامام يحيى وابن الصباح وابن الرشيد يرجوهم ان يتحدوا في هذا الوقت الكارب ، ولكنهم اعرضوا عنه وعن فكرته .

« هو أسبق - على هذا - من الحسين بفكرة الوحدة أو النهضة أو الجامعة العربية ، غير ان الحسين كان اظهر من ابن سعود وابعد صوتا وأبرز شخصية فحالفه الانكليز وانضم إليهم وقام بنهضته بعد عرض ابن سعود ، وكان ما يعرفه الناس .

ولم يكن ابن سعود ممن يريدون نفعا خاصا لنفسه أو لقومه ، بل كان هجيراه النفع العام للعرب والمسلمين ، فلهذا اكتأب حينما ابصر الامراء لا يستجيبون لدعوته ، واخذ يعمل وحده في هدوء وصمت لتحقيق حلمه ، وأنقذ نجدا من المهالك والجمود ، ثم حرر الاحساء ، ثم فتح عسيرا وبث فيها الحضارة والامن ، ثم دخل الحجاز ونهض به هذه النهضة الملموسة ، وأخذ يثب بمملكته الكبيرة وثبات مأمونة الاخطار انتزعت الاعجاب من كل بلاد العالم .

وعمله هذا تحقيق لفكرته الاولى : فكرة الجامعة العربية ، فبعد ان كان في عسير وتهامة آل عائض والادريسي ، وكان في الاحساء الترك والعجمان ، وفي الحجاز الحسين ثم ابنه علي ، وفي شمال نجد آل الرشيد ، وفي نجران القبائل ، وفي الربع الخالي بنو مرة وغيرهم اصبح اليوم من يتكلم عن كل هذه البلدان رجل واحد هو ابن سعود ، وبعد ان كانت هذه الاقطار متفرقات لها حكومات خاصة ونظم خاصة صارت « وحدة » أو جامعة لا تنفصم عراها ولا يتزلزل بنيانها لانه قائم على اساس متين وضعه اعظم عربي وأكبر مسلم ألا وهو ابن سعود .

فإن كان لاحد فضل في جامعة الدول العربية - الآن - بعد الله فذلك الفضل لابن سعود وان كان يقاسمه اخوته ملوك العرب وامراؤهم وحكامهم بعض هذا

الفضل . ولكن الفكرة في الاساس فكرة ابن سعود التي مر عليها أكثر من ثلاثين عاما ، والعمل الجدي عمله ، وبغير ابن سعود لا يمكن ان يقام بناء جامعة الامم العربية بحال .

وليس في هذا نسيان فضل مصر ، فلمصر فضل جد عظيم في جمع الامم العربية في ارضها الزاهرة وحرصها على ان يتم المشروع في اسرع وقت ممكن استغلالا للظروف الحاضرة . ولا أدل على اعترافنا بفضل مصر من خطاب معالي الشيخ يوسف ياسين ـ مندوب مليكنا الموفق ـ إذ قال : « ان جامعة الامم العربية نبتت غرستها في ارض الكنانة ، وان مصر احاطتها برعايتها وغذاها جلالة مليكها ورواها أفذاذ رجالها ، حيا الله مصر ، وحيا فاروقها العظيم ، وحيا الله رجال مصر العاملين ، وحيا الله سائر ملوك العرب وامرائهم ورؤسائهم ، ووفق الامة العربية جمعاء لبلوغ آمالها وأمانيها » .

« وكان اجتماع رضوى التاريخي بين عاهلي مصر والمملكة السعودية ، ثم اجتماع أم القرى بين الزعيم العربي المجاهد شكري القوتلي رئيس جمهورية سوريا والملك عبد العزيز بن سعود ، ثم سفر فخامة الرئيس شكري إلى العراق واجتماعه بالوصي على عرشه الامير عبد الاله خير معوان لابرام ميثاق الجامعة العربية على النهج الذي رأينا .

وانا لنشكر الله الذي اتاح للامم العربية ملوكا وامراء ورؤساء شعروا بالنقص فبادروا الى الكمال ، وعملوا للصالح العام غير ناظرين الى ما يقام من عراقيل في سبيل غرضهم النبيل ومشروعهم الضخم ، ونشكره على نعمه التي لا تحصى إذ من الله على العرب بتوحيد الكلمة وإقامة البنيان والاعتصام بحبل الله رغبة في الله ثم رغبة في النهوض بالعرب ، ولعل الله الذي لا يضيع عمل عامل ان يعيد للعرب مجدهم المضيع ، وللمسلمين عزتهم السليبة على ايدي رؤساء الجامعة العربية حتى نكون الآن ـ كما كان اسلافنا الماضون ـ خير أمة أخرجت للناس » .

وقد اشتركت في الجامعة العربية الدول العربية المستقلة وهي : مصر والمملكة العربية السعودية والعراق والجمهورية السورية وشرق الاردن ولبنان واليمن .

وقد ذكر في ميثاقها ان الغرض من الجامعة ليس إلا « تثبيتا للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين الدول العربية ، وحرصا على دعم هذه الروابط وتوطيدها على اساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها ، وتوجيها لجهودها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح احوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق امانيها وآمالها ، واستجابة للرأي العربي العام في جميع الاقطار العربية » واتفقت دول الجامعة بالاجماع على ذلك وعلى اباحة الدخول لكل دولة عربية مستقلة .

« وهناك اغراض اخرى من الجامعة هي : توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها ، وأهم هذه الشؤون هي :

أ ـ الشؤون الاقتصادية والمالية ، ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملة وامور الزراعة والصناعة .

ب ـ شؤون المواصلات ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

جـ ـ شؤون الثقافة .

د ـ الشؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين .

هـ ـ الشؤون الاجتماعية .

و ـ الشؤون الصحية » .

وعندما كانت المباحثات تدور على مستوى الذروة وعلى المستويات الاخرى اشترط ابن سعود ان تكون فلسطين عضوا في الجامعة ، وتستثنى من غيرها من الدول التي لم تستقل بعد ، لان شرط العضوية الاستقلال ، وفلسطين كانت تحت الانتداب البريطاني ، فهي أشبه بالمستعمرة ان لم تكنها ، ورأي بعض الحكام ان في هذا الاستثناء ما قد يؤذي شعور الاقطار العربية المستعمرة التي تجاهد في سبيل الاستقلال .

ولكن ابن سعود وفيصلا اصرا على ان يكون لفلسطين صوت في الجامعة ، واصرا على ضرورة تمثيلها فيها ، لان وضعها غير اوضاع الاقطار العربية الاخرى

التي لا يخشى على شعوبها ، فتونس - مثلا - خاصة بأهلها ، وليس هناك صراع بين أهلها وغرباء يريدون ان يسلبوا منهم أرضهم ، ويبعدوهم عنها . والاستعمار - لا شك - زائل عنها فتبقى خالصة لأهلها دون منازع .

اما فلسطين فمهددة من الصهيونية التي تريد ان تجعلها يهودية خالصة ، وان تقيم فيها دولة اسرائيلية .

ورأى ممثلو الدول العربية المستقلة السبع ان رأي ابن سعود سديد فوافقوا عليه ، وعندما وضع مندوبو الدول السبع ميثاق الجامعة العربية وضعت ملحقا بالميثاق يشمله حق الميثاق نفسه ، وها هوذا نصه :

« منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية ومنها فلسطين ولاية تلك الدولة ، واصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لاية دولة اخرى ، واعلنت معاهدة لوزان ان امرها لاصحاب الشأن فيها ، وإذا لم تكن قد مكنت من تولي امورها فإن ميثاق العصبة في سنة **١٩١٩** م لم يقرر النظام الذي وضعه لها إلا على اساس الاعتراف باستقلالها فوجودها واستقلالها الدوليان من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه ، كما انه لا شك في استقلال البلاد العربية الاخرى ، وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لاسباب قاهرة فلا يسوغ ان يكون ذلك حائلا دون اشتراكها في اعمال مجلس العصبة ، ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية انه نظرا لظروف فلسطين الخاصة والى ان يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلى من يتولى مجلس الجامعة امر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في اعماله » .

ولقد ضمن هذا الملحق الذي يعود فضل وجوده الى ابن سعود لفلسطين صبغة الدولة الشرعية وان كانت مظاهر الاستقلال الخارجية محجوبة عنها ، كما أعطى الفلسطينيين حق الاشتراك رسميا في الجامعة ولجانها وفي مؤتمراتها وضروب نشاطها ، ووحد صفوفهم وكلمتهم ، وأعطاهم فرصة توحيد جهودهم ، وان تفيد من الجامعة ودولها .

وبحق هذا الميثاق صارت الجامعة مسؤولة عن فلسطين ، ومفروضا عليها ان تنصر قضيتها ، وتكون من جنودها العاملين ، وقد نهضت الجامعة بأعباء هذه

النصرة ، واخذت تبذل من النشاط والجهد والعمل ما جعل لعملها أثرا مشهودا في المنظمة الدولية والمؤتمرات العالمية .

وبفضل الجامعة خرجت قضية فلسطين من نطاقها المحلي الى نطاق عالمي ، وخرج الصراع من الحدود الجغرافية والاقليمية الى مدى أوسع ، فلم يعد عرب فلسطين وحدهم في صراع الصهيونية ، بل شاركهم عرب دول الجامعة ، وعلا أصوات اعضائها في المحافل الدولية .

ولولا جهود فيصل وأبيه لما كان لفلسطين وأهلها هذا الثقل في ميزان الامة العربية ، وبسبب هذه الجهود صارت قضية فلسطين قضية العرب جميعا وليست قضية عرب فلسطين وحدهم .

كلّ رؤساء أمريكا مع اليهود

دأب اليهود الامريكيون على تحقيق حلمهم في اقامة دولة يهودية في فلسطين بحيث تكون كلها لدولتهم ، وقبيل وعد بلفور مهدوا لاقامة الدولة اليهودية بما سمي وطنا قوميا لهم في فلسطين .

وكان رؤساء جمهورية الولايات المتحدة بعد الرئيس الاول جورج واشنطن الذي تولي رئاسة الجمهورية سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٩٧ حتى يومنا هذا الذي يتولى فيه ريتشارد نيكسون الرئاسة (١٩٧٤) يعملون من أجل تحقيق حلم اليهود في إنشاء دولتهم بفلسطين العربية المسلمة .

وقد كان الرئيس جورج واشنطن ورجال عهده فطنين لما لدى اليهود من خطط جهنمية للسيطرة على الولايات المتحدة وفرض نفوذها عليها ، وقد أنذروا وحذروا حتى قال جورج واشنطن في صراحة : « يفوق تأثير اليهود المدمر على حياتنا ومستقبلنا خطر كل جيوش اعدائنا ، بل إنهم أشد خطرا وفتكا بمئة ضعف من ذلك وآلم لنا أن انقضى زمن طويل دون أن تحاول خلاله ولاياتنا ـ ولو كل منها على حدة على الاقل ـ لمكافحة اليهود والقضاء عليهم مع استمرارهم على اقامة البرهان على أنهم ليسوا إلا مجموعة حشرات سامة تفتك بمجتمعنا ، وتكون أكبر خطر يمكن أن يتهدد استقرار الولايات المتحدة وأمنها » .

وكثير من أبرز رجال الولايات المتحدة أنذروا بما أنذر به الرئيس جورج واشنطن ، ومنهم : بنيامين فرانكلين (١٧٠٦ ـ ١٧٩٠) وهو عالم وفيلسوف

وكاتب وناشر امريكي اشتهر بسداد الرأي وسلامة الادراك والاخلاص لوطنه والنهضة به ، واشترك في تأسيس جامعة بنسلفانيا ، وأثبت بالتجربة صلة البرق بالكهرباء ، واختارته الولايات المتحدة لتوقيع معاهدة الصلح مع بريطانيا سنة ١٧٨١ واشترك في المؤتمر التأسيسي الاتحادي الدستوري المنعقد في فيلادلفيا سنة ١٧٨٧ وقال في خطبة له :

« أيها السادة ، انني أؤيد كل التأييد مواقف الجنرال واشنطن الهادفة الى حماية هذا الشعب الفتي من جميع المؤامرات الغادرة التي يحيكها لنا عدونا الوحيد الذي يتربص بنا الدوائر ، وأنا أقصد بعدونا الوحيد اليهود .

« وفي كل بلد استوطنه اليهود انحطت القيم الاخلاقية الى اسفل الدركات ، وشاعت فيه الفوضى و « اللامسؤولية » والاحتيال في معاملات أبنائه التجارية ، بينما يعزل اليهود أنفسهم في قواقع يتجمعون فيها كتلا وعصابات دون أن نتمكن من القضاء عليهم أو نقدر على ادماجهم في مجتمعنا .

« ولقد هزأ ليهود بقيم ديانتنا المسيحية التي تقوم دولتنا عليها ، ونحن نحيا بها ، وتجاهلوا كل أنظمتنا ومخطوطاتنا مما مكنهم من اقامة دولة لهم داخل دولتنا ، ومعروف عنهم أنهم يخنقون البلد الذي يعيشون فيه اقتصاديا وماليا إذا أحسوا ان هناك مناوأة أو مقاومة لهم من أهله ، فيسرعون الى اتخاذ اجراءاتهم الكفيلة بالخنق كما فعلوا في اسبانيا والبرتغال على سبيل المثال .

« منذ ما يزيد على ١٧٠٠ سنة واليهود لم يقلعوا عن ندب حظهم التعس الذي أدى بهم الى الطرد من أرضهم فلسطين كما يزعمون ، لكنهم - أيها السادة - لو أعطوا الآن الارض التي يزعمون حقهم فيها ، ثم طلب إليهم العودة إليها لاختلقوا مسوغا شرعيا للبقاء حيث هم ، ولرفضوا العودة ، وسبب ذلك عائد الى أنهم بطبيعتهم مصاصو دماء ، ومصاصو الدماء لا يستطيعون امتصاص دماء بعضهم بعضا ، لذلك لا يمكنهم أن يعيشوا وحدهم معزولين عن الشعوب الاخرى ، لان من طبيعتهم العيش على أشلاء الآخرين .

« أيها السادة : انكم ان لم تطردوا اليهود من ديارنا فلن يمضي اكثر من مئتي سنة

حتى يصير أحفادنا خدما في حقولهم يمدونهم بثروات بلادنا ، بينما اليهود يقيمون في بيوتهم يفركون الايدي انتظارا لقبض الاموال وجمعها .

« انني احذركم - أيها السادة - من لعنة اولادكم وأحفادكم وأنتم في القبور إذا لم تسارعوا الى اجلاء اليهود من ديارنا والى الابد .

ان اليهود يكونون أعظم خطر على هذه البلاد ، وانني أؤكد ضرورة طردهم منها ، ومنعهم من الدخول إليها أو الاقامة فيها بموجب نصوص دستورية صريحة » .

ولكن انذار من سبقوا لم يجد ممن بعدهم سمعا وطاعة حتى لعب بمقدرات الولايات المتحدة شرذمة شاذة من اليهود سادوا حتى صار أكبر رأس في الولايات المتحدة محنيا لهم ، وقبعت السلطة التنفيذية الحاكمة بين أيديهم ، حتى البرلمان خضع لهم .

وما نقم العالم من الولايات المتحدة إلا بسبب اليهود الذين تسلطوا عليها ودفعوها لمعاداة البشر ، وأطاع المسئولون الامريكيون أمر اليهود وعصوا أمر سلفهم الذين أورثوهم المجد والفخار والثروة فأورثها هـؤلاء الخلق أحط خلق الله وهم اليهود .

ففي سنة ١٨١٨ أي قبل مئة وست وستين سنة من سنتنا هذه سنة ١٩٧٤ وقبل مئة سنة من وعد بلفور كان رؤساء الولايات المتحدة يشجعون اليهود على إنشاء دولتهم في فلسطين ، ويؤيدونهم كل التأييد .

ففي سنة ١٨١٨ ألقى نوح - الذي كان قنصلا للولايات المتحدة في تونس - خطبة في الحفل الذي أقامه اليهود في نيويورك بمناسبة افتتاح معبد يهودي فيها ، جاء فيها قوله : « ان القضاء على السيطرة التركية في أوروبا سيحرر اليهود ، ويجعل في وسعهم النهوض مرة اخرى لامتلاك سوريا تحيط بهم هالات النصر ، وعندئذ يأخذون مكانهم بين دول العالم »[1] .

---

(١) رسالة بعنوان « حقائق عن العلاقات الامريكية الفلسطينية » المطبوعة سنة ١٩٤٩ وكانت فلسطين في أيام نوح من سوريا .

وأيد رئيس الولايات المتحدة جون آدمز ـ وهو الرئيس الثاني الذي خلف جورج واشنطن على الرئاسة التي تولاها من سنة ١٧٩٧ الى ١٨٠١ والرئيس الثالث توماس جفرسون الذي تولى الرئاسة من سنة ١٨٠١ الى ١٨٠٩ ما ذهب إليه نوح القنصل الامريكي اليهودي بتونس ، وناديا بإقامة امبراطورية يهودية في الشرق الاوسط ، وقد كتب جون آدمز رسالة وجهها إلى نوح قال له فيها : « لشد ما أتمنى من كل قلبي أن يكون لليهود دولة في جوديا[1] مرة أخرى » .

وهذه الرسالة التي صدرت من رئيس الولايات المتحدة أعطت اليهود الامريكيين الى القوة فرصة ، فقد حصلوا على التأييد الرسمي الذي مكنهم من العمل على تحقيق حلمهم الشرير ، وعملوا على الاحاطة بكل رئيس حتى يخضعوه لنفوذهم ومشيئتهم ، ويسيروه في الطريق الذي يشقونه له فلا يحيد عنه .

ومن عهد آدمز أخذ كل رئيس على نفسه أن يؤيد اليهود تأييدا مطلقا ، فالرئيس يوليسس جرانت الذي تولى الرئاسة سنة ١٨٦٩ الى سنة ١٨٧٧ كان من مؤيدي اليهود والحركة الصهيونية ، حتى أن أكبر مستشاريه وأقربهم إليه كانوا يهودا متعصبين على رأسهم صديقه ومستشاره الاعلى اليهودي « سنيرصون » الذي أسهم في انشاء مستعمرات يهودية امريكية كبيرة في فلسطين .

ووصف الرئيس جرانت بأنه أقل الرؤساء لياقة للرئاسة ، وكانت له بطانة غاية في السوء من السياسيين والاقتصاديين ، ولا غرابة في هذا ، فمن كانت بطانته من اليهود انحدر إليهم ليكون من المفسدين .

وتضاربت الآراء في موقف الرئيس ولسون (تولى الرئاسة من ١٩١٣ الى ١٩٢١) من الصهيونية وقضية فلسطين ، فمنها ما يرى أنه أيد الصهيونية ورعاها ، ومنها ما يرى أنه لم يؤيدها ، وهناك رأي وسط بأن ولسون لم يكن يفرق بين الصهيونية السياسية والعطف الانساني على اليهود .

والحقيقة التي أثبتتها الوثائق ان وعد بلفور وضع بعلم امريكا وطلبها .

---

(١) جوديا : منطقة في الجزء الجنوبي من فلسطين القديمة سكنها اليهود ، وتعرف باليهودية .

وأيا ما كان الرأي فإن ولسن كان ضد فكرة الصهيونية انسياقا مع وزير خارجيته لانسنج في بادئ الامر ، ولكنه كان واقعا في شبكة يهودية ، إذ كان بين مستشاريه صهيونيون يهود مثل برانديس .

ويذكر مانويل مؤلف كتاب « بين أمريكا وفلسطين » أن سجلات وزارة الخارجية الامريكية خالية من أي تفصيلات عن المفاوضات التي كانت تجري في لندن بين وايزمن ورهطه والوزارة البريطانية غير مذكرة واحدة أرسلت من لندن الى برنديس الذي حولها إلى وزارة الخارجية الامريكية في شهر مايو سنة ١٩١٧ والمذكرة تشتمل على خلاصة وافية لتلك المفاوضات ، وهي :

أولا ـ المشروع ، وقد اشير إليه بهذه الجملة : عودة اليهود الى فلسطين .

ثانيا ـ أسس العودة ، وتقوم على اعتراف بريطانيا بفلسطين وطنا قوميا لليهود .

ثالثا ـ مركز اليهود في فلسطين ، وفسر بوجوب أن يملك يهود فلسطين الموجودين في البلاد ومن عسى أن يهاجر إليها في المستقبل جميع الحقوق الوطنية والسياسية والمدنية في البلاد .

رابعا ـ الهجرة ، وقد نص فيها على وجوب منح الحكومة التي ستحكم فلسطين لليهود الحق الكامل في الهجرة المطلقة غير المقيدة .

خامسا ـ جاء في المذكرة تحت عنوان « تأليف شركة » ان على الحكومة التي تتولى امر فلسطين ان تمنح اليهود حق تأليف شركة يهودية لاستعمار فلسطين وترقيتها ، ويجب أن يكون من حق هذه الشركة اليهودية جميع الامتيازات لتنفيذ الاشغال العامة في البلاد مما عسى ان تتعهد به الحكومة ، ويجب أن يكون من حق هذه الشركة الاستيلاء على جميع الاراضي التي لا يملكها الافراد أو الهيئات الدينية .

ولكن ولسن أوقعه عدم تفهمه للقضية الفلسطينية ووقوعه بين مخالب اليهودية في تأييد بريطانيا التي بذلت كل محاولاتها لتضم إليها امريكا ، وعندما زارها بلفور في مايو سنة ١٩١٧ لادمون روتشيلد في لندن يذكر له في برقيته ان احاديث مرضية عن فلسطين جرت بينه وبين ولسن وبلفور .

ولولا ان لانسنج وزير خارجية امريكا في ذلك الوقت كان شديد العداء

للصهيونية واليهود لانساق ولسن بكل قوته مع اليهود ، ولكنه كان يتريث وكان يتهرب من اعلان تأييد اليهود مراعاة لسياسة وزير خارجيته .

وكانت بريطانيا واليهودية حريصتين على موافقة ولسن على وعد بلفور ، وبذل برنديس والكولونيل هاوس احد أخلص اصدقاء اليهود جهودهما لدى ولسن حتى يحملاه على الموافقة ، وكان هاوس من اقرب المقربين الى ولسن .

وأخيرا وافق ولسن إذ كتب إلى هاوس : « اني أوافق على النص الذي اقترحه الجانب الآخر ، فليتك تخبرهم بذلك » فأسرع هاوس بالابراق إلى الوزارة البريطانية في ١٦ أكتوبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ باسم الرئيس ولسن يعلمها في برقيته بموافقة الرئيس وحكومته على نص التصريح البريطاني .

ونحن نرى ان ولسن شريك في كارثة فلسطين التي تزداد على مر الايام وخامتها وويلاتها ، ومع أن « فرانك مانويل » مؤلف كتاب « بين امريكا وفلسطين » من محبى الرئيس ولسن ، ويحاول أن يبعده عن التبعة لم يستطع تجريده منها ، إذ قال : « ليس من الإنصاف ان نعتبر ولسن واحدا من أولئك الذين وضعوا أو ساعدوا على وضع وعد بلفور ورسم سياسته ، وغاية ما يمكننا اتهام ولسن به أنه لم يعترض ولم يقف في سبيل الوعد ، وهذا شيٌ بعيد عن تهمة وضع الوعد وخلق سياسة استعمارية في فلسطين » .

ويرى بعض الكتاب أن يبرأ ولسن من تهمة وضع الوعد اللئيم والمساعدة على وضعه ، ولكن ذلك لا يغير من الواقع شيئا ، فأمريكا وافقت على الوعد بموافقة ولسن عليه ، وخالف سياسة وزير خارجيته لانسنج الذي كان حربا على وعد بلفور .

ومنذ اتجه اليهود الى تحقيق حلمهم لتحويل فلسطين الى دولة يهودية كانت امريكا مع اليهود .

وإذا لم تكن مندفعة فإن موافقتها على وعد بلفور تدينها ، وولسن قد أيد الوعد ، وذهب إلى أبعد من التأييد في مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ ، وإذا كان « فرانك مانويل » يعتذر عن ولسون في الاول ويدافع عنه فإنه لم يستطع ان يتجاهل الواقع فأدان ولسن إدانة لا تفارقه .

وكان ولسن ـ كما قلنا ـ واقعا تحت نفوذ اليهود ، ففيلكس برنديس كان مستشار ولسن الاعلى ، وكان كبير الصهيونيين الامريكيين ، وهو يهودي متطرف ، وفرنكفورتر يهودي مثله ، وكان مقربا من ولسن ، كما كان كبار اليهود من الصهيونيين على صلة وثيقة به .

ويذكر فرانك مانويل في كتابه « بين أمريكا وفلسطين » صفحة ١٢٠ ـ ١٢١ من الترجمة العربية ما نصه :

« كان الرئيس ولسن يذهب مع اليهود كل مذهب ، فإن أعطاهم الانجليز وعدا باستعمار فلسطين زاد هو عليه اقامة مملكة لهم فيها ، وهذا الذي فعله ولسن في عامي ١٩١٨ و ١٩١٩ كان شبيها بما فعله ترومان لهم في عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٨ فالرئيس ولسن كان يخالف سياسة وزارة خارجيته وخبراء الوفد الامريكي مخالفة ترومان ، وكان يعمل بنفسه في الاول ثم صار ما يعمله سياسة يعتمد عليها اليهود ، ويبنون عليها القصور من الآمال والاماني .

« وكان موقف اليهود في أول انعقاد مؤتمر الصلح قد بعث فيهم اليأس من امريكا ، ولكن ولسن صرح للقاضي جوليان ماك من اعضاء المؤتمر الصهيوني العام في امريكا بقوله : « ان مطالبكم بفلسطين وفي غيرها قد مست قلبي في الصميم ، وأنا كنت قد اعلنت من قبل موافقتي على بيان الحكومة البريطانية في لندن بصدد آمالكم في تحقيق حقوقكم التاريخية في فلسطين ، وأنا على ثقة بأن دول الحلفاء بالاتفاق التام مع حكومتي سوف تؤسس « كومنولث » يهوديا في فلسطين .

وهذا البيان الذي صدر عن ولسن والذي أذاعه اليهود في مشارق الارض ومغاربها لاقى هوى في قلوب اليهود ، وأنعش آمالهم ، وحفزهم الى العمل » .

وتضافرت القوى كلها مع اليهود ضد العرب ، حتى من كانوا يتظاهرون بصداقة العرب مثل لورنس الانجليزي الصديق الوفي لحاييم وإيزمن ، فقد علق على حديث جرى بين ولسن ووايزمن في باريس في شهر يناير سنة ١٩١٩ بقوله : « لقد كانت جهودي منصرفة كلها الى اشراك الامريكيين معنا في شؤون الشرق الاوسط ، وكنت أريد ان يكون التعاون الامريكي البريطاني في هذا الشرق معززا

بمشاريع الصهيونية ، ولكن ـ مع الاسف ـ خيب الامريكيون آمالنا ، ولم يتعاونوا معنا » .

وما كان لورنس ليقول ان الامريكيين خيبوا آماله لو انتظر اسابيع أو أياما ، فقد انقلب على سياسة حكومته واندفع مع اليهود يؤيدهم .

ولورنس كان يتظاهر بأنه مع العرب ، واستطاع ان يخدعهم حتى كان مستشار العرب المقرب من القمة العربية في ذلك الوقت .

ولورنس استعماري بريطاني صهيوني وان لم يكن يهوديا ، وتناقض موقفه واضح ، فهو مع العرب يؤيدهم ، ويأتي بحجج لتأييد قضيتهم ، ومن الجهة الاخرى يسير مع الصهيونية ، حتى ان حاييم وإيزمن أشاد بلورنس في مذكراته التي نشرها في سنة ١٩٤٩ وقال فيه : « ان لورنس كان ـ على نقيض ما توهم الناس ـ من أخلص أصدقاء اليهود ، والعاملين على تسهيل استعمارهم بفلسطين » .

ولا تناقض في الامر ـ عندنا ـ فلورنس صديق مخلص لليهود ، ومخلص للصهيونية ، ولو أعلن هذه الصداقة لزاد في توعير الطريق على اصدقائه اليهود ، فتظاهر بصداقة العرب ، وأيدهم ، وهاجم الانجليز ، ووصفهم أو وصف الحكومة البريطانية بالغدر .

وهذا ما جعل العرب يثقون به كل الثقة ، وأتيح له أن يطلع على اسرار العرب ونياتهم وخططهم ، وما أشك أنه كان ينقلها لليهود ليفيدوا منها ويستعدوا لافساد خطط العرب قبل اعلانها .

وإذا كان بين السياسيين والمسئولين الامريكيين من ناهضوا الصهيونية ليقظة ضمائرهم أو لمصلحة بلادهم فإن البيت الابيض كان دائما مع اليهود والصهيونية ضد العرب .

وما وصف به ولسن من الإنسانية لم يكن وصفا صحيحا ، فإذا كان من الانسانية الاهتمام بالمضطهدين اليهود فأين هذه الانسانية من سلب أهل فلسطين

حقهم الواقعي والتاريخي والطبيعي والمدني ، وتشريدهم من وطنهم ، واخراجهم منه بالقوة لاحلال غرباء مجرمين سفاكين محلهم في ديارهم ؟ .

والسياسة الامريكية منذ عهد ولسن إلى عهود كل من خلفوه على الرئاسة سياسة ضد الحق العربي الواضح .

وخلف ولسن على الرئاسة كالفن كولدج (۱۹۲۳ - ۱۹۲۹) وكان نصيرا لليهود . وقال : « ان شعب الولايات المتحدة لن يدخر وسعا في تقديم العون الفعلي لليهود » .

وجاء بعده الرئيس هربرت هوفر الذي حدثت في عهده الازمة العالمية ، وتولى الرئاسة من سنة ۱۹۲۹ الى سنة ۱۹۳۳ وهو من غلاة الصهيونية مثل أسلافه ، وقال : « ان انشاء دولة يهودية أمر يستحق العطف والتشجيع » .

وتولى روزفلت الرئاسة سنة ۱۹۳۳ وهو يهودي صهيوني مخادع ، ولما كان يهوديا كان هو وأجداده يعملون لليهود وليس لشعب الولايات المتحدة ، والدليل على ذلك أنه فتح أبوابها للشيوعية والصهيونية .

وفي بعض مؤلفات الكاتب العالمي البريطاني المشهور دوجلاس ريد اثبات اتجاه روزفلت إلى الصهيونية والشيوعية ومساعدته إياهما ، ومن أهم مؤلفاته : كتابه المسمى « من الدخان الى الخنق » والآخر المسمى « في مكان ما جنوب السويس » المطبوع سنة ۱۹٥۰ ويقول فيه :

« اتبع الرئيس روزفلت طول مدة رئاسته سياسة فتح أبواب الولايات المتحدة الامريكية لمن ينتمون للشيوعية والصهيونية السياسية . . . وان هؤلاء يعملون لصالح الشيوعية والصهيونية أولا . . . وان اعمال الرئيس روزفلت وتصرفاته اتجهت نحو تأسيس كيان للصهيونية السياسية بحيث تكون سلطة تتمكن من تقرير المصير النهائي لخلاص العالم ، وان الرئيس روزفلت عين رجالا ينتمون الى الصهيونية في مراكز ذات نفوذ قوي ، كما فتح أبواب امريكا للتسلل الشيوعي ودخول جهاز شيوعي قوي الى الولايات المتحدة نجم عنه استسلام سلطاتها العليا وانتشار الفساد .

ويقول ريد : « في سنة ١٩٣٦ كتب الحاخام لويس جروس يقول « : لقد عينت حكومة روزفلت في المناصب الرئيسية الامريكية عددا من اليهود اكثر من أي حكومة في تاريخ امريكا . . . وكتبت جريدة « نيويورك تايمز » سنة ١٩٣٧ تقول : ان الرئيس روزفلت على استعداد لإتخاذ تدابير أكثر أثرا من الاجراءات الرسمية العادية لضمان قيام الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، والحيلولة دون فرض أي قيد على الدولة اليهودية . . . وان العمل الذي بدأ باللورد بلفور والمستر لويد جورج والرئيس ولسن قد وصل في عهد روزفلت وخلفائه الى النهاية المطلوبة » .

ولا يستغرب من روزفلت تأييد الصهيونية والعمل الدءوب النشط لإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، كما لا يستغرب منه الغدر بحلفائه والبر بالشيوعية التي نصرها وسمح لها في استعمار دول كثيرة في أوروبا وبسط نفوذها على دول كثيرة في العالم ، فهو يهودي تلمودي صهيوني ، واشترك جده كلنتون روزفلت في المخطط اليهودي لهدم المبادئ الرفيعة ، وكان عضوا بارزا فيه ، فقد قرر اليهود وضع ايديولوجية (نظرية عقائدية) ذات فلسفة خاصة تقوم المنظمة الشيوعية التي قرر المخطط اليهودي إيجادها ، فوكل الامر الى كارل ماركس وفردريك انجلز ليعملا هذه الاديولوجية ، وانشئت لجنة من ثلاثة يهود كان منهم كلنتون روزفلت ـ جد الرئيس الامريكي روزفلت ـ مهمتها جمع المال لانفاقه على ماركس وانجلز اللذين قاما بالمهمة على الوجه الذي يرضي اليهود المتـآمرين على العالم ، فأصدر البيان الشيوعي بعد تأليفه ، وانفق من ذلك المال المجموع على التأليف والطبع والنشر والترويج .

فلا غرابة ان يعمل للصهيونية بكل قوة الولايات المتحدة ، ولا غرابة ان يعمل للشيوعية بكل ما لديه ولدى اليهود من قدرة على المؤامرات حتى جرد حلفاءه الانجليز والفرنسيين وغيرهم من مستعمراتهم ، وسمح للشيوعية ان تستعمر بلدانا كثيرة ، وتبسط نفوذها على دول كثيرة في العالم .

وتدين الصهيونية لروزفلت بأنه هيأ لها كل اسباب اقامة دولة يهودية في فلسطين ، واتفق مع ستالين في يالطا على ان يتفق الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة على إنشاء الدولة اليهودية وحمايتها وإعطائها القوة التي تمكنها من البقاء

بحيث تكون كفاء كل العرب ودولهم واقطارهم وثرواتهم وقدراتهم وقواهم .

وعلى مر السنين تزداد السياسة الامريكية حقدا على العرب وكرامتهم ، مع ان الامريكيين يحصلون على نفع عظيم من ثروات العرب ، ولكنهم على الدوام يضربونهم في الصميم بوساطة الدولة اليهودية التي تقوم على معونة امريكا إياها بالسلاح والمال والجاه والرجال ، ويحمونها بكل ما أوتوا من قوة في كل ميدان .

وروزفلت الذي وعد الملك ابن سعود بألا يضر العرب كان يتبع السياسة البريطانية ، فهو يعد العرب ، وفي الوقت نفسه يؤيد اليهود .

يعد العرب وعودا قاطعة بأن اليهود لن يعطوا فلسطين ، ويقصد من ذلك تخدير العرب وإعطاء فرص حسنة رائعة لليهود ، وفي الوقت نفسه يؤكد لليهود انه معهم ، وأبلغ روزفلت زعيم الصهيونيين الامريكيين رابي وايز بأنه ما زال عند وعده الذي قطعه لليهود في أكتوبر ١٩٤٤ وأكد البيت الابيض في حديث بين روزفلت وآبا سلفر ـ أحد زعماء الصهيونية ـ وأكد له بصراحة « أن العدالة الكاملة ستكون في جانب أولئك الذين ينشدون وطنا قوميا يهوديا ، هذا الامر الذي لقي ويلقى دائما العطف من جانب حكومتنا والشعب الامريكي » وقد تولى آبا سلفر ابلاغ حديث روزفلت الى الصهيونية وزعمائها وكان اجتماعه بروزفلت في يوم ١٦ مارس سنة ١٩٤٤ .

وهلك روزفلت قبل انتهاء رئاسته فخلفه عليها نائبه هاري ترومان الذي مر ذكر تأييده في فصل سابق من هذا الكتاب ، وهو يهودي صهيوني متطرف ، ويذكره بن جوريون في مذكراته قائلا :

« كان ترومان رئيسا جد شجاع ، وحازما في اتخاذ القرارات . . . وان أكبر عمل قام به بالنسبة لنا نحن اليهود هو الاعتراف بدولة اسرائيل بعد دقائق من اعلاني إياها ، وفي آخر لقاء التقيته كان في أحد فنادق نيويورك ، وقلت له قبل أن نفترق : انني أجنبي لا أستطيع أن أحكم على المنزلة التي ستحتلها في التاريخ الامريكي ، ولكن مواقفه منا في المساعدة والعطف المستمر والاعتراف بدولة اسرائيل بمثل تلك السرعة قد أعطاه منزلة خالدة في التاريخ اليهودي ، وعندما قلت له ذلك انهمرت الدموع من عينيه . . .

« وفي الحقيقة لم يكن قرار اعتراف ترومان بإسرائيل هو اول مرة أظهر فيها تفهمه لحاجات الشعب اليهودي ، وعطفه عليه ، فبعد الحرب العالمية الثانية بقليل ـ وعندما بدأ رئيس الوزراء البريطاني اتلي ووزير الخارجية بيفن يظهران عنادهما ضد الصهيونية حاول ترومان ما استطاع الى ذلك سبيلا أن يقنعهما بإظهار بعض الانسانية في سياستهما تجاهنا في فلسطين ، وقد فعل ذلك بالرغم من ان وزارة الخارجية الأمريكية نفسها لم تكن تعلم شيئا عن اتصال ترومان بوزارة الخارجية البريطانية لتنسيق سياسة مشتركة بنجاح كبير ، وقد اتبع ذلك بما هو معروف من أمر تقرير لجنة التحقيق الانجلو امريكية التي أوصت بادخال مئة الف يهودي فورا الى فلسطين ، وقد كانت لطمة لاتلي وبيفن ، ورحب بها ترحيبا حارا .

« ولا يعلم الكثيرون ان ترومان كتب إلى اتلي في أغسطس سنة ١٩٤٥ يخبره أنه بسبب اهتمام حكومته الطبيعي بأمر اليهود في المانيا فإنه قد أرسل المستر هاريسون للبحث في المسألة ، وقد اقترح هاريسون اصدار مئة الف شهادة هجرة اضافية لليهود ، لإدخالهم في فلسطين .

وقال ترومان في رسالته أيضا : « ان الشعب الامريكي ـ كما أخبرتكم في بوتسدام ـ يعتقد بوجوب عدم اغلاق فلسطين في وجه الهجرة اليهودية ، بل يقول بوجوب ادخال عدد معقول من يهود أوربا المضطهدين الى فلسطين حسب رغباتهم وبدون تأخير » .

وشهد ترومان ميلاد الدولة اليهودية بفلسطين ، وحشد كل قوى الولايات المتحدة الضخمة لمساعدتها ، وأيدها وساندها وساعدها ووقف معها في محاربة العرب جميعا حتى أرسخ قواعد دولة اسرائيل .

وجاء بعده دوايت ايزنهاور في سنة ١٩٥٣ وجددت رئاسته فبقي فيها الى سنة ١٩٦٠ ووقف مع اليهود بقلبه وسلطته وبكل ما لدى الولايات المتحدة من قوى ، ولم يكن تأييده لدولة اسرائيل وهو في الحكم والسلطة ، بل سبق عونه لليهود قبل أن تقوم لهم دولة .

ويذكره بن جوريون بالحمد والثناء اللذين لا حد لهما ، ويقول في مذكراته :

« كان ايزنهاور الزعيم الامريكي الذي سبقت لي علاقة معه قبل ان يصير رئيسا للجمهورية ، فقد التقيتا أول مرة في أواخر أكتوبر سنة ١٩٤٥ عندما كان القائد الاعلى لقوات الحلفاء في أوربا ، التقيته في فرانكفورت بعد قيامي بزيارة اليهود الباقين بالمعسكرات ، وقدم لي الجنرال كل التسهيلات لأرى الاماكن التي كنت أريد مشاهدتها » .

وقال بن جوريون : « أخذني رئيس أركان حربه الجنرال بيدل سميث لمقابلة ايزنهاور ، ووضعت بين يديه عديدا من المقترحات على أثر ما رأيت في المعسكرات التي يعيش بها اللاجئون اليهود ، وطلبت إليه تحسين أحوالهم ، وتدريب الشبان الراغبين في الهجرة إلى فلسطين على الاعمال الزراعية والمهنية ، وتحدثت إليه عن حاجة اليهود إلى كتب عبرية ليتعلموا اللغة العبرية خلال التدريب ، ولما كانت هذه غير موجودة في أوربا ولا توجد إلا في فلسطين فقد اقترحت عليه ان يرسل طائرة عسكرية الى فلسطين مرة كل اسبوع لاحضار الكتب والمعلمين والمدربين ونقل بريد يهود المعتقلات الى أقاربهم بفلسطين .

« وقد تجاوب معي ايزنهاور أتم التجاوب بسبب تهيئة بيدل سميث للجو الرائع حتى أن أول كلمة قالها لي إيزنهاور قوله : « لقد علمت أنك الروح التي تعمل على بناء فلسطين » فأجبته : أنا واحد ممن يعملون ، وشكرته عن الشعب اليهودي على تحريره أوربا ، وقلت له : ان هذا التحرير فصل في تاريخ العالم ، ولكن ما سيعمله من أجل الشعب اليهودي سيكون فصلا في تاريخ اليهود ، فرد عليه ايزنهاور قائلا : انني أعلم ان اليهود يريدون الذهاب الى فلسطين ، ومع أن ذلك ليس من اختصاصي فأنني سأعمل على مساعدتهم في المانيا بكل ما استطيع .

« وقام إيزنهاور بكل ما طلبته منه ، فقد هيأ المزارع في المانيا لليهود ليتم تدريبهم ، كما ارسل الطائرة عقب مقابلتي الى فلسطين وأحضرت الكتب والمعلمين والمربين والمدربين منها الخ . . .

وقد التقينا عديدا من المرات عندما كان رئيسا للجمهورية وصرت أنا رئيسا للوزارة في اسرائيل ، وقد وجدت منه دائما التفهم والمساعدة » .

ومع أن ايزنهاور كان شديد الميل الى الصهيونية فقد كان له مساعدون ومستشارون يهود ، وأقربهم الى نفسه صديقه اليهودي « شيرمان آدامز » وكان وزير خارجيته فوستر دلس المعروف بحبه العميق لليهود والصهيونية ، وكان أحد كبار أعوان اسرائيل ، ومن أكبر الذين ضللوا شعب الولايات المتحدة .

وفي ٨ مايو ١٩٥٦ حضر مأدبة أقامها المحفل الاكبر لمنظمة « بنان جريس » اليهودية ، والقى دلس فيها كلمة جاء فيها : « ان مدنية الغرب قامت على أساس العقيدة اليهودية في الطبيعة الروحية للانسانية ، ولذلك يجب أن تدرك الدول الغربية ان من الحتم عليها ان تعمل بعزم وتصميم من أجل الدفاع عن هذه المدنية التي صارت اسرائيل معقلها » .

وايزنهاور كان على رأي دلس ، والمشروع المعروف بمشروع ايزنهاور مشروع يهودي لاحداث مزيد من الفرقة بين الدول العربية ، لان الاستعمار الامريكي واسرائيل لا يجدان المناخ الصالح لهما إلا في كنف الفرقة ، وما اخترع اليهود ودلس وزير الخارجية الامريكية وايزنهاور المشروع إلا لضرب فكرة الوحدة العربية ومنعها من التطبيق ، حتى أن « المجلس الصهيوني الامريكي » عقد مؤتمرا في شهر مارس ١٩٥٦ بفندق روزفلت بنيويورك لوضع خطة هجومية على كل عمل يراد منه وحدة الكلمة العربية وضربها حتى يتمكن اليهود من تنفيذ مخططاتهم الصهيونية ، وقال الدكتور عمانويل نيومان رئيس المنطقة الصهيونية الامريكية : « لو بقي زعماء العرب على اخلاصهم لمبادئهم القومية التي تتصل بالمنهج التاريخي للشرق الاوسط لما استطاعت الولايات المتحدة احراز أي نجاح بصدد تنفيذ مشروع الشرق الاوسط (مشروع ايزنهاور) الذي أشار إليه الرئيس إيزنهاور في الرسالة التي أذاعها يوم ٥ يناير ١٩٥٦ » .

واستطاع اليهود ان يثبتوا في ذهن ايزنهاور والحكومة الامريكية ان وحدة العرب وضعف اسرائيل سيحولان دون حصول الولايات المتحدة الامريكية على النفط العربي في الشرق الاوسط ، وهذا ما انتهى إليه مؤتمر اتحاد الصهيونيين المنعقد في نيويورك في يونيه ١٩٥٦ ولذلك طالب المؤتمر الحكومة الامريكية بأن تتخذ اجراءات سريعة ضد العرب تضمن لاسرائيل التفوق والقوة والسيادة .

فإيزنهاور عمل للصهيونية ولتقوية اسرائيل وإضعاف العرب ، وما ظنه العرب فيه من وقوفه معهم عندما تشبث بانسحاب اسرائيل والقوات الانجليزية والفرنسية من سيناء وبورسعيد وقنال السويس في العدوان الثلاثي على مصر في نوفمبر ١٩٥٦ لم يكن إلا سياسة امريكية تغنم منها الدخول الى المنطقة العربية والسيطرة عليها ، ومنع دخول الاتحاد السوفييتي اليها وبسط نفوذها ، وإعطاء الشعوب العربية وحكامها فكرة حسنة عن امريكا التي ساءت سمعتها ، وإشعال المزيد من نار الحقد على الدولتين الاستعماريتين العتيدتين : بريطانيا وفرنسا لتحل امريكا محلهما حلول الصديق والمنقذ .

وكانت الحكومة الامريكية على علم بالعدوان الثلاثي ، وشريكة دوله ، وكان إيزنهاور نفسه على علم به ، فوزير خارجيته دلس والمسئولون الامريكيون مع اسرائيل وبريطانيا وفرنسا بقلوبهم وبكل قوة أمريكا .

وما سنذكره برهان على ذلك ، ففي منتصف شهر يناير ١٩٥٦ أعلن ناحوم جولدمان في الاجتماع الذي عقدته المنظمات اليهودية الكبيرة في واشنطن وقال : « ان حكومة الولايات المتحدة مستعدة لاتخاذ الاجراءات القوية الحازمة لضمان استقرار اسرائيل وأمنها ، وأن حملة دعائية قد بدأت في اسرائيل لاقناع الشعب بضرورة الحرب مع العرب ، وستنشب هذه الحرب قريبا » .

وفي هذا الاجتماع الخطير الذي حضره مسئولون في الحكومة الامريكية من يهود ومن غيرهم إلى أمر جد خطير وهو « الفاتحة على يد اسرائيل والخاتمة على يد الولايات المتحدة » .

وهذا ما حدث في كل حروب اسرائيل المعلنة منها على العرب ، فخاتمة حرب ٥٦ وضعتها الولايات المتحدة ، وكذلك حرب ١٩٦٧ وحرب اكتوبر ١٩٧٣ كما كان هذا شأنها في كل عدوان لاسرائيل على العرب .

ومما يدل على علم الرئيس ايزنهاور والحكومة الامريكية بالمؤامرة على مصر للعدوان عليها ويؤكده ان أبا ايبان السفير الاسرائيلي بواشنطن قابل في يوم ١٥ أكتوبر ١٩٥٦ دلس وزير الخارجية الامريكية وعرض عليه خطط اسرائيل التي وضعتها لغزو مصر ، وبعد تفاهم بينهما قال دلس : ان الحكومة الامريكية

لا ترى ما يمنع من تنفيذ خطط اسرائيل ما دامت تكفل لها الاستقرار والامن .

ورأت الحكومة الامريكية ان تكون بعيدة عن مسرح الحرب مع تشجيعها لاسرائيل في خوض غمارها ، ورأت ألا ضرورة لاشتراكها ما دامت بريطانيا وفرنسا ستشتركان مع اسرائيل .

وإذا كان اجتماع دلس بأبا إيبان في اكتوبر فإن اجتماعا سبقه بين دلس والسفير البريطاني والسفير الفرنسي ، وتم في أوائل شهر اغسطس ١٩٥٦ ودار فيما بينهم بحث الاجراءات المشتركة التي يراد منها تسوية مشكلة قناة السويس[١] على أساس مشروع سلوين لويد الذي تضمن النقاط الاساسية الآتية التي ذكرتها الصحف الاجنبية في ذلك الوقت ، وهي :

أولا - اتخاذ اجراءات رادعة تقوم بها اسرائيل ضد مصر .

ثانيا - اتجاه القوات اليهودية نحو قناة السويس .

ثالثا - احضار القوات الانجليزية الفرنسية الى منطقة القناة وفقا للاتفاقية الانجليزية الفرنسية الامريكية المبرمة سنة ١٩٥٠ .

وعارض دلس في بداية الامر بعض نقاط مشروع سلوين لويد البريطاني ، لانه لم يتضمن دخول القوات الاسرائيلية الى الاراضي المصرية الآهلة بالسكان ، وهذا ما دعاه الى ان ينصح ببحث الموضوع مع بن جوريون .

واما الاتفاقية المبرمة بين بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة في مايو ١٩٥٠ فبنيت على ضمان هذه الدول للحدود التي رسمتها اتفاقية الهدنة سنة ١٩٤٨ وجاء فيها ما نصه : « إذا اكتشفت حكومات الدول الثلاث أن اسرائيل أو احدى الدول العربية تستعد لخرق الحدود أو الخطوط التي رسمتها اتفاقية الهدنة فإنها - طبقا لتعهداتها في هيئة الامم المتحدة - ستتخذ اجراءات سريعة داخل نطاق الامم المتحدة وخارجها للحيلولة دون حدوث هذا الانتهاك » .

---

(١) يعتبر الصهيونيون والاستعماريون الانجليز والفرنسيون والامريكيون تأميم مصر لقناة السويس في شهر يوليو ١٩٥٦ عملا عدائيا لهم ، فاتفقوا على ضرب مصر والعرب .

وما كانت هذه الاتفاقية معقودة بين الدول الثلاث لوجه الحق ، بل كان الغرض منها مقاومة العرب جميعا إذا أرادوا الدفاع عن انفسهم ، وحماية اسرائيل إذا انهزمت ، وهذا ما أثبتته الاحداث التي أعقبت الاتفاقية ، وفي حديث بيني وبين زعيم فلسطين المجاهد الحاج محمد أمين الحسيني في سنة ١٩٥٠ بعد اعلان الاتفاقية ذكر ان المقصود منها حماية اسرائيل وضمان نصرها على العرب ، وتمكين اسرائيل من تثبيت قواعد اغتصابها للارض الفلسطينية ، في حين ان ما فطن له الحاج أمين الحسيني خفي على كثير من زعماء العرب .

وقد مر ذكر « مشروع سلوين لويد » وكان لويد حينئذ وزير الخارجية البريطانية ، وكان من المخططين للعدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ وان كان هو وأنطوني إيدن رئيس الوزارة البريطانية وغيرهما يتظاهرون بالتقيد بنصوص الاتفاقية ، ففي صيف سنة ١٩٥٥ سئل إيدن من قبل بعض اعضاء مجلس العموم البريطاني عما إذا كانت بريطانيا تساعد أي دولة عربية إذا ما هوجمت من اسرائيل ، فأجاب إيدن قائلا : « أردد الآن ما قلته من قبل وهو أننا نقف الى جانب حلفائنا ، وأننا على استعداد لتنفيذ نصوص الاتفاقية مع حلفائنا ، وأن نتحمل المسئولية مع من وقعوا معنا في حالة القيام بأي اجراء ، وقد يكون هذا الاجراء مساعدة لاسرائيل إذا ما هوجمت أو مساعدة لدولة عربية إذا ما هاجمتها اسرائيل ، هذا هو الموقف ، وآمل ـ الآن ـ أن يكون مفهوما لدى جميع اعضاء المجلس » .

وفي ٧ مارس ١٩٥٦ قال ايدن في البرلمان البريطاني : « لما كانت الاتفاقية تنص على القيام بعمل مشترك في حالة استخدام القوة أو التهديد باستخدامها فقد أعددنا العدة لاجراء مباحثات مشتركة بشأن طبيعة العمل الذي يجب علينا اتخاذه في مثل هذه الحالة » .

وبعد تأميم مصر قناة السويس ثارت بريطانيا وفرنسا ، ولم تكن حليفتهما الولايات المتحدة بنجوة من الغضب ، فدلس وزير الخارجية الامريكية قال : « إن التأميم اجراء تعسفي للانتقام من مضايقات وهمية » وقال الرئيس إيزنهاور : « إنه أمر يجب ان يعالج بالحرص الشديد لنتأكد من اننا تحرينا العدل والحق » .

وفي يوم ٢٩ يوليو ١٩٥٦ حضر إلى لندن الدبلوماسي الامريكي روبرت سيرفي

كما حضر الى لندن في أول أغسطس ١٩٥٦ دلس وزير الخارجية الامريكية ، وممثلون فرنسيون ، واتفقوا على بيان اصدروه واستنكروا فيه « قيام دولة واحدة بالاستيلاء التعسفي ومن جانب واحد على هيئة دولية » وذكر البيان أن ذلك « يهدد حرية الملاحة بالقناة وسلامتها التي ضمنتها اتفاقية سنة ١٨٨٨ » الخ . . .

وفي ٣ أغسطس ١٩٥٦ نشرت الصحف البريطانية وغيرها عزم بريطانيا وفرنسا على استخدام القوة ، ففي صحيفة « المانشستر جارديان » عدد يوم ٣ أغسطس نشرت ما نصه : « أن بريطانيا وفرنسا مصحوبتين بالتأييد الأوروبي وتأييد الولايات المتحدة ستتخذان الخطوات الواجب اتخاذها بما في ذلك استخدام القوة » . وهذا ما نشرته الصحف الأخرى .

ويظهر من ذلك كله ان هناك عزما مصمما على ضرب مصر ، واظهرت بريطانيا وفرنسا ما عزمت عليه ، وابتعدت الولايات المتحدة عن المشاركة الفعلية في الحرب التي تعد لها العدة ، لا لأنها تستنكرها ، فهي تؤيد حليفتيها بريطانيا وفرنسا ، وتشجعهما على العدوان ، ورأت أن تبقى بعيدة عن القتال لان في قدرة حليفتيها انجاز المهمة ، ولأن في بعدها قوة لهما في المجال الدولي ، إذ تستطيع ان تقف موقف القاضي دون ان تتهم ، فيقبل قضاؤها .

ويؤكد موافقة الولايات المتحدة لحليفتيها ان التخطيط للحرب المرتقبة كان في الارض الامريكية ، وما كانت لتقع لولا موافقتها وتأييدها ، فوزير الخارجية الامريكية دلس نصح ببحث أمر الحرب مع بن جوريون ، وفي شهر أغسطس أبلغ دلس زميله سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية بأن حكومة الولايات المتحدة مستعدة لقبول نص تسوية تهيىء لاسرائيل فرصة احتلال شبه جزيرة سيناء ومنفذها على البحر الأحمر .

وفي ٢٧ أكتوبر ١٩٥٦ اتفق السفير البريطاني لدى اسرائيل مع رئيس وزرائها بن جوريون اتفاقا نهائيا على تحديد موعد الهجوم ، وبحثت التفصيلات الاخرى ، واتفق فيما بينهما على دخول بريطانيا وفرنسا الحرب عندما تكون اسرائيل قد انتهت بقواتها المسلحة الى منطقة القناة ، وذلك بتوجيه انذار حقيقي الى مصر

وآخر مصطنع الى اسرائيل ، ثم تضرب القوات البريطانية بورسعيد وتحتلها وتضرب ما تريد ضربه في مصر .

ونفذ المخطط المتفق عليه بين اسرائيل وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، ولا شك ان ايزنهاور كان على علم به ، ومشاركا فيه ، إذ ليس من المعقول أن تبرم حكومة أمرا يكون هو في نجوة عنه وعلى جهل به .

وان ايزنهاور عمل لاسرائيل ما في طوقته وطوقة الولايات المتحدة ، وأراد أن يذهب الى أبعد ما في قدرة أكبر دولة على وجه الارض لتبقى معونته زمنا طويلا ، ويكون غنم اسرائيل عظيما ومتجددا ، فبعد شهرين من عدوان اسرائيل على مصر (وكان في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦) أعلن ايزنهاور عن مشروعه الذي أراد ان يخدع به العرب تمكينا لاسرائيل .

وان هذا المشروع لم يوضع إلا برأي اليهود وبخاصة بعض مستشاري الرئيس ايزنهاور ، وفي طليعتهم « شيرمان آدامز » و « راب » وكلاهما مساعده وهما يهوديان صهيونيان ، وبعد الاعلان عنه أراد ايزنهاور أن يؤكد مشاعره نحو اليهود فطلب الى دلس ان يجتمع بأقطابهم ، فاجتمع في يوم ٢١ فبراير ١٩٥٧ ومعه « راب » مساعد ايزنهاور بثمانية من عتاة الصهيونية الكبار وفي طليعتهم الشياطين الاربعة : فيليب كلوتزنيك المحامي الشهير بشيكاغو ، ورئيس منظمة « بناي بريث » وجاكوب بلاوشتاين الرئيس السابق للجنة اليهودية الامريكية وأحد مديرى شركة البترول الشهيرة « ستندرد أويل أوف انديانا » وايرفنج انجل الذي خلف بلاوشتاين على رئاسة « اللجنة اليهودية العالمية » وصموئيل ليسندورف امين صندوق الاغاثة المتحدة اليهودية ومن كبار رجال الاعمال .

اجتمع دلس بكبار اقطاب اليهود وشرح لهم مشروع ايزنهاور وأهدافه في الشرق الاوسط وبخاصة دور اسرائيل فيه ومكانته منه .

وشرح دلس ما يحقق المشروع من مغانم لاسرائيل ومنها : أن المشروع يحقق اضرام نيران العداء بين الزعماء العرب بعد أن خبا لهبها المشتعل بسبب الغزو الثلاثي ، وأكد أن خلافا ستلتهب ناره بين مصر والاردن ، وبين مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية ، وقال : عندما يبلغ الخصام بين زعماء هذه الدول

الذروة فسيكون لدى العرب ما يشغلهم بأنفسهم عن غيرهم دون ان يحتاج الامر الى جهد اسرائيل أو بسبب البترول أو القناة ، وأكثر من هذا أن زعماء العرب سيقصدوننا لطلب المعونة ، بل سيقصدون عدوهم اللدود اسرائيل نفسها طمعا في الاحتفاظ بما تحت ايديهم على أقل تقدير » .

وقال دلس : « ان الوحدة العربية تحول دون نهوض اسرائيل ، ولكن هذه الوحدة التي تبدو كجدار من حجر واحد أصابه بعض الصدع اليسير الذي سيتسع إذا ما استطعنا ذلك حتى يتهدم » .

واستقبل الصهيونيون مشروع ايزنهاور بترحاب لا حد له ، فهو يحقق لاسرائيل القوة التي تغنمها من ضعف العرب وفرقتهم ، وصرح زعماؤهم بأن المشروع درع يقي اسرائيل من الهمجية العربية كما قال الصهيوني المتطرف جاكوب بلاوشتاين ، وبأنه يحقق ازدهار اول دولة يهودية في العالم كما قال ايرفنج ملر احد مديري شركة « ستندارد أويل أوف كاليفورنيا » ورئيس « جمعية ابناء اسرائيل » ومن اصدقاء دلس وايزنهاور .

وفي احدى المناسبات هنأ ايزنهاور في برقية طيرها الى اسرائيل جاء فيها : « ان دور اليهود في الحياة الامريكية لعظيم ، وانهم يسهمون في إزدهار الولايات المتحدة » .

وكان اصدقاء ايزنهاور الخلص من اليهود ، وكلهم يسيطرون على الحياة الامريكية وسياسة الولايات المتحدة ، ويجدون منه الخضوع وتنفيذ ما يطلبون منه ، فمن أصدق أصدقائه اليهودي « كلاي » الذي كان الحاكم الحقيقي لالمانيا ، وهو مدير عديد من الشركات الكبرى في الولايات المتحدة ، فهو مدير شركة « كونتننتال للمواد الجاهزة » و « شركة الفواكه المتحدة » و « جنرال موتورز » و « متروبوليتان للتأمين على الحياة » و « مارين مدلاند للائتمان » وغيرها .

وأفضنا القول في أيزنهاور لان العرب وكثيرا من زعمائهم يظنون فيه العدل والنزاهة ، وأنه وقف مع العرب في حرب سنة ١٩٥٦ إذ أصر على انسحاب اسرائيل ودولتي العدوان من سيناء وبورسعيد والاراضي التي احتلتها ، وما كان

موقفه هذا حبا للعرب ، بل هو من المناورات والخدع السياسية التي تمكن الولايات المتحدة من السيطرة على المنطقة العربية .

وجاء جون كندي للرئاسة بعد أيزنهاور ، ثم اغتيل وخلفه ليندن جونسون ، وكلاهما كانا مع الصهيونية ، وشأنهما شأن من سبقوهما ، وإذا كان كندي قد سبق إليه الاجل فلم يستطع أن يقدم من العون ما قدمه أسلافه أو خلفه فإن جونسون تهيأت له الفرصة لتأييد اسرائيل وعونها الى أبعد مدى مستطاع ، فقد حمل مستشاروه اليهود إلى ذويهم أنه مع اسرائيل بقلبه ويده ولسانه وسلطته .

وكان مستشاره المقرب منه وصديقه اليهودي الصهيوني المتطرف « ماك جورج بنوي » يعمل بجد ومثابرة لكي يدفع الرئيس الامريكي والولايات المتحدة وأكبر الشركات الامريكية لتكون عونا لاسرائيل .

فاليهودي « بنوي » مستشار جونسون هو رئيس مؤسسة فورد الذي عرف بمحاربة اليهود ، وأصدر كتاب « اليهودي العالمي » سنة ١٩٢١ ليحول بين اليهود وسيطرتهم على امريكا حكومة وشعبا وشركات وتجارة واقتصادا ومالا ، ولكن قوى اليهود كانت أكبر منه ، وانتهى بمؤسسته الى اليهود حتى صار « بنوي » رئيسها الاعلى يتصرف فيها أكثر من تصرفه في منزله ، وبلغت هبات مؤسسة فورد لاسرائيل خلال السنوات الماضية حوالي ثلاثة بلايين دولار ، وما بغريب ذلك إذا علمنا أن اليهودي سيدني فاينبرج هو الذي يقف وراء ثروة فورد ، ويستخدمها لاستفحال الشر الصهيوني ، وفاينبرج كالاخطبوط ، له ذراع في كل مؤسسة كبرى أو شركة ضخمة ، فهو أحد المديرين اليهود الكبار لشركة « جنرال الكتريك » وأحد مالكي شركة جولدمان ساكس وشركائه ، وان اليهودي الروسي « ميشيل سفيردوف » مدير مؤسسة فورد ، وأن هناك بين مئات اليهود المسيطرين على مؤسسة فورد مدير شركة فورد للسيارات اليهودي دافيد الذي يتولى منصب المدير العام لبنوك ومصارف وشركات ومؤسسات ، حتى جاء الى الرئاسة ريتشارد نكسون الرئيس الحالي عند كتابة هذا الفصل[1] ، وهو سند الصهيونية وحامي دولة

---

(١) كان هذا الفصل قد كتب في شهر ربيع الاخر سنة ١٣٩٣ (أبريل ١٩٧٣) ولكن دعت الحاجة الى تعديله وإضافة أشياء كثيرة إليه في شهر محرم ١٣٩٤ (يناير ١٩٧٤) .

اسرائيل الباغية ، وهو مسئول عن المذابح التي قامت بها اسرائيل ، وهو اليوم عمادها وعتادها والمدافع عنها ، والمؤيد لها مما جعل اسرائيل تستهين بالعرب وتتمادى في غيها ، وتذبح نساء العرب وأطفالهم ، وتهدم مساكنهم ، وتضرب بطائراتها لبنان وسوريا ، فإذا أراد العرب الدفاع لا الهجوم تصدت الولايات المتحدة لهم في كل ميدان حتى ميدان المنظمة الدولية .

وفي حرب رمضان ١٣٩٣ (أكتوبر ١٩٧٣) وقف نكسون والولايات المتحدة والمسئولون فيها مع اسرائيل ، وأمر نيكسون بإرسال نجدات من الاسلحة والخبراء والمحاربين ، وأنشأ جسرا جويا بين امريكا واسرائيل ، وأعلن تعبئة القوات الامريكية تعبئة عامة في كل مكان بالعالم ، وأغرق دولة اسرائيل بأحدث الآلات والاسلحة التي لم تستعملها الولايات المتحدة لحداثتها ، وأنذر العرب بشر مستطير .

وقد أسرف الرئيس نيكسون في دعم اسرائيل وتزويدها بأكثر من حاجتها ، فجعلها قلعة كبرى أشد مناعة من أي رقعة في الولايات المتحدة نفسها إذا استثنينا سلاحها الذري وصواريخها البعيدة ، وهي التي تدفعها الى العدوان دائما ، وقد أعدت أمريكا اسرائيل للعدوان على العرب في حرب رمضان (أكتوبر) وضمنت لها الحماية والفوز ، ولكن الله نصر العرب .

واهتمام نيكسون بكل شؤون اسرائيل اهتمام علني سافر فيه كل التحدي للعرب وللعالم وللحق ولكل القيم الإنسانية ، حتى توطين اليهود المهاجرين من روسيا الى فلسطين المغتصبة يجد من نيكسون كل ضروب الرعاية والعون والاهتمام ، فهو قد رأى وصول ثلاثين ألف مهاجر يهودي روسي إلى فلسطين ، فأسرع الى تقرير مساعدة لتوطينهم .

وهذا الخبر قد نشرته وكالات الانباء والصحافة العالمية ومنها جريدة « الندوة »[٢] التي تصدر بمكة المكرمة حرسها الله ، ونحن ننقله هنا عنها :

---

(٢) العدد ٤٣٣٢ الصادر في يوم الاربعاء ١٣ / ٤ / ١٣٩٣ هـ (١٦ مايو ١٩٧٣) .

« واشنطن - أقرت لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الامريكي أمس[1] تعديلا يدعو إلى تخصيص مساعدات اضافية لاعادة توطين اليهود الروس في فلسطين ، وقد أضيف التعديل الى مسودة قوانين الميزانية لوزارة الخارجية ووكالة المعلومات الامريكية وفيلق السلام الامريكي ، وأقرت اللجنة مبلغ ٣٦,٥ مليون دولار لمساعدة اسرائيل في اعادة توطين نحو ثلاثين ألف يهودي روسي في فلسطين خلال العام الحالي » .

وأوعز نيكسون الى الاتحاد السوفييتي أن يساعد اسرائيل في بناء مستوطنات للمهاجرين الروس ، وذلك بتقديم الاسمنت لها ، وما كان الاتحاد السوفييتي بحاجة الى إيعاز نيكسون ، وقد شحنت روسيا ما تحتاج إليه اسرائيل من الاسمنت لبناء مستوطنات في فلسطين وفي أراضي مصر وسوريا والاردن المحتلة لإيواء المهاجرين الروس .

وفي ٧ أكتوبر سنة ١٩٥٦ حضر نيكسون - وكان نائبا لايزنهاور - المؤتمر الصهيوني الكبير الذي عقدته « المنظمة الصهيونية الامريكية » وألقى نيكسون خطبة قال فيها : « لا يكاد يوجد امرؤ واحد في امريكا لا يشعر بعطف عظيم واحترام كبير لاسرائيل ، ومن أجل ذلك كان العمل الجاد لتقوية نفوذ اسرائيل هو « المبدأ » الذي تهتدي بهديه الولايات المتحدة في الشرق الاوسط » .

وعندما تولى نيكسون الرئاسة أسرف في تقوية نفوذ اسرائيل ، وضحى بمصالح الشعب الامريكي في سبيل مرضاة اسرائيل ، وآثر حياتها ورضاها على رفاهية شعبه ومصلحته ، ودخل في الصراع العربي الاسرائيلي مع اسرائيل بكل سلطته وبكل قوة الولايات المتحدة .

فالحكومة الامريكية في سنة ١٩٥٤ (١٣٧٤) بنت لاسرائيل اسطولها البحري الحربي ، وهذا عدا قيام الولايات المتحدة الامريكية ببناء قوة اسرائيل العسكرية ، وقد تسلمت حكومة اسرائيل في شهر سبتمبر ١٩٥٤ (محرم ١٣٧٤ هـ) ثلاث قطع بحرية من أسطولها الكبير الذي تعزم على بنائه ، وقد أوصت بصنعه في

(١) الثلاثاء ١٥ مايو ١٩٧٣ .

احواض الولايات المتحدة التي رحبت بطلب اسرائيل وشجعتها ، وقال مسئول امريكي كبير لم تفصح وكالات الانباء والصحافة عن اسمه : ان الاسطول الاسرائيلي سيجعل اسرائيل أقوى دولة بحرية في الشرق الاوسط .

ومنذ ذلك التاريخ وحكومة الولايات المتحدة تساعد اسرائيل في بناء قواتها العسكرية البرية والبحرية والجوية ، وضغطت على ألمانيا الغربية التي دفعت لاسرائيل تعويضا يعد بمئات الملايين من الدولارات ، كما زودتها بأسلحة كثيرة .

وفي مايو سنة ١٩٤٢ انعقد المؤتمر الصهيوني العالمي في دورة استثنائية بفندق بلتمور بمدينة نيويورك ، واتخذ في جلسة ١١ مايو ١٩٤٢ قرارا هذا نصه :

« تحول فلسطين الى دولة يهودية ، وإجلاء سكانها العرب » .

وأبدت الصحافة الامريكية هذا القرار بحماسة وقوة ورحبت به ، وأيده الرئيس روزفلت وغيره من السياسيين الامريكيين ، وأعلنوا تأييدهم المطلق للقرار الصهيوني ، ولم يقتصر تأييدهم على القول ، بل عززوه بالعمل إلى أكثر مما تفكر فيه الصهيونية .

وبرهاننا على هذا الإسراف في إرضاء اليهود المعركة الانتخابية على الرئاسة التي تنافس عليها روزفلت عن الحزب الديمقراطي ، وديوي مرشح الحزب الجمهوري ، وذلك في شهر مايو سنة ١٩٤٤ .

وأسرف كل منهما في الوعود لليهود . وأغدقا في العطاء ، وبعث روزفلت برسالة في أكتوبر سنة ١٩٤٤ الى السناتور اليهودي الامريكي « واجز » قال له فيها : « إذا أعيد انتخابي للرئاسة فإنني سأبذل كل جهودي لتنفيذ قرار تحويل فلسطين الى دولة يهودية » .

ولم يكن ديوي منافس روزفلت بأقل منه سخاء ، فقد اعطى اليهود أكثر مما يتمنون في ذلك الزمان ، وكان مثله كمثل روزفلت .

وفي سنة ١٩٤٨ كان التنافس غاية في القوة بين ترومان وديوي ، فلما قال ديوي في خطبته له : انني أؤيد تقسيم فلسطين الذي أقرته هيئة الامم المتحدة في شهر نوفمبر من السنة الماضية ، رد عليه ترومان قائلا : انني أعلن في صراحة أنني أؤيد

الصهيونيين في مطالبتهم بحدود ذلك التقسيم ، ولا أقبل تعديله إلا إذا رضي اليهود عن ذلك التقسيم .

ولم يكن التنافس بين ترومان وديوي على مصلحة الولايات المتحدة ، بل كان الصراع من أجل إرضاء الصهيونية واعطائها أكثر مما تطلب .

وسخاء كل منهما في العطاء يظهر حقيقة المنظمة الدولية ، فترومان وديوي يعرفان أن ما يعطيانه اليهود لا يمكن أن يتحقق إلا بوساطة الهيئة الدولية ، ومعنى هذا أنها خاضعة للنفوذ الامريكي .

وإذا كان رضا اليهود غاية السياسة الامريكية التي تشترك معها غاية السياسة العالمية فإن الصراع على اغتنام رضا اليهود يظهر غاية السياستين كما يظهر حقيقة المنظمة العالمية ، فالإنصاف ليس من غاياتها ، وإنما إرضاء شرذمة شريرة تسيطر على سياسة الدول الكبرى وسياسة المنظمة العالمية .

كل هذا الارضاء لليهود يتم علانية ، ويعطون المثوبة بدل العقوبة التي يستحقونها على جرائمهم البشعة ، فهم قد قتلوا وسيط الامم المتحدة ، وخرقوا الهدنة ، وشتموا المنظمة الدولية ، واستخفوا بكل القيم والعهود المعطاة للمنظمة وللعالم ، وجهروا بمعاداة السياسيين الامريكيين المخلصين لوطنهم ، ومع هذا يستبدل بالعقاب الثواب ، دون أن تكون غاية المنظمة الدولية العدل والانصاف ، فهي تعمل لإرضاء اليهود بشتى الطرق والاساليب على حساب شعب فلسطين ، تغتصب أرضهم وحقوقهم وتعطيها اليهود مع الاعتذار لليهود .

وبلغ من سيطرة الصهيونيين على الولايات المتحدة شعبا وحكومة ودينا أن خمسة آلاف قسيس من الكنيسة البروتستانتية وقعوا « عريضة » قدموها في شهر فبراير سنة ١٩٤٥ للحكومة الامريكية ، يعلنون فيها تأييدهم لليهود تأييدا مطلقا ، وطلبوا فتح أبواب فلسطين أمام هجرة اليهود .

وتقدم مجلس النواب ومجلس الشيوخ بأغلبية أعضائهما طلبا الى الحكومة بتاريخ ٢ يوليو سنة ١٩٤٥ م بإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، وفتح باب الهجرة اليهودية إليها .

وترومان رئيس الجمهورية في غير حاجة الى عريضة القسس ولا إلى طلب المجلسين ، فهو نفسه يهودي صهيوني ، ومتحمس لليهود ، وكتب وأرسل في ٣١ أغسطس ١٩٤٥ مذكرة الى المستر كليمنت أتلي رئيس وزراء بريطانيا يطلب إليه فيها إدخال مئة ألف يهودي دفعة واحدة .

ولم يكتف ترومان بهذا الطلب ، بل ألح على أتلي بفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود بدون أي شرط أو قيد .

وعارض الملك عبد العزيز ما ذهب إليه ترومان ، وتبودلت بينهما رسائل معدودات تفصح عن وقوف كل منهما على طرفي نقيض ، وتشدد كل منهما في موقفه ، فترومان مصر على موقفه ، وفي الفصل الذي بعنوان « ابن سعود وترومان » من هذا الكتاب تفصيل الموقفين وما دار بينهما ، كما ذكرنا تطرف الموقف الامريكي في تأييد اليهود واغتصاب حق العرب ووطنهم .

وبلغ بترومان الامر الى حد المجاهرة بالظلم والباطل دون أن يحسب حساب أي شيء في الوجود ، فهو يعطي اليهود أكثر مما يطلبون ، حتى أنه كان صهيونيا أشد من زعيم الصهيونية حاييم وايزمان الذي روى في مذكراته أنه قابل ترومان في يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ وبحث معه أمر فلسطين ، وعرض عليه مطلب اليهود ، وأبلغه أن اليهود راضون بتقسيم النقب بينهم وبين العرب ، وهذا الرضا بالتقسيم مشروط فيه أن تكون العقبة نفسها من نصيب اليهود وحدهم .

ويذكر وايزمان أن ترومان أصدر أمره للوفد الامريكي في الجمعية العمومية بأن يعمل على جعل النقب كله والعقبة كلها من نصيب اليهود وحدهم دون أن يشركهم أحد غيرهم في شيء منه .

وبكلمة من ترومان وهب لليهود ثلاثة ملايين دونم من أرض العرب وأملاكهم ، وهب لليهود أكثر مما طلبوا وأملوا .

بل ذهب ترومان الى أبعد من ذلك في الخروج على القوانين الدولية ، فاعترف بدولة اسرائيل بعد دقائق معدودات ، بعد عشر دقائق من اعلانها دون أن يعرف حدود هذه الدولة ونظام الحكم فيها ، وقوانينها ، ومن هم رعاياها ، وما نوع الحكم ؟ وما عدد السكان ؟ وما التزاماتها وحقوقها وواجباتها ؟ .

انه اعترف بها دون أن يخطر على باله أن يسأل نفسه أو غيره ، لانه مصمم على أن تقوم دولة يهودية ثم يأتي بعد ذلك كل مقوماتها ، فإذا لم تكن لديها المقومات فلا ضير ، لان ترومان رئيس الولايات المتحدة الامريكية يريد ذلك ، وما دام يريد فلا بد أن تنفذ إرادته .

ووضع ترومان بالنسبة لاسرائيل مبدأ غاية في الخطر وهو مبدأ حق الفتح ، فإذا اغتصبت أرضا عربية بالسلاح والحرب فهي حقها دون نزاع ، وقد ذكر فرانك مانويل في كتابه « بين أمريكا وفلسطين » صفحة ١٩٨ من الترجمة العربية ما نصه :

« وبينما كانت الجمعية العامة في هيئة الامم منعقدة في باريس لتقرر إنشاء دولة اسرائيل حسب التقسيم أعلن ترومان ـ في سبيل كسب أصوات اليهود ـ أن كل أرض يفتتحها اليهود في فلسطين ليست داخلة في الحدود التي حددها مشروع التقسيم يجب أن يحتفظ بها اليهود بحق الفتح » .

ومنذ قيام دولة اليهود بفلسطين والحكومة الامريكية ترعاها وتؤيدها وتعطيها أكثر مما تطلب وترجو وتتمنى .

بل بلغ بالحكومة الامريكية المجاهرة بعداء العرب جميعا عداء يزداد على مر الايام عنفا وسفورا ، والامعان بإعطاء اليهود ما ليس لهم بحق ، بل تعطيهم ما لا يطلبون حتى وضعت لنفسها مبدأ لا تحيد عنه ، وهو العمل على حفظ توازن القوى بين اليهود والعرب في المنطقة العربية كلها وليس في منطقة الشرق الادنى ، وحماية ميزان القوى بكل ما تملك الولايات وحلفاؤها الغربيون من قوى لا حد لها .

وميزان القوى الذي تريده الولايات المتحدة الامريكية هو أن تكون الدولة اليهودية برقعتها الصغيرة التي احتلتها بعد انتزاعها من العرب وبسكانها المعدودين كفاء العالم العربي كله بسكانه الذين يزيدون الآن على مئة مليون ، وثرواتها الضخمة الطبيعية من المعادن والبترول وقواها وقدراتها التي تملكها .

تريد الولايات المتحدة أن يكون مليونا يهودي أو ثلاثة كفاء مئة مليون عربي وأكثر ، وأن تكون رقعة دولة اسرائيل كفاء العالم العربي الذي تبلغ مساحتها

الملايين من الكيلومترات المربعة في حين أن مساحة كل فلسطين لا تبلغ إلا ٢٧٠٠٠ كيلومتر مربع ، وأن السودان وحدها تبلغ مساحتها مئة مرة من مساحة دولة اسرائيل التي اغتصبت كل فلسطين في حرب يونيو سنة ١٩٦٧ .

ومساحة العالم العربي تبلغ مساحة احدى القارات ، ومع هذا تريد الولايات المتحدة أن تكون اسرائيل الصغيرة في مساحتها وسكانها وثروتها كفاء العالم العربي .

ومجرد الرغبة يثبت حقد الولايات المتحدة الامريكية على العرب قاطبة وعداءها لهم ، فكيف والامر يتحول إلى واقع مشهود ؟ إنه جريمة كبرى في تاريخ البشرية لم يعهدها إلا في هذه السنين .

وأي عداء أبلغ وأبشع ، وأي جرم أوبق وأفظع من عمل الولايات المتحدة الامريكية على تحقيق التوازن بين حفنة من اليهود والامة العربية الكبيرة ، وتزداد الجريمة بشاعة أن تعمل الولايات المتحدة على دوام هذا التوازن واستمراره وبقائه ، وتكتب بذلك على العرب مهما ازدادوا سكانا وثروة وقوة أن يبقوا أقل من دولة اسرائيل الصغيرة !

ان هذا العمل أخطر عمل يهدد العرب ، فيجب عليهم أن يتحدوا حتى يكونوا كفاء الولايات المتحدة الامريكية وليس كفاء اسرائيل ، وأن لدى العرب من الغنى ووفرة السكان والثراء ما يمكنهم من تحقيق هذه الكفاءة إذا اتحدوا ، فإذا كان معهم المسلمون في اتحاد ثم في وحدة شاملة فإن القوة الإسلامية ستكون أكبر من كل قوى الارض مجتمعات .

وأما إذا بقي العرب والمسلمون متفرقين كما هم فإن دولة جد صغيرة تكون كفاءهم .

ونجاح دعوة الملك فيصل الى التضامن الإسلامي نجاحا أدبيا حقق للعرب كافة نصرا مبينا حققه جيش عربي مصري سوري محدود العدد والسلاح بالنسبة لجيش اسرائيل وقوتها ، فالجيش العربي الذي اشترك في حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ (السادس من أكتوبر ١٩٧٣) لم يكن يتجاوز مئة ألف في جبهة سيناء

والجولان ، في حين أن جيش اسرائيل يبلغ أكثر من ثلاثة أمثال الجيش العربي في ميدان مصر وسوريا .

وكلما زاد نجاح دعوة الملك فيصل وزاد اتحادها زادت القوة العربية بكل ما تحوي هذه القوة من إرادة صلبة وعزيمة قادرة وإيمان حق وثراء واسع ، وعندئذ تكون القوة العربية قوة عالمية .

واقدام الملك فيصل على وقف البترول من التدفق الى الولايات المتحدة والدول التي تساعد اسرائيل كان عملا إنسانيا ووطنيا وقوميا تفرضه الحرب المشنونة على العرب من اسرائيل التي أوجدتها امريكا مع بريطانيا ، ثم تولت امريكا رعايتها وحمايتها وتزويدها بالمال والرجال والسلاح لتحقق ما تسميه توازن القوى ، ولتضمن تفوق اسرائيل على كل الدول العربية مجتمعة .

ان عمل الملك فيصل عمل إنساني في حقيقته ، فعندما تحس شعوب امريكا وغيرها من الحكومة المؤيدة لاسرائيل المعتدية بما يسبب لها وقف البترول من كوارث اقتصادية ومالية وبدنية وصحية وعسكرية وحربية تصحو الشعوب من سباتها ، وتدرك أن اسرائيل كانت السبب ، ولا بد أن يزول السبب .

ووجود اسرائيل خطر على الانسانية عامة ، وعندما تزول عن اليهود دولتها القائمة على الاغتصاب والباطل تضمن الإنسانية كلها السلام والخير والجمال والصحة والعلم ورغد العيش لنفسها ، وتحيا حياة طيبة .

وهذا ما قصد اليه الملك فيصل .

أما القومية فالدفاع عن أمة العرب فرض ، وقد تعرضت لاكبر خطر هدد سلامتها وأمنها وحياتها وكل ما تحتاج إليه هذه الحياة من جراء وجود اسرائيل وعدوانها الذي يتكرر كل يوم .

فوقف البترول دفاع مشروع وطبيعي .

أما الوطنية فمثل القومية أو هما سواء ، لان وطن فيصل ليس الوطن السعودي وحده ، بل الارض العربية كلها من الخليج الى المحيط وطنه ، وآية هذا الشعور من الملك فيصل وعمله مشاركته الامم العربية وأوطانها في ثروة بلاده السعودية .

ونفط العرب حقهم الذي لا ينازعهم فيه أحد إلا ظالم ، والولايات المتحدة تمنع سلاحها عن العرب وتسخو به سخاء لا حد له على اسرائيل وتقدمه لها في أريحية ، فهل ثار العرب على الولايات المتحدة ثورتها على العرب بسبب وقف بترولهم عنها ؟ .

ان العرب لم يحاربوا الولايات المتحدة قط ، ولكنها هي تحاربهم دائما ، وأعلنت حالة أقذر حرب وأبشعها وأفظعها عليهم ، وذلك عند وقوفها مع اسرائيل في عدوانها عليهم ، فالولايات المتحدة هي التي تحارب العرب في ميدان الحرب وفي ميدان السياسة وفي أروقة الامم المتحدة ، وتعطي اسرائيل كل قوى العدوان لاهلاك العرب .

فاتخاذ الملك فيصل موقف قطع البترول ضرورة إنسانية ووطنية وقومية ، وتذكر الولايات المتحدة تحذير فورستال وزير الدفاع ، والفايس أميرال كارفي ، ونائب رئيس أرامكو جيمس بتري من موالاة اسرائيل ومعاداة العرب ، لان ذلك تهديد لمصالح امريكا في الشرق الاوسط .

ويذكر مانويل في كتابه « بين أمريكا وفلسطين » صفحة ١٩٤ و١٩٥ ما نصه : « كانت التيارات التي تساعد على ارضاء العرب أكثر من إرضاء اليهود في امريكا كثيرة ، منها رجال وزارة الخارجية والعسكريون وشركات الزيوت وأنصار الانجليز ورجال التبشير ، وفي الاجتماع الذي عقدته اللجنة البرلمانية الخاصة بشؤون الدفاع يوم ١٩٤٨/١/١٩ سأل النائب ديوي وزير الدفاع فورستال السؤال التالي : « ألم يؤثر قرار التقسيم على سلامتنا في الشرق ؟ ان سؤالا كهذا هو سؤال سياسي ، ولكن من الواجب أن أسألك عنه ، فإن ٣٥٠ مليون مسلم منتشرون بين الباكستان ومراكش ، وكراتشي والرباط والدار البيضاء ، ومن ورائهم الجامعة العربية ، هؤلاء كلهم يهددوننا ان نحن مضينا في التقسيم بأن يخربوا لنا أنابيب البترول ، فماذا تقول أنت كوزير الدفاع ؟ » .

« فأجاب فورستال على ذلك بالتأكيد والموافقة على كل ما جاء في السؤال .

« وسئل الفايس اميرال كارفي عن هذه المسألة فأجاب بما أجاب به وزير

الدفاع ، وقال الاميرال ما معناه : إذا ثار العرب للتقسيم وهجموا على الزيوت وقطعوا أنابيبها ، وخربوا منشـآتها فإن هذا سيؤدي الى احداث قلاقل في الشرق ، وهذا ما يتمناه الروس من اصطياد في الماء العكر .

وشهد جيمس بيتري نائب رئيس الارامكو فقال أمام اللجنة في ١٩٤٨/٢/٢ ان الاضطرابات القائمة في فلسطين بسبب قرار التقسيم تؤثر أسوأ الاثر في مركزنا في الشرق ، وتهدد بترولنا بشر الاخطار ، وكان كل تيار من التيارات التي ذكرناها تؤكد سياسة التقسيم ، وتنذر الحكومة الامريكية وتحذرها من العرب حين يثورون ثورتهم الكبرى ، وحين تزحف الجيوش العربية النظامية فلا تبقي ولا تذر » .

ويقول فى ختام كتابه : « وزاد الطين بلة أن جميع ما كان يتخوف منه العسكريون الامريكان بشأن قوة العرب وبطش جيوشهم ثبت أنها أوهام ، وزادت المسألة تعقيدا حين تبين للعالم أن الدول العربية صاحبة الشأن في البترول تحتاج الى الدولار الامريكي أكثر مما تحتاج امريكا للبترول .

« وكان صباح وكان مساء ، ثم تم يوم من الايام التي لا تزال تكر من ١٩٤٨/٥/١٥ حتى اليوم دون أن يشاهد العالم الغضبات المضرية ولا ثوران العالم الإسلامي .

وتمت المأساة التي يعرفها العالم والتي يكتوي عرب فلسطين بنيرانها » .

وكلمة مانويل في ختام كتابه سخرية ومرارة مصحوبتان بشيء من غير الواقع ، فقد غاب عنه وضع العالم الإسلامي والعربي ، فقد كانت دول كثيرة فيه مستعمرة ، وما لم يكن مستعمرا كان واقعا تحت النفوذ الاجنبي ، كما أن الاستعمار أوجد في كل دول العرب والمسلمين أوضاعا شاذة مدمرة لم تكن تسمح لها بتوحيد الكلمة والصف ، وكانت دول الغرب وعلى رأسها أمريكا وروسيا تعمل من أجل تحطيم العالم الإسلامي والعربي في كل الميادين .

ومن ناحية قطع البترول وقع الوعيد به من المملكة السعودية ، وان كان ذلك غير معروف عند بعض ذوي الهوى ، أوكان معروفا فتجاهلوه لبغضهم المملكة

السعودية وكراهيتهم لها ، لأنهم أعداء الاسلام وان كانوا عربا وكان بعضهم ممن يحملون أسماء عربية .

فقد نقل مؤلف كتاب من الكتب نضرب عن ذكرهما لان الكاتب مات ، وذكرنا يحييه ، فتركناه في قبره ، نقل هذا المؤلف من جريدة « بيروت المساء » التي تصدر ببيروت في عددها الصادر في ٢٤ أبريل (نيسان) ١٩٥٠ وقال ما نصه :

« يحدثنا الامير عادل أرسلان أنه خاطب رئيس وفد سيام من أجل تأييد الحق العربي ، فقال له المندوب السيامي : لا لزوم لاقناعي ، فإني أؤمن بعروبة فلسطين ، وسوف أصوت باسم حكومتي ضد قرار التقسيم ، ولكن ، اسمع يا أمير ، انكم ـ أيها العرب ـ تبذلون جهودا ضائعة إذ تحاولون منافسة الولايات المتحدة الامريكية في اجتذاب وفود الدول بالامم المتحدة الى مناصرة قضيتكم العادلة ، ان للامريكان نفوذا على دول العالم لن تفيد إزاءه محاولاتكم ، أنا لا أقصد بكلامي هذا تثبيط عزائمكم ، ولكنني أصارحكم بالحقائق . . . لديكم أيها العرب ورقة قوية لم تلعبوها ، وهي الورقة الرابحة .

وسأل الامير عادل عن هذه الورقة ، فأشار رئيس الوفد السيامي إلى الامير فيصل آل سعود وزير خارجية السعودية يومئذ ، الذي كان جالسا في الصالون وقال : هل ترى هذا الامير بعقاله المذهب ، إنه يحمل الورقة الرابحة ، فلماذا لا يستعملها ؟ اذهب يا أمير عادل وقل للامير فيصل أن يشخص حالا ويقابل المستر جورج مارشال[1] وأن يهدده بقطع البترول السعودي عن امريكا إذا استمرت في سياستها بمناصرة اليهود . . . ويقول الامير عادل ارسلان في مذكراته إنه نقل رسالة الامير السيامي الى الامير فيصل آل سعود بنصها الحرفي ، وطلب منه باسم الوفود العربية أن يهدد امريكا بقطع البترول السعودي » .

ويعلق مؤلف الكتاب قائلا : « ولكن الرياض لم تهدد بقطع النفط » .

ونحن نرد على هذا المؤلف بسؤال أو أسئلة : ما القصد من التهديد بقطع

---

(١) كان يومئذ وزير الخارجية الامريكية .

النفط ؟ أليس حمل امريكا على الاقلاع عن تأييد مشروع التقسيم هو هذا المقصود ، فما تم ؟ .

ان المملكة العربية السعودية لم تعود الناس أن تفخر بأعمالها في سبيل مصلحة العرب والمسلمين ، وعلى سبيل المثال : ساعدت الحبيب بورقيبة ولم تتحدث ، وساعدت الجزائر في ثورتها بالمال والسلاح ولم تتحدث ، ولكن الذي تحدث هو الحبيب بورقيبة ، وممثل الجزائر في المملكة العباس الحسيني ، فقد كشف بورقيبة الامر وشكر ابن سعود وفيصل ، وأعلن أنهما ساعدا ثورة بورقيبة لتحرير تونس ، وأن أول مساعدة مالية تلقاها كانت من ابن سعود ، وأعلن العباس الحسيني أن المملكة فتحت خزائن سلاحها وما لها للجزائر لتأخذ منها ما تريد ، فأخذت ما تحتاج إليه ، واعترف فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة الجزائرية بأن أول مال تلقته كان من المملكة السعودية .

فمن أدرى ذلك الكاتب أن الرياض لم تهدد بقطع النفط ؟ .

يقول فرانك مانويل في كتابه « بين أمريكا وفلسطين » صفحة **١٩٥** ما نصه : « وبناء على هذه الانذارات والتحذيرات أعلنت امريكا في مجلس الامن في يوم **١٩٤٨/٣/١٩** عدولها عن التقسيم فكانت مفاجأة كبرى ووقعت على اليهود كالصاعقة » .

كيف حدث هذا التراجع المفاجئ من أمريكا ؟

ألم يكن القصد من التهديد بقطع البترول عن امريكا أن تعدل عن مشروع التقسيم ؟ نعم ، كان هذا هو القصد ، وقد وقع فعلا . فما السبب ؟ إذا كان فورستال والعسكريون الامريكيون ووزارة الخارجية الامريكية هي التي ضغطت على الحكومة فما سبب ضغطهم ؟ .

ما دام فيصل المعروف بصمته وبعده عن الفخر بأعماله ومساعيه فنحن لا نريد أن نشذ عما تعوده ، ولكننا نقول سائلين : ألم تقع النتيجة المتوخاة من التهديد بقطع البترول ؟ .

لقد وقعت النتيجة المتوخاة ، ولا نشك أن يد فيصل هي التي كتبتها .

ولم تقم المملكة السعودية في ذلك التاريخ بقطع البترول لان أسبابا كثيرة تحول دون ذلك ، لان القطع ما كان يؤدي الى ما يطلب منه ، فهناك بترول فنزويلا وايران ، وهناك بترول روسيا والكتلة الشيوعية وعلى رأسها رومانيا ، وحاجة روسيا سنة ١٩٤٨ إلى قيمة بترولها إذا باعته في السوق الامريكية كانت ملحة .

وعندما كان قطاف وقف البترول عن أمريكا دانيا ومحققا أقدم الملك فيصل على وقفه بعد أن مهد له بالانذارات المتكررة .

وما رآه الكاتب الامريكي مانويل من أن حاجة الدول العربية الى الدولار الامريكي كانت أكثر من حاجة امريكا الى البترول غير صواب ، فعندما كان وقف البترول عملا جليلا وضروريا قطع البترول ، وثبت نقيض ما رآه مانويل ، ثبت أن حاجة أمريكا الى البترول كانت أعظم من حاجة دول البترول العربية إلى قيمته ! .

فهل يرى مانويل أو الولايات المتحدة والدول الاخرى التي تشتري البترول أنها تشتريه لان العرب في حاجة الى قيمته فهم يساعدونهم بشرائه ؟ كلا ، لو كان الامر كذلك لما اشتروا من النفط قطرة ، ولكنهم يشترونه لأنهم هم في حاجة إليه أكثر من حاجة العرب إلى المال .

ولم يتجن العرب على أمريكا وغيرها من الدول التي تسير في فلك اسرائيل حينما قطعوا عنها النفط العربي ! وقد صرح الملك فيصل بأن فكرة العقاب لم تكن لتخطر على بال ، وهو حق ، فإنسانية الملك فيصل في غير حاجة الى دليل .

ولا يشك منصف بأن بترول العرب حق لهم وحدهم ، والذين يتزودون به يحيلونه سلاحا يضعونه في يد اليهود ليقتلوا به العرب ، فإذا وقف العرب بترولهم عن امريكا فسببه أنهم لا يريدون ككل الاحياء أن يسلموا أنفسهم طواعية واختيارا لمن يريدون قتلهم .

وعلى الولايات المتحدة أن تراجع نفسها ، فالعرب لم يكونوا قط في كل تاريخهم خطرا أو أداة تهديد أو ابتزاز على أحد . ولم يكونوا قط حاقدين على مخلوق ، بل كانوا وما زالوا وعلى الدوام كرماء ومفاتيح خير وبشرى رحمة للناس جميعا ، بل كانوا كرماء أسخياء انسانيين مع أعدائهم وأعدى أعدائهم اليهود .

يقول برتراند رسل أكبر فلاسفة عصرنا : « كان المسلمون خلال العصور أكثر مدنية وأرق قلبا من المسيحيين ، فقد اضطهد المسيحيون اليهود وبخاصة في عهود الاضطراب الديني ، وصاحبت الحروب الصليبية مذابح مروعة ، وذلك على نقيض ما كان في البلاد الاسلامية ، حيث لم يسئ أحد معاملة اليهود بأي معنى من معاني الاساءة »[1] .

فإذا اتسع قلب العرب بالرحمة لليهود أعدى أعدائهم وأعداء البشرية فذلك دليل على انسانية العرب التي ذهبوا بها دون العالم كله ، ومن كانت هذه انسانيتهم ورحمتهم مع أعدى أعدائهم فلا يعقل أن يكونوا غير رحماء مع الامريكيين والهولنديين وغيرهم ممن أيدوا اسرائيل وحاربوا العرب .

ولكن الحكومة الامريكية والحكومة الهولندية اللتين قطع عنهما البترول العربي كانتا ظالمتين معتديتين على العرب وحقوقهم وأوطانهم وشرفهم ، فمنعوا عنهما البترول الذي هو حق خاص بهم وملك لهم وحدهم .

وكان حريا بالحكومة الامريكية أن تعود باللائمة على اليهود الذين دفعوها الى التصدي للعرب ومحاربتهم في دارهم وحقهم .

ومنذ كانت قضية فلسطين والبيت الابيض والرئيس الامريكي والحكومة الامريكية تعادي العرب بدون حق ، وتحاربهم ظلما وعدوانا ، وتمكن لليهود في أرض عربية خالصة تسلبها من أهلها ، وتغتصب كل حقوقهم اغتصابا لم يعرف التاريخ له مثيلا ، ولولا الولايات المتحدة ماكان ليحدث ما حدث .

ورؤساء الولايات المتحدة ـ بخاصة ـ والسياسيون الامريكيون إلا النادر واقعون تحت سيطرة اليهود التي يطمع فيها رؤساء أمريكا رجاء أن توصلهم الى البيت الابيض ، فهم موثقون بقيود الصهيونية ، أوهم وضعوا أنفسهم في تلك القيود .

يقول الكاتب العالمي المشهور دوجلاس ريد في كتابه « من الدخان الى الخنق » : « ان السياسيين من غير اليهود في هذا العصر لا يثورون على هذه

---

(١) كتاب « تاريخ الفلسفة الغربية » لبرتراند رسل ، ٢ : ١٨٦ الطبعة العربية .

القيود ، وان الرئيس الامريكي يذعن لها بدلا من أن يكشفها مرة واحدة ولو أضاع الفرصة في دور من أدوار الانتخاب » .

ولكن الرئيس الامريكي حريص على ألا يضيع الفرصة ، ولهذا نراه مسخرا لخدمة الصهيونية التي أوصلته الى كرسي الرئاسة في البيت الابيض .

الشيوعية والرأسمالية تقيمان دولة اليهود

ابن سعود وفيصل يقفان في وجوههما في كل ميدان

كل البراهين تدل على أن الشيوعية وليدة الصهيونية ، وأن الشيوعية خاضعة للصهيونية ، تنفذ خططها وبرامجها بدقة ومهارة واخلاص لليهودية العالمية ، وموقف روسيا والكتلة الشيوعية من قضية فلسطين تؤكد أن الشيوعية تؤيد الصهيونية في كل ما تريد ، ولهذا تخذل العرب دائما .

وفي عهد ستالين نجد دول الكتلة الشيوعية تقف في وجوه المندوبين العرب ، وتجبههم بما يكرهون ، وتعلن معاداتهم جهارا ، وتعمل كل ما في وسعها لخذلان العرب ، وتؤيد الصهيونية ، وتدعي أن حق اليهود ثابت في فلسطين ، وتطلب فوق ذلك أن تعمل الامم المتحدة لصالح اليهود أنى كانوا ، بل نجد الاتحاد السوفياتي في عهد ستالين يطالب باعتبار « الوكالة اليهودية » دولة يهودية تمثل اليهود ، إذ لا يصح - في زعمه - أن يكون للعرب ممثلون ولا يكون لليهود من يمثلهم .

وفي مؤتمر يالطا تم بحث رغبة اليهود في اقامة وطنهم القومي في فلسطين ، ولم يشذ أحد من أقطابه ، فتشرشل صهيوني ، وكذلك روزفلت وستالين ، وأجمعوا على تحقيق حلم الصهيونية بسلب حق العرب واغتصاب جزء من وطنهم وهو

فلسطين ، ولم يكن أحد من هؤلاء الثلاثة مكبوح الجماح ، بل كان كل منهم متطرفا في مساعدة اليهود حتى تقوم دولتهم في أرض فلسطين العربية ، فقد طلب روزفلت من ستالين بحث قضية إنشاء الوطن القومي لليهود وطمعهم في فلسطين ، فرد عليه ستالين بصراحة وحزم : « ان الحل الصحيح ليس إقامة الوطن القومي ، بل إقامة دولة لليهود في فلسطين ، ونتعهد نحن بحمايتها »[1] .

وهكذا ثبت على لسان ستالين أن السوفييت هم الذين طلبوا إنشاء دولة لليهود في فلسطين عوضا عن الوطن القومي ، وجعلوا أنفسهم حماة لهذه الدولة .

وكل من روسيا وبريطانيا وأمريكا تسابقت إلى اكتساب تأييد اليهود والفخر بأنها هي صاحبة الرأي والجهد والمسعى والحماية ، والواقع أنهن جميعا شريكات ، وان روسيا أكثر تحمسا وتشددا .

ولم يكن الاتحاد السوفياتي وحده في هذا المذهب الذي ذهبه ، بل كانت كل دول الكتلة الشيوعية صفا واحدا وقلبا واحدا ويدا واحدة مع اليهود ، حتى يوغوسلافيا ـ صديقة بعض الدول العربية ـ في جميع مواقفها وأدوارها كانت مع اليهود إلا فيما لا يجدي العرب ، فهي في الامم المتحدة حيث توضع القرارات وتبرم الامور مع اليهود ، وفي غير أروقتها تقول كلمة تخدر العرب .

كل هذا يحدث من يوغوسلافيا في حين أن تيتو محط أنظار الاكبار والاجلال من بعض زعماء العرب ، وفي حين أن تيتو من أشد أنصار اليهود ، وبجهده وبجهود الشيوعية والرأسمالية خسر العرب قضيتهم العادلة في الهيئة الدولية وربح اليهود ما لا حق لهم فيه ، فاغتصبوا بتلك الجهود حق العرب الخالص .

ومن المفارقات العجيبة أن الشيوعيين أيدوا الصهيونية تأييدا مطلقا وحازما وجريئا ، وسفهوا العرب وتطاولوا عليهم بالشتيمة والسباب ، في حين أن الولايات المتحدة الامريكية راعية الصهيونية دفعتها لباقتها ودهاؤها أن تتريث وتعارض الشيوعيين ، لانها واثقة من أن ما تريد أن تقوله وتحققه للصهيونيين يتم على أيدي الشيوعيين ، بل قالوا وعملوا أكثر مما تريده الولايات المتحدة .

---

(١) راجع كتاب « يا قدس Ojerusalem » الطبعة الانجليزية والفرنسية .

وليس غريبا أن تتفق الشيوعية بكل دولها والغرب الرأسمالي بجميع دوله في الحكم لليهود على العرب ، وبدا الاتفاق وكأنه تحالف وثيق بين الشيوعية والرأسمالية في القرار المتخذ من قبل الجمعية العامة في يوم **٢٥** نوفمبر سنة **١٩٤٧** ـ وهو قرار نهائي لا يقبل النقض أو الاستئناف ، بل لا يقبل المراجعة ـ **فى مسألة تقسيم فلسطين .**

والشيء الذي يثير الدهشة والاستغراب أن تتفق الشيوعية والرأسمالية ومن زعموا أنهم على الحياد على قرار التقسيم الذي أحيل من الجمعية العامة إلى مجلس الامن ليتولى تنفيذ القرار واستعمالها ضد من يخل بالامن والسلام ، وهذا صريح في اتخاذ العنف والقوة والسلاح ضد العرب .

وظهر من قرار التقسيم أن كل الدول الكبرى في الجمعية العامة وفي مجلس الامن اتفقت اتفاقا صارما على تحقيق مطالب الصهيونيين والعزم المصمم على ضرب العرب إذا ما غامروا بمعارضة تنفيذ التقسيم بعد أن اعترضوا عليه .

وقررت بريطانيا الانسحاب التام وترك فلسطين لمن فيها في اليوم الاول من شهر أغسطس سنة **١٩٤٨** وعلى العرب واليهود أن يصفوا حسابهم ولا تبعة على بريطانيا كما حسبت ، وتغافلت عما أعدته لليهود من اسباب النصر المحقق وضياع العرب المؤكد ، فمنذ قيام بريطانيا بالانتداب على فلسطين أغلقت كل باب في وجه العرب وفتحته لليهود ، وحمتهم وأيدتهم وسلحتهم ومنحتهم كل الفرص منذ قدوم هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني المتعصب ليتولى منصب مندوب بريطانيا السامي في فلسطين .

وكان معاونوه من اليهود العتاة وعلى رأسهم اليهودي بنتوليش الذي تولى وضع القوانين والاشراف على السلطة التنفيذية لحقوق الانتداب البريطاني ، ويسر مع زملائه اليهود الذين يحكمون فلسطين باسم بريطانيا هجرة اليهود إلى فلسطين ، وتمكينهم من التجمع البشري اليهودي ومن تملك الاراضي ، وخزن الاسلحة ، وتفتيت القوة العربية ، وعمل كل ما يمكن اليهود كل التمكين من أرض فلسطين ومن خصومهم العرب .

ونعود الى التقسيم المجمع عليه لنذكر أن موقفا جديدا جرح الاجماع ، فقد

راجعت الولايات المتحدة الامريكية موقفها الذي انتهى مع غيرها إلى قرار التقسيم فرأت أن اصرارها عليه قد يعرض مصالحها البترولية للخطر كما يعرض « الاستراتيجية » الامريكية للخطر ، فأرادت اتباع سياسة جديدة يفضي إلى القصد والاعتدال والى عدم الغلو في تأييد الصهيونية ، وهذا معناه أن الولايات المتحدة ترغب في التساهل مع العرب .

وبرز مندوب الولايات المتحدة المستر اوستن فألقى خطبة غاية في الخطر بالنسبة لقرار التقسيم عبر فيها بالاصالة عن أمريكا وبالنيابة عن فرنسا والصين ، أما بريطانيا فقد تخلت عن المشاركة فبقي الامر في يد الدول الاربع الاخرى التي تملك حق النقض (الفيتو) وهي : الولايات المتحدة الامريكية ، وفرنسا ، والصين ، والاتحاد السوفياتي .

وأعلن المستر أوستن أن أمريكا تطلب رسميا العدول عن قرار التقسيم نهائيا ، وأن توضع فلسطين تحت الوصاية الدولية على شرط أن يحافظ على وحدة فلسطين .

وكان ما أعلنه المندوب الامريكي قنبلة ذهب تفجيرها بلب جروميكو مندوب الاتحاد السوفياتي وتصدى غاضبا للمندوب الامريكي ورد عليه في عنف لا مزيد عليه ، وأنكر الموقف الامريكي الجديد ، وطلب رفضه ، كما أصر جروميكو على أن يصر مجلس الامن والجمعية العامة وكل أجهزة الهيئة الدولية بكل قدراتها وقواها أن ترعى قرار التقسيم وتنفذه .

ولم يكتف جروميكو بكل هذا بل تجاوزه الى أن يطلب من الهيئة الدولية بكل ما تملك من سلطة أن تقوم بحماية الدولة اليهودية .

وقال جروميكو في الجلسة التي عقدها مجلس الامن في يوم ١٩ مارس سنة ١٩٤٨ في الرد على المندوب الامريكي وفيما جد في فلسطين من موقف الفلسطينيين المعادي للصهيونية وقرار التقسيم :

« لقد تدخل مندوب الولايات المتحدة منذ اللحظة الاولى التي انعقد فيها مجلس الامن فاقترح اعادة النظر في قرار الجمعية العامة الذي دعا إلى التقسيم واقترح العدول عنه وإيجاد حلول أخرى ، وانني أؤكد بكل قوة على أنه ليس من حق

مجلس الامن أن يبدل من قرارات الجمعية العامة ، فقرار التقسيم يجب أن يظل كما هو ، ولا يمكن أن يتناوله التغيير أو التبديل أو الاهمال أو العدول عنه » .

وكان موقف الاتحاد السوفياتي هذا موقفا غاية في الشذوذ ، ودليلا على أن الشيوعية وليدة الصهيونية حقا ، فهي تدافع عن أمها دفاعا غاية في القوة ، ولا يمكن أن تتخلى عنها ولو تخلى العالم كله عنها .

وغضب مندوب الوكالة اليهودية الحاخام آبا هيلل سليفر من موقف المندوب الامريكي ، ووقف بجانب جروميكو واتحد معه في هجوم عنيف كل العنف شنه على أمريكا ومندوبها وقال : ان هذا الموقف الجديد طعنة شديدة لليهود وللحركة الصهيونية .

وتلا مندوب الوكالة اليهودية القرارات التي اتخذتها الهيئات اليهودية العالمية ، وانتقد بعنف بالغ موقف الولايات المتحدة ، ثم أعلن رفضه كل حل امريكي يفضي الى العدول عن التقسيم .

وكثر هجوم جروميكو على موقف أمريكا وطلبها العدول عن قرار التقسيم ، وحشدت الصحافة الصهيونية في أوروبا وأمريكا ومعها الصحافة الشيوعية في موسكو وفي كل الاقطار الشيوعية تؤيد مندوب الوكالة اليهودية وجروميكو ، وتهاجم أمريكا ، حتى أعاد جروميكو الكرة بعد الكرة وألقى خطبة عنيفة أعاد فيها الهجوم على موقف أمريكا في جلسة يوم **٣٠** مارس سنة **١٩٤٨** وندد به كل التنديد واستنكر الحل الذي اقترحه المندوب الامريكي الذي يرى اقامة وصاية دولية « مؤقتة » على فلسطين تحمي وحدتها ، ومما قاله جروميكو في هذه الجلسة :

« اننا نلقي التبعة كلها على الولايات المتحدة الامريكية في أي عرقلة وافساد لمشروع التقسيم ، وان الولايات المتحدة الامريكية لم تغير موقفها إلا بدافع حرصها على المصالح البترولية وخطر الاستراتيجية العسكرية التي للشرق الادنى » .

ثم قال : « أن على أعضاء مجلس الامن جميعهم أن يدركوا بأن هذا التبدل المستجد الذي تقوم به الولايات المتحدة إنما مرده الى البترول والاستراتيجية الخ » .

وطال الصراع بين أمريكا والاتحاد السوفياتي بعنف ، ونشبت بينهما حرب جدل عنيف ، وأصرت أمريكا على موقفها ، وقدم مندوبها قرارين في الجلسة المنعقدة في اليوم الاول من أبريل سنة ١٩٤٨ دعا الاول منهما الى وقف الصراع بين العرب واليهود في أرض فلسطين ، والاخر يدعو الجمعية العامة للأمم المتحدة للانعقاد في دورة استثنائية خارج الموعد العادي السنوي لدوراتها ، ووافق مجلس الامن على هذين القرارين ، وكان المجلس حينئذ مؤلفا من احدى عشرة دولة وهي : الدول الخمس الكبرى التي لها وحدها حق النقض (أمريكا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والصين ، والاتحاد السوفياتي) وسوريا ، والارجنتين ، وبلجيكا ، وكندا ، وكولومبيا ، وأوكرانيا ، ولم يلق بالا لمعارضة المندوب السوفياتي ، وشذ مندوب الاتحاد السوفياتي وتابعته أوكرانيا ، عارضا المجلس ، ووقفا من القرارين موقف المخالفة والاعتراض والحرب ، واستماتا في الدفاع عن قرار التقسيم ، واعلان الحرب على كل موقف أوحل يعارض تنفيذه أويعرقله أويؤخره عن الاجل المسمى ، والنضال القوي من أجل نصر الوكالة اليهودية والصهيونية العالمية اللتين أصرتا على قرار التقسيم .

ولم يكن موقف الاتحاد السوفياتي الذي وقفه من المشروع الامريكي الجديد إلا اعلانا صريحا للحرب ضد العرب ، والتأييد الجبار المطلق للصهيونية ، وليس ذلك بغريب على الشيوعية أن تنصر الصهيونية ، وأن تحشد كل جهودها وطاقاتها في هزم العرب ودحرهم ونصر اليهود ، لان من حق الوليد على أمه أن تنصره وألا تتخلى عنه .

وبينما الاتحاد السوفياتي يبذل كل ما في وسعه من أجل ضمان قيام دولة يهودية في فلسطين دخلت قوات عربية من سبع دول عربية إلى فلسطين وحمايتها فجنت الشيوعية العالمية أشد من جنون الصهيونية ، وطالبت الشيوعية ممثلة في الاتحاد السوفياتي بتمزيق وحدة فلسطين الجغرافية وإلغاء حماية الامم المتحدة لهذه الوحدة ، واشتد الصراع بين الاتحاد السوفياتي والامريكيين ومن معهم من الاعضاء .

وكان رئيس دورة مجلس الامن في هذه الفترة العصيبة في تاريخ الهيئة الدولية

السنيور لويز مندوب كولمبيا الذي كان ممن رضوا عن وجهة النظر العربية ، وتقدم بمشروع قرار إلى مجلس الامن يطلب فيه أن تتولى الامم المتحدة رسميا إلغاء قرار التقسيم ، واتخاذ الاجراءات التي تحقق هذا الالغاء ، والدعوة إلى هدنة تقف القتال الناشب بين العرب واليهود في فلسطين .

وكان الاتحاد السوفياتي دائم الهياج وشديده بعد الموقف الامريكي وأخذ هياجه يزداد على مر الايام ، وصب كل ما في الشيوعية والصهيونية من حقد وبغض للعرب على العرب وحدهم ، وحمل عليهم جروميكو حملات متكررة غاية في العنف والبشاعة ، وقرن بمعارضته لمشروع كولمبيا حربا من الشتائم القذرة وجهها للعرب ودولهم المشتركة في الحرب ضد اليهود بأرض فلسطين العربية ، وقال جروميكو في خطبته التي ألقاها بمجلس الامن في جلسته المنعقدة في يوم ١٦ أبريل سنة ١٩٤٨ :

« من الضروري انسحاب العصابات العربية المسلحة التي غزت أرض فلسطين ومنعها من القيام بمثل ذلك في المستقبل » .

وقدم جروميكو رسميا مشروع قرار بذلك ، وأخذ يهاجم العرب والدول العربية ويشتمهم في كل مرة وعلى كل منبر ، ومن شتائمه في جلسة مجلس الامن المنعقدة في ٢٣ أبريل سنة ١٩٤٨ قوله :

« من المحال تحقيق الهدنة في فلسطين ما دامت العصابات والوحدات العسكرية (العربية) جاءت من الخارج إلى فلسطين لشن الحرب واحلال الخراب ، ومعارضة الامم المتحدة في مشروع التقسيم » .

و « ان على الامم المتحدة أن تنزل بالعرب العقاب الرادع الذي يعيد اليهم رشدهم » .

و « ان الاقتراح الامريكي الضعيف لا يحول بين المعتدين العرب وبين ضمان السلم والامن في فلسطين ، بل يهدر مصالح الشعب اليهودي » .

وقال جروميكو قبل ذلك في ١٩ مارس سنة ١٩٤٨ :

« ان الذين يشكون من ان هناك تسربا يهوديا متواصلا الى فلسطين في هذه

الايام إنما هم يتحاملون على حق اليهود ويهدرون مصالح الشعب اليهودي في وطنه » .

و « ان من حق اليهود أن يجدوا معاملة خاصة مستثناة ، ومن حقهم أن يجدوا الرعاية كلها الخ » .

وفي جلسة مجلس الامن في **٣٠** مارس سنة **١٩٤٨** قال جروميكو :

« موقف السوفيات من التقسيم موقف المؤيد المناصر له العازم على تنفيذه ، والتقسيم مشروع عادل ، لانه يحقق آمال الشعب اليهودي » .

وإذا أردنا ان نستشهد بأقوال جروميكو لاحتجنا الى كتاب كبير ، وخلاصة أقواله هجوم بشع عنيف على العرب ، وشتم الدول العربية ووصفها بأنها عصابات معتدية ، وحمية ليس كمثلها حمية للصهيونيين ، **وادعاء سافر** بأن فلسطين وطن اليهود ، والعمل لاقامة دولة **يهودية ضرورة حتمية** .

وأصيب الاتحاد السوفياتي بحمى شديدة هي حمى الصهيونية ، وأعلنت صحافة الشيوعية والصهيونية أعنف حرب دعائية على الولايات المتحدة وعلى العرب البغاة المعتدين في فلسطين على حق الشعب اليهودي في وطنه ، كما اتفقت كل الدول الاشتراكية برئاسة الاتحاد السوفياتي ضد العرب وبخاصة عرب فلسطين الاصلاء ، وجمعت كلمتها وصفوفها في وحدة متماسكة وشنت حربا ضروسا جبارة على العرب ، ووصفتهم بالاجرام والاعتداء على فلسطين وطن اليهود .

وتطورت القضية الفلسطينية وكانت راية الشيوعية وكل دولها تظلل الصهيونية وتتحدث عنها ، وتحمل على كل معارض لها ، فحملت الدول الشيوعية على الغرب الذي كان ميالا لانصاف العرب حملات متتابعة ، ولم يخفف من غلوائها قيام الدولة الاسرائيلية ، بل أمعنت في التجني على الحق العربي الصريح ، وأسرفت في تأييد الصهيونية .

وما دامت روسيا الشيوعية تؤيد الصهيونية في قيام دولة يهودية في فلسطين فمن البديهي أن تنهج كل الحكومات الشيوعية نهج سيدتها الكبرى روسيا ، ومحاضر جلسات الامم المتحدة زاخرة بهذا التأييد المطلق وبالعداء العنيف للعرب والحقد

على حكوماتهم ، وركوبها إياها بالسخرية والشتائم والسباب ، فعلى سبيل المثال قال مندوب تشيكوسلوفاكيا :

« ان موقف الدول العربية هنا هو موقف عناد لا مسوغ له ، وان اليهود هم الذين في حاجة الى عوننا لا العرب » .

وقال : « ان وجود دولة يهودية في فلسطين سيساعد على تطور الحركات والنظم الديمقراطية في كل الشرق الاوسط » .

وقال مندوب يوغوسلافيا :

« ان سبب الخلاف بين العرب واليهود هو أن العرب يفتقرون الى النظم الديمقراطية الاشتراكية التي يعلم عنها اليهود الشيء الكثير ويمارسونها ويطبقونها ، وسيكون من شأن عرب فلسطين وعرب الشرق الاوسط كله الافادة والاقتداء بهذا الميراث الديمقراطي الذي يجيده اليهود » .

ولم يقف مندوب يوغوسلافيا عند هذا الحد ، بل تجاوزه إلى أكثر من ذلك مثل كل مندوبي الحكومات الاشتراكية ، فقال :

« يجب ان نعترف هنا بأن قرار التقسيم نفسه لا يحقق للصهيونية كل أهدافها وكل حقوقها في فلسطين ، فنحن إذ ندعو الى قبول مشروع التقسيم فإننا نمنع عن الحركة الصهيونية بعض حقوقها ، وعلى العرب ان يقدروا مبلغ تضحية اليهود عندما يقبلون مشروع التقسيم ، فالحركة الصهيونية قد أبدت تعقلا وسماحة نحو العرب ، وعلى العرب أن يبادلوا هذه السماحة بمثلها » .

ووجه مندوب بولونيا كلامه الى العرب قائلا : « صدقوني أيها الزملاء ان انتصارنا في قضية اقامة الدولة اليهودية في فلسطين سيفتح لنا جميعا آفاقا واسعة لنتعاون في تحرير دياركم من الاستعمار ، فهنالك مصالح كثيرة مشتركة بين العرب واليهود في النضال ضد الاستعمار على أساس المبادئ الاشتراكية » .

وقد أدركت أمريكا أن وراء تأييد الشيوعية طمع روسيا في الدخول الى المياه الدافئة تحقيقا لاحلامها الاستعمارية القديمة فقاومته ، ولكن الصهيونية انتصرت فقامت لليهود دولة في فلسطين العربية .

ولم تناصر حكومة شيوعية قط حق العرب في فلسطين ، بل كانت كل الحكومات الشيوعية تذهب في عداء العرب إلى حد التطرف ، وتعمل كل ما في وسعها وأكثر مما في طاقتها لتحقيق كل أحلام الصهيونية .

ومع أن تقاربا شديدا تحقق بين يوغوسلافيا ومصر ، وقامت بين حكومتيهما ورئيسيهما صداقة متينة فإن موقف يوغوسلافيا الرسمي من العرب واليهود لم يتغير إلا في مصلحة اليهود .

فتيتو رئيس يوغوسلافيا كان يسير في خط الصهيونية وكأنه مندوبها وممثلها ، وكذلك روسيا التي ازدادت صلاتها ببعض رؤساء الحكومات العربية لم تجاملهم ، بل أمعنت في تأييد الصهيونية إلى أبعد الحدود .

وقام هؤلاء الزعماء العرب بأكبر عملية تضليل للامة العربية ، فقد زعموا ان الاتحاد السوفياتي صديق العرب ومؤيدهم وناصرهم وعدو الصهيونية الاول ، مع أن هذا الزعم باطل من أساسه وفي جملته وتفصيله .

ولم يكن أولئك الزعماء العرب يجهلون تأييد الاتحاد السوفياتي لدولة اسرائيل والصهيونية ، بل كانوا على يقين من هذا التأييد المطلق الذي لا يحد ، فقد كان بعض اليهود من أقطاب الاتحاد السوفياتي ينوبون عنه في الحديث مع أولئك الزعماء الذين كانوا على علم بيهوديتهم ، ويظهر أنهم كانوا في حقيقتهم من مؤيدي الصهيونية ، لانهم مكنوا دولة اسرائيل من الانتصار على العرب انتصارا مبينا .

وكانت الشيوعية بكل دولها أسبق الدول طرا في الاعتراف بدولة اسرائيل ، بل كانت أوكرانيا الشيوعية أسبق دولة على الاطلاق إلى الاعتراف بدولة اسرائيل عندما كانت كل الدول غير معترفة بها .

ففي شهر يوليو سنة ١٩٤٨ كانت رئاسة مجلس الامن من نصيب أوكرانيا السوفياتية ، وكان مندوبها الرفيق مانويلسكي ، وفي جلسته المنعقدة في ٧ يوليو سنة ١٩٤٨ كان موضوع البحث قضية فلسطين ، وأشد ما دهش له مندوبو المجلس أن رئيس الدورة الاوكراني نادى مندوب الوكالة اليهودية باسم مندوب حكومة اسرائيل ، وأعطاه بهذا النداء صفة الاعتراف الرسمي من قبل مجلس

الامن بدولة اسرائيل التي لم يكن قد اعترفت بها دولة ، ولكن الشيوعية اتخذت كل أساليب الغش والخداع والمكر والمباغتة والتضليل كما اتخذت خطة حرب ضد الدول العربية والعرب وبخاصة الفلسطينيين .

ولم يسبق أوكرانيا في الاعتراف بحكومة اسرائيل غير الاتحاد السوفياتي ، ولئن سبقها فيه فإن أوكرانيا وقفت في مجلس الامن موقفا عنيدا ضد كل الدول الاعضاء فيه في هذه الدورة ، وأرادت أن تفرض على هذه الدول وكل دول العالم الاعتراف الصريح بحكومة اسرائيل في فلسطين .

ولما اختار مجلس الامن الكونت برنادوت ليكون الوسيط الدولي حول مراقبة الهدنة ، ووقف القتال بين العرب واليهود ، وتقديم ما يرى من حلول لقضية فلسطين كان موفقا في اختيار انسان يتمتع بالنبل والعدل والصراحة التي دفعته لترجيح حق الجانب العربي ، فثار الاتحاد السوفياتي ، وأصاب مندوبه جروميكو الجنون ، وبلغ به الهياج أبعد مداه فصرخ في مجلس الامن قائلا :

« ان برنادوت عميل للاستعمار البريطاني ، وإنه عدو الحق اليهودي في فلسطين ، وإن رأيه في التعديلات الجغرافية لخارطة التقسيم ينسف كل أمل لليهود في إقامة دولتهم بفلسطين ، وإن برنادوت متحيز للعرب على حساب اليهود » .

وقامت دولة الصهيونيين في فلسطين بجهود الشيوعية والشيوعيين ، ومع أن أمريكا تعد راعية الصهيونية فإنها اعترفت بدولة اسرائيل يوم اعلانها وذلك في ١٥ مايو١٩٤٨ وكانت ـ حقا ـ أول دولة تعترف بها ، إلا أن اعترافها لم ـيكن اعترافا رسميا يقضي بتبادل التمثيل الدبلوماسي ، بل هو اعتراف بالامر الواقع ، ولا يترتب عليه أن يكون بين الدولتين تبادل أي لون من ألوان التمثيل السياسي .

ومن الحق أن نذكر ان الاتحاد السوفياتي تأخر عن الولايات المتحدة بضع سويعات ، ولكن لهذا التأخر سببا أجبر الاتحاد السوفياتي عليه ، وهو اتمام اجراءات الاعتراف ، لانه اعتراف كامل بالدولة اليهودية مع تبادل التمثيل التام على جميع مستوياته وبكل صنوفه .

وموقف روسيا هو نفسه موقف كل الدول الشيوعية التي انضمت الى

الصهيونيين ، وحاربت عنهم كل مناوئي دولتهم قبل قيامها وبعده وفي طليعتهم الامريكيين ، وحمت دولتهم بكل قواها .

ولا شك أن هذه الحمية من قبل الشيوعية للصهيونية تؤكد الرابطة الوثيقة التي لا يمكن أن تنفصم منذ وجدتا ثم منذ أن قامت للشيوعية دولة في روسيا ، وإذا كانت تلك الرابطة لا يمكن أن تنفصم فإن كل الاحداث يؤكد هذه الرابطة ويؤكد دوامها ما دامت الام ووليدتها على قيد الحياة .

والارتباط الوثيق بينهما في غير حاجة إلى برهان بعد أن أوضحناه بما يقضي على كل شك ، وليس غريبا أن يكون بينهما ذلك الارتباط ، بل الغريب ألا يكون ، فكلتاهما مسقط اليهودية اللئيمة ، وكلتاهما مذهب هدام لا مثيل له في تاريخ العالم القديم والحديث حتى اليوم وفي المستقبل .

ويجب على العرب أن يصحوا من غفلتهم ، وأن يتنكروا لزعمائهم الذين ساروا في خط الشيوعية مع ركبها الشيطاني ، وأن يوحدوا صفوفهم ضد الشيوعية التي هي وليدة الصهيونية .

وإذا كانت الشيوعية قد أسست دولة اسرائيل بعد أن هيأت بريطانيا لهذا التأسيس فإن انضمام الولايات المتحدة الامريكية الى الشيوعية لتأييد اليهودية ضد الحق العربي يقيم الدليل على أن الصهيونية والشيوعية ملة واحدة ، وقد صدق بريتون في قوله بكتابه « **الصهيونية والشيوعية** » :

« وأما الحقيقة الراهنة فهي أن الصهيونية والشيوعية صنوان منبعهما واحد ، وغايتهما واحدة ، وجوهرهما واحد ، والفئة التي تقوم عليهما من وراء الستار واحدة ، وما اختلافهما الظاهر سوى ترتيب « مؤقت » اقتضاه النجاح في السعي الى الغاية الواحدة ، حتى إذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا معا بالسيطرة على العالم » .

ولم يؤثر قط عن الشيوعية أن اختلفت مع الصهيونية ، بل الوفاق بينهما على أعظم ما يكون الوفاق ، وسياسة الاتحاد السوفياتي صريحة وواضحة بالنسبة للصهيونية ، فهي تشيد بها ، وتشيد بدولة اسرائيل التي تدين للشيوعية بميلادها وقوتها وانتصارها على العرب .

فمنظمات الارهاب اليهودية في فلسطين مثل الارغون زفاي ليومي مؤلفة في قياداتها وأعضائها من اليهود الروس والسوفيات ثم من دول المعسكر الشيوعي الاوروبي ، وهذه المنظمات هي التي قامت بمذبحة دير ياسين ، وغيرها ، وهي التي شردت في سنة واحدة حوالي مليون فلسطيني .

وجيش اسرائيل في حروبها مع العرب في سنة ١٩٤٨ و١٩٥٦ و١٩٦٧ كان أكثره من اليهود الذين كانوا بجيش الاتحاد السوفياتي والمعسكر الشيوعي ، وأكثرهم يهود سوفيات .

وأول سلاح تسلمه اليهود في فلسطين قبل اعلان دولتهم كان من الاتحاد السوفياتي ، وفي هدنة سنة ١٩٤٨ تدفقت الاسلحة الروسية على دولة اسرائيل ، وبفضل السلاح الروسي واليهود الروسيين الآلى ألفوا أقوى فيالق اليهود انتصرت اسرائيل على العرب وما زالت تنتصر في ميدان السياسة والحرب ، وبفضل الاتحاد السوفياتي - أولا - انتصرت على العرب في حرب يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ .

والشيء الذي يدعو إلى الاسى موقف اليسار العربي والاشتراكية العربية من الاتحاد السوفياتي ، وهو - أولا - موقف العبد الضعيف من سيده العاتي الجبار ، و - ثانيا - موقف التضليل لشعوب الامة العربية التي يغشاها الجهل والبله ، و - ثالثا - موقف التأييد الفعلي لاسرائيل ، إذ ساعدتها الاشتراكية العربية في الانتصار المبين على العرب بمحاربتها لما تسميه الرجعية العربية ، وتقديم قواتها العسكرية هدية لدولة اليهودية التي قضت على هذه القوات في ساعات ، واحتلت أراضيها وأراضي غيرها في بضعة أيام .

والاشتراكية العربية - بما فيها اليسار العربي - على علم دقيق وواسع بتأييد الشيوعية أو الاشتراكية السوفياتية للصهيونية ودولة اسرائيل ، ولكنها تخفي ذلك عن العرب ، وتنشر ما ليس بحق وهو أن الاتحاد السوفياتي صديق العرب وعدو اسرائيل ، تريد من هذا الكذب أن تجعل العرب يرتمون في حضن الاتحاد السوفياتي باعتباره الصديق والمؤيد والمنقذ ، في حين انه العدو التقليدي الاول للعروبة وأبنائها دون استثناء .

لم يقف تأييد الشيوعية التي يمثلها الاتحاد السوفياتي على الميدان السياسي وعلى أروقة الامم المتحدة وعلى الصحافة والمنابر والمناورات والغدر ، بل تجاوزه الى التأييد والمساندة بالسلاح ليقتل اليهود أبناء فلسطين من الشيوخ والاطفال والنساء ، ويقضوا على الجيوش العربية التي دخلت فلسطين لتحميها من السطو اليهودي .

وأول مساندة عسكرية لاسرائيل جاءت من روسيا ، وعليها وحدها قامت الحرب ، وبسببها ـ مضافة إليها أسباب أخرى ـ كسبت اسرائيل جولاتها الحربية على العرب .

وهذه المساندة العسكرية الشيوعية يمثلها اليهود الروس الذين انحدروا من الاتحاد السوفياتي قبل أن تقوم لاسرائيل دولة ، فقد تمت الهجرات اليهودية من روسيا منذ الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ ثم ازدادت بعد الثورة ، وكان أكثرهم من الجنود المدربين تدريبا عاليا ، وفيهم من اشتركوا في الحرب الكبرى الاولى ، وتوالت هجرات اليهود الروس وتتابعت حتى قام الجيش اليهودي على كتائب معدودات من هؤلاء المهاجرين اليهود من روسيا ، ثم تأسست فرق معدودة من سلاح المدرعات والطيران والصواريخ وغيرها ، وأكثر أفراد الجيش من يهود الاتحاد السوفياتي إلا القليل .

ولا نريد أن نغرق القارئ العربي أو المسلم وأي قارئ في خضم من البراهين على اثبات ما نذهب إليه ، ففيما ذكرنا الغناء ، وتختم البراهين الموجزة ببرهان يكفي لادانة الاتحاد السوفياتي في عدائه للعرب ومصافاته الود والولاء لدولة اسرائيل .

كان ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل في زيارة لفرنسا في شهر يونيه (حزيران) سنة ١٩٦٤ لشراء أسلحة فرنسية ، وانتهز مراسل جريدة « معاريف » اليهودية التي تصدر في تل أبيب تلك الفرصة فأجرى حديثا صحفيا نشرته « معاريف » ونقلته الصحافة السوفياتية وصحف العالم ووكالات الانباء إلا العربية .

وكان هذا الحديث الصحفي مع الملحق العسكري السوفياتي بسفارة الاتحاد السوفياتي بباريس ، وأجرى في يوم ٢٢ يونيو سنة ١٩٦٤ .

ومما لا شك فيه أن تصريحات الملحق العسكري يمثل وجهة نظر الحكومة السوفياتية وسياستها نحو العرب واليهود ، وهذا بديهي ، لان أي مسئول سوفياتي لا يمكن أن يصرح إلا بما هو مملى عليه من السلطة العليا الحاكمة .

وهذا نص فقرات من الحديث الصحفي الذي أدلى به الملحق العسكري السوفياتي لمراسل « معاريف » في باريس :

« تستطيع اسرائيل أن تشتري السلاح من الاتحاد السوفياتي وليس من المصادر الغربية وحدها ، فالامر بالنسبة لنا المتاجرة ببيع السلاح في صفقات تجارية ، فنحن نبيع الجمهورية العربية المتحدة وغيرها من الدول التي تبحث عن السلاح .

وليس في تعاملنا التجاري بالسلاح مع مصر أي التزام بالنسبة للمشكلة الفلسطينية ، فنحن على أوثق الصلات مع اسرائيل ، ولم يصدر عنا قط ولن يصدر عنها أي عمل أو عون أو تواطؤ مع مصر أو مع غيرها مما يضر بالكيان السياسي المستقل لاسرائيل .

هذه هي القاعدة الراسخة في السياسة السوفياتية نحو الشرق الاوسط .

ونحن نشارك العرب في كفاحهم الاستعمار والرجعية العربية وحدها ، ولا نشاركهم بل لا يمكن أن نشاركهم في العدوان على اسرائيل .

ولقد كان موقفنا منذ البداية معارضا معارضة شديدة للعدوان العربي الرجعي في أكثر من العمل الدبلوماسي في الامم المتحدة لتأييد اسرائيل ، وقد أعربنا عن تأييدنا لاسرائيل بالسلاح والعتاد والرجال عندما كانت الازمة الفلسطينية على أشدها يوم كانت حركة التحرير الوطني اليهودية في أشد الحاجة الى هذا العون .

وما قدمناه أو نقدمه للجمهورية العربية المتحدة اليوم من سلاح إنما هو لاغراض دفاعية وليس غير الغرض الدفاعي ، ولا يمكن بحال من الاحوال ان نسمح باستعماله للعدوان على اسرائيل .

وليس لدى موسكو أي رغبة أو حتى مجرد التفكير في منع السلاح السوفياتي عن اسرائيل إذا أبدت حاجتها إليه ، ولكن اسرائيل الآن ليست بحاجة الى سلاح السوفيات ، فهي تحصل على حاجتها وما يفوق حاجتها من السلاح من مصادر صالحة لحاجة اسرائيل ، وليس لدينا أدنى معارضة على هذا المسعى الاسرائيلي ، ونحن نريد سلامة اسرائيل ، بل نعمل لسلامتها ، فلا تقلقوا من السياسة السوفياتية في المنطقة العربية ، فهذه السياسة متممة بل ضرورية لسلامة اسرائيل » .

وختم الملحق العسكري السوفياتي حديثه قائلا :

« أتظن أننا جاهلون « أهمية » اسرائيل بالنسبة لنا ؟ أتظن أننا لا نعلم علم اليقين ما نوع الحكم الاشتراكي السليم الذي تبنونه في اسرائيل بسواعدكم في المنطقة المهمة ، في الشرق الاوسط .

« وهل يدور بخلدك أننا مجانين حتى نهدم اسرائيل أو نسمح لاي طرف آخر بأن يمسها بأي أذى ؟ اطمئنوا ، وثقوا ان الاتحاد السوفياتي مع اسرائيل ، وسيؤيدها اليوم وغدا كما أيدها ورعاها بالامس .

« ان وجود اسرائيل قوية وعزيزة حيث هي الآن أمر جد ضروري لسياسة السوفيات في كل المنطقة العربية ، فمصالحنا ومصالح اليهود في اسرائيل واحدة .

وكونوا على ثقة من أننا نرعى الاشتراكية العربية لان في ذلك تعزيزا لمصلحة اسرائيل مثلما هو تعزيز لمصلحتنا نحن السوفيات » .

وما بعد هذا القول مجال للشك في أن دولة اسرائيل قوة للشيوعية في المنطقة العربية كلها ، وتمهيد لبلشفتها ، وأن الشيوعية لا ترعى الدولة اليهودية وحسب ، بل تحميها ، وتحافظ على وجودها ، لان المصلحة الشيوعية في ذلك هي نفسها المصلحة اليهودية .

وإذا كانت أبواق الدعاية الشيوعية في العالم العربي تعلن ليل نهار أن اسرائيل « قاعدة الاستعمار » فالشيوعية السوفياتية لا تريد أن تنبه العرب إلى خطر اسرائيل ، بل تريد أن تشغل العرب بالصراع الدونكيشوتي مع الاستعمار لكي

توجد الفرصة لاسرائيل وتعطيها حتى تكسب المزيد من الارض العربية ، وتغنم فوق ذلك السيطرة على العالم العربي ، لان سيطرة الصهيونية هي سيطرة الشيوعية .

وما تزال لدى العرب فرصة للصحو من الافيون الشيوعي الذي خدر كثيرا من زعمائهم وأدبائهم وشعرائهم وأرباب القلم والصحافة والسياسة والفكر وأساتذة الجامعات والطلبة والعمال فأخذوا في صوغ المديح للشيوعية أو الاشتراكية ، وطفقوا يعملون لالقاء شعوبهم بين مخالب الشيوعية أو الصهيونية لتفترسهم هم وشعوبهم وما يملكون .

بل لدى العرب فرص وليست فرصة واحدة للصحو إذا أرادوا أن يعيشوا في وطنهم الغني بكل موارد النعمة والثراء التي أنعم الله بها عليهم أعزة أحرارا .

ولن تتاح للعرب حياة العزة والحرية والرخاء المادي والروحي والكرامة إلا إذا انتصحوا بنصح الملك فيصل الذي والى لهم النصح ، ونبههم إلى خطر الصهيونية ووليدتها الشيوعية على الانسان كل الانسان وعلى كل القيم الرفيعة والاخلاق والاديان والكرامات والحريات .

إذا أراد العرب ـ حقا ـ الحرية والمجد والاستقلال والغنى فما عليهم إلا أن يسيروا وراء الملك فيصل ليحقق لهم الآمال والاشواق الانسانية فيعيشوا أعزة أحرارا كراما في أوطانهم .

وما أشك أن في اتباع آراء الملك فيصل الصائبة وسياسته الرشيدة النجاح كل النجاح للعرب على اليهود في الحرب التي هي واقعة قريبا ، لان مطامع الصهيونية لا تقنع بما احتلوا من الارض العربية ، بل تريد المزيد منها ، فإذا أخذوا برأيه واتبعوا سياسته فسينتصرون بإذن الله وإلا فعلى أنفسهم يجنون .

ابن سعود يستعد لحرب اليهود

أخذت الحوادث تتطور في فلسطين ، واجتمعت كلمة الاستعمار والصهيونية والرأسمالية والشيوعية على قيام دولة اسرائيل ، وأعدت العدة لذلك انتظارا لليوم المرتقب الذي ينشب فيه القتال بين العرب واليهود .

وصمم ابن سعود أن يخوض المعركة بنفسه ، ويتولى قيادة جيشه ، وأن يكون في طليعة قواته كما كان يفعل في حروبه .

وجيش البدو في مملكة ابن سعود يعد بمئات الالوف ، ولا يكلف جمعه وإعداده وتهيئته زمنا طويلا ، فيكفي أن يرسل رسلا وكتبا الى شيوخ القبائل فيجتمع المقاتلون في أقرب وقت وأقصره .

وأصدر ابن سعود أمره الى أولئك الشيوخ بتجنيد المقاتلين الراغبين في الجهاد ، وجعل « الجوف » مكانا لاجتماع الجيوش السعودية من كل المملكة ، وفي خلال بضعة أسابيع اجتمع في الجوف عشرات الالوف من القادرين الشجعان المتلهفين الى قتال اليهود .

وبينا المتطوعون يفدون الى الجوف كانت الادارة البريطانية بفلسطين تتهيأ لمغادرتها ، وترك اليهود والعرب يحلون مشاكلهم بأنفسهم ، بعد أن مكنت بريطانيا اليهود ، وقوتهم ، وأعطتهم السلاح ، ويسرت لهم سبل الاستيلاء على جميع الاراضي الحكومية ، وشردت العرب واضطهدتهم وقتلت منهم الآلاف ، وقرر

ملوك العرب ورؤساؤهم خوض غمار الحرب ، وأخذت كل حكومة من الحكومات العربية تستعد ليوم المعركة في فلسطين .

أما ابن سعود فقد استطاع بكلمة منه أن يحشد في الجوف أكثر من مئتي ألف مقاتل يريدون الموت في فلسطين وصمموا على أن يموتوا ، وأعدت العدة لسفرهم .

وقبيل نشوب القتال بين العرب واليهود طلب السفير البريطاني بجدة مقابلة القائم بشؤون وزارة الخارجية السعودية (وكان حينئذ الاستاذ خير الدين الزركلي) وقابله بعد الثلث الاول من الليل ، فأبلغه السفير البريطاني أنه تلقى رسالة شفوية من المملكة الاردنية الهاشمية تتضمن أنها أخذت علما بنبأ الحشود المتجمعة على الحدود الاردنية ، فإذا كان القصد من تجمعها هو الزحف الى فلسطين عن طريق الاردن فسوف يترك قتال اليهود وينثني الى تلك القوات (السعودية) لمقاتلتها .

وما أشك في أن هذا المتحدث مع السفير البريطاني كان جلوب باشا البريطاني ، فهو - كما مر في أحد فصول هذا الكتاب - من المتواطئين مع الصهيونية .

ونشبت الحرب بين اليهود والعرب في شهر مايو (أيار) ١٩٤٨ (رجب ١٣٦٧ هـ) ولم يستطع ابن سعود أن يقود جيشه الذي أعده لدخول فلسطين ، لان بين البلاد السعودية وفلسطين تقع المملكة الاردنية الهاشمية التي هددت بالحرب ضد تلك القوات ، واكتفى بإرسال قوة نظامية لا تعدو ألفا ومئتي جندي ، سافرت عن طريق مصر .

وانهزم العرب وانتصرت اسرائيل ، وذهبت فلسطين شذر مذر ، وقضى العرب أنفسهم على الكيان الفلسطيني ، فقد انتزعت كل من سوريا ومصر والاردن بعض أجزائها ، وبقي القسم الاكبر تحت الاحتلال الاسرائيلي .

ولو أن ابن سعود وقواته دخلوا فلسطين لما قامت دولة اسرائيل ، ولما أمحت فلسطين من الوجود السياسي والدولي ، فقد تجمع أكثر من مئتي ألف محارب هم أشجع العرب طرا ، ولملأوا رحاب فلسطين ، واشتروا الجنة بأرواحهم ، ولأنقذوا فلسطين .

ولكن ، هكذا شاء الله ، ولا راد لمشيئته ، فقد ذهبت جهود ابن سعود هدرا ، أهدرها بعض قومه العرب .

والجيل العربي الجديد لا يعلم عن هذه الجهود التي بذلها ابن سعود في سبيل فلسطين وانقاذها من اليهود ، وذكرتها ليعلم أن هذا المسلم العربي الاكبر هو وحده الذي بذل أكثر من كل الحكام العرب مجتمعين ، ولم يجبن أمام الدول الكبرى فصارحها بموقفه الذي لا يحيد عنه ألا وهو الموت دون فلسطين ، وبعزمه الذي لا ينثني على أن يحارب اليهود في فلسطين ، ففي رسائل ابن سعود المتعددة الى روزفلت وترومان وتشرشل ومذكراته لحكومات هؤلاء الرؤساء وللجان الدولية الانذار بأنه لن يتأخر عن محاربة اليهود ، وانه قد صمم على فناء الاموال والاولاد والذراري ـ على حسب تعبير ابن سعود في تلك الرسائل والمذكرات ـ ولا تقوم دولة اسرائيل .

ولكن ، . . .

ومات ابن سعود ، ثم استولى اليهود على كل فلسطين بالحرب غير الشريفة كما استولوا على أراض عربية من مصر وسوريا والاردن في حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .

ومات ابن سعود قبل أن يرى كارثة حزيران ، ورحمه الله وأجزل له المثوبة تلقاء ما عمل لامة العروبة والاسلام وما بذل لها من جهود .

وإذا كان ابن سعود قد مات فإن المملكة التي أسسها باقية ، وتسلمها منه فيصل فحافظ على كيانها كله ، وزاد فيها فجعلها تمتاز على كل بلدان العرب والمسلمين بالغنى والقوة والمتانة والعلم والدين والاخلاق .

وأعلن فيصل الجهاد ، ورفع رايته ، وما يزال يكرر في أقواله وخطبه الدعوة إلى الجهاد ، فهو وحده الذي يحل مشكلة فلسطين ، وما تزال الدعوة قائمة ، والراية خفاقة ، ولكن الميدان ما يزال خاليا ليس فيه غير الداعي وشعبه .

ونرجو أن يسمع النداء الزعماء والحكام ويقودوا شعوبهم مع فيصل الى ميدان الجهاد ، فنصر الله مكتوب لحزبه ، وحزب الله هم الغالبون .

الملك فيصل وحرب العاشر من رمضان وأثر جلالته في نجاح كل مؤتمرات القمة

لم يكن هذا الفصل من مواد هذا الكتاب ، لانه ألف قبل نشوب الحرب بين اليهود والعرب في يوم السبت العاشر من رمضان المبارك سنة ١٣٩٣ (السادس من أكتوبر/تشرين أول ١٩٧٣ م) فهو قد انتهى بالفصل الذي سبقه ، إلا أن نشوب هذه الحرب اقتضاني أن أكتبه ، وفيما دونته بالكتاب اشارة الى حرب وشيكة الوقوع بين اليهود والعرب ، وذكرت أن من الفرض على الدول العربية بعامة ، ودول المجابهة بخاصة أن تستعد للحرب وتتهيأ لها نفسيا وعسكريا ، وأن تصدر من الايمان الحق إذا أرادت أن تنتصر ، وأن تترك الخلاف الذي زرعه وأوجده أعداؤها من الشيوعيين والصهيونيين ومن الاستعماريين وعلى رأسهم الحكومة الامريكية .

وكان الملك فيصل مدركا ان اسرائيل تعد العدة لحرب تعيد بها ذكرى حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ فتنتزع من الوطن العربي أجزاء جديدة ، تنفيذا للمخططات الصهيونية القائمة على تجديد الحروب التي يعطيها مغانم جديدة ، واضافة قوى جديدة تمكنها من ادامة تهديد العرب تضاف إلى قواها التي تملكها .

ولهذا كان الملك فيصل يعلن في خطبه وتصريحاته الصحفية وغير الصحفية وفي أحاديثه ومباحثاته مع رؤساء الدول والملوك والمسئولين فيها أن العدو الصهيوني يتحفز للانقضاض .

ولم يقف عند حدود القول والتحذير ودفع العرب والمسلمين الى الوحدة في منهج العمل ، بل قدم مئات الملايين وآلافها من الريالات لدول المواجهة حتى تستعد للعدو اللئيم المعروف بغدره ومكره منذ آلاف السنين .

وليس بخاف على القراء ما قدمه الملك فيصل لمصر وسوريا والاردن قبل حرب رمضان وفي ابانها وبعدها من المعونات الضخمة المالية وغير المالية ، وما يزال يوالي معوناته المالية ومعونات عسكرية كبيرة منها : مرابطة قوات عسكرية سعودية ترابط في الاردن الشقيق ، وقوة مدرعة حاربت في الجولان مع القوات السورية .

وعندما اعتدى اليهود على مصر وسوريا في العاشر من رمضان لم يكن مفاجئا للملك فيصل ومصر وسوريا ، بل كان الملك فيصل يعلم به قبل وقوع العدوان كما كانت مصر وسوريا على علم به .

وما كاد المصريون والسوريون يرون عدوان الصهيونيين عليهم حتى انقضوا عليهم ، وحطموا « العسكرية » اليهودية التي كانت تتبجح بأن قوتها لا تغلب ولا تقهر ، وأن العرب سيفقدون وعيهم من شدة الضربة التي توجهها إليهم ، وسيمنون بهزيمة نكراء تضاف إلى هزائمهم في حروب ٤٨ و٥٦ و١٩٦٧ وستملي الصهيونية شروطها على العرب الذين سيخضعون للغالب المنتصر .

ولكن الضربة التي انزلها العرب بالقوة اليهودية الهائلة خلال الساعات الاولى من الحرب حطمتها ، وأفقدت قادة المنظمة العسكرية اليهودية وعيهم ، وفقدوا في اليوم الاول أقوى حصونهم في سيناء والجولان ، وخسروا كل معاركهم الضارية .

وأصيب موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي وكل قادة الجيش والحكومة بما أفقدهم الثقة في أنفسهم وفيما أعدوا من قوة عاتية .

وكلنا يذكر أن موشي ديان قال في سخرية وهزء وتهكم وهو يضحك في حديث له مع صحفي بعد حرب حزيران ١٩٦٧ عندما ذكر له الصحفي أن مصر تسلمت من روسيا مئتي طائرة حربية : ليس هذا مما يؤبه له ما دام الذين يستعملون الطائرات عربا ! .

ولم تقف اعتداءات اسرائيل المتكررة وتبجحها الدائم واستخفافها المطرد

بقرارات الامم المتحدة ، وخيل لها انها سيطرت على العالم ، وقضت على العرب قضاء لا تقوم لهم قائمة بعد .

وتبجح كل العسكريين اليهود ومعهم زملاؤهم السياسيون أن قوتهم لا تقهر ، وحصونهم التي شيدوها في سيناء والجولان لن تقتحم ولو اجتمع كل العرب وظاهرهم من يريد ظهارهم .

وظنوا أن حصونهم مانعتهم فإذا هي عليهم وليست لهم ، وظنوا أن خط بارليف في شرق قناة السويس سيرد كل مقتحم مقدام ، وزعموا في وصفه انه أقوى من خط ماجينو الفرنسي وخط زيجفريد الالماني ، ويكاد يكون هذا الزعم صحيحا ، ويكاد يكون واقعا ، فهو آية في المناعة والمتانة والحصانة .

وظنوا أن خط بارليف وجبال الرمال التي أقاموها حصونا تضاف إلى حصون خط بارليف وقلاعه وبروجه ستجعلهم في مأمن من ناحية مصر ، وما شيدوا من حصون بالغة القوة والضخامة والمتانة في الجولان سيقضي في دقائق على كل محاولة للسوريين إذا ما عن لهم أن يتطلعوا إليه .

والواقع ان كل ما ادعاه اليهود بصدد خطوطهم الدفاعية كان صحيحا ، ولكن الذي لم يحسبوا حسابه الإرادة العربية المصممة على تحرير الارض المحتلة .

ولم يأخذ المصريون والسوريون على غرة ، بل الذي وقع ان اليهود أرادوا أخذ العرب على غرة فإذا جانب من الجيش المصري يقتحم خط بارليف وحصون الرمال القائمة كالجبال في سويعات بعد أن أقاموا الجسور تحت سمع اليهود وبصرهم وقذائفهم وقواتهم العسكرية العاتية .

ومن الجانب الآخر قام السوريون بهجوم غاية في الضراوة والعنف والبسالة على الجولان وجبل الشيخ ، وصعدوا اليهما ، وخلال ساعات من بدء الحرب انتزع السوريون أهم حصون الجولان ، كما احتلوا جبل الشيخ الشامخ ، واحتل المصريون خط بارليف وتجاوزوه بأميال .

وإذا كانت حروب اسرائيل الغادرة السابقة وآخرها حرب يونيو ١٩٦٧ حملت اليهود على التبجح ، ويسرت لهم وسائل اعلامهم المنتشرة في العالم أن يثبتوا في

أذهان الناس أن الاسرائيلي قوة غلابة ، وأن العربي جبان خوار ، وصدقوا دعاوى اليهود المضللة فإن حرب العاشر من رمضان (السادس من أكتوبر) قضت على كل دعاواهم وتبجحهم .

والرأي العام العالمي رأي جماهيري لا يفطن الى الحقيقة ، بل يقنع - في الاعم الاغلب - بما هو واقع ، ولا يفطن لاسباب النصر والهزيمة فهو قد غفل في حرب ١٩٤٨ عن المساعدات البريطانية والامريكية والروسية ، كما غفل في حرب ١٩٥٦ عن القوة الانجليزية والفرنسية الضخمة التي ضربت مصر وجيشها ومطاراتها ، كما غفل في حرب ١٩٦٧ عن امريكا وروسيا اللتين أعطتا اسرائيل كل أسباب الغلبة والانتصار .

وفي هذه الحرب : حرب العاشر من رمضان انتصر العرب مع ضـآلة عدد القوة المهاجمة لديهم على أضخم قوة في العالم تجمعت في رقعة صغيرة ضيقة بحيث أصبحت قلعة منيعة .

ولو سارت الحرب في طريقها بين العرب واليهود لدخل العرب تل أبيب ، ولكن الحكومة الامريكية اشتركت في الحرب بكل ثقلها العسكري والحربي ونفوذها العالمي وقدراتها وخبراتها وأسلحتها ، ووقفت مع اسرائيل تضرب العرب منذ نشأتها حتى اليوم ، فهي التي قررت مع بلفور وعده لليهود ، وأخذت تعمل على إيجاد دولة اسرائيل جنينا ، وأولدتها من العدم ، ثم أخذت ترعاها وتتعهدها وتحميها وتمدها بالمال الطائل والسلاح العتل الجبار ، والرجال الكثر ، والطائرات التي تهدم الحضارة والانسانية في بلاد العرب ، وتقتل المدنيين وأطفالهم ونساءهم ، وتدمر معابدهم ومزارعهم وبيوتهم ومدارسهم ومستشفياتهم شر تدمير .

ولما نشبت حرب العاشر من رمضان وقفت مع اسرائيل ، وكأن الحرب بين العرب وأمريكا وليست بين العرب واليهود ، وكانت امريكا تعتقد أن ما زودت به اسرائيل من السلاح كاف لان يهزم العرب على الدوام وفي كل الظروف ، فلما رأت هزيمة اسرائيل من الضربة الاولى بادر هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة ببعث برقية الى الملك فيصل يناشده فيها أن يتدخل لدى الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية ، والرئيس حافظ الاسد رئيس جمهورية

سوريا العربية رجاء وقف القتال بين جيشيهما وجيش اسرائيل .

ولو كان اليهود منتصرين لما أقدمت الولايات المتحدة على مناشدة الملك فيصل ، ولكن هزيمتهم دفعتها الى الرجاء والمناشدة .

وما كان ليغرب عن الملك فيصل مقصد الولايات المتحدة التي لجأت إليه لادراكها ان جلالته يستطيع أن يقف القتال إذا أراد ، لانه رأس العرب المفكر ، وقوتهم الروحية ، وذخيرتهم الادبية ، ولانه صاحب فكرة التضامن العربي والاسلامي ، والعامل الدءوب على تحقيقها .

وتعرف امريكا والعالم ان يقظة العرب والمسلمين مدينة للملك فيصل ، فدعوته العظيمة هي التي جمعت العرب والمسلمين بعد الغزو ، ووحدت كلمتهم التي مزقتها الشيوعية والصهيونية والاستعمار ، ورأت أمريكا والعالم التفاف الملوك والزعماء والرؤساء بجلالته ، واسترشادهم برأيه السديد الصواب ، واتخاذهم سياسته الحكيمة ، ولهذا لجأت امريكا إليه دون غيره ، فإذا هو يدينها بموقفه الذي لم يتغير منذ قرار التقسيم في سنة ١٩٤٧ إلا إلى ما هو أشد صلابة وقوة وحكمة من أجل قضية فلسطين وقضايا العالم العربي والاسلامي .

تلك القضية التي يعدها قضية عقيدة ومصير وانسانية قبل أن تكون قضية تخص أهلها .

ورد جلالته على برقية كيسنجر ببرقية هذا نصها :

« معالي الوزير هنري كيسنجر ، وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية

تلقيت رسالة معاليكم المستندة إلى تقرير وردكم من اسرائيل بأن القوات المصرية والسورية تنوي شن هجوم منسق على القوات الاسرائيلية ، ولدى بدء الاشتباك فعلا بين القوات المصرية والسورية من جهة ، والقوات الاسرائيلية من جهة اخرى في البر والبحر والجو فإن معاليكم تأكد بأن البادىء بهذا الهجوم هي اسرائيل .

وفي اعتقادي ان هذا الهجوم هو حلقة من حلقات السياسة الاسرائيلية لتنفيذ الخطط التوسعية التي رسمتها لتطبيق سياستها العدوانية ضد الدول العربية ، لان

العرب لم يقوموا بأي عدوان ضد اسرائيل من تاريخ نشأتها ، وان العدوان كان دائما من قبل اسرائيل لتكسب في كل عدوان مساحة من الارض وفقا لمخططاتها المرسومة .

« فإذا لم تهب الولايات المتحدة لردع اسرائيل عن التمادي في غيها وعدوانها فسوف ينفجر البركان الهاجع حتى الآن في منطقة الشرق الاوسط ، وسوف لا يقتصر تدميره على المنطقة وحدها ، بل سيتعداها الى حرب عالمية شاملة تصطلي جميع دول العالم بنارها على الرغم مما نصت عليه اتفاقات عدم المجابهة بين الدول الكبرى .

« ولهذا فإن المسؤولية الكبرى في هذا الصراع القائم في المنطقة تقع على عاتق اسرائيل .

وعلى الولايات المتحدة الامريكية ان تجبر اسرائيل على الانسحاب من الاراضي العربية ، وإعطاء الشعب الفلسطيني حقه في ارضه ووطنه » .

وكل ما جاء في برقية الملك فيصل هذه حق لا مراء فيه ، فما دون التاريخ منذ قيام اسرائيل حتى اليوم أي عدوان من العرب على اسرائيل ، بل الذي دونه هو عدوان اسرائيل على العرب .

والولايات المتحدة على علم ويقين بعدوان اسرائيل ، ولولا تأييدها اياها لما جرؤت على ذلك العدوان الذي لا يحصى ، فقد بلغ أكثر من **٢١٢٤٠** عدوانا تثبتها سجلات المنظمة الدولية ، وكل هذا العدوان وقع على سوريا ومصر والاردن خلال ثلاث عشرة سنة ابتداء من سنة **١٩٤٩** الى سنة **١٩٦٢** أما ما حدث من العدوان بعد هذا التاريخ فيبلغ آلافا .

ومع ذلك فضمير الولايات المتحدة لا يتحرك من أجل الحق والعدل والسلام والانسانية ، بل تمضي في تأييدها المطلق لاسرائيل الى حد لا يتصوره العقل ، وتتمادى في المساندة والتأييد ، وتعطي اسرائيل كل وسائل التدمير والتقتيل والابادة وآلاتها الفتاكة الجبارة التي قتلت بها آلاف الابرياء وشردت مئات الآلوف وطردتهم من وطنهم وأرضهم وديارهم ليهيموا على وجوههم .

وموقف الملك فيصل منذ كانت لفلسطين قضية حتى اليوم موقف تفرد به دون غيره من الزعماء والحكام والرؤساء والدول وممثليها ، فدولة فيصل هي الوحيدة التي لم توافق على أي قرار يجحف بحق شعب فلسطين وفي وطنه ، وهي الوحيدة التي أيدته في جميع المحافل العربية والاسلامية والدولية ، وهي وحدها التي وقفت مع الشعب الفلسطيني بالمال والسلاح والارواح .

ولكن ، ماذا يصنع ابن سعود والملك فيصل وهما لم يكونا المسؤولين عن فلسطين . فهما لا يحكمانها ، وبينها وبين بلادهما حواجز من الدول التي كانت تسيطر عليها دول الاستعمار الكبرى أو دولتاه اللتان كانتا أعظم دول العالم في ذلك الزمن وهما بريطانيا وفرنسا .

ولو كان الامر في فلسطين لفيصل أو أبيه ـ فكلاهما واحد ـ لما كانت لها قضية ، ولما استطاع اليهود سبيلا الى اقامة دولتهم .

ومن الثابت المقرر أن سياسة فيصل تجاه اسرائيل ، والاعداد لمقاومتها وللحرب التي ستنشب بينها وبين العرب هي السياسة التي أدت الى وحدة الصف العربي والاسلامي ، والى الانتصار في حرب رمضان (السادس من أكتوبر ١٩٧٣) .

ومنذ انتهاء حرب ٦٧ والملك فيصل يعرض في خطبه وتصريحاته واحاديثه على العرب ان يتركوا خلافاتهم التي زرعها خصومهم الصهيونيون والشيوعيون والاستعماريون ، وان يوحدوا صفوفهم ، وأن يتفهموا سياسة اسرائيل وكل اعداء العرب .

وشرح لهم كل ما يجب عليهم اتخاذه ، واقتطع جانبا يعد بمئات الملايين من ميزانية بلاده للمعركة ، وفتح خزائن شعبه وحكومته لدول المواجهة ، كما أعطى الدول العربية المحتاجة مئات الملايين من الدولارات حتى تستطيع ان تقوى ، ففي قوة أي دولة عربية اضعاف لاسرائيل ، وأرسل الى الاردن وحدات عسكرية سعودية ترابط فيها استعدادا للمعركة .

ولما نشبت الحرب في رمضان (أكتوبر) أرسل الى سوريا وحدة سعودية دخلت المعركة في الجولان ، وأبلت أعظم البلاء ، وكان اشتراكها مع القوات السورية

دافعا لها إلى المزيد من الاخلاص في القتال ، فقد رأت قوات سوريا الوحدة السعودية رمزا للجهاد المقدس ، وكان نشيد السعودية في الحرب : الله اكبر ، ولله الحمد ، وكذلك كان نشيد القوة المغربية الباسلة والقوة الاردنية المقدام ، وقد فتحت كلمة « الله أكبر » أعتى الحصون الاسرائيلية وأمنعها .

وشارك الملك فيصل قوات مصر بسرب من الطائرات السعودية يقودها طيارون سعوديون مجاهدون .

ومنذ سنة ١٩٦٧ والملك فيصل يمد دول المواجهة بالمساعدات المالية التي تجاوزت خلال بضع السنوات الماضية بلايين الريالات .

ولست أنا السعودي أذكر الملك فيصلا بهذه المواقف والاعمال الجليلة التاريخية ، بل الاجماع العربي والاسلامي منعقد على ذكر ما ذكرت ، والعالم يعرف ان نجاح حرب رمضان (أكتوبر) كان بسبب سياسة الملك فيصل الحكيمة الرشيدة التي استقبلتها دول المواجهة بترحاب ، ونفذتها بدقة وحذق .

يقول الدكتور فؤاد نفاع وزير خارجية لبنان في حديث أدلى به لوكالة الانباء السعودية في يوم ٢٣ شوال ١٣٩٣ (١٨ نوفمبر ١٩٧٣) :

« لم يدهشني موقف جلالة الملك فيصل من القضايا العربية هذا الموقف الذي نعرفه ، والذي يفخر به العرب جميعا ، وإذا كان لي ما أقوله بهذا الصدد فأقول : إذا كان للحرب سلاح فلمعركة السلم سلاح ، وقد أظهر الملك فيصل السلاح الامضى ، وهو سلاح البترول ، ومما يزيد هذا السلاح مضاء انه موجود في يد قوية ، وفي الوقت نفسه في يد حكيمة ، بحيث يستعمل هذا السلاح ليعطي الغاية المطلوبة منه ، وبحيث لا يرد على حامله ، كما أن ثقتنا وطيدة بأن هذا السلاح - لكونه موجودا في يد جلالة الملك فيصل المعظم - سيعطي النتائج المرجوة منه ، وسيوصلنا الى ما نبتغيه بإذن الله » .

وعندما عاد السيد تقي الدين الصلح رئيس وزراء لبنان الى بلاده بعد زيارة المملكة السعودية بعد ظهر يوم الاثنين ٢٤ شوال ١٣٩٣ (١٩ نوفمبر ١٩٧٣) صرح لوكالة الانباء الفرنسية في بيروت قائلا :

« ان الملك فيصلا ألقى بكل ثقل بلاده في المعركة » .

ثم قال : « ان دور الملك فيصل لم يقتصر على المجال البترولي وحده ، بل شمل أيضا المجال السياسي والمجال الاعلامي » .

ونشرت صحف بيروت الصادرة في يوم الثلاثاء ٢٥ شوال ١٣٩٣ (١٩٧٣/١١/٢٠) ما نصه :

« قال السيد الصلح في تصريح له بمطار بيروت : « نعود من المملكة البلد العربي الشقيق بمزيد من الثقة والاطمئنان على نجاح العرب في مسيرتهم الحاضرة نحو ما ينشدون من الاماني ، فلقد ألقى جلالة الملك فيصل القائد الحكيم بكل ثقل بلاده في المعركة التي يخوضها العرب ، وتعلمون قوة هذا الثقل وتلمسون أثره في العالم العربي والعالم أجمع ، وأريد أن ألفت النظر إلى أن هذا الثقل ليس من جانب النفط فقط ، وهو سلاح ليس ذا جانب اقتصادي فحسب ، بل ذو جوانب عديدة ربما نشعر بها فيما بعد من أثر في الميدانين : السياسي والاعلامي ، وبالاضافة الى هذا الثقل العظيم ثقل آخر لهذه المملكة ، وهو ثقلها الروحي بما تحوي من ديار وأراض مقدسة ترنو إليها وتلتف حولها ، فضلا عن العرب مئات الملايين في العالم الاسلامي ، وهذا الثقل العظيم لا بد أن يكون له تأثيره العظيم في ميزان القوى الذي يشكله العالم العربي بمختلف مجالاته » .

وجاء في برقية السيد الصلح الى الملك فيصل ما نكتفي بفقرتين منه ، قال :

« اننا نعود واليقين يملأ قلوبنا بأن قضية العرب ستنتصر - بإذن الله - بوحدة صفهم وصدق إيمانهم ومضاء عزيمتهم التي تتجلى كاملة في موقف جلالتكم وبفضل جهودكم » .

و « واني أسأل الله تعالى أن يوطد خطاكم في خدمة أمتنا التي ترى دائما في جلالتكم القائد المخلص الحكيم » .

وأذاع راديو صنعاء في مساء يوم الثلاثاء ١١ شوال ١٣٩٣ (٦ نوفمبر ١٩٧٣) تصريحا للقاضي عبد الله الارياني رئيس وزراء اليمن الشمالية وعضو المجلس الجمهوري ، هذا نصه :

« ان حكمة العاهل السعودي وحنكته السياسية وقوة ايمانه أضفت على الموقف العربي تأييدا عالميا لم يسبق له نظير » .

وصرح القاضي عبد الله الحجري رئيس مجلس وزراء اليمن الجنوبية في حديث أذيع من راديو صنعاء مساء يوم الثلاثاء **٢٥** شوال **١٣٩٣** (**١٩٧٣/١١/٢٠**) جاء فيه قوله : « ان جلالة الملك فيصل أثبت أن الحكمة والعمل الجاد بصمت هو الذي يؤثر في مجريات الامور كما حدث مؤخرا في تسيير السياسة العربية التي جعلت معظم دول العالم تعمل للعالم العربي ألف حساب ، وتحترم موقف الحق والعدل الذي تقفه الامة العربية في صراعها مع الصهيونية وانصارها » .

وقال الشيخ عبد الله بن حسين الاحمد رئيس مجلس الشورى اليمني :

« ان كل عربي يعتز بموقف جلالة الملك فيصل الذي وضع ثقله في جانب الحق العربي ، سواء أكان ذلك بقواته المسلحة أم المال أم الحنكة السياسية الناضجة التي يحترمها الخصم قبل الصديق » .

ويقول العلامة الجليل الشيخ محمد الامين الشنقيطي سفير المملكة الاردنية الهاشمية بالمملكة السعودية في حديث له[1] « ما كانت مواقف الملك فيصل في السابق إلا مواقف الملك المسلم المخلص المؤمن ، وقد توَّجها بالموقف الاخير : موقف الاخلاص والتفاني في القضية العربية الاسلامية ، وقد علم الجميع بالكثير من المساعدات المادية والمعنوية لدول المواجهة ، الامر الذي مكنها وساعدها على الصمود والوقوف في وجه العدو الغاشم ، وتحطيم اسطورته بأنه لا يصد ، وأن كثيرا من المساعدات لا يعلم به إلا القليل ، وما أروع موقفه بشأن البترول ، ذلك الموقف القوي الذي أحس بأثره العالم أجمع ، زد على ذلك سعيه الحثيث الناجح في هذه الايام لجمع كلمة العرب ، والحرص على عدم ترك فجوة بينهم يستغلها الاعداء ، أخذ الله بيد جلالته في خدمة الامة العربية والاسلامية ، وأدامه ووفقه لخدمة دينه وأعلاء كلمته ، انه سميع مجيب » .

---

(١) نشرت الحديث جريدة « البلاد » بعددها الصادر في ٢٧ شوال ١٣٩٣ هـ . (٢٢ نوفمبر ١٩٧٣) .

وصرح المقدم فارح مراعيسى دولى عضو مجلس قيادة الثورة في الصومال لوكالة الانباء السعودية ، ونشرته الصحف السعودية ، في يوم الخميس ٢٧ شوال ١٣٩٣ (١٩٧٣/١١/٢٢) بما نصه :

« ان موقف جلالة الملك فيصل تجاه القضايا العربية والاسلامية هو الموقف الذي وحد صفوف العرب والمسلمين ، أما موقف جلالته في حرب الشرق الاوسط فيتجاوز التعبير ، ولقد عرف عن جلالته مساندته لقضايا الامة العربية بخاصة ، والقضايا العادلة في العالم أجمع بعامة .

ولا شك أن جلالة الملك فيصل قد اضطلع بأكبر عبء في حرب الشرق الاوسط ، وقام بالدور الرئيسي في هذه المعركة التي أعادت للشعوب العربية قيمتها الصحيحة وكرامتها ، وكان لسياسته الحكيمة الدور الاكبر في تضامن الدول العربية والاسلامية وتكاتفها وسيرها في خط واحد .

وكان للاتصالات الخيرة التي قام بها جلالته أعظم الاثر في توحيد الصف العربي ، وتوثيق الاخوة الاسلامية مما أكد للعالم أن القضية العربية ليست قضية العرب وحدهم ، بل قضية العالم الاسلامي كله ، ولقد أدى البترول العربي دوره الفعال في المعركة .

ولا شك أن لموقف جلالته الصلب الثابت في ضرورة انسحاب اسرائيل وعودة حقوق الشعب الفلسطيني إليه آثاره العظيمة في الحاضر ، وسيكون له أثر كبير في نيل العرب حقوقهم المغتصبة » .

وغير هؤلاء كثير من الملوك والرؤساء والمسؤلين في العالم العربي والاسلامي يذكرون الملك فيصلا بما ذكره به من استشهادنا بأقوالهم ، وكلهم مجمع على أن « دور » الملك فيصل في الصراع ضد اسرائيل ومؤيديها من الدول الظالمة دور القائد الاول .

ويزيد في التأكيد أن الملك فيصلا كان خلال المعركة وبعدها مقصد من بيدهم مصير الامة العربية والاسلامية ، فزاره بالرياض ملوك ورؤساء جمهورياتهم وحكوماتهم وقادتهم ، ومنهم : الملك حسين عاهل الاردن ، والرئيس هواري

بومدين ، والرئيس محمد أنور السادات ، والرئيس حافظ الاسد ، وغيرهم .

ولو أردت الأستشهاد بما قال هؤلاء في بيان موقف الملك فيصل ودوره في المعركة لما وسعتنا عشرات الصفحات ، وكل ما قالوه أوجزه السياسي المعروف الاستاذ محمد المصمودي وزير خارجية تونس ، والاستاذ المصمودي أحد ذوي الخبرة الواسعة بالسياسة وخفاياها وأسرارها ، ومن أكبر المطلعين على بواطنها .

يقول الاستاذ المصمودي في حديث أدلى به لوكالة الانباء السعودية في يوم الخميس ٢٧ شوال ١٣٩٣ (١٩٧٣/١١/٢٢) ونشرته الصحف السعودية والتونسية والعربية ووكالات الانباء العالمية :

« لقد حملت الى جلالة الملك فيصل رسالة من أخيه الرئيس الحبيب بورقيبة ، كما كان لي رغبة في التشرف بلقاء جلالة الفيصل لاشكره على ما قام به من دور فعال وحاسم في هذه الظروف التي تمر بها الامة العربية والاسلامية ، ولقد كان لهذا الموقف الدور الاول في تغيير نظرة العالم الى العرب وقضاياهم .

ولقد أصبح كل فرد مسلم فخورا بزعيمه الملك فيصل » .

وقال الاستاذ المصمودي : « لقد كانت لدينا رغبة في احاطة اخواننا الافريقيين علما بما يجري في العالم العربي وبما سيجد في المراحل المقبلة ، وكذلك تقديم شكرنا لهم لمواقفهم المشهورة مع الامة العربية ، واننا سنعمل على تقوية علاقتنا مع الاخوة الافريقيين ، وبناء الوجود العربي والآسيوي في القارة الافريقية ، والعمل على زيادة تحطيم الكيان الصهيوني هناك ، كما التزمنا لهم بمساعدتهم على التخلص من الاستعمار الموجود في بعض اجزاء القارة الافريقية .

« وان هذا الموقف الذي انتهجه حكام افريقيا ينبع من حكمة جلالة الملك فيصل ، وحسن تدبيره ، وشعوره بأننا نؤدي رسالة هي خدمة ديننا وأمتنا .

« واني اذكر أن ثقل المعركة وقع على عاتق المملكة العربية السعودية ، وان حكمة الملك فيصل وسياسته الحكيمة كان لهما الاثر الفعال في نجاحها ، وان المملكة السعودية عملت كل ما في وسعها بصمت واخلاص وبتجرد كامل ، وهذا ما عودنا إياه الملك فيصل زعيم الامة الاسلامية .

وان المساعدات الضخمة التي قدمتها المملكة لاخواننا المصريين والسوريين والفلسطينيين في طليعة الدول المجاهدة ، وتجعل اخواننا في المملكة وعلى رأسهم الملك فيصل مفخرة لجميع المسلمين حيثما كانوا » .

والشيء المجمع عليه من العرب والمسلمين أن الملك فيصلا أصبح بحق زعيم العرب والمسلمين ، وأن خلائقه الفاضلة ، ومزاياه النادرة ، وعبقريته في السياسة والحرب والقيادة ، وإيمانه بالحق ، وجمعه في شخصيته الفذة ما تفرق في الزعماء والرؤساء والحكام والمفكرين والقادة والملوك من الصفات الكريمة ، وان مواهبه وعبقريته وحكمته وسياسته الرشيدة وبذله السخي جعلته الزعيم الفرد لامة العرب والمسلمين .

كما ان الاجماع منعقد على ان « الدور » الرئيس الفعال في الصراع العربي والاسلامي ضد الصهيونية والصهيونيين واعوانهم هو دور الملك فيصل ، وان انتصار الجيش العربي المؤمن في حرب العاشر من رمضان ما كان ليتاح للعرب لولا موقف الملك فيصل ورأيه ودعوته .

وليس بغريب عليه أن يكون الفرد وصاحب الدور الرئيس الفعال في الحرب ، فمنذ كانت لفلسطين قضية كان رأي الملك فيصل هو الرأي الصواب كل الصواب ، والحزم كل الحزم ، فهو قد أنذر العالم والمنظمة الدولية بعواقب القرار الذي يجعل لليهود دولة في فلسطين العربية المسلمة ، وحذر العالم من الفتن والشرور التي سيتلظى بها العالم إذا لم يصح لخطر الصهيونية ضد كل القيم الدينية والانسانية والحضارية .

وإذا كان الملك فيصل قد أنذر المنظمة الدولية وحذر العالم فقد دعا العرب والمسلمين الى أن يتحدوا ويقفوا في وجه الصهيونية التي تؤيدها ولائذها من مذاهب الهدم كالشيوعية والرأسمالية ، وان يخوضوا المعركة قبل أن يقوى العدو ، وحينئذ يعنف الصراع ، ويطول الزمن ، وتضخم التضحية بالانفس والاموال والثمرات .

ومن بعد نظر الملك فيصل وتوفيق الله له فيما ألهمه من رشد تحذيره المتكرر للعرب والمسلمين ، وتكهنه بما سيقع .

وأول مواجهة بين فيصل والاستعمار كانت سنة ١٩٢٥ م (١٣٤٤ هـ) عندما رأت بريطانيا توسع ابن سعود في الجزيرة ، وأرادت أن تنتزع منه اعترافا بمركز بريطانيا الخاص في فلسطين ، فأوفدت السير جلبيرت كلايتون للتفاوض مع مملكة ابن سعود التي مثلها فيصل الذي كان يعرف دون سائر حكام العرب دسائسهم ، وأن كلايتون صيهوني النزعة ، وأيد هذه المعرفة حاييم وايزمن في مذكراته بعد بضعة عقود من السنين ، إذ ذكر أن كلايتون من الاصدقاء الخلص للصهيونية .

وطال الجدل بين فيصل وكلايتون في أمر فلسطين ، وظهر أن علم فيصل بالحق التاريخي والطبيعي والواقعي كان أوسع وأوثق وأصح من علم المفاوض البريطاني ، وانتصر فيصل ، ووقعت المعاهدة بين المملكة وبريطانيا دون ذكر « المركز الخاص » لبريطانيا في فلسطين .

ومنذ ذلك التاريخ سنة ١٩٢٥ م (١٣٤٤ هـ) وموقف المملكة السعودية التي يمثلها فيصل في كل مراحل القضية حتى اليوم يزداد ثباتا وقوة حتى أنه كان الوحيد في العالم الذي يقف في وجه بريطانيا وأمريكا وروسيا وفرنسا والمنظمة الدولية ، ففي ٣١ يناير ١٩٣٧ جاء في مذكرة الحكومة السعودية لبريطانيا أن « مشروع تقسيم فلسطين نكبة على العرب والمسلمين » .

وجاء في مذكرة الملك عبد العزيز لروزفلت في ٢٩ أكتوبر ١٩٣٨ « ليس من العدل أن يطرد اليهود من جميع أنحاء العالم وأن تتحمل فلسطين الضيقة المغلوبة على أمرها هذا الشعب برمته » .

وفي ٢٠ يونيو سنة ١٩٣٨ جاء في مذكرة الحكومة السعودية للحكومة البريطانية على لسان الملك عبد العزيز :

« ليس في جسمي ذرة لا تدعوني لقتال اليهود » .

ولم تكتف المذكرة بهذا التهديد بل تجاوزه الى ما هو أشد ، فقد قال فيصل على لسان والده : « اني أفضل أن تفنى الاموال والاولاد والذراري ولا يتأسس لليهود ملك في فلسطين » .

وإذا كانت هذه الكلمة تفصح عن عزم فيصل على التضحية بالحاضر ممثلا في الاموال والاولاد فإنه على استعداد للتضحية بالمستقبل ممثلا في « الذراري » .

وختمت المذكرة بهذه الجملة : « ان تأسيس دولة لليهود في فلسطين مناف لمصالح العرب ، ومهدد بمحو العرب ليس في فلسطين وحدها ، بل في سائر البلاد العربية » .

وفي رسالة ابن سعود الموجهة لروزفلت في **٣٠** أبريل **١٩٤٣** هذه الفقرات :

« اننا لا نريد محو اليهود ، ولا نطالب بذلك ، ولكننا نطالب بألا يمحى العرب من أرض فلسطين من أجل اسكان اليهود فيها » .

و « ان فلسطين لا تستطيع أن تحل قضية اليهود العالمية . . . ولو أعطى اليهود بغيتهم في فلسطين لظلت فلسطين مقرا للفتن دائما » .

وقد تحدث ابن سعود للمفوض الامريكي بجدة ـ وقد ذكره في تقرير لحكومته بتاريخ **٥** يناير **١٩٤٥** ـ قائلا : « شرف لي أن أموت شهيدا في ميدان الجهاد دفاعا عن فلسطين في معركتها ضد اليهود » .

وفي **١٠** مارس **١٩٤٥** بعث ابن سعود برسالة إلى روزفلت جاء فيها :

« ان مطامع اليهود ليست في فلسطين وحدها ، وان ما أعدوه من العدة يدل على أنهم يبيتون العدوان على ما جاورها من البلدان العربية » .

و « ان تكوين دولة يهودية بفلسطين سيكون ضربة قاضية لكيان العرب ، ومهددا للسلم باستمرار » .

و « ان مساعدة الصهيونيين في فلسطين لا يعني خطرا يهدد فلسطين وحدها ، بل انه خطر يهدد سائر البلاد العربية ، وقد أقام الصهيونيون الحجة الناصعة على ما ينوونه في فلسطين ، وفي سائر البلاد المجاورة ، فقاموا بتشكيلات عسكرية سرية خطيرة ، ومن الخطأ أن يقال : ان هذا عمل شرذمة متطرفة منهم ، وان ذلك قوبل باستنكار جمعياتهم وهيئاتهم ، وانا نقول : ان اعمال الصهيونيين في فلسطين وفي خارجها صادرة عن برنامج متفق عليه ، ومرضي عنه من سائر اليهودية والصهيونية » .

وعندما كان الملك عبد العزيز بمصر في يناير سنة ١٩٤٦ قابله اللورد كيلرن المندوب السامي البريطاني في مصر حينئذ ، وختم ابن سعود حديثه معه بقوله - كما يروي كيلرن - : « من أجل الاسلام أحارب بريطانيا نفسها » .

وسياسة المملكة العربية الخارجية وما يتصل بقضية فلسطين من وضع الملك عبد العزيز وابنه الملك فيصل ، بل كان الملك فيصل وحده المسؤل عن السياسة الخارجية وقضية فلسطين .

وقد مر بالقارئ أن الملك فيصلا حمل لواء الدفاع عن قضية فلسطين منذ نصف قرن ، وكان دفاعه عنها أبلغ دفاع ، ويزداد موقفه على مر الايام وضوحا وثباتا ، وبعد حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ تطور موقفه فاضيف الى الوضوح والثبات تخطيط جديد وضعه هو نفسه ، وأعلن بعضه للعرب والمسلمين والعالم أجمع ، وشرح خطته لزعماء العرب وبخاصة دول المواجهة في اللقاءات التي تمت بينه وبين جلالة ملك الاردن ورئيس جمهورية سوريا ورئيس جمهورية مصر .

وكانت خطة الملك فيصل أو منهاجه يقوم على :

الاول - الايمان بالله ، وتعميقه في النفوس جميعا ، لان كل عمل يفتقر الى الايمان منته الى ان يفقد روحه ، والايمان وحده هو الذي يهيئ الانسان للجهاد المقدس الذي يبنى على الايمان الحق ، ويعيد إليه الثقة بالله ثم بالنفس .

الثاني - تهيئة النفس العربية وتعبئتها بضرورة الجهاد لا الحرب ، فالحرب لا تؤدي الى النصر المحتوم ، فهي سجال ، أما الجهاد فلا يفضي إلا الى النصر المبين المحقق الذي هو ثمرة الجهاد .

الثالث - احياء الارادة العربية وحصرها في بؤرة ضيقة ليزداد غليانها ، فإذا انفجرت كانت بركانا لا يبقي الاعداء ولا يذر ، ويقترن باحياء الفكر العربي وملؤه بالحقائق حتى يكون صاحبه على بصيرة غير مضلل وغير مخذل .

الرابع - اعداد جيش عربي قوي قادر على الهجوم استعدادا للمعركة ، واجراء تمرينات على خطط الهجوم برا وبحرا وجوا لتحطيم حصون العدو وخطوط دفاعه المقامة في سيناء والضفة الشرقية لقنال السويس والجولان والجبهة الاردنية ، والبذل

السخي في شراء الاسلحة ، والاستعداد للتضحية بالنفس والمال وكل الثمرات .

الخامس ـ القضاء على كل خلاف بين العرب ، والعمل على وحدة الشعور والغاية والكلمة والصف .

ولم يقتصر الملك فيصل على القول والرأي وحدهما ، بل أيدهما بالمال ينفق في الاعداد والتهيئة ، فوضع في ميزانية دولته مبلغا ضخما يقدر بمئات الملايين قرر لدول المواجهة ، وذهب الى أبعد من ذلك إذ وضع كل قدرة بلاده لمجابهة العدو الصهيوني العتل الغادر اللئيم .

ورحلات الملك فيصل الى الاقطار العربية والاسلامية والافريقية أثمرت أيما إثمار ، فقد استطاع بفضل الله ثم بفضل مواهبه ومزاياه وخلائقه أن ينقل دولا كثيرة الى الصف العربي ومنها دول كانت وكأنها من معسكر العدو ، وحمل عشرات الدول على قطع علاقاتها باسرائيل ، حتى أن زعماء افريقيين وضعوا أنفسهم وقدراتهم وطاقات شعوبهم تحت راية فيصل .

وهذا كسب سياسي لم يحرزه لامته غير الملك فيصل ، ويضاف إليه انه كسب عسكري ، لان دولا افريقية كثيرة مثل أوغندا استعدت للمشاركة في الحرب ضد اسرائيل القائمة على الباطل والاغتصاب والعدوان ، المصوغة من الشر والرذيلة والبهتان والموبقات .

وقد أرسلت دول افريقية جنودا الى ميدان المعركة ليجاهدوا مع العرب مثل أوغندا .

ولنعرف عظم جهد الملك فيصل في نقل الدول الافريقية الى الصف العربي نكتفي بمثل واحد نضربه ، وفيه غناء ، فالجنرال عيدي أمين رئيس جمهورية أوغندا كان من اصدقاء اسرائيل ، حتى أنه كان يتردد عليها كثيرا ، وكان في بلاده جيش من الخبراء والمستشارين الاسرائيليين ، وكانت سفارة اسرائيل اضخم سفارة بأوغندا من حيث عدد الدبلوماسيين .

ووقف الرئيس عيدي أمين على مخططات الصهيونية بحكم صداقته لاسرائيل ،

وكان موقفه مؤيدا لها ، وله أثر بالغ في سياسة بعض الدول الافريقية التي تبعته في موالاة اسرائيل .

ويشاء الله ان يتصل الرئيس الاوغندي بالملك فيصل ويقابله عندما قدم للعمرة ، وتأثر بشخصية الملك فيصل وآرائه ، وأثمرت هذه المقابلة تحولا خطيرا في سياسة أوغندا ، فقد تكشف لها ما كان يخططه اليهود لتدمير افريقيا لا أوغندا وحسب ، وطرد الرئيس عيدي كل اليهود وأغلق سفارتها ، في كمبالا ، واتجه الى العرب وأيدهم تأييدا لا حد له ، ووقف نفسه لتأييدهم ، ولم يكتف بالتأييد المجرد بل جسَّده ، ووضع جيش أوغندا في ميدان المعركة كدول المواجهة نفسها ، وأرسل قوة تعد أضرى قوة في بلاده لتحارب مع القوات المصرية .

وبلغ من اخلاص الرئيس الاوغندي أنه أعد نفسه جنديا للمعركة ، أما اعجابه بالملك فيصل وقدره اياه واجلاله وسيره على شرعته ومنهاجه فذلك قد أعلنه ورده على رؤوس الاشهاد ، فقد اعتبر الرئيس عيدي الملك فيصلا أكبر شخصية عربية اسلامية ، لانه يجمع في شخصه أكبر خلائق العروبة الفاضلة الاصيلة وأعظم مزايا المسلم ، ودعا علانية الى اختيار الملك فيصل قائدا للامة الاسلامية التي تدخل فيها الامة العربية .

وهذا نص حديث للرئيس عيدي أمين أدلى به في يوم الاحد ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٩٣ هـ (١٣ يناير - كانون الثاني ١٩٧٤ م) :

« بحثت مع الامين العام لرابطة العالم الاسلامي حاجة العالم الاسلامي الى قائد وزعيم يلتف حوله المسلمون ، ويكون قادرا على تفهم الاسلام وواجب الزعيم الديني تجاه الامة الاسلامية . وقد اقترحت ان يكون هذا الزعيم هو الملك فيصل .

« وقد جاء اقتراحي يقينا مني بأن الملك فيصلا هو أجدر زعيم اسلامي لحمل هذه الامانة ، فلديه الخبرة الطويلة في خدمة حجاج بيت الله الحرام والدراية الكاملة بأمور المسلمين ، والاعتقاد الراسخ بواجبه الاسلامي تجاه الامة الاسلامية .

« وانني سأثير هذا الرأي أو الاقتراح في مؤتمر القمة الاسلامي الذي سيعقد قريبا

في باكستان في لاهور ، وان اتصالاتي هنا بعديد من رؤساء الدول الاسلامية اقنعتني بأن هؤلاء الرؤساء يرجون ويؤيدون اقتراحي باختيار الملك فيصل زعيما للمسلمين ، وقائدا لهم ، فالمسلمون بحاجة الى من ينسق أمورهم ، ويجمع شملهم ويقودهم ، وسأجري المزيد من الاتصالات مع باقي رؤساء الدول الاسلامية .

وانني متفائل كل التفاؤل بأن اقتراحي هذا سيلقى قبولا تاما من قبل جميع الزعماء المسلمين » .

ويقول الرئيس عيد أمين : « ان الشعب الاوغندي المسلم يكن لجلالة الملك فيصل وللشعب العربي السعودي كل اجلال ومحبة » .

ويقول : « اشكر جلالة الملك فيصل المعظم على جهوده الجبارة التي يبذلها في خدمة المسلمين » .

فهذا الاجلال الصادق الذي يكنه الرئيس الاوغندي يكنه الملوك والرؤساء والزعماء والحكام المسلمون ، وكلهم مجمع على ان الملك فيصلا أهل لتولي القيادة التي انقادت له دون أن يطلبها أو يعمل من أجل الحصول عليها ، بل جاءته من نفسها ، فهو وحده الذي يستحق أن يكون امام المسلمين وقائدهم وزعيمهم ، فالاسلام والعروبة لم يعرفا في هذا العصر زعيما مثل فيصل في عبقريته السياسية والادارية والحربية والفكرية ، وفي الخلائق والمزايا ، فهو الزعيم الوحيد الذي يقف في وجه كل اعداء العروبة والاسلام ، ولديه من قوة الشخصية ووفرة المزايا ما يستطيع معه أن يغني العرب والمسلمين بمغانم وذخائر كثيرة .

وقوة شخصية الملك فيصل ووفرة مزاياه اكسبتاه الاهتمام برأيه لدى الاصدقاء والاعداء ، فكلهم يعرفون أن الملك فيصلا حاكم عبقري حكيم تجتمع في شخصه خير الخلائق وأكرم الصفات وأجل المزايا ، فاصدقاؤه وأعداؤه يحترمونه ويهتمون بـآرائه وصدقه وصراحته المهذبة .

كان الملك فيصل في زيارة رسمية للولايات المتحدة ، وصارحها بأخطائها في اسلوب حكيم محبب لا يثير المنقود ، ورد على زعماء الصهيونية والرأسمالية

دعاواهم الباطلة ، وأقام البرهان على بطلانها .

سأله الرئيس نيكسون عن سبب عداء العرب لامريكا ومصادقتهم لروسيا فأجابه : أتريد أن يصادقكم العرب ويعادوا روسيا ؟ فقال نيكسون : نعم ، فقال له الملك فيصل : الامر سهل ، قفوا عن مساندة اسرائيل وتأييدها ومساعدتها ، وحينئذ يعادون الروس ويصادقونكم ، والعرب لا يضمرون لشعب الولايات المتحدة أي عداء ، بل يحبونه ، ولكنهم يعادون التأييد الامريكي لعدوهم اسرائيل ، وهذا طبيعي ، فكل انسان مفطور على معاداة من يكون نصير عدوه .

وجهود الملك فيصل لا تقف في ميدان واحد ، ولا تتجه نحو بلد معين ، بل ينتشر نشاطه في كل ميدان ، وتثمر جهوده في كل حقل ، وينال بره كل شعب وبخاصة شعوب الامة العربية والاسلامية .

واستطاع الملك فيصل ان يجمع الدول الاسلامية والعربية تحت راية التضامن تمهيدا للاتحاد ، واستطاع ان يجتذب من زعماء الدول ورؤسائها أصدقاء يوالون العرب ويؤيدونهم في قضيتهم التي جعلها قضية عالمية وانسانية بعد ان كانت قضية محلية .

وكان في أولئك الرؤساء والزعماء من يوالون اسرائيل دون العرب مثل الرئيس الاوغندي عيدي أمين ، ولكن جهود فيصل نقلتهم من معسكر عدوهم الى معسكر العرب .

ولولا جهود الملك فيصل وآراؤه وسياسته ومعوناته المالية الضخمة لدول المواجهة الى جانب اشتراك قواته المسلحة البرية والجوية لما انتقلت قضية فلسطين من الجمود الى الحركة ، ومن الهزيمة الساحقة الى الانتصار المبين .

وما كانت حرب رمضان (أكتوبر) لتعطي العرب ثمار النصر لولا الملك فيصل الذي رفعته مزاياه ومواهبه وأعماله الى قمة « الزعامة » للعرب والمسلمين .

فإلى الملك فيصل ـ بفضل الله ـ يعود فضل وحدة الصف والكلمة والاماني والمنزع والرجاء بعد الفرقة التي مكنت اليهود من ضرب العرب في مقاتلهم ، والاستكبار والغرور والتبجح بأن لديهم القوة التي لا تقهر ، وانتهى بهم الغرور الى

أن يحسبوا دولتهم السيدة الآمرة في المنطقة حتى أخذت تردد بأنها ستعاقب الدول العربية التي ينطلق منها الفدائيون ، وقامت بضرب سوريا والاردن ولبنان ، وزعمت أن ذلك هو العقاب الذي تنزله بها .

كان ذلك بسبب الفرقة ، ولو أن العرب أصغوا لرأي الملك عبد العزيز والملك فيصل في سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) عندما هاجم اليهود والارهابيون المسجد الاقصى يوم جمعة في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٤٨ (أكتوبر ١٩٢٩) وألقوا على المصلين المسلمين قنابل فقتلت العشرات منهم .

في ذلك التاريخ احتج ابن سعود على ملك بريطانيا الذي أجابه برسالة ودية في ١٠ ديسمبر ١٩٢٩ (السبت ٨ رجب ١٣٤٨) لم تقنع ابن سعود ولا نائبه ووزير خارجيته فيصلا ، فرأيا أن اليهود لن يرجعوا عن غيهم واجرامهم إلا بالقوة التي لا يعرفون غير لغتها المدوية القارعة .

والفلسطينيون الذين لم يكونوا يملكون سلاحا وكانوا أشبه بالعزل قاوموا وضحوا بـآلاف الشهداء من المجاهدين شبابا وشيبا وأطفالا ونساء ، ولم يجدوا معهم غير ابن سعود وفيصل .

وكان رأيهما هو الصواب ، ولكنه لم يجد رضا وقبولا من غير الفلسطينيين وعلى رأسهم الحاج محمد أمين الحسيني ، ولم يكن حكام مصر والعراق والاردن على وفاق مع المملكة السعودية ، وكانت مصر وسوريا والاردن وفلسطين والعراق والكويت والبحرين والسودان وشمال أفريقيا وغيرها من البلدان العربية والاسلامية رازحة تحت الاستعمار البريطاني والفرنسي ، وكانت بريطانيا وفرنسا رازحتين تحت نير الصهيونية .

وكان ابن سعود وحده في الميدان مع الفلسطينيين ، ولا رأي لمن لا يطاع ، ولا حل للقضية بغير القوة التي لا تتهيأ إلا بوحدة كلمة العرب ، ولكن العرب متفرقون موزعون ، وكل حاكم مشغول بمشاكله التي أوقعه فيها الاستعمار وحاصره في كهوفها ، ومشغول بالخصومات التي اختلقها المستعمرون ليغرق حكام العرب في مشاكل وخصومات يجددونها على الدوام .

وضاع صوت ابن سعود وفيصل في ضجيج الفرقة والخصام ، ولكنهما لم ييأسا ، بل ثابرا على العمل حتى انتقل ابن سعود الى ربه ، وتفرد فيصل بحمل العبء كله بعد أن كان أبوه يشاركه حمله .

وحمل فيصل وحده العبء كله ، وحمل راية الدفاع عن فلسطين والحق العربي في المنظمة الدولية وخارجها وفي الدول الضالعة مع الصهيونية ، ونشبت بين فيصل ومندوب الولايات المتحدة الامريكية (سنة ١٩٤٧) حرب جدل ، وأدان فيصل الولايات المتحدة والمنظمة الدولية والدول الاخرى المؤيدة للصهيونية إدانة ثابتة ، ولكن ، لم يكن لتلك الدول ضمير ، فقد سلبتها اياه الصهيونية .

ولم يكن فيصل هدفا لقذائف الصهيونية والشيوعية والاستعمار ومذاهب الهدم وحدها ، بل كان هدفا لقذائف أشد من قذائف أولئك المردة ، فقد تصدى لفيصل بعض حكام العرب الذين جردوا قوى اعلامهم وقواتهم العسكرية لضرب دعوة فيصل الى التضامن الاسلامي ، وفكرته في وحدة الصف العربي التي تحتمها وحدة المصير ، وضربوا بلاده بالطائرات ، وتاجروا بقضية فلسطين ارضاء لسادتهم من أولئك الاعداء ، حتى ان حاكما عربيا أمر سفاراته بألا تهاجم الصهيونية ، وأمرها بأن تسكت عن تأييد قضية فلسطين ، فإذا أجبرتها الظروف فليكن القول مقصورا على الدعاية الانشائية التي لا تضير اعداء القضية والعرب .

وإذا كان الله عز وجل قد رحم المسلمين بهلاك أولئك الزعماء الالى جاء بهم الاستعمار الى الحكم ليقوموا بدور خاص « بطولي » يقفونه لصالح المستعمرين بتحطيم الاسلام والعروبة ، فإن الله قد أعز فيصلا وزاد في قدرته وسلطانه ، وجمع حوله أمة الاسلام من عرب وغير عرب ليعلوا كلمته .

وإذا كان الله ـ رحمة منه بعباده ـ قد أهلك أولئك الحكام العملاء وتسلم الامر زعماء مخلصون لربهم ودينهم ووطنهم وشعوبهم وعروبتهم فإن ذلك كان تمهيدا لسبيل النجاح لدعوة الملك فيصل التي أثمرت اجتماع الكلمة .

وكان من أعظم ثمار اجتماع الكلمة حرب رمضان (أكتوبر ١٩٧٣) التي أدت إلى تحطيم غرور اليهود الذين ملأوا الدنيا تبجحا بانتصارهم الكبير في سنة ١٩٦٧ حتى أن كل القادة العسكريين والسياسيين اليهود كانوا يعلنون أن الجندي العربي

فقد كل مقومات الجندية ، وأن السلاح في يد العربي ميت لان من يستعمله فاقد الروح .

وغرق العرب شعوبا وحكومات في يأس كاد يودي بهم أكثر من الهزيمة ، وشعروا بخزي كاد يفقدهم الامل في المستقبل لولا كلمات فيصل المنطلقة من ايمانه بربه ، وأعماله الصادرة من ثقته بنصر الله إذا نصروا الله .

ومنذ انتهاء حرب يونيو ٦٧ وفيصل يحارب اليأس حتى قضى عليه ، وأحل محله الرجاء والامل ، وأعلن الجهاد المقدس وردده في أحاديثه وتصريحاته ، وفي خطبه في مواسم الحج ، وأعد كل ما لدى أمته وبلاده من قوى العقيدة والخلق والروح والمادة للمعركة ، وتبادل الزيارات مع رؤساء دول المواجهة ، وفتح لهم خزائن بلاده ، فأحيا بفضل الله موات الامل والارادة والعزيمة استعدادا لليوم المرتقب القريب .

وبينما كان فيصل يعمل على نفخ الروح في الامة العربية كان اليهود سادرين في غرورهم ، لانهم كانوا معتقدين أن هزيمة العرب في حرب يونيو ١٩٦٧ هي الهزيمة التي لا تتيح للعرب قائمة بعدها .

وعلى سبيل المثال على غرور اليهود نأخذ قائدين من أكبر قادتهم هما : بارليف الذي كان هو وموشي ديان ـ وكل قادة اسرائيل وحكامها وشعبها ـ يتبجحون بأن خطهم المسمى بارليف لن يقتحمه مقتحم مهما بلغت قوته ، فقبل أن يصل إليه يمنعه الحاجز المائي (قناة السويس) وتمنعه حصون جبال الرمال الرابضة بين الضفة وخط بارليف الذي لا يقتحم .

وهذه الدعاوى صحيحة ، فما كانت هذه الحصون المنيعة لتقتحم من قبل أي جيش من جيوش سنة ١٩٦٧ ولكن وحدات يسيرة من الجيش المصري المسلم بقيادة الرئيس محمد أنور السادات استطاع اقتحام الحاجز المائي وحصون جبال الرمال ثم خط بارليف في سويعات ، كما استطاع بعض وحدات الجيش السوري اقتحام الجولان والاستيلاء على بعض حصونه القوية .

فما سبب هذا النصر التاريخي المبين الذي ندر مثله في تاريخ الحروب ؟ لا سبب

غير فكرة الجهاد القائمة على الايمان الحق ، فالجنود المصريون والسوريون الذين قاتلوا اليهود دخلوا القتال هاتفين : الله أكبر ، ولله الحمد ، فغنموا النصر المؤزر .

ودعوة الملك فيصل منذ وقوع الكارثة وحرب يونيو ١٩٦٧ العودة الى الله ، وتعميق الايمان ، والانطلاق من هذا الايمان إلى الجهاد المقدس ، ولكن أعداء الاسلام والعروبة كانوا مترصدين لدعوة فيصل ويتتبعونها بالتشويه وصرف المسلمين والعرب عنها ، وشغلهم بما يزيدهم بعدا عن الله ليزدادوا هوانا وضعفا وذلا .

وما أكثر ما دعا الملك فيصل الى الجهاد ، ونكتفي بمثال يغني عن تكرار ما قال ، لانه لا يخرج عما سنستشهد به ، ففي موسم حج بيت الله الحرام سنة ١٣٩١ ألقى الملك فيصل خطبة على وفود بيت الله الحرام جاء فيها قوله :

« قبل ثلاث سنوات أهبت باخواني المسلمين في جميع أنحاء الارض أن نعلن الجهاد المقدس لانقاذ مقدساتنا وأراضينا من العدو الصهيوني ، ولكن ـ لسوء الحظ وحتى هذه اللحظة ـ لم أر حركة في هذا السبيل تنقذ مقدساتنا وأراضينا ، وتعيد لنا كرامتنا وعزتنا ، وتبعد عن المسلمين ومقدساتهم أعداء الله المعتدين المغتصبين » .

وقال جلالته : « اخواني ، لست في حاجة إلى أن أطيل عليكم في هذا السبيل ، فانتم تعرفون ما أعرف ، ولستم أقل مني غيرة ولا أقل حماسة في الدفاع عن دينكم ، وعن مقدساتكم ، وعن حقوقكم ، وعن كرامتكم .

« وكل ما أرجوه من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للعودة الى الحق ، والى التمسك بديننا وعقيدتنا ، والاخلاص في جهادنا ضد أعدائنا ، حتى نصل الى مرتبة من الايمان نكون معها أهلا لنصر الله سبحانه وتعالى الذي قال : ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ .

« فهذا فرض فرضه الله سبحانه وتعالى على نفسه ، ولكن المهم أن نكون مؤمنين حقا .

« وانني في هذه المناسبة السعيدة أكرر دعوتي لاخواني المسلمين في جميع أقطار

العالم أن يلتف بعضهم حول بعض ، وأن يتكاتفوا ويتعاونوا ويتضامنوا فيما بينهم للدفاع عن عقيدتهم ، وعن شريعتهم ، وعن مقدساتهم ، وعن حقوقهم ، وعن كرامتهم .

« وانني أرجو من الله سبحانه وتعالى ان يقيض لنا ـ عندما نجتمع في مناسبة قادمة ان شاء الله أيها الاخوة ـ أن نكون قد وصلنا الى ما نصبو إليه من نصرة ديننا ، وكبح جماح أعدائنا ، وتخليص مقدساتنا وديارنا ، والثأر لكرامتنا وعزتنا من أعداء الاسلام .

« أمامنا ـ أيها الاخوة ـ ميادين الكفاح والجهاد في سبيل الله ، فعلينا أن نسعى بكل ما أوتينا من قوة .

وإذا كانت لي دعوة مستجابة فانني أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل وفاتي ـ إذا قدرها على سبحانه وتعالى ان تكون في ميدان الجهاد في سبيل الله ، وان يبلغني هذه الامنية التي هي أعز الاماني لدي ، وان أرى نفسي في ميدان الجهاد عن ديننا ومقدساتنا ، وعن أمتنا ، وأن يختم لنا بالشهادة الكريمة في سبيله ان شاء الله ، انه على ما يشاء قدير » .

فالجهاد المقدس في سبيل الله مصدره الايمان الحق ، وهو جوهر دعوة فيصل التي انتشرت في العالم الاسلامي والعربي وبين صفوف القوات المتحاربة في كل اقطار العرب والمسلمين ، وصار أفرادها ، ينتظرون ساعة الشهادة ، وكلهم يتمنونها أسوة بامامهم الاعظم الملك فيصل .

ولما نشبت حرب رمضان (أكتوبر) كان جيش مصر وسوريا قادة وجنودا لا يحاربون ، وإنما هم يجاهدون في سبيل الله لتكون كلمته هي العليا ، وقد استهلوا جهادهم بالتكبير والتهليل ، وكان الايمان الحق يدفعهم الى الجهاد الصادق ، وتحقق وعد الله الذي ذكرهم به الملك فيصل ألا وهو﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾.

فتأثير دعوة الملك فيصل في نفوس المحاربين وقادتهم وغير المحاربين كان عظيما ، فقد اندفع المحاربون الى الجهاد ووراءهم اخوانهم المدنيون وكلهم منطلق من الايمان .

وطبيعي أن يكون موقف فيصل ودعوته وتأييده لاخوانه المجاهدين وقادتهم وحكامهم وللشعوب والحكومات ، ومساعدته لهم قد غيرت القوة العربية والارادة العربية والفكر العربي ، والى هذا الموقف العظيم يعزى انتصار الجيش العربي في ميادين القتال في الجولان وقنال السويس وسيناء ، واندحار العسكرية اليهودية الغاشمة المغرورة التي بلغ بها الغرور إلى أن يتبجح كل قادة اليهود .

وعلى سبيل المثال غرور القائد اليهودي عساف ياقوري قائد الكتيبة ١٩٠ في سنة ١٩٦٧ التي اقتحمت سيناء ، وكان عساف أول مقتحم ، وما كان اقتحامه عن براعة ، بل كان بسبب العدوان الغادر المفاجئ .

ومنذ ذلك الانتصار الذي أحرزه ياقوري وهو دائم الفخر بقوة اسرائيل وبطولة الجندي اليهودي ، ودائم الاتهام للجندي العربي بالجبن والخور .

فلما نشبت حرب رمضان (أكتوبر) اجتمع الصحفيون الاجانب بعساف ياقوري الموصوف من الدعاية اليهودية بأنه القائد المقدام الذي يقهر ولا يقهر ، وسألوه ، فأجابهم في غرور وكبرياء قائلا : سأقتحم مواقع العرب من جديد ، وسأرى المقاتل العربي كيف يلوذ بالفرار في الصحراء حافيا تاركا حذاءه وسلاحه .

وغاب عن ياقوري هذا تغير الزمان والناس ، ونسي أن المقاتل العربي في حرب شهر رمضان المبارك ليس كمقاتل يونيو١٩٦٧ فمقاتل شهر رمضان مجاهد لبى دعوة فيصل ، وخاض الحرب على شروطه .

ولم يمض يوم واحد على تصريح عساف ياقوري حتى كان هو الذي يفر تاركا حذاءه وسلاحه ومن بقي من جنود كتيبته بين يدي المقاتل العربي .

لم يمض يوم على تصريحه حتى كانت الكتيبة الاسرائيلية ١٩٠ التي كان قائدها ياقوري يفخر بأن كل فرد فيها اعصار مدمر تخوض في سيناء معركة غاية في الضراوة مع كتيبة من الجيش المصري لم تمهلها ، وأبادتها إلا قائدها ياقوري ونفرا معه فارين كالعصافير راعتها الديم ، تاركين أحذيتهم وسلاحهم ، وأخذوا يجرون في الصحراء حفاة ، مخلفين وراءهم أفراد الكتيبة جثثا ، والسلاح الفتاك والمعدات والحصون غنيمة ، وأبصر بالفارين قائد الكتيبة المصرية فأمر جنودا له باللحاق

بهم ، والقبض عليهم أحياء ، فأمسكوا بهم وأحضروهم إلى القائد المصري الذي أكرم استقبالهم ، وهدأ روعهم ، وقد كان القائد البطل المقدام اليهودي ينتفض ، وسأل آسره : أتريدون أن تقتلونا ، فطمأنه وأمنه هو ومن معه .

وموشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي كان من أشد اليهود تبجحا وغرورا ، وكان واثقا من أنه سيقضي على الجيش المصري والسوري برا وبحرا وجوا خلال اثنتي عشرة ساعة ، وقال في اذاعة له موجهة إلى الإسرائيليين في مدنهم وقراهم : ان في وسعهم أن يقضوا ليلة هادئة ، ويناموا في أمان ، ووعدهم بأنه سيقضي على العرب خلال اثنتي عشرة ساعة من بدء القتال في يوم السبت العاشر من رمضان **١٣٩٣** (السادس من اكتوبر **١٩٧٣**) ومضت الساعات فإذا الجيش الاسرائيلي مهزوم شر هزيمة ، فمدد المهلة إلى أربع وعشرين ساعة ، ثم الى يومين ، وإذا اسرائيل تخسر في خلال ثلاث ساعات من بدء القتال في يومه الاول أقوى جيوشها وطيرانها ودباباتها .

خسرت اسرائيل خلال اليوم الاول : يوم ٦ أكتوبر على الجبهة السورية **٩٢** طائرة ، وفي خلال اسبوعين خسر اليهود **٣٥٤** طائرة ، أما خسائرها على الجبهة المصرية فأكثر .

وسبب النصر لم يكن التفوق العسكري والتكنولوجي ، بل كان غير هذا التفوق ، لان العرب كانوا أقل عددا وعدة من اليهود ، ولكن سبب النصر كان الايمان الذي نادى به الملك فيصل ، وملأ به قلب كل جندي في مصر وسوريا والاردن وغيرهن .

يقول السياسي الكبير الاستاذ محمد المصمودي وزير خارجية تونس في حديث مع جريدة « الحياة » البيروتية ، منشور بالعدد الصادر في يوم **١** ذي القعدة **١٣٩٣** (**٢٥** نوفمبر **١٩٧٣**) ونقلته عنه جريدة « الندوة » التي تصدر بمكة المكرمة حرسها الله في عددها الصادر يوم الاثنين **٢** ذي القعدة **١٣٩٣** وجاء فيه ما نصه :

« لا يسعنا إلا أن نشيد بموقف المملكة العربية السعودية ومليكها جلالة الملك فيصل ، فإن وقفته في سبيل اخوانه العرب المجاهدين سواء أكانوا مصريين أم سوريين أم فلسطينيين هي وقفة في خدمة الاسلام ، وبخاصة عندما أكد أن

القدس يجب ألا تكون تحت سيطرة الصهيونيين ، وسخر جميع طاقات السعودية في سبيل خدمة العروبة والاسلام .

« كل هذا جعل الشقيق والصديق وحتى الخصم والعدو يقوم تقويما جديدا وضعنا في العالم العربي ، ويحسب حساب رجالاتنا ، وينظر إلينا من خلال ما امتاز به الملك فيصل من جد وحكمة واتزان ، وتوخي الحق ، والاعتماد على المبدأ .

وان العالم الغربي ـ على الخصوص ـ صار ينظر إلينا من خلال فيصل نظرة اعتبار وتقدير ، ولا بد أن نقوم أنفسنا بدورنا فيما بيننا وبين أنفسنا تقويما جديدا لنبقى محافظين على وحدة الصف وراء زعمائنا ، وأن تكون تحليلاتنا ومواقفنا واحدة وبخاصة اليوم ونحن نخوض المعركة الاقتصادية المركزة على النفط في هذه المعركة التي لا تختلف عن معركة الامس عندما كنا نخوض المعركة الحربية المركزة على جبهتي القنال المصرية والجولان السورية » .

ففضل النصر لله وحده ثم لعبقرية الملك فيصل ومنهجه في اعداد الامة العربية نفسيا وفكريا وروحيا وماديا للمعركة ، ولموقف فيصل ودعوته الى التضامن الاسلامي والعربي ، تلك الدعوة التي أثمرت تعميق الايمان في قلب العربي وفي قلب كل مسلم ، وزاد من قوة العرب النفسية وإرادتهم القوية ان دعوة الملك فيصل حشدت المسلمين في الصف العربي ، فكان العرب والمسلمون ومعهم زعماؤهم وحدة قوية كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

وإذا كانت حرب رمضان قد أزالت سوء السمعة عن العرب وأكسبتهم السمعة الحسنة ، وردت إليهم ما فقدوا من الشرف والكرامة فإن مقابل ذلك أدت الى نتائج خطيرة بالنسبة إلى اسرائيل ، ولم تقتصر خسائرها الفادحة على القوة العسكرية قادة وجنودا وسلاحا ، بل تجاوزتها الى خسائر أخرى مادية وأدبية غاية في الفدح والكثرة ، وكان منها : ضعف الاقتصاد الاسرائيلي الناجم عن بهظ ما تحملت من نفقات الحرب التي كانت أكثر من قدرتها وفوق طاقة احتمالها ، وعن حشد الاحتياطي للحرب مما عطل كثيرا من المصانع والمعامل والمؤسسات التجارية والاقتصادية والمعاهد والجامعات والكليات والمدارس ، وعن اشتغال الفرد الاسرائيلي بالحرب عن أعماله الاخرى .

ويؤكد انهيار الاقتصاد الاسرائيلي وفَدْح خسائر اسرائيل المالية خبر نشرته رويتر في يوم ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ وأذيع من راديو العدو ومصدره تل أبيب ، وها هوذا نصه :

« تل أبيب ١٩ تشرين الثاني / نوفمبر ، رويتر : أعلن افرايم دوفرات مستشار وزير المالية أن العجز في ميزان المدفوعات الاسرائيلي سيزيد على ٢,٥٠٠ مليون دولار بسبب حرب تشرين الاول .

« وقال دوفرات في العدد الاخير من نشرة حزب العمال الحاكم : ان العجز الذي كان متوقعا لهذا العام قبل الحرب هو ١,٢٦٠ مليون دولار .

« وأشار الى أن ذلك يعني أن الحرب تسببت في وقوع عجز اضافي بقيمة ١٢٤٠ (ألف ومئتين وأربعين) مليون دولار ، أي ما يعادل كل الاحتياطي من العملات الاجنبية الذي كان موجودا في بنك اسرائيل عشية اندلاع الحرب » .

وقال : « ان كلفة المعدات العسكرية للتعويض على الخسائر التي تكبدتها اسرائيل في الحرب ستصل الى ألوف الملايين من الدولارات ، وان اسرائيل تأمل ان تحصل على جزء كبير منها كهبة من الولايات المتحدة بينما يقسط الباقي على دفعات » .

وقدر كلفة الحرب بعشرات البلايين من الليرات الاسرائيلية .

وقال : « ان الخسائر في الانتاج من جراء الحرب بلغت ٢٠٠٠ مليون ليرة اسرائيلية (٢٠٠ مليون جنيه استرليني) بالاضافة الى ١٠٠٠ مليون ليرة (١٠٠ مليون جنيه استرليني) كخسائر في الانتاج خلال عام ١٩٧٤ .

وأضاف قائلا : « ان اسرائيل ستفقد ما قيمته ٢٥٠ مليون دولار من الصادرات في هذا العام بسبب الحرب » .

وهناك خسارة غاية في الفدح والبهظ ألا وهي خسارة القوة المعنوية ، فقد نجم عن هزيمة اسرائيل انتشار القلق وضعف الروح المعنوية ، وحالة اليأس التي دفعت اليهود إلى ضرب المدن والقرى والسكان المدنيين العرب طمعا في اضعاف الروح المعنوية لديهم ، ولكن ذلك زاد من حقد العرب واصرار المدنيين قبل العسكريين

على الاستمرار في الحرب مهما بلغت الخسائر والتضحيات .

ومن أفدح خسائر السلطة اليهودية الحاكمة ان الرأي العام الاسرائيلي انقلب عليها ، واتهمها بالجبن والخور والضعف وسوء القيادة والجهل بحقيقة القوة العربية العسكرية والمادية والمعنوية ، والغرور الاعمى .

ووجه الرأي العام الاسرائيلي الى الحكام والقادة اليهود أعنف هجوم إذ أدرك أن زعم العسكرية اليهودية بأن أمن الشعب اليهودي محقق ولن يستطيع كل العرب مجتمعين أن يخلوا به ، وأن الجيش الاسرائيلي ضامن الامن التام لانه أعد وسائل حفظه وتحقيقه وضمانه بأضخم قوة ضارية رادعة قعساء للعرب إذا اجتمعوا على قلب رجل واحد أن يخلوا بأمن اسرائيل زعم باطل ووهم كبير ، فقد أصيبت العسكرية الضارية الرادعة القعساء بضربة في صميمها أدت الى تغيير القادة العسكريين ودعوة القادة المتقاعدين للعمل ، والى خسارة آلاف القتلى وعشرات الآلاف من الجرحى عدا آلاف المفقودين والاسرى ، والى خسارة مئات الطائرات وألوف الدبابات والمدرعات وكل ما أعدت للحرب .

وإن عجز القوة العسكرية عن ضمان الأمن أصابها بفقدان ثقة الشعب بزعمائه وقادته العسكريين ، وعزم كثير من الأسر اليهود على مغادرة اسرائيل المهددة من قبل العرب الذين أثبتوا أنهم قوة تستطيع حصار اسرائيل وخنقها ثم محوها إذا شغل أمريكا شاغل عنها .

وبلغ قلق الشعب الاسرائيلي وتبرمه بقادته العسكريين وسخطه عليهم إلى أبعد مدى ، حتى أنه طلب محاكمة هؤلاء القادة الذين خدعوه وفي طليعتهم موشي ديان ، وكانوا سبب الخسائر الجسيمة التي لا تحصى في الأموال والمعدات والأسلحة وفي الرجال وفي كل حياة اسرائيل التي عرضها هؤلاء القادة العسكريون لخسائر لا يمكن تعويضها ، وكوارث لا يسع التخلص منها لسنوات قادمة .

ويقول كبار علماء النفس الاسرائيليون : إن إسرائيل خرجت من حرب أكتوبر وهي في حالة قلق وتوتر نفسيين مرجعهما الخوف من المستقبل .

ويقول هؤلاء العلماء استنادا على سلسلة من المقابلات حول الآثار النفسية

للحرب الأخيرة : إن هناك حقيقة واحدة برزت في أعقاب الحرب وهي أن الحالة النفسية للاسرائيليين قد أصبحت جد كئيبة ، وأن جو النشوة الذي أعقب حرب سنة **١٩٦٧** قد تقشع ليحل محله شعور بالخيبة ، كما زالت الغشاوة عن العيون .

وذكر الدكتور لودفي ترامر مدير الصحة العقلية الاسرائيلي ازدياد عدد المدنيين الاسرائيليين المصابين بالقلق والكآبة منذ بدء حرب أكتوبر ، وذكر أن الذين يترددون على العيادات النفسية للمعالجة بلغت نسبتهم ١٠٪ .

وقال الدكتور ترامر : ما لم يخف هذا التوتر النفسي الذي يسود الاسرائيليين فإن مراكز الصحة العقلية في اسرائيل ستظل مكتظة في المستقبل .

ولم تستطع الصحف العالمية الموالية لاسرائيل كتمان الحقائق لها ، فكشفت صحيفة « التايم » ومجلة « النيوزويك » الأمريكيتان في عدديهما الصادرين في يوم الاثنين **١٢** نوفمبر (تشرين الثاني) **١٩٧٣** (**١٧** شوال **١٣٩٣**) عن بعض الحقائق الناجمة عن الحرب الأخيرة ، فقالت « التايم » ما ترجمة نصه :

« إن موضوع تبادل الأسرى كان شغل اسرائيل الشاغل بعد أن تكرر خروج زوجات المفقودين وأقاربهم في غضب وهم يجوبون الشوارع حتى ينتهوا إلى الكنيست (البرلمان) الاسرائيلي » .

و « إن هذه الاحتجاجات كانت السبب الرئيسي الذي عجل بزيارة مائير السريعة لواشنطن بعد توقف القتال » .

و « ان الحرب التي نشبت في السادس من أكتوبر بين العرب واسرائيل والتي تعد غير مضمونة النتائج بالنسبة لاسرائيل قد أوجدت أخطر أزمة سياسية داخلية تواجهها اسرائيل منذ خمسة وعشرين عاما ، فقد ارتفعت الانتقادات في وجه وزير الدفاع الاسرائيلي موشي ديان على أساس أنه المسئول الأول عن كون القوات الاسرائيلية لم تكن مستعدة لصد قوات التحرير العربية ، كذلك فإن جماعة مسز مائير الائتلافية التي يسيطر عليها حزب العمل الاسرائيلي تتعرض هي الأخرى للهجوم والانتقاد » .

و « ان غرور ما يسمى بقوات الدفاع الاسرائيلية كان عاملا أساسيا فيما آلت إليه حربهم مع العرب من نتائج » .

واستشهدت « التايم » على هذا الغرور بتصريح الجنرال المتقاعد « ماتيتا هوبيليد » إذ ذكرت قوله : « لقد تمثلت نكبة اسرائيل في الغرور الذي استبد بعقول القادة العسكريين فيها » .

و « ان مخابرات اسرائيل العسكرية لم تنجح في تقدير نيات العرب ، إذ أنها استهانت بنيتهم في خوض حرب ضد اسرائيل ، وإن كانت قد حذرت من قدرتهم » .

وأما مجلة « نيوزويك » فقد قالت : « في الوقت الذي توجهت فيه رئيسة وزراء اسرائيل جولدا مائير إلى واشنطن كان الاسرائيليون داخل اسرائيل قد بدأوا تجربة البحث في أعقاب حرب أكتوبر ، ففي بداية الأمر كانت الحالة النفسية التي سيطرت على الاسرائيليين تتمثل في الشعور بالارتياح لقرار وقف إطلاق النار ، إذ أن معناه بالنسبة لهم هو عدم تعرض المزيد من الاسرائيليين للقتل على أيدي العرب ، إلا أن الاسرائيليين أخذوا يرددون هذا السؤال : من المسئول عن فشل المخابرات العسكرية الاسرائيلية في معرفة التقديرات الصحيحة ؟ ومن المسئول عما آلت إليه الحرب بين العرب واسرائيل من نتائج ؟ وبطبيعة الحال لم تكن الإجابة على هذه الأسئلة بالأمر السهل ، إلا أن الشيء الذي أجمع عليه معظم الخبراء الاسرائيليين هو أن حزب العمل الحاكم الذي تترأسه مسز مائير قد أصيب بنكسة سياسية من جراء موقفه من حرب السادس من أكتوبر » .

وقالت النيوزويك : « ومن ناحية أخرى بدا أن موجة الانتقادات تستهدف في الأصل القادة العسكريين الاسرائيليين بصفة ، وزير الدفاع الاسرائيلي موشي ديان بصفة خاصة ، فقد اتهم ديان بالغرور وبالاستهانة بعزم العرب المصمم لخوص الحرب ضد اسرائيل » .

ونحن لا نؤرخ الحرب والخسائر التي لحقت باسرائيل بسبب عدوانها الذي كان سبب اشتعال حرب العاشر من رمضان ، وانما هجيرانا أن نشير إلى دور الملك فيصل في الصراع بين العرب واليهود ، وقد أشرنا في إيجاز إليه ، ذلك الدور الذي

كان من نتائجه صحوة العقلية العربية في الحكام والقادة وفي العسكريين وأفراد الجيش ، وفي المدنيين ، وفي الشعوب ، وشعورهم بالحاجة الملحة إلى وحدة الكلمة والصف تجاه اسرائيل .

ولم ينحصر هذا الأثر في المحيط العربي ، بل تجاوزه إلى المحيط الإسلامي الذي وقف مع العرب ، وانتشر منهما إلى القارة الافريقية التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية وغير الدبلوماسية مع اسرائيل ، واتحدت مع العرب اتحادا تاما في موقف التأييد والمطالبة بشدة بأن تنسحب القوات الاسرائيلية المعتدية من كل الأراضي العربية المحتلة في الحرب العدوانية سنة ١٩٦٧ .

ولم يقف هذا الأثر على العرب والمسلمين والقارة الافريقية ، بل تجاوزها إلى الدول الغربية وفي طليعتها بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا .

فموقف الملك فيصل هو الذي أجبر أوربا على أن تراجع مواقفها وتصححها بما يتفق مع مصالحها ، وأيدت الحق العربي تأييدا قويا سافرا بعد أن كانت تسير مع واشنطن الخاضعة للنفوذ الصهيوني .

بل أدى قطع الملك فيصل النفط عن الولايات المتحدة إلى أن تكفكف من غلوائها ضد العرب ، وأن تقف من اسرائيل موقفا لم تكن لتقفه منها ، حتى أن رئيسة وزراء اسرائيل أعلنت أنها لا تريد من الولايات المتحدة أن تفقد صداقتها للعرب ، وما كانت لتصرح مائير بهذا التصريح إلا وهي مجبرة عليه ، لأنها لم ترد أن تضيف إلى نقمة الرأي العام الاسرائيلي ما يزيدها ضرا ما إذا لم تصارحه بالواقع الذي لا يمكن كتمانه .

ومعركة النفط التي بدأها الملك فيصل وقادها انتهت بانتصار عربي أكبر من الانتصار العسكري ، فقد أجبرت معركة النفط من يوالون اسرائيل ويؤيدونها كل التأييد إلى الإقلاع عنه أو التخفيف منه مخافة أن يؤدي بها إلى مزيد من الكوارث ، ويكفينا برهانا هولندا التي ساندت اسرائيل ، وفتحت موانئها ومطاراتها لنقل الرجال والمعدات على طائراتها وطائرات غيرها إبان حرب رمضان إلى اسرائيل قد تراجعت بعد أن داهمها شبح الرعب من كارثة قطع البترول عنها قطعا يهدد شعبها .

ولما كان الملك فيصل مفطورا على الصمت والبعد عن تسليط الأضواء على مواقفه البطولية ومساعداته الضخمة ، وكان السعوديون ينحون منحاه فإن كلمة الحق انطلقت من أفواه غيرهم من المسئولين في القمة لدى الأمة العربية والإسلامية ولدى غيرهم ، وقد استشهدنا ببعضهم فيما سلف من هذه الصفحات .

وفي الوقت الذي انتهيت فيه إلى هذا الحد من الكتابة سمعت من وكالة الأنباء السعودية مساء يوم السبت **٢٩** شوال **١٣٩٣** (**٢٤** نوفمبر **١٩٧٣**) تصريحا للدكتور جوزف كومونبو وزير خارجية فولتا العليا ، هذا نصه :

« وصلت إلى المملكة العربية السعودية بعد حضور مؤتمر وزراء خارجية منظمة الوحدة الافريقية الذي عقد مؤخرا في أديس أبابا ، وهو المؤتمر الذي أستطيع أن أصفه بأنه نصر في مجال السياسة الدولية بما تحقق عنه من نتائج لصالح القضية العربية ، وهو نصر لا بد من تحقيقه إذا ما نظرنا بعين مجردة إلى أن الحق العربي صريح وواضح ولا يحتاج إلى تأكيد بأكثر مما لمسه المجتمع الدولي ويلمسه .

« وان زيارتي للمملكة السعودية هي الزيارة التي سعدت فيها بمقابلة القائد العظيم الملك فيصل الذي له ثقل - أي ثقل - في الميزان الدولي يستطيع به التأثير لصالح قضايا العدل والحق والسلام ، ولقد كانت مقابلتي لجلالة الملك فيصل مقابلة أستطيع أن أؤكد أنها كانت أكثر من الإيجاب نفسه ، ذلك لأن هذا القائد قد أعطى افريقيا الكثير ، وما زال يمنحها كل ما يعينها على النهوض والسير في طريق التقدم والرقي .

« ولعل من السهل أن أقول : اني قد بحثت مع جلالة الملك فيصل توثيق عرى الصداقة والاخاء بين المملكة وفولتا العليا . . .

« وان ما شعرت به وأنا أقابل هذه الشخصية العظيمة أن هذا القائد يعمل في صمت ، وإذا عمل فإنه لا يتحرك إلا من منطلق يؤمن جلالته بأنه الحق الذي يجب أن ينتصر .

وتقف فولتا العليا مع الحق العربي ، لأنه العدل الذي يقود إلى دعم مفاهيم الإنسانية بأبعادها الصحيحة في ظل احترام الحقوق » .

وإذا عدنا إلى الوراء سنوات فإنا نجد موقف فيصل من القضية الفلسطينية هو الموقف الوحيد الناجح الذي يؤدي إلى استعادة الحق المبني على أسس ثلاثة :

الأول ـ إعداد الأمة العربية إعدادا إسلاميا حقا للجهاد في سبيل الله بمقاومة الصهيونية والاستعمار وما تفجر عنهما من مذاهب الهدم ، والاستعداد لحرب اسرائيل استعدادا صحيحا بحيث تجتمع الكلمة العربية ، ويتحد الصف العربي ، وتبرز الإرادة العربية قوية .

الثاني ـ انسحاب اسرائيل التام عن كل الأراضي العربية التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧ ويقضي هذا الانسحاب بترك القدس للعرب .

الثالث ـ الاعتراف الكامل بحق الشعب الفلسطيني مع إعادته إليه .

ومن أجل تحقيق آمال العرب استعد الملك فيصل بأن يضع القدرات والطاقات الضخمة التي تملكها بلاده لمعركة المبدأ والمعتقد والمصير .

وبرز الملك فيصل في كل مؤتمرات القمة بمنهاجه المعروف الذي وافق عليه مؤتمر القمة الأول المنعقد بالقاهرة في يوم ١٣ يناير سنة ١٩٦٤ إلى يوم ١٧ يناير ١٩٦٤ وسبب عقده مقاومة خطة اسرائيل لتحويل مياه نهر الأردن ، وانشاء جهاز فني يوكل إليه وضع خطة عربية لمنع تحويل روافد نهر الأردن ، وتعيين قائد عام للقوات العربية الموحدة تكون مهمته توفير الحماية للخطة العربية المضادة ، وإنشاء جيش فلسطيني ، ووضع حد للخلافات فيما بين العرب ، ورأب الصدع في علاقات دولهم بعضها ببعض ، وعقد مؤتمر قمة كل سنة .

وكان واضحا أن الملك فيصل كان صاحب فكرة انشاء جيش فلسطيني ، والقيادة الموحدة ، وإعداد العدة لمجابهة اسرائيل في كل ميدان .

وأقيم مؤتمر القمة الثاني بالاسكندرية من ٥ سبتمبر إلى ١١ سبتمبر ١٩٦٤ وتم فيه الاعتراف بمنظمة تحرير فلسطين التي أنشأها المؤتمر القومي الفلسطيني ، ومنح رئيسها حق حضور جلسات الجامعة العربية ، وتعزيز الجيوش العربية الأردنية واللبنانية والسورية الموضوعة تحت قيادة موحدة برئاسة رئيس أركان القوات المسلحة المصرية ، وإنشاء صندوق خاص لإعداد جيش التحرير الفلسطيني ،

وإقامة سد على نهر اليرموك أحد روافد نهر الأردن على الجسور الأردنية السورية .

وكان مقصد الملك فيصل أن يكون لفلسطين جيش قوي يضم إلى جيوش الدول العربية ، وتعد جميعها للمعركة ، على أن تكون غاية الجيش الفلسطيني أبعد من غاية الجيوش العربية ، ألا وهو التحرير الكامل لأرض فلسطين من المهاجرين اليهود الذين جاءت بهم السياسة الاستعمارية تمهيدا لانشاء الدولة اليهودية ، وإعادة الحق في فلسطين كلها إلى أهلها العرب سكانها الأصلاء منذ آلاف السنين .

ولكن آراء الملك فيصل لم تكن لتجد التربة الصالحة لتنمو فيها ، وتعطي الثمار التي ينتظرها الفلسطينيون والعرب والمسلمون ، فبعض زعماء العرب في ذلك الوقت كان يعمل لمصلحته الذاتية ، فما دام كرسي الحكم الغاشم مضمونا له بقوة الحديد والنار فلا يهمه غير ذاته التي وضعها فوق شعبه المبتلى بحكمه العسوف ، وإذا كان بعض زعماء العرب فى ذلك الوقت يبدي الموافقة فإنما يفعل ذلك ليفيد هو نفسه لا الشعب الفلسطيني ولا شعبه ولا الأمة العربية .

وانعقد مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء من المغرب من ١٣ سبتمبر إلى ١٨ سبتمبر ١٩٦٥ وانتهى إلى أمرين ، وهما : إعداد خطة عمل لمجابهة اسرائيل ، وتهيئة صفاء حقيقي بين أنظمة الحكم العربية المختلفة ، والبعد عن التدخل في شؤون الآخرين الداخلية .

ومن المحزن أن قرارات كل مؤتمرات القمة لم تكن تنفذ على وجهها الصحيح حتى كانت كارثة العرب الكبرى في يونيو ١٩٦٧ التي انتهت بهزيمة الجيوش العربية وخسارتها الجسيمة الفادحة .

وأقول في وضوح : إن حكومة فيصل وبلاده هما اللتان كانتا توفيان بكل ماعليها من التزام في جميع الظروف .

وأخذ زعماء الهزيمة الذين كانوا سبب الكارثة يخدعون العرب حتى بلغ الأمر بأجهزة الدعاية في بلد عربي تضلل العرب ، فتزعم لهم أنهم انتصروا بعد أن خففت من وقع الهزيمة وخدرت النفوس بالأكاذيب ، وزاد البلاء بأن كان

المفسدون يهاجمون الصالحين زورا وبهتانا .

ولكن الكارثة كانت أكبر من خداع المخادعين ، وعقد مؤتمر القمة الرابع في الخرطوم ، وكان أهم ما قرر فيه ألا مفاوضة مع العدو ، ولا صلح ، ولا اعتراف به ، وأن شعب فلسطين هو وحده صاحب الحق في بلده ، على أن تكون القوة العربية سنده في جهاده ، وإعطاء الأردن ومصر معونة مالية سنوية قيمتها خمسة وتسعون مليون جنيه استرليني تشترك في تقديمها المملكة السعودية والكويت وليبيا .

وكانت مملكة فيصل هي الوحيدة التي كانت تدفع حصتها في مواعيدها في جميع الظروف دون أن تتأثر بالأحداث الشخصية .

وعقد مؤتمر القمة الخامس بالرباط في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٦٩ ولم يكتب له النجاح المنشود ، وإن كان قد تم فيه تصميم العزم على اتخاذ القوة في استعادة ما أخذه العدو بالقوة .

ولما نشبت الحرب بين القوات الأردنية والقوات الفلسطينية انعقد مجلس رؤساء الدول في القاهرة من ٢١ سبتمبر إلى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٠ وهو مؤتمر قمة ، ووضعت الحرب أوزارها بين القوات الأردنية والفلسطينية ، غير أن الجفاء ما زال قائما بين الأردن وزعماء منظمات التحرير الفلسطينية .

وتفردت المملكة العربية السعودية بالوفاء بكل التزاماتها ، فلم تقطع المعونة عن الأردن ومصر ، بل ضاعفتها ، في حين أن ليبيا والكويت قطعتاها عن الأردن .

وكانت مهمة الملك فيصل غاية في العسر والمشقة ، وكان موقفه من حكام العرب والسياسيين والعسكريين أشبه بموقف الراعي من إبله الشاردة ، كل يجري في اتجاه غير اتجاه سواه ، وتحمل من التجني ما لا يحتمله إلا أمثاله من أولي العزم الصالحين من الزعماء النوادر ، وكان كل صبره وجلده واحتماله من أجل وحدة الكلمة والصف ، ونجاح قضية العرب الكبرى : قضية فلسطين .

ولم يؤثر قط عن المملكة السعودية أو الملك فيصل أنه عادي زعيما أو حاكما عربيا ، أو دخل مع أحد في مهاترات ، أو نسج خيوط مؤامرة ضد أحد ، بل دائما

مجردا عن الهوى ، يعمل من أجل مصلحة العرب والمسلمين ، ويؤثرهم على نفسه ، ويوالي تقديم النصح والمشورة والمعونات المالية والعسكرية والاقتصادية التي لم يقدمها أحد أو دولة إلى أخرى .

وكان الملك فيصل أسبق الحكام طراً إلى فهم حقيقة قضية فلسطين منذ بدايتها حتى انتهت باحتلال اليهود لفلسطين ، ولما لم يكن حاكمها أو المسيطر المسئول عن قضيتها انتهت بكارثة ماحقة ، ولم يؤخذ برأيه إلا بعد سنة ١٩٧٠ عندما استفحل باطل اليهود واستأسد شرهم المستطير ، ووصل التهديد إلى أبعد من فلسطين التي اغتصبها اليهود ، وصل إلى دول المجابهة سوريا والأردن ومصر ، حيث احتلت اسرائيل مساحات شاسعة ومدنا وقرى من هذه الدول العربية ، وأخذت تهيئ لاحتلال مزيد من أراضيها .

وعندئذ بدأ زعماء العرب والمسلمين وحكامهم يدركون أن دعوة الملك فيصل إلى التضامن الاسلامي ، ووحدة الصف العربي ، ونبذ الخلاف في غير سبب يوجبه هي الوسيلة الوحيدة لوحدة الكلمة ، وجمع الصفوف ، وحشد الطاقات والقدرات والقوى التي تملكها دولهم ابتغاء النصر المرتقب باذن الله .

وما كانت حرب رمضان (أكتوبر) لتكون في مصلحة العرب لولا سياسة الملك فيصل ، ومنهاجه ، وجهوده ومعوناته المالية والعسكرية والاقتصادية الكبيرة الضخمة ، ولولا آراؤه السديدة وكلمته الرشيدة .

واذا كان وقف إطلاق النار في هذه الحرب غير مفض إلى تنفيذ قرارات المنظمة الدولية فإن القوة العربية المقاتلة التي تدين بوجودها الحي للملك فيصل ما تزال على العهد بها في حرب رمضان ، بل أخذت هذه القوة تضخم وتزداد ، وتنتظر أن تنطلق لتحرر الأرض المغتصبة في حرب يونيو ١٩٦٧ أولا .

وإذا كانت الفرقة بين الدول العربية أقوى حليف وسلاح لاسرائيل فإن الوحدة التي قضت على كل خلاف وفرقة وظهرت في حرب رمضان في كيانها الحقيقي كانت أقوى أسباب الهزيمة لاسرائيل .

وما كاد وقف اطلاق النار ينفذ حتى كان عرين فيصل بالرياض ثم في جدة

مقصد زعماء العرب والمسلمين ، فأقبل عليه الرئيس محمد أنور السادات ، والرئيس حافظ الأسد ، والملك حسين ، والرئيس هوارى بومدين ، وغيرهم .

ورأى زعيم الجزائر الأكبر هواري بومدين عقد مؤتمر قمة في بلاده ، يبحث فيه موقف العرب الموحد من مؤتمر السلام المنتظر انعقاده في جنيف ، واتخاذ الأسباب التي تؤكد وحدة الصف استعدادا لغدر اسرائيل التي عرفت به منذ كان في الأرض يهودي .

وانعقد مؤتمر القمة السادس في الجزائر يوم الأثنين ٢ ذي العقدة ١٣٩٣ (٢٦ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٧٣) بقصر الأمم بالقرب من العاصمة ، حضره حكام دول الجامعة العربية ما عدا ليبيا والعراق ، وقبيل انعقاده كان فيصل في الجزائر مقصد كل زعماء العرب وملوكهم ورؤسائهم ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، فقد زاره كل منهم على حدة ، وتباحث مع جلالته ، وبعد انعقاد أول اجتماع كان فيصل موضع ثقة كل الملوك والرؤساء والزعماء ، لأنه كان وحده مركز الثقل كما ذكرت كل الوفود ورؤساؤها .

وقد نشرت جريدة « الندوة »[1] التي تصدر بمكة المكرمة حرسها الله ما نشرته وكالات الأنباء المختلفة قائلة :

« أجمعت أوساط الوفود العربية المشتركة في مؤتمر القمة العربي السادس والصحفيون العرب والأجانب الذين يقومون بتغطية أنباء المؤتمر على أن الاهتمام يتركز بصورة خاصة على شخص جلالة الملك فيصل حيث يقود جلالته المعركة الاقتصادية ضد العدو الاسرائيلي ومن يدعم عدوانه على الأمة العربية .

وأكدت هذه الأوساط أن جهود جلالته لتوحيد الصف ودعم الاخاء بين الدول العربية كانت وما تزال المرتكز الأول في تحقيق التضامن العربي الذي ظهر إبان المعركة الأخيرة ، والذي زاد قوة ومتانة بعدها .

كما أشادت الوفود العربية إلى المؤتمر بالدور الحاسم والفعال الذى قامت به المملكة العربية السعودية خلال المعركة الأخيرة وبعدها عسكريا واقتصاديا ، والأثر

---

(١) العدد الصادر يوم الأربعاء ٤ ذي القعدة سنة ١٣٩٣ (٢٨ نوفمبر ١٩٧٣) .

العالمي الفعال الذي أحدثته اجراءات المملكة بقيادة جلالته في دعم القضية العربية ومواجهة العدو الصهيونى .

وأكدت أوساط عربية عديدة في المؤتمر أن المواطن العربي في شتى أنحاء الوطن العربي يقدر أكبر القدر دور جلالة الملك فيصل وتضحياته وشجاعته وحكمته في خدمة قضايا الأمتين العربية والاسلامية » .

وأما وكالات الأنباء الأجنبية فقد ذكرت أن الملك فيصلا كان الشخصية الحيوية في وضع سياسة المؤتمر ، ونكتفي بما أوردته وكالة اليونايتدبرس في تقرير مراسلها بالجزائر ، وهذا ما نشرته الصحف عن ذلك :

« أوردت وكالة اليونايتد برس تقريرا من الجزائر بقلم مراسلها هناك جورج سييرا قالت فيه : إن جلالة الملك فيصل الذي كان يتحدث بهدوء كان الشخصية الحيوية في وضع سياسة مؤتمر القمة العربي في العاصمة الجزائرية .

وقال المراسل : ان الملك فيصلا الذي يبدو عليه الهدوء وضبط النفس إلى حد كبير قد فعل الكثير لوضع الخطوط العريضة الاستراتيجية العربية للمستقبل .

ومضى المراسل قائلا : إن جلالة الملك فيصل في مقدمة المتصلبين ضد اسرائيل ، ويقول الدبلوماسيون العرب : إن جلالة الفيصل كان فعالا في تنظيم عملية تخفيض انتاج النفط التي تركت آثارا بعيدة في جميع أنحاء العالم .

ويقول المراسل : إن جلالة الملك فيصل مصمم على تحرير القدس .

ومضى مراسل اليونايتد برس يقول : إن الترحيب الذي لقيه الملك فيصل في العاصمة الجزائرية كان بارزا ، فقد قام مئات من المندوبين من جميع الرتب بالتصفيق والهتاف بصوت عال لدى وصول جلالته إلى العاصمة الجزائرية لحضور مؤتمر القمة » .

وقد ذكرت الصحف الجزائرية وغيرها من الصحف العربية ووكالات الأنباء ما ننقله عن جريدة « الندوة » في عددها الصادر فى ١٣٩٣/١١/٤ (١٩٧٣/١١/٢٨) وهذا ما نشرته :

« ان الوفود العربية المشتركة في مؤتمر القمة العربي السادس قد أشادت بعظم الجهود المخلصة والمتواصلة التي بذلها جلالة الملك فيصل في انجاح المؤتمر وتحقيق وحدة العمل العربي ، وذكرت بالتقدير وعرفان الجميل اسهام المملكة العربية السعودية عسكريا واقتصاديا وسياسيا في المعركة ، و« فاعلية » الدور الهام الذي تقوم به المملكة حاليا لدعم الجهود المبذولة لاستعادة الحق العربي » .

وقد اتخذ المؤتمر قرارات منها ما هو سري ، ومنها ما هو علني ، وها هو ذا بيان المؤتمر الذي يحوى قراراته بعد انتهاء المؤتمر في يوم الأربعاء ٤ ذي القعدة **١٣٩٣** (٨ نوفمبر **١٩٧٣**) :

إن ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية في اجتماعهم بقصر الأمم بمدينة الجزائر بناء على دعوة الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية والسيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية قد تدارسوا الموقف العربي والدولي في ضوء ما قدمه الملوك والرؤساء من بيانات وتقرير الأمين العام وتوصيات وزراء الخارجية واتخذوا القرارات السياسية والدفاعية والاقتصادية التي يستوجبها الموقف .

إن العالم العربي يمر بفترة حاسمة في تاريخه والكفاح ضد الغزو الصهيونى مسئولية تاريخية طويلة الأمد تتطلب المزيد من البذل والتضحية وإذا كانت حرب اكتوبر (تشرين الأول) **١٩٧٣** قد أبرزت تصميم الأمة العربية على تحرير أراضيها المحتلة مهما كان الثمن فان وقف اطلاق النار في الميدان لا يعني اطلاقا أن الكفاح قد توقف أو أن البلدان العربية يمكن أن يفرض عليها حل لا يحقق أهدافها العادلة وما دامت الحروب العدوانية التوسعية التي تضع العالم على حافة صراع شامل لم يقض على أسبابها فلن يستتب في الشرق الأوسط سلام دائم أو أمن حقيقي ولا يمكن التوفيق بين العدوان والاحتلال والتوسع والهيمنة وبين مبادئ الاستقلال الوطني والتنمية والتقدم والسلام العادل .

وإن حرب اكتوبر عام **١٩٧٣** إنما هي مثل سابقاتها نتيجة حتمية لسياسة العدوان والأمر الواقع التي تنتهجها اسرائيل ضاربة عرض الحائط بالمبادئ والقرارات الدولية وحقوق الشعب ذلك أن اسرائيل لم تفتأ منذ أن سلبت حقوق

الشعب الفلسطيني وطردته من وطنه تعمل على التوسع معتمدة في ذلك على تواطؤ الدول الاستعمارية ودعمها الاقتصادي والتقنى والعسكري لها وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية ، ولقد برز هذا التواطؤ مؤخرا في تجنيد الوسائل المالية والمادية بشكل لم يسبق له مثيل وفي جلب المرتزقة المتخصصين وفي تنظيم حملة سياسية التقى على صعيدها كل أعداء تحرر العالم الثالث .

ان اسرائيل بالاضافة إلى سياسة الحرب والتوسع ترمي كذلك في اطار الاستراتيجية الاستعمارية إلى القضاء على إمكانات التنمية لشعوب المنطقة ، وهكذا تبدو الصهيونية في هذا العصر الذى يشهد انطلاقة حركات التحرر الوطني وتصفية الاستعمار انزعاجا خطيرا للنظام الاستعماري والعنصري ولمناهجه في السيطرة والاستغلال رغم ارتباط اسرائيل بالاستعمار العالمي الذي يضع في خدمة أهدافها العدوانية امكاناته ووسائله المتفوقة فإن الأمة العربية لم تتخل أبدا عن أهدافها الوطنية ولم تتراجع أمام متطلبات الكفاح ولم تستطع النكسات والمحن أن تنال من إرادتها الوطنية بل زادتها صلابة وتصميما ، وفي أكتوبر **١٩٧٣** أي رمضان المبارك عام **١٣٩٣** استطاعت القوات المسلحة المصرية والسورية والمقاومة الفلسطينية تشاركها قوات عربية أخرى ان تلحق بالمعتدين الاسرائيليين أفدح الخسائر ، ومن خلال هذه المعارك تعاظم وعى الأمة العربية وحكوماتها بمسؤلياتها وإمكاناتها المادية والبشرية ، وقد تجسد هذا الوعي في تضامن عملي أكد فاعليته واعطى بعدا جديدا لحركة التحرر العربي .

وان المؤتمر يحيى جنودنا الأبطال على جبهات القتال الذين سجلوا أروع صفحات الوطنية والاقدام ، ويزدادون تصميما على النضال حتى النصر كما يترحم على شهدائنا الشجعان الأبرار الذين خلدوا ذكراهم وأعلوا شأن أمتهم .

لقد ظهرت اسرائيل على حقيقتها وأصبح الطابع التوسعي لسياستها لا يخفى على أحد وانكشفت صداقتها المريعة مع الشعوب الإفريقية ولم تعد تحظى بأدنى تأييد في إفريقيا إلا من الأنظمة الاستعمارية والعنصرية في جنوب إفريقيا وروديسيا والبرتغال وإلى جانب ذلك تواجه اسرائيل رفضا عاما لسياستها في البلاد الاسلامية وبلدان عدم الانحياز ومنظمات التحرير في العالم الثالث والرأي العام العالمي

المستنير غير المتحيز وبالنتيجة أصبح اليوم انعزال اسرائيل دبلوماسيا واقعا ملموسا ، ومما ينطوي على دلالة خاصة أن تبدأ بعض الحكومات الأوروبية المعروفة تقليديا بتبنيها للمواقف الاسرائيلية في التساؤل عن جدوى سياسة اسرائيل والمغامرة التي جاءت بمخاطر كبيرة على السلم والتعاون الدولي أن هذه العناصر التي تشكل مكاسب هامة للقضية العربية ينبغي تطويرها وتوحيدها من أجل التوصل إلى حل يكفل الحقوق الوطنية العربية .

إن وقف اطلاق النار الذي مضى عليه أكثر من شهر لا يزال يلتزم بمناورات وتخريب الطرف الاسرائيلي كما تؤكد مواقف اسرائيل الرسمية وتصرفاتها على الصعيد الدولي ان اسرائيل لم تتخل عن سياستها القديمة ولن تتراجع عن مطامعها الاستعمارية التوسعية .

أن وقف اطلاق النار ليس هو السلام ، فالسلام يستلزم توفير عدد من الشروط في مقدمتها شرطان أساسيان ثابتان هما :

أولا : انسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة وفي مقدمتها القدس .

ثانيا : استعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية الثابتة ، وما لم يتحقق هذان الشرطان فإنه من الوهم توقع شيء آخر في الشرق الأوسط سوى تفاقم أوضاع متفجرة وقيام مجابهات جديدة .

إن الملوك والرؤساء العرب إدراكا منهم لمسئولياتهم التاريخية يؤكدون استعدادهم للمساهمة في تحقيق سلام عادل على أساس هذين المبدأين ، وعلى الذين يتحدثون عن السلام أن يبرهنوا بالأفعال عن إرادتهم في انهاء وضع تزيده الأيام خطورة وتفجرا .

ان البلدان العربية لن تقبل بأي حال رهن مستقبلها بوعود غامضة ومساومات خادعة ، ويجب ألا يتطرق أدنى شك لدى الرأى العام العالمي الذي طالما خدعته الدعاية الصهيونية حول ارادة الأمة العربية وتصميمها على استرجاع حقوقها المغتصبة وتحرير أراضيها المحتلة ، وإن السلام لا يمكن تحقيقه إلا بالرضوخ الكامل وتجنب المناورة والخداع وعلى أساس المبادئ الواردة في هذا البيان .

وبهذا يعلن الملوك والرؤساء العرب أن أية مشاورات جدية بناءة يجب أن تجري في هذا النطاق ، وإذا لم تتوفر شروط السلام العادل وإذا ما اصطدمت الجهود العربية من أجل السلام بالرفض من قبل اسرائيل وحلفائها فان الدول العربية تجد نفسها مضطرة إلى استخلاص النتائج الطبيعية وإلى مواصلة معركتها التحريرية مهما طال أمدها بجميع الوسائل وفي مختلف الميادين .

ان الأمة العربية المصممة على أداء واجبها مستعدة للمزيد من النضال والتضحية والفداء وعلى العالم كله أن يتحمل مسئوليته بالتصدى للعدوان ودعم النضال العربي العادل .

هذه هي مقررات مؤتمر قمة الجزائر ختمت ببيان موجه إلى أوربا الغربية ، وهذا نصه :

إن العالم الذي يتابع باهتمام تطورات مشكلة الشرق الأوسط من حقه علينا أن يعرف بالتحديد ماذا نريد وان يشاركنا في تصور آمالنا ورؤيتنا للمستقبل في منطقتنا وفي العالم أجمع .

اننا نؤكد للعالم أننا نسعى في اطار الشرعية الدولية لتحقيق سلام عادل دائم على أساس استرجاع أرضنا المحتلة واستعادة الحقوق الوطنية لشعب فلسطين ، ونحن نسعى في هذا الاطار لاقامة منطقة سلام في الشرق الأوسط تحقق مصالحنا ومصالح دول العالم كلها ونحرص على إبعاد الصدام الدولى عن المنطقة .

وإيمانا منا بميثاق الأمم المتحدة ومبادئ عدم الانحياز إذ نعبر عن تقديرنا العميق للمساهمة الايجابية البناءة التي قام بها إخوتنا وشركاء نضالنا فى إفريقيا وآسيا ودول عدم الانحياز فاننا نتطلع بمزيد من العناية والاهتمام لبوادر التفهم لمواقفنا التي بدأت تبدو في دول أوروبا الغربية كما نعلن عن استعدادنا المخلص للتعاون في الجهود المبذولة في نطاق الأمم المتحدة لارساء السلام العادل في المنطقة .

إن أوروبا الغربية تتصل بالشعوب العربية عبر البحر الأبيض المتوسط بصلات حضارية متينة ومصالح حيوية متداخلة لا يمكن أن تنمو إلا في اطار تعاون تسوده الثقة والمصالح المتبادلة وهي لهذا جديرة باتخاذ موقف واضح منصف تجاه قضيتنا العادلة تثبيتا لاستقلال إرادتها وأداء دورها كاملا في الشئون الدولية وذلك بالالتزام

بالعمل بجميع الوسائل على انسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة وفي مقدمتها القدس ، واستعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية .

ان العرب حريصون على صداقة جميع الشعوب وهم يريدون تبادل المنافع معها دون تمييز على أساس ضمان حقوقهم المشروعة وضيانة مصالحهم الحيوية وهم حريصون كذلك على الاسهام في توفير الرفاهية للعالم على أن يسهم العالم معهم في توفير العدالة والأمن في منطقتهم .

وهناك بيان موجه من المؤتمر الى إفريقيا نثبته فيما يلي :

إن الملوك والرؤساء العرب المجتمعين في مدينة الجزائر من ٢٦ حتى ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) لعام ١٩٧٣ وقد بحثوا الوضع الجديد في الشرق الأوسط الناجم عن العدوان الاسرائيلي وآثاره على الأمن الدولي وأخذوا بعين الاعتبار تزايد حركة التضامن التي عبرت عنها البلدان الأفريقية الشقيقية لصالح القضية العربية العادلة والكفاح من أجل تحرير الأراضي العربية المحتلة واستعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية وهو الكفاح الذي يدرج ضمن المعركة التي تخوضها قوى التحرير ضد قوى الاستعمار والعنصرية والصهيونية وإذ يعتبرون أن التضامن العربي الإفريقي ينبغي أن يتجسد بشكل ملموس في كل الميادين وبالذات في ميدان التعاون السياسي والاقتصادي بهدف توطيد دعائم الاستقلال الوطني وتحقيق التنمية يقررون :

أولا : توجيه تحية تقدير للدول الإفريقية الشقيقة للقرارات التي اتخذتها في قطع علاقاتها مع اسرائيل التي تزداد عزلتها في العالم .

ثانيا : الاعراب عن تقديرهم لتأكيد هذا التضامن مع البلدان العربية المكافحة خلال الدورة الاستثنائية لمجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية .

ثالثا : تأييد البلدان الإفريقية تأييدا كاملا في الكفاح من أجل التحرير الوطني والتقدم الاقتصادي وفي النضال ضد الاستعمار والتميز العنصرى .

رابعا : الترحيب بقرار مجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية في اجتماعه الطارئ الأخير بتأليف لجنة مكونة من سبع دول لتنظيم التعاون الإفريقي العربي ،

ويقرون اتخاذ الاجراءات التالية لتقرير التضامن العربي الإفريقي وتجسيمه في الواقع العملي وهى :

أ ـ دعم التعاون العربي الافريقي في المجال السياسي وتعزيز التمثيل الدبلوماسي العربي في افريقيا .

ب ـ قطع جميع العلاقات الدبلوماسية والقنصلية والاقتصادية والثقافية وغيرها مع جنوب افريقيا والبرتغال وروديسيا من قبل الدول العربية التي لم تقم بذلك بعد تطبيق حظر تام على تصدير البترول العربي الى هذه البلدان الثلاثة .

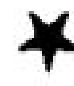
جـ ـ اتخاذ اجراءات خاصة لمواصلة التموين الطبيعي للبلدان الافريقية الشقيقة بالبترول العربي .

د ـ دعم وتوسيع التعاون الاقتصادي والمالي والثقافي مع البلدان الافريقية الشقيقة وذلك على مستوى ثنائي وعلى مستوى المؤسسات الاقليمية العربية والافريقية .

هـ ـ مضاعفة التأييد على الصعيد الدبلوماسي والمادي لكفاح منظمات التحرير الافريقية . ومن أجل التعجيل لتطبيق هذه القرارات وقيام تعاون مستمر بين البلدان العربية والافريقية يكلفون الامانة العامة للجامعة العربية باتخاذ الاجراءات التنفيذية والاتصال بالامانة العامة لمنظمة الوحدة الافريقية ولجنة الدول السبع التابعة لها تنظيم مشاورات دورية على مختلف المستويات بين الدول العربية والافريقية .

ان الملوك والرؤساء العرب المجتمعين بقاعة الجزائر من ٢٦ الى ٢٨ نوفمبر ١٩٧٣ يعتبرون أن العدوان الاسرائيلي قد برهن على سلامة التحليل الذي أجراه رؤساء الدول والحكومات لبلدان عدم الانحياز أثناء مؤتمرهم الرابع في الجزائر وهو التحليل الذي يحدد بدقة الوضع السائد في الشرق الاوسط إنما هو نتيجة لتعنت اسرائيل واستمرارها في سياسة الاحتلال لاراضي ثلاث دول أعضاء في دول عدم الانحياز وان هذا العدوان يشكل تهديدا للسلام والامن الدوليين ويذكر الملوك والرؤساء بالطابع الاستعماري لاسرائيل باعتباره عاملا للتوتر والمجابهة القائمة في منطقة حيوية من العالم الثالث ويسجلون بارتياح كامل

التضامن الذي أبدته بلدان عدم الانحياز إزاء مصر وسوريا والاردن والشعب الفلسطيني في الكفاح من أجل تحرير أراضيها ووحدة ترابها وحقوقها الوطنية ولقد بدأ هذا التضامن بشكل خاص في النشاط السياسي والدبلوماسي الذي ساهم في شجب المجموعة الدولية وادانتها لمخططات اسرائيل العدوانية والتوسعية وضم الاراضي . وإذ يتوجه الملوك والرؤساء بالتقدير الى بلدان عدم الانحياز في افريقيا بالتضامن الفعال الذي أبدته إزاء كفاح الشعوب العربية يحثون مجموع بلدان عدم الانحياز لمضاعفة نشاطهم الفردي والجماعي لفائدة إيجاد حل للشرق الاوسط يتفق مع مبادئ وقرارات بلدان عدم الانحياز ويعمل على استتباب السلم والامن في العالم . وإذ يدين الملوك والرؤساء التواطؤ الوثيق القائم بين اسرائيل والانظمة الاستعمارية والعنصرية والامبريالية الامريكية يدعون مجموعة بلدان عدم الانحياز التي تمثل شعوب العالم الثالث وأغلبية سكان المعمورة التي تحمل مسئولياتها الدولية من أجل نصرة الحق والعدل ليس في الشرق الاوسط فحسب ولكن في العالم كله كذلك يزيد من مشاركتها طبقا لقرارات مؤتمر القمة الرابع في اقامة نظام دولي يقوم على الديمقراطية ويتفق مع تطلعات الشعوب نحو التقدم والامن والسلام .





وخلاصة القول : ان عبقرية الملك فيصل السياسية وغيرته على دينه وعروبته واخوته العرب ، ودعوته الى التضامن العربي ، وجهوده في توطيد أواصر الأخوة بين العرب وملوكهم ورؤسائهم وقادتهم ، وسخاؤه في المعونات التي قدمها لدول المواجهة كانت سبب الانتصارات الذي لا يتجلى في هزيمة اسرائيل وحسب ، بل يضاف إلى ذلك ما أصاب من أوجدوها وساعدوها بدوار شديد من اثر الضربة الفيصلية التي اتخذت سلاح النفط الذي استعمله في مهارة وحكمة وسداد وبراعة حاذقة نشهدها في آثارها السريعة .

ومن هذه الآثار انشقاق حلفاء الولايات المتحدة عليها ، واحتجاج دول حلف الاطلسي على زعيمتها ، واعلان دول السوق الاوروبية استنكارها لموقف أمريكا التي تجاهلت حليفاتها ، وأهانتها بهذا التجاهل المعيب والاستكبار الشنيع ،

وتخطئتها لها ، واستنكارها لعدوان اسرائيل ، ومطالبتها إياها بالانسحاب من الاراضي التي احتلتها في حرب يونيو ١٩٦٧ .

وكلنا يعرف ما كان بين فرنسا واسرائيل من الود والاتفاق في وجهات النظر والسياسة والهدف حتى أنها اشتركت معها ومع بريطانيا في العدوان على مصر سنة ١٩٥٦ وما كان موقف فرنسا ليتغير لولا جهود الملك فيصل ، واجتماعه بالرئيس الفرنسي ديجول ثم بالرئيس بومبيدو وساسة فرنسا التي قدرت الموقف العربي بعد أن كشف لهم الملك فيصل الحقائق ، وأقنعهم بضرورة تأييد الحق العربي ، ثم أقنعهم بأن هذا الحق للعرب وحدهم دون اليهود المعتدين .

وتصريح وزير خارجية فرنسا المسيو ميشيل جوبير في أعقاب حرب رمضان برهان على تأييد فرنسا للعرب ، ومن تصريحه قوله : « ان عودة الانسان الى داره التي يملكها لا يعد عدوانا على من اغتصبها » وكان قوله هذا ردا على اليهود ولهم في فرنسا نفوذ على زعمهم أن العرب قد اعتدوا عليهم في سيناء والجولان .

وكان من آثار سياسة الملك فيصل مراجعة الدول الاوروبية وغير الاوروبية كاليابان مواقفها ، وتصحيحها لها ، وتأييد عديد منها للعرب ، كما كان من آثارها قطع الدول الافريقية علاقاتها مع اسرائيل .

كل هذه الآثار سبقتها آثار جليلة أثمرت وحدة العرب تجاه العدو الصهيوني ومساندة المسلمين جميعا للعرب في جهادهم ، واستعدادهم لأن يخوضوا حرب التحرير معهم ، وأثمرت جهوده الانتصار في حرب العاشر من رمضان . والحمد لله رب العالمين .

قمة لاهور الإسلامية

في لقاء لي مع الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة بقصر قرطاج بتونس في صباح يوم الثلاثاء ، ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٨٦ (٧ مارس ١٩٦٧) قال فخامته في حديث صحفي أجريته معه ونشر بالعدد الاول من مجلتي « كلمة الحق » الصادرة في شهر المحرم سنة ١٣٨٧ (أبريل ١٩٦٧) : « إن الملك فيصلا قائد حركة الإسلام في هذا العصر » .

وهذا حق ، فما للاسلام غير فيصل ، وكل حركة اسلامية في أي مكان من هذا العالم مدينة للملك فيصل ، فهو رائد التضامن الإسلامي ، وأول من أطلق الدعوة إليه ، ولم يكتف بها في مجالها الفكري ، بل خطط لها ، وعمل على تحقيقها ، وأدركت القوى الخفية والظاهرة من استعمار وشيوعية وصهيونية وماسونية خطر هذه الدعوة فجندت كل ما في وسعها للقضاء عليها ، فزعمت الشيوعية أن الدعوة من ولائد الاستعمار أراد منها ضرب القوى التقدمية في العالم العربي والإسلامي ، وزعم الاستعمار أن وراء الدعوة الشيوعية ، وروج لهذه الحرب المعلنة على فيصل ودعوته الصهيونية والماسونية .

وكل مذهب من مذاهب الهدم اتهم الدعوة وصاحبها ، وكان ممن حاربوهما زعماء وحكام عرب ومسلمون ، سخروا كل ما يملكون من وسائل الاعلام والدعاية لتشويه سمعة الداعي الملك فيصل ودعوته ، وأعلنوا عليهما حربا ضروسا قاسية لم تزد الملك فيصل إلا ثباتا واقداما وإصرارا على الجهاد ، وذهب أولئك الحكام وبقي فيصل ، ونجحت دعوته .

ومن خير من فهم دعوة الملك فيصل وأدرك حقيقتها وأبعادها ونتائجها ودافع عنها من الحكام الحبيب بورقيبة الذي نقتطع من كلامه ما نصه[1] :

« كنا من أول الدول الإسلامية التي بادرت بتأييد هذه الدعوة ، وذلك ـ أولا ـ لاسباب عاطفية تقود إلى تاريخ هذا الشعب وأصالة الاسلام فيه وغيرته على كل ما يتصل بشؤون الاسلام ، فتونس دولة اسلامية ، ودستورها ينص على أن دينها الاسلام ، ولغتها العربية .

« وكان من الطبيعي أن تبارك تونس شعبا وحكومة هذه الدعوة التي أفضل بها جلالة أخي الملك فيصل وقلنا : « جاءنا الهدي مرة أولى من مكة ، فلا غرو أن تصدر عنها من جديد هذه البادرة الطيبة الرامية الى إحياء الإسلام وإعلاء مكانته بتضافر جهود جميع الدول الإسلامية .

« على أن تأييدنا لدعوة التقارب الاسلامي لا يقتصر على هذه الاسباب التاريخية العاطفية ، بل نحن نعتقد أن اجتماعا بين قادة المسلمين في أعلى مستوى يمكن أن يكون أداة في منتهى « الفاعلية » لتحريك الشعور الإسلامي ، وفتح سبل اليقظة والتدبر في وجهها ، ودفعها دفعا حاسما نحو الرقي والتطور .

« فالدين الإسلامي قد جعل للدنيا والآخرة معا، وقد قال عنه الاثر : انه صالح لكل مكان وكل زمان ، إلا أن عصور التقهقر التي رانت على الامة الإسلامية التي أفقدتها الحيوية الفكرية التي كانت للرعيل الاول من السلف الصالح الذين يحرصون على أن يكون فقه الدين ـ أي فهمه ـ مناسبا لتطور المجتمع الاسلامي ،

---

(١) كل شواهد كلام الرئيس الحبيب بورقيبة منقولة من مجلة « كلمة الحق » التي تصدر عن مكة المكرمة حرسها الله ، وهي مجلة « عقائدية » كنت أصدرها على حسابي ولما لم أطق احتمال الخسائر وقفتها عن الصدور منذ سنوات .

وما تنشأ فيه من حاجات جديدة ومشاكل معقدة ينبغي أن يواجهها الدين بقوة ووضوح كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي استنبط لها أحكاما لم ترد بنصها ، ولكنها مستوحاة بطريق العقل من روح تعاليم القرآن والسنة .

« أعتقد أن الشعوب الاسلامية رغم تباعدها في المكان وتباينها في اللغة وأساليب العيش تؤلف أمة واحدة من حيث أن لها مشاكل واحدة تتعلق بالتنسيق بين حياتها الروحية ومقتضيات حياتها الاجتماعية .

« ولئن كان في إمكان كل شعب من هذه الشعوب أن يجتهد في إيجاد الحلول الملائمة لاوضاعه فإن هناك أمورا جوهرية لا بد فيها من توضيح مناهج عامة ومواقف موحدة تكون اساسا لاجماع اسلامي شامل لكافة مسلمي هذا القرن العشرين .

« وأعتقد أننا إذا تصدينا لهذا العمل نكون قد أسدينا خدمات جليلة لشعوبنا ، وضاعفنا طاقتها على مكافحة ما نشكوه جميعا من تخلف اجتماعي واقتصادي ، ووفرنا لها أسباب العزة والمناعة التي أمرنا بها الدين ، ووعد بها الله المؤمنين المخلصين له الدين حنفاء .

وأعتقد أن احياء جذوة الدين في شعوبنا على أسس مطهرة من كل زيف ومن كل جمود إنما هو الضمان الوحيد لنموها وتطورها بدون أن تزيغ عن جادتها الروحية الاصيلة ، وبدون أن تتردى في مهاوي المدنية الحديثة ، وبدون أن تجرفها التيارات المذهبية الهدامة » .

وسألت فخامته : ما الاسباب التي دعت بعض البلدان العربية الى عدم مساندة هذه الدعوة ؟ فأجاب :

« هذه الاسباب لا تمت بصلة الى جوهر الدعوة ، لانه لا يعقل أن يشعر مسلم في أي مكان بأن عملا من هذا القبيل لا يعنيه في الصميم ، ولا يستجيب لاعمق رغباته .

« أعتقد أن جميع الدول التي قابلت الدعوة السعودية بالانكماش إنما فعلت ذلك بدوافع سياسية ، وان مواقفها لا تعبر في شيء عن مشاعر شعوبها .

« والجدير بالملاحظة أن دولة واحدة قابلت الدعوة بالعداء السافر، طعنت فيها بدعوى أنها من وحي الاستعمار، ونحن لا نفهم ما يمكن أن يجني الاستعمار من وراء مشروع يهدف إلى جمع كلمة المسلمين، وتعزيز شعورهم بما يربط بينهم، وبعث اليقظة في نفوسهم، الى مشاكل عاطلة عن الحل منذ أحقاب.

« وهي تهمة رخيصة وشنشنة كثيرا ما سمعنا أمثالها من أناس كلما فاجأتهم بادرة لا تروقهم ولم يكن لهم فيها اليد الطولى، ومن السهل أن تنقلب التهمة الى أصحابها بأن يقال : انهم يعملون بوحي من قوى أجنبية تخشى مغبة هذا التقارب الإسلامي.

ولعل الاوضاع الداخلية هي التي جعلت هذه الدول العربية الإسلامية تنصب العداء لمشروع له مساس بالدين في حين أنها تعاني معارضة عنيفة من المسلمين.

« وان خصوم الملك فيصل من الماركسية واعداء الاسلام عامة ليست موجهة إلى شخصه، بل إلى الدين الإسلامي الذي يعتنقه معه حوالي ستمئة مليون مسلم.

« ما الخصومة الشخصية بين الملك فيصل و...؟ بل يجب أن نسأل : أهناك خصومة شخصية؟ الواقع نفسه يجيب بالنفي، فما سبب الخصومة القائمة بينهما؟ وما نوعها؟ ومن الذي بدأ بها وأشعلها الى حد الحرب واستعمال السلاح؟.

« الجواب معروف وواضح... ونوع الخصومة ديني أخلاقي، وسببها الاسلام الذي يدعو إليه الملك فيصل ويدافع عنه، ولا يمكن لأحد أن يشعر بإنسانيته أن يزعم أنه بجانب الاسلام عندما يخاصم الملك فيصلا ودعاة الاسلام جميعا.

« وجلالته معروف عنه منذ نشأته الاولى بأنه رجل دين، وشديد التمسك به، وعظيم الغيرة عليه، ولا يمكن لاحد أن يطعنه في تدينه واخلاصه لربه، أو يذكر حادثة واحدة أو كلمة تدل على أنه تخلى عن دينه في جميع مراحل حياته وسياسته.

وأعلن أنا في صراحة أن الملك فيصلا أهل لأن يقود حركة الإسلام في هذا العصر، واننا ندعو له بالنصر والتوفيق، ونشاركه حمل أعباء الدعوة والعمل باخلاص للتضامن الاسلامي ».

وتحدث الرئيس بورقيبة في رد أباطيل خصوم دعوة الملك فيصل فقال :

« اننا نعرف الملك فيصلا منذ زمن بعيد ، وتتبعنا مع الناس حياته السياسية منذ سنة ١٩٢٧ م وعاصرناه خلالها فإذا هو العربي المسلم الذي يمتاز ببياض صفحته . . . والحكومة السعودية منذ نشأتها كانت بلادها العربية هي الوحيدة التي لم تخضع للاستعمار ، ولا سياستها لنفوذه ، بل كانت سياستها نابعة من وضعها التاريخي والديني ، ولم يؤخذ عليها قط أي مأخذ بحيث يمكن اتهامها بأنها خضعت لنفوذ الاستعمار ، أوسارت في طريقه ، أو استوحت منه السياسة » .

وتناول الرئيس بورقيبة خصوم الدعوة وفندها ، وذكر بعضهم باسمه ، وقال : « إن الاستعمار الذي يقصده هذا البعض هو الاستعمار الغربي وحده ، لان الاستعمار الشيوعي ليس استعمارا مع أنه شر أنواعه » .

وقال فخامته : « ان الاستعمار الغربي كان خصما للاسلام وما يزال ، ففي افريقيا وفي كل مكان يحارب الاستعمار الاسلام ، وهو هدفه في الحرب ، والاستعمار يواجه الاسلام مواجهة عدائية أنى لقيه ، فهل يعقل أن هذا الاستعمار يؤيد الاسلام في دعوته الى التضامن الاسلامي ؟ وهل يعقل أن الاستعمار يساند الاسلام في حركته أو أي تحرك من تحركاته وامتداده وانتشاره ؟ .

« ان الملك فيصلا خاصم الاستعمار قبل أن يولد (فلان)[1] وخط سير الملك فيصل في الحياة واضح ومستقيم ، ولم ينحرف ، وما زالت خصومته للاستعمار كما هي ، وزادت بعد اغتصاب حقوق العرب في فلسطين ، ولم تهدأ حتى اليوم ، بل زادت اشتعالا ، والملك فيصل صريح في عدائه للاستعمار ، وهو الحاكم الوحيد الذي رفض قرار هيئة الامم المتحدة بالتقسيم جملة وتفصيلا في الوقت الذي وافق (فلان) على التقسيم ويدعو إليه ، ويحمل لواءه تأييدا لواقع اسرائيل ولروسيا التي أيدت قيام اسرائيل .

« و (فلان) نفسه مدعو لمؤتمر القمة الإسلامي ، فلو كان التضامن الذي يدعو إليه الملك فيصل من مخطط الاستعمار فإن من حقه بعد حضور افتتاح المؤتمر وأثناء

---

(١) ذكر الرئيس بورقيبة اسم هذا الحاكم العربي ، ووضعنا نحن بدل اسمه كلمة « فلان » لان الله عز وجل قد جمع كلمة المسلمين وزعمائهم وحكامهم وملوكهم ورؤسائهم فلا ضرورة الى ذكر اسمه .

انعقاده أن يضع النقاط على الحروف ، ويكشف هذا المخطط الموهوم ، ويقدم البراهين لاعضاء مؤتمر القمة من الملوك والرؤساء ويقنعهم . . . ولا يمكن أن يجمعوا على باطل ويسكتوا عليه ، أو يجمعوا على ضلال ويدعوا إليه ، وليس الملوك والرؤساء وحدهم ذوي الرأي والشأن ، بل وراءهم ومعهم العلماء والمفكرون والمثقفون وغيرهم .

« فهل يعقل أن هؤلاء جميعا - وهم يمثلون المسلمين - يسيرون وراء تأييد مخطط الاستعمار وينفرد (فلان) بالغيرة على الاسلام ؟ وهل يعقل أن هؤلاء جميعا يؤيدون الملك فيصلا في ذلك المخطط وينفرد (فلان) بمحاربته .

« ان كل الرؤساء والملوك الذين أيدوا دعوة الملك فيصل إلى التضامن الاسلامي هم أعظم من (فلان) فهما للاسلام ، وأكرم منه خلقا ، ولقد درسوا دعوة فيصل كما درسناها نحن دراسة صحيحة ، وانتهت الدراسة من المؤيدين الى اخلاص الداعي وثقته من نجاحها ، لانها دعوة الحق والخير المؤيدة من المسلمين .

« ولو لم يكن الداعي مخلصا لانهار أمام عنف الحرب التي تعلنها عليه مذاهب الهدم وأعداء الاسلام . . . ولكن ثبات الداعي ونجاح الدعوة برهان صدقهما .

« وليست هذه الدعوة بجديدة ، فالحكومة العربية السعودية دعت إليها منذ نشأتها الاولى أيام الامام محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٧٩٢ م ثم في عهدها الجديد على يد الملك عبد العزيز رحمه الله ، الذي بنى سياسته الداخلية والخارجية على الدعوة الإسلامية .

« ان الملك عبد العزيز كان يعمل للاسلام ويرجو ربه أن يموت عليه ، وعمل للتضامن الاسلامي بتأييد كل الحركات الوطنية في البلدان الاسلامية ، وأنا أعترف للحق والتاريخ أن الملك عبد العزيز آل سعود هو الحاكم الوحيد الذي أيدنا بالقول والعمل ، وشاركنا جهادنا بالمال فكان أول مال لتمويل جهادنا هو ما قدمه لنا هذا الملك المسلم رحمه الله وأثابه .

« انه أيد جهادنا لانه جهاد اسلامي مقدس ، وعمله معنا ومع غيرنا إنما هو للتضامن الاسلامي الحق والاخوة الاسلامية الصادقة .

« وسياسة الملك فيصل الاسلامية هي امتداد لسياسة أبيه الراحل الكريم ، وانني

أؤيد دعوته التي هي دعوة كل مسلم حق ، أؤيده فيها وأدعو له بالنصر والتوفيق ، لأنها هي دعوتنا التي قمنا بها في جهادنا ضد الاستعمار » .

هذا بعض ما جاء في حديث الرئيس الحبيب بورقيبة ، وقد بين فيه حقيقة الدعوة إلى التضامن الاسلامي وداعيها العظيم المخلص الملك فيصل ، وفيما ذكره غناء ، فالرئيس التونسي قد أوجز بأسلوبه البليغ ما كفانا عن إضافة المزيد إليه .

واجتمعت كلمة قوى الشر المعادية للانسانية والاسلام على محاربة الملك فيصل ، وكان من حكام المسلمين والعرب ومفكريهم أقوى خصوم الدعوة ، حتى أن كثيرا من المخلصين لها ممن لم يعرفوا قوة فيصل أشفقوا على الدعوة والداعي ، ولشد ما أسعدهم وأسعد المسلمين جميعا أن فيصلا وقف في وجه كل القوى المعادية بصلابة وعناد وعزم ، ولم يشغله وقوفه عن متابعة نشر الدعوة وزرعها في نفوس المسلمين وأقطابهم وأقطارهم .

وأخذت الضحايا تسقط بفضل الله ، ولكنها كانت من أعداء الدعوة ، وتنقل الملك فيصل من نجاح الى نجاح .

ومما يذكر لجلالته أنه واجه خصوم الدعوة في كل الميادين التي اختاروها ، واجهها في الاقطار الاسلامية ، وفي افريقيا ، وفي أوروبا ، وفي أمريكا ، ولم يتخل عنها قط ، فقد أعلنها من البيت الابيض في واشنطن ، ومن قصر بكنجهام في لندن ، ومن قصر الاليزيه في باريس ، ومن قصر الميكادو في طوكيو ، وبلغ من براعته وحذقه أنه لم يسئ إلى مضيفيه وفيهم أعداء الاسلام .

ومنذ قيامه بالدعوة وهي تعطيه ثمارها ، وتقضي على خصومها ، وكان من تلك الثمار اقتناع الملوك والرؤساء والزعماء والمفكرين ورجال السياسة والقلم والادب في العالم العربي والاسلامي بأن من الفرض عليهم اعتناق الدعوة وتأييدها والعمل على انجاحها .

أما الشعوب فهي مؤمنة أن خادم الحرمين الملك فيصلا قائدهم الحق الذي لا يكذبهم ، بل يصدقهم ويقودهم الى ما فيه عزهم ومجدهم في حاضرهم وفي مستقبلهم ، وأنه وحده الاهل للقيادة الصحيحة .

وموقف الشعوب أجبر الشاكين والمترددين من الحكام والمفكرين كما أجبر

الخصوم من هؤلاء على تغيير مواقفهم ، وعلى الرضا بقيادة الملك فيصل ، وعلى تأييد دعوته .

ونجحت دعوة الملك فيصل نجاحا وأخذت تعطي الثمار قبل أوانها ، فانعقدت مؤتمرات قمة عربية ثم مؤتمرات قمة إسلامية تحت راية الدعوة الفيصلية التي هي راية الاسلام والتوحيد .

ولم يغير الملك فيصل خطته في الدعوة ، لانها مبنية على قواعد متينة راسخة هي قواعد الاسلام ، ومنطلقة من القرآن الذي لا يأتيه الباطل ، ولم تخفه قوى الشر والبغي لانه مؤمن حق الايمان بما قرره القرآن إذ قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه : ﴿ إن الباطل كان زهوقا ﴾ .

وهذه قاعدة أصولية ، وهو مطمئن إلى ما قرره الله ، فالباطل زهوق مهما بلغ من استئساده ، وقد انتهى الباطل إلى ما هو مكتوب له ، وفي الناحية المقابلة للباطل انتصر الحق الذي يدعو إليه الملك فيصل ويحمل لواءه .

وقد سبق أن أشرنا في فصل « حرب رمضان » من هذا الكتاب الى منهاج الملك فيصل وجهوده وعبقريته التي أفضت الى انتصار القوة العربية على قوة اسرائيل الضخمة وضربها في الصميم خلال الساعات الاولى من حرب رمضان .

ومن خلائق فيصل صمته ، فهو لا يتحدث عما يصنع من الخير للعرب والمسلمين وللانسانية ، ولم يشر قط لا تصريحا ولا تلميحا الى جهوده ، فحرب رمضان لم تنته الى نصر العرب إلا بجهد فيصل وعبقريته في السياسة وفقه إدارة الحرب ، ولكنه لم يتحدث عن فضله ، بل اعتصم بالصمت وما يزال ، ولكن الرئيس العظيم المجاهد الصادق والقائد الموفق محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر هو الذي أعلن للعالم فضل الملك فيصل وجهده ، وما ينبئك مثل خبير .

قال منقذ مصر وقائدها الاعظم محمد أنور السادات في حديث له مع رئيس تحرير جريدة الاهرام ، واذاعته وكالات الانباء المصرية والعربية والإسلامية والعالمية :

« ان جلالة الملك فيصل هو بطل معركة أكتوبر ، وسوف يحتل الصفحات

الاولى في تاريخ جهاد العرب وتحولهم من الحركة الى الجمود ، ومن الانتظار الى الهجوم » .

وكلنا نحن المسلمين والعرب أيضا نعلم أن اليأس قد فتك بالامة العربية وزعمائها وحكامها ومفكريها بعد حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ واعتقدوا ألا قبل لهم بمحاربة اسرائيل ، وأنه لن تقوم للعرب قائمة بعد الهزيمة التي أصيبوا بها في حرب يونيو .

والواقع ان اسرائيل انتصرت انتصارا مبينا ، وتضخمت قوتها العسكرية الى حد لم تبلغه دولة في العالم ، فكل دولة تنشئ جيشا لحمايتها من العدوان ، ولا يزيد عدد الجيش عن اثنين في كل ألف من مجموع السكان في زمن السلم ، وعن ١٠٪ في زمن الحرب ، أما في اسرائيل فالامر يختلف كل الاختلاف ، فجيشها لم ينشأ من أجل حمايتها من العدوان ، بل أنشئ للتسلط والعدوان ، وكل فرد في اسرائيل جندي محارب حتى الاطفال .

وإذا كان لكل دولة جيش فإن اسرائيل ليست دولة ككل الدول في العالم ، بل تختلف عنها ، فاسرائيل جيش يملك دولة ، وإذا كان لكل شعب جيش لا يبلغ اثنين في الالف في زمن السلم و ١٠٪ في زمن الحرب فإن شعب اسرائيل كله جيش ، وجيشها كله بعدد أفراد شعبها ، وإذا كان لكل دولة قلاع وحصون وخطوط دفاع فإن دولة اسرائيل كلها قلعة وحصون وخطوط دفاع .

وهذا أمر لا وجود له في تاريخ العالم منذ كان له تاريخ حتى اليوم ، وهذا ما أوجد اليأس في قلب العرب حتى بلغت بهم الازمة النفسية من هزيمة يونيو ١٩٦٧ الى حد فقدان الثقة بالنفس والحاضر والمستقبل ، وطفقوا يعيشون في يأس قاتل ، وزاد من يأسهم عقاب اسرائيل للدول المجاورة التي تنطلق منها قوى الفدائيين الفلسطينيين إذ أعلن القادة اليهود أن اسرائيل ستعاقب كل دولة عربية تسمح للفدائيين بالانطلاق من أرضها ، وخافت حكومات عربية من إنذار اسرائيل ، وانهار العرب ، وبلغت قلوبهم الحناجر ، حتى المؤمنون إلا القليل ظنوا بالله الظنون .

والوحيد الذي كان متفائلا هو الملك فيصل ، وحاولت دعاية القوة الخفية

والقوى العالمية الفت من عضده وقذف اليأس الى قلبه ، إلا أن كل سهام الاعداء ارتدت عن فيصل الى نحورهم ، وعظمت مهامه ، وإذا هو مسئول بينه وبين نفسه عن إزالة اليأس المتمكن من نفوس العرب والمسلمين ، وسهر ليله ، وضاعف نشاطه وجهده ، وأخذ يبعث الايمان في القلوب ويذكرهم بنصر الله لمن آمن به حق الايمان ووعده لجنده بأنهم الغالبون ، ودرس أسباب الهزيمة التي مني بها العرب ، وأسباب النصر الذي أحرزه أعداؤهم ، ووضع خطة العمل ، وبعث الحماسة في قلوب اليائسين ، ودفع القادة إلى جمع صفوفهم وصفوف جنودهم ، وجمع حكام الدول المجاورة لاسرائيل ، وفتح لهم قلبه وخزائن أمته الغنية ، وأعد العدة للمعركة ، وهيأ كل اسباب النصر ، وتوكل على الله بعد أن عقد العزم على انتزاع الحق بالقوة ، وحدد للمعركة أجلها .

وفي يوم العاشر من رمضان (السادس من أكتوبر) تم عبور القناة من قبل الجيش المصري بقيادة قائده الاعلى محمد أنور السادات ، وانقضاض الجيش السوري بقيادة قائده الاعلى حافظ الاسد على منطقة الجولان ، ونشبت الحرب التي كانت من أعنف الحروب التي شهدها التاريخ .

وإذا دفع الملك فيصلا تواضعه إلى الصمت فإن قائد مصر الاكبر محمد أنور السادات ذكر صاحب الفضل بفضله وأعلنه على العالم إذ قال : « ان جلالة الملك فيصل هو بطل معركة العبور ، وسوف يحتل الصفحات الاولى في تاريخ جهاد العرب وتحولهم من الجمود الى الحركة ، ومن الانتظار الى الهجوم » .

وإذا كنا نذكر للرئيس المصري الجليل خلائقه الفاضلة ومزاياه النادرة فإن التاريخ يضع على قمة تلك الخلائق والمزايا صدقه واعطاءه صاحب الحق والفضل حقه ، وذكره بما هو أهله .

ولم يقف الرئيس السادات في تمجيد فيصل عند تلك الحقيقة ، بل أردفها بقوله : « وهو صاحب الفضل الاول في معركة الزيت ، وهو الذي تقدم الصفوف وأصر على استعمال هذا السلاح الخطير ، وفتح خزائن بلاده لمصر لتأخذ منها ما تشاء للصرف على معركة العبور ، بل لقد أصدر أمره أن من حق مصر أن تأخذ ما تشاء وبلا حدود كل ما تحتاج إليه من أموال للمعركة » .

وقال الرئيس السادات : « ان الملك فيصلا رجل غير عادي ، ان ذاكرته القوية تبهرني وتحيرني ، فهي تسعفه بالتواريخ والمعلومات الدقيقة وكأنه يقرأ في كتاب ، وقد اكتشف والده المغفور له الملك عبد العزيز هذه الموهبة في ابنه فراح يدربه منذ صغره على أصول الدبلوماسية ، وكان يوفده في بعثات سياسية إلى أكبر عواصم العالم ليصقله ويدربه ويوسع آفاقه ، وهو لا ينسى شاردة ولا واردة ولا حدثا من أحداث العالم ، ولذلك فإنه عميق في تفكيره ، ويستند في أحاديثه على أحداث تاريخية ووقائع دقيقة مفروض أن يقدمها الخبراء ، ولا تأتي عفوا في حديث الملك الخ » .

وإذا كان فيصل بطل معركة العبور وواضع خطة حرب رمضان قد رأى نجاحها فإن عزمه على تحرير القدس وفلسطين حمله على وحدة كلمة المسلمين وليست وحدة العرب وحسب ، فدعا الى عقد مؤتمر لاهور ، وهيأ له كل أسباب عقده ونجاحه ، وقاد حركة الاسلام بالحكمة والسداد اللذين عرف بهما ، فأجمع حضور مؤتمر القمة الاسلامي على اتباع منهاج الملك فيصل ، وتنفيذ ما وضع من خطط لانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة ، واعادة حقوق شعب فلسطين إليه كاملة ، وتحرير القدس الشريف من غاصبيه ، والتصدي للصهيونية وكل مذاهب الهدم ، وحماية الناشئة المسلمة ، وتربية الجيل المسلم تربية اسلامية صحيحة ، وسيادة القرآن ، واعلاء كلمة الله في العالم .

والاسلام ليس خطرا على الامم والمبادئ والقيم ، بل هو راعيها وحارسها ، وما كان المسلمون قط خطرا على أحد ، بل هم هداة الانسانية وحماتها ، وحفظة السلام ، وناشرو الحق والعلم والاخلاق في العالم ، وهم ودينهم نعمة الله الكبرى التي وهبها للانسانية حتى تحيا في أمن وسلام .

وليس مقصد الملك فيصل من الدعوة الى عقد مؤتمر لاهور الاسلامي إلا الخير للبشرية المعذبة التي فقدت الامن والامل من جراء مذاهب الهدم التي لا تقتصر على الشيوعية والماسونية والصهيونية ، بل منها الديمقراطية الغربية نفسها التي أفسدت الاخلاق والضمائر ، وهدمت القيم والمبادئ .

وإذا كان مقصد الملك فيصل من الدعوة الى مؤتمر لاهور بعث الاسلام وتجديده

وجمع كلمة أمته فإن وراء هذه الدعوة العمل لانقاذ الانسانية ، لان الاسلام هبة الله لها حتى تتحرر قبل كل شيء من العبودية والظلم والفساد بجميع ضروبه ، ثم تتحقق لها العدالة والامن .

وإذا كان الرئيس الدكتور كنث كاوندا رئيس جمهورية زمبيا يقول : « إن الملك فيصلا أحد قادة الانسانية »[1] فإن الواقع يقرر أن جلالته أبرز قادة الانسانية طرا في هذا العصر ، إذ ليس بينهم من يشبهه في المكرمات والخلائق الانسانية الفاضلة والرشد والزكانة والعدل والخير والفضيلة .

واستجاب قادة شعوب الامة الاسلامية لدعوة الملك فيصل ولبوها ، وانعقد مؤتمر قمة لاهور الاسلامي الثاني من يوم الجمعة **٣٠** محرم سنة **١٣٩٤** (**٢٢** فبراير **١٩٧٤**) الى يوم الاحد **٢** صفر **١٣٩٤** (**٢٤** فبراير **١٩٧٤**) وصدر عنه هذا البيان التاريخي العظيم ، ونصه :

أولا - عقد مؤتمر القمة الاسلامي الثاني في لاهور في الفترة من **٢٢** إلى **٢٤** فبراير **١٩٧٤** وحضره ملوك ورؤساء دول وحكومات وممثلو كل من جمهورية افغانستان ، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية ، دولة البحرين جمهورية بنغلاديش الشعبية ، جمهورية تشاد ، جمهورية مصر العربية ، جمهورية جابون جامبيا ، جمهورية غينيا ، غينيا بيساو ، جمهورية أندونيسيا ، أمبراطورية ايران ، المملكة العربية الاردنية الهاشمية ، مملكة المغرب ، المملكة العربية السعودية ، دولة الكويت ، جمهورية لبنان ، الجمهورية العربية الليبية ، ماليزيا ، جمهورية مالي ، جمهورية موريتانيا الاسلامية ، جمهورية النيجر ، سلطنة عمان ، جمهورية باكستان الإسلامية ، دولة قطر ، السنغال ، جمهورية الصومال ، جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العربية السورية ، جمهورية تونس ، جمهورية تركيا ، جمهورية أوغندا ، أبوظبي الجمهورية العربية اليمنية . واشترك في مؤتمر القمة رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وحضره ممثل العراق كمراقب . كما حضره ممثلا الجامعة العربية ومؤتمر العالم الاسلامي كضيوف .

---

(١) من تصريح لفخامته في يوم ١١ / ٢ / ١٣٩٤ هـ . (٦ / ٣ / ١٩٧٤ م) لوكالة الانباء السعودية .

ثانيا - أعلن ملوك ورؤساء الدول والحكومات وممثلو البلاد والمنظمات الاسلامية :

١ - ايمانهم بأن دينهم المشترك إنما يمثل رابطة لا انفصام لها بين شعوبهم ، وأن تضامن الشعوب الاسلامية لا تقوم على معاداة أية جماعة انسانية أخرى ولا على التفرقة بسبب العنصر أو التراث ، ولكن على المبادئ الايجابية الخالدة ، مبادئ المساواة والاخوة وكرامة الانسان ، والتحرر من التمييز والاستغلال ، والكفاح ضد الظلم والقهر .

٢ - مشاطرة شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، كفاحها المشترك ، ويقينهم من أن للبلاد الاسلامية دورا رئيسيا في الكفاح من أجل التقدم الاجتماعي وإيجاد نظام عالمي يقوم على العدل والانصاف .

٣ - رغبتهم في أن تكون جهودهم في سبيل تعزيز السلام العالمي القائم على الحرية والعدالة الاجتماعية مشبعة بروح المحبة والتعاون مع الاديان الاخرى طبقا لتعاليم الاسلام .

٤ - تصميمهم على صون التضامن بين الدول الاسلامية وتنميته ، وعلى احترام استقلال كل دولة وسلامة أراضيها ، واجتناب التدخل في الشئون الداخلية لاي منها ، وحل ما قد ينشأ بينها من خلافات بالوسائل السلمية وبروح الاخوة ، والاستعانة كلما كان ذلك ممكنا بجهود الوساطة أو المساعي الحميدة من جانب دولة أو أكثر من الدول الاسلامية الشقيقة لحل مثل هذه الخلافات .

٥ - ارتياحهم لاعتراف باكستان ببنغلاديش ، وثقتهم بأن تسوية مشكلة أسرى الحرب المائة والخمسة والتسعين سوف تتم وفقا لرغبات المؤتمر وتحقيقا لهدف التقارب والوفاق بين دولتي بنغلاديش وباكستان الشقيقتين .

٦ - تقديرهم للدور البطولي الذي لعبته دول الخط الاول والمقاومة الفلسطينية في حرب رمضان وللجهود العربية والتضامن الاسلامي الذي برز بدرجة أكبر في تلك المرحلة الحاسمة .

٧ - تقديرهم لاوجه نشاط المؤتمر الاسلامي وأمانته التي ستظل وسيلة تفانيهم في تعزيز التعاون . .

ثالثا ـ بعد بحث الموقف الراهن في الشرق الاوسط أعلنوا ما يلي :

١ ـ أن القضية العربية هي قضية كل البلاد التي تقف ضد العدوان والتي لن تسمح بأن يكون لاستخدام القوة ثمرة تحقيق مكاسب اقليمية أو أية مكاسب أخرى .

٢ ـ أن يبذلوا العون الكامل والفعال للدول العربية كي تستعيد بكل الوسائل المتاحة جميع أراضيها المحتلة .

٣ ـ أن قضية شعب فلسطين هي قضية كل أولئك الذين يؤمنون بأن من حق كل شعب أن يقرر مصيره بنفسه وبارادته الحرة .

٤ ـ استعادة الحقوق للشعب الفلسطيني في وطنه كاملة هي الشرط الجوهري الاساسي لحل مشكلة الشرق الاوسط واقامة سلام دائم قائم على العدل .

٥ ـ أن على المجتمع الدولي وخاصة تلك الدول التي تكفلت بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ ان يتحملوا المسؤولية الجسيمة المتمثلة في انصاف شعب فلسطين من الظلم الذي اقترف في حقه .

٦ ـ ان القدس هي الرمز الوحيد لالتقاء الاسلامُ بالاديان السماوية ، ولقد ولي المسلمون لاكثر من ١٣٠٠ سنة شؤون القدس كأمانة لكل من يعتزون بها . .

والمسلمون وحدهم الذين يمكن ان يكونوا حراسا محبين أمناء عليها لسبب بسيط هو أنهم هم الذين يؤمنون بأديان الانبياء الثلاثة الراسخة جذورها في القدس وعلى ذلك فإن الدول الإسلامية لا يمكن ان تقبل أي اتفاق أو بروتوكول أو تفاهم يفرض استمرار الاحتلال الاسرائيلي لمدينة القدس الشريفة أو وضعها تحت أي سيادة غير سيادة المسلمين والعرب ، أو جعلها موضع مساومات أو تنازلات ، وان انسحاب اسرائيل من القدس شرط هام لا محيد عنه لتحقيق سلام دائم في الشرق الاوسط .

٧ ـ ينوه بالجهود البناءة التي تبذلها الكنائس المسيحية في العالم كله وفي البلاد العربية وبصفة خاصة في لبنان . . مصر . . والاردن . . وسوريا لشرح قضية فلسطين لدى الرأي العام العالمي ولدى المؤتمرات الدينية العالمية والعمل على

تأييدهم للسيادة العربية على القدس والاماكن المقدسة الاخرى .

٨ ـ ان أي اجراء تتخذه اسرائيل لتغيير طابع الاراضي العربية المحتلة وبخاصة مدينة القدس الشريفة يشكل انتهاكا صارخا للقانون الدولي وتحديا لمشاعر الدول الاعضاء في المؤتمر الاسلامي وللعالم الاسلامي بصفة عامة .

٩ ـ ان الدول الافريقية وغيرها من الدول التي غلبت المبادئ على المصالح باتخاذها موقفا مشرفا وحازما في تأييد القضية العربية تستحق اسمى التقدير .

١٠ ـ ان توجه الدول الإسلامية اللوم والنصح الى كل من يؤيد اسرائيل بطريق مباشر أو غير مباشر لمواصلة عدوانها على الاراضي العربية واحتلالها اياها للعدول عن تقديم هذا التأييد .

١١ ـ ان الاتجاهات الحالية نحو سلام عادل لا يمكن إلا أن تركز على جذور المشكلة ، وان فصل القوات لا يمكن اعتباره سوى خطوة نحو الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة والاستعادة الكاملة للحقوق الوطنية لشعب فلسطين .

رابعا ـ بعد ان تدارسوا الموقف الاقتصادي العالمي بصفة عامة والوضع الاقتصادي القائم في البلاد الاسلامية بصفة خاصة على ضوء ما جاء في الكلمات التي ألقاها رؤساء الدول والحكومات ولا سيما كلمات رئيس مؤتمر القمة ورئيس الجزائر ورئيس ليبيا وإدراكا للحاجة الى :

١ ـ القضاء على الفقر والمرض والجهل في البلاد الاسلامية .

٢ ـ انهاء استغلال الدول المتقدمة للدول النامية . .

٣ ـ تنظيم شروط التبادل التجاري بين الدول المتقدمة والدول النامية فيما يتعلق بموراد المواد الخام واستيراد السلع المصنعة والخبرة الفنية .

٤ ـ ضمان سيادة الدول النامية وسيطرتها الكاملة على مواردها الطبيعية . .

٥ ـ تخفيف المصاعب الاقتصادية التي تواجهها الدول النامية نتيجة للزيادة الاخيرة في الاسعار .

٦ ـ التعاون والتضامن الاقتصادي المتبادل بين الدول الاسلامية . .

قرروا إنشاء لجنة تتكون من ممثلين وخبراء من الجزائر ومصر والكويت وليبيا وباكستان والمملكة العربية السعودية والسنغال ودول الامارات العربية المتحدة . . على أن يخول لهذه اللجنة اختيار اعضاء آخرين من الدول الاسلامية المهتمة . . وذلك من أجل إيجاد الوسائل والاساليب الكفيلة بتحقيق الاهداف المذكورة وضمان رفاهية شعوب الدول الاعضاء ـ وطلبوا من اللجنة ان تبدأ عملها على الفور وأن تقدم مقترحاتها خلال شهرين إلى مؤتمر وزراء الخارجية لبحثها وتنفيذها بصفة عاجلة .

وسوف تنعقد هذه اللجنة في جدة بناء على دعوة السكرتير العام الذي يقوم بتحديد تاريخ الاجتماع خلال مدة لا تزيد عن شهر من انتهاء مؤتمر القمة الحالي . . وسوف تعرض مقترحات اللجنة .

٧ ـ عزمهم على أن يقيموا على أساس من التضامن الاسلامي والتعاون المتبادل اتحادا بين دولهم الشقيقة يكرس للقضاء على الفقر والمرض والجهل في البلاد الاسلامية فيسهم في رفاهية شعوبها .

٨ ـ التزامهم باقامة طور جديد للعلاقات الاقتصادية العالمية على أساس المصالح المشتركة لجميع الدول والمساواة فيما بينها وبتأييد كفاح العالم الثالث من أجل تحقيق استقلال سياسي واقتصادي حقيقي .

٩ ـ تأييدهم حق جميع الدول لا سيما النامية منها في السيادة الدائمة والسيطرة الكاملة على مواردها الطبيعية واعتبار القرارات الاخيرة التي اتخذتها الدول المنتجة للنفط مطابقة لهذا المبدأ .

١٠ ـ ان العمل المنسق المشترك بين هذه الدول يشير الى بداية عهد جديد في العلاقات الاقتصادية بين الدول المتقدمة والدول النامية والى أن تضامن العالم الثالث وبالذات الدول الاسلامية يجب التمسك به في هذه المرحلة الدقيقة لصالح الجميع .

١١ ـ يجب النظر إلى أزمة الطاقة الراهنة من خلال العلاقة بين شروط التجارة

الخاصة بجميع المواد الخام والموارد التي يصدرها العالم الثالث وبين المصنوعات والخدمات التي يستوردها من الدول الصناعية .

١٢ ـ تأييدهم العمل الجماعي من جانب الدول النامية من أجل تنظيم توريد وأسعار موادها الخام وغيرها من السلع التي تصدرها الى الدول المتقدمة تبعا لاسعار المواد والخدمات التي تستوردها منها .

١٣ ـ اقامة تعاون متبادل بين الدول الاسلامية على ضوء التطورات الاقتصادية الراهنة ومساعدة الدول النامية وتشجيع التعاون مع الدول التي تساند العالم الاسلامي .

١٤ ـ استغلال التحسن المستمر في الموقف المالي لبعض البلدان الاسلامية في دعم تنميتها وتنمية غيرها من البلدان الاسلامية وبلدان العالم الثالث بما يعود على الجميع بالفائدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

١٥ ـ استخدام قوتها الاقتصادية والمالية باسم كافة البلدان الاسلامية والبلدان النامية الاخرى بغية دعم موقفهما في الجهد الرامي الى خلق نظام دولي جديد وعادل للتجارة والنقد الدوليين وبغية الحد من الصعاب التي تواجهها هذه البلدان نتيجة عمليات التلاعب في المجال المالي والازمات النقدية في العالم المتقدم . . .

١٦ ـ ان يتخذوا خطوات عاجلة لخلق إطار تنظيمي لتحقيق أهداف التعاون الاقتصادي المتبادل فيما بين البلدان الاسلامية لبحث إمكان مثل هذا التعاون وما يتخذ بهذا الشأن من اجراءات .

خامسا ـ وافق الملوك ورؤساء الدول والحكومات والممثلون على القرارات الخاصة بالقدس . . الشرق الاوسط . . والقضية الفلسطينية . . صندوق التضامن الاسلامي . . التنمية والعلاقات الدولية الاقتصادية وأمور أخرى . . وقد أرفقت هذه القرارات مع هذا البيان وتشكل جزءا لا يتجزأ منه .

سادسا ـ تحقيقا لهذه الاهداف العامة وغيرها من الاهداف المشتركة فإنهم يكلفون مندوبيهم في الامم المتحدة وغيرها من الهيئات الدولية بالتشاور لغرض اتخاذ مواقف مشتركة .

هذا بيان مؤتمر القمة ، وليس فيه إلا كل ما هو خير للانسانية والعالم ، وليس فيه أي تهديد لاحد سواء أكان فردا أم جماعة أم دولة أم دينا ، بل فيه المودة والسلام والامن والخير .

وإذا جاء في البيان أمر استرداد الاراضي المغتصبة المحتلة فذلك حق تبيحه كل قوانين الارض وشرائع السماء ، وما يقف في وجه هذا الحق إلا ظالم يجب أن يخاصمه العالم ، وما يواده ويناصره إلا ظالم مثله ، والظلم يجب أن يزول ، والحق يجب أن يعود الى صاحبه .

والبيان واضح صريح غني عن الشرح والتعليق ، وكل ما فيه قد سبق للملك فيصل أن أعلنه في خطبه وتصريحاته وأحاديثه قبل مؤتمر قمة لاهور ، ومن اشتركوا فيه أعلنوا أن صاحب الفضل في عقد المؤتمر ونجاحه هو الملك فيصل .

وكان معروفا لدى أعضاء مؤتمر قمة لاهور والمسلمين والعرب جميعا أن الملك فيصلا هو وحده الزعيم الذي يسعه أن يوحد كلمة المسلمين ويجمع قادتهم وملوكهم وزعماءهم ، وقد استطاع إلى ذلك سبيلا ، فلما دعا الى عقد المؤتمر بادروا بالتلبية لان فيه صلاح دينهم ودنياهم .

وماضي فيصل البعيد والقريب حمل الزعماء والحكام على الاعجاب به والرضا بأحكامه والاصغاء لنصحه وقبول آرائه السديدة الحكيمة ، حتى أن بعضهم رغبوا في مبايعة فيصل بامارة المؤمنين وامامة المسلمين ، ومن هؤلاء : الرئيس عيدي أمين رئيس جمهورية أوغندا الذي أعلن في شهر ذي الحجة سنة **١٣٩٣** (يناير **١٩٧٤**) رأيه واقتراحه اللذين لخصهما هو نفسه إذ قال :

« ان الدين الاسلامي دين سماوي ، وتعليماته صادرة مباشرة من الله سبحانه وتعالى ، وأنا كمسلم متدين مؤمن كامل الايمان بحثت حاجة المسلمين الى قائد وزعيم يلتف حوله المسلمون ، ويكون قادرا على تفهم الاسلام وواجب الزعيم الديني تجاه الامة الاسلامية .

« وقد اقترحت أن يكون هذا الزعيم هو جلالة الملك فيصل المعظم ، ينسق أمور المسلمين فيما بينهم ، وقد جاء اقتراحي يقينا مني بأن جلالة الملك فيصل هو أجدر

زعيم اسلامي ـ بلا خلاف ـ يحمل هذه الامانة بأمانة ، لان لديه الخبرة الطويلة في خدمة حجاج بيت الله الحرام ، والدراية الكاملة بأمور المسلمين ، والعقيدة الراسخة بواجبه الاسلامي تجاه الامة الاسلامية .

« وانني سأثيرهذا الموضوع في مؤتمر القمة الاسلامي الذي سيعقد قريبا في باكستان في لاهور ، وان اتصالاتي بعدد من رؤساء الدول الاسلامية أقنعتني بأن هؤلاء الرؤساء يرحبون ويؤيدون اقتراحي باختيار جلالة الملك فيصل المعظم زعيما للمسلمين وقائدا لهم ، لعلمهم بحاجة المسلمين الى من ينسق أمورهم ويجمع شملهم ويقودهم ، وسأجري المزيد من الاتصالات مع باقي رؤساء الدول الاسلامية .

وانني متفائل جدا بأن اقتراحي هذا سيلاقي قبولا تاما من قبل جميع الزعماء المسلمين الذين سأتحدث معهم » .

وفي الفترة التي أعلن فيها زعيم أوغندا الرئيس عيدي أمين أعلن الرئيس عمر بونجو رئيس جمهورية الجابون رأيه الذي قرر فيه امامة الملك فيصل للمسلمين .

والرئيس عمر بونجو كان مسيحيا كاثوليكيا ، وهو من النوابغ ، وقد رفعه ما يمتاز به من علم وخلق وعبقرية الى رئاسة الجابون ، وهو يحسن الفرنسية الى حد المهارة التي يمتاز بها كبار الكتاب الفرنسيين ، وقد ألف كتابا بالفرنسية تحت عنوان « التقدم أرقام وحقائق » .

وهو من القلائل الذين درسوا الديانات والعقائد والشرائع في مختلف العصور دراسة دقيقة واعية ، ودرس بينها الاسلام دراسة ناقد ، وقد سبق له أن قرأ ما كتب أعداؤه مثل فولتير وجولد زيهر ، وانتهت دراسته إياه الى أن يتخلى عن ديانته المسيحية ويدخل الاسلام طواعية واختيارا بعد بحث ودرس عميقين وشاملين .

دخل عمر بونجو الاسلام في يوم الجمعة الثاني من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٤ (٢٨ سبتمبر ١٩٧٣) وأعلن على الملأ اسلامه وقال ما نص ترجمته :

« إن الدين الاسلامي دين حق عظيم خال من التعقيدات والفلسفات الغامضة

غير المقبولة الموجودة في المسيحية ، ووجدت في الاسلام حقيقة الانسان وحقيقة الكون وحقيقة الخالق العظيم الواحد الاحد الذي ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

فالاسلام ـ كدين إلـهي وتشريع رباني ـ خال من كل التعقيدات والغموض الفلسفي الموجود في المذاهب المسيحية ، كما أن الاسلام بدستوره العظيم القرآن الكريم ـ وهو في بيتي وقد قرأته عديدا من المرات وما زلت أقرؤه ـ الدين الحق الذي يصلح لكل مجتمع في كل زمن ، لانه دين الحق والعلم والخير والفضيلة والجمال » .

ويتفق الرئيس عمر بونجو مع أكبر فلاسفة الارض في القرن العشرين برتراند رسل الذي يقول في كتابه « الحضارة الغربية » ج ٢ ص ١٨٦ الترجمة العربية : « كانت ديانة النبي (محمد) توحيدا بسيطا ليس فيه التعقيد الذي نراه في عقيدة الثالوث والتجسيد ، ولم يزعم النبي لنفسه أنه إلـهي ، ولا زعم له أتباعه هذه الطبيعة الإلهية نيابة عنه » .

هذا الزعيم الافريقي العلامة المسلم رئيس الجابون يقول : « أتيح لي أن ألتقي في حجي هذا الزعيم المسلم الاخ الملك فيصل بن عبد العزيز بعد أن اجتمعنا في الجزائر إبان مؤتمر دول عدم الانحياز ، واني لسعيد بهذا اللقاء وبهذا الملك الذي يعتبر بحق مفخرة للمسلمين ، وهو خادم الحرمين وامام المسلمين » .

واقتراح الرئيس عيدي أمين ثم قرار الرئيس الجابوني وجدا قبولا من ملوك المسلمين وزعمائهم ورؤسائهم ومفكريهم ، فليس في الوجود اليوم من هو أصلح وأجدر لامامة المسلمين وامارة المؤمنين من الملك فيصل ، بل ذهب بعضهم ـ ومنهم الرئيس الاوغندي ـ الى اقامة الخلافة الاسلامية ومبايعة الملك فيصل خليفة للمسلمين .

وقبيل عقد مؤتمر القمة ببضعة أيام قرر الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية والرئيس معمر القذافي رئيس ليبيا والقاضي عبد الرحمن الارياني رئيس المجلس الجمهوري في اليمن مجتمعين مبايعة الملك فيصل بأن يكون أمير المؤمنين وخليفة المسلمين .

وذكرت وكالة « روتر » في ٢٤ فبراير ١٩٧٤ (٢ صفر ١٣٩٤) هذا الخبر :

« نسبت صحيفة « النهار » اليوم الى مصادر دبلوماسية عربية قولها : إن جلالة الملك فيصل رفض عرضا بمبايعته أميرا للمؤمنين ، وقالت الصحيفة : ان الرئيس المصري أنور السادات والرئيس الليبي معمر القذافي والقاضي عبد الرحمن الارياني رئيس المجلس الجمهوري في اليمن عرضوا ذلك خلال مباحثاتهم التي أجروها مع الملك فيصل في الرياض قبل سفرهم جميعا الى مؤتمر القمة الاسلامي ، وأشارت الصحيفة إلى أن الرؤساء الثلاثة اقترحوا أن تتم المبايعة في مؤتمر القمة الاسلامي ، كما أن الرئيس الباكستاني ذا الفقار على بوتو وبعض الرؤساء الافريقيين تقدموا باقتراحات مماثلة » .

وكان ما ذكرته صحيفة « النهار » البيروتية حقا ، وكان هؤلاء الرؤساء وغيرهم يريدون ألا يعقد مؤتمر القمة الاسلامي بلاهور إلا بعد أن يبايع الملك فيصل بامارة المؤمنين وامامة المسلمين كافة ، وفرح المسلمون وظنوا أن الخلافة الاسلامية ستبعث من جديد ، وان الخليفة سيبرز الى الوجود ليتولى أمرهم ، وعرفوا أن المسلم الوحيد الذي يصلح للخلافة هو الملك فيصل خادم الحرمين وحامي المقدسات الاسلامية ورائد دعوة التضامن الاسلامي ومحكم الكتاب والسنة ، وأنه المسلم الوحيد الجدير بهذا المنصب لان خلائقه وتدينه وصلاحه وعدله واعتصامه بربه تؤهله له .

إلا أن الملك فيصلا اعتذر ، لانه لا يريد أي مغنم شخصي ، ولان قيام الخلافة محفوف بالمخاطر ، وإذا كان مجرد الاقتراح قد وحد صفوف أعداء الاسلام والمسلمين لمحاربة الاقتراح فإن قيام الخلافة سيورط المسلمين في حاضرهم في مشاكل ومخاطر تشغلهم عن تنفيذ ما خططوا له من العمل من أجل نهضة المسلمين وتوحيد كلمتهم .

ثم ان بعض الدول الاسلامية وحكامها واقعون تحت نفوذ مذاهب الهدم ، وقيام الخلافة قد يدفعهم الى الشذوذ والانشقاق عن الصف الاسلامي الموحد ، وهذا ما لا يريده الملك فيصل الذي يجاهد بكل ما آتاه الله من نعم من أجل وحدة الكلمة والصف والمسير .

وإذا كان الملك فيصل قد أبى قبول مبايعته فإن الملوك والرؤساء والزعماء وشعوبهم موقنون أنه امام المسلمين الحق وزعيمهم الفرد ، وشعورهم بأنه أمير المؤمنين شعور صادق ، ولهذا كان اجماع مؤتمر القمة على الهتاف باسم الملك فيصل ، والاشادة بفضله ونزاهته وعبقريته وجهاده ودعوته التي أثمرت هذا التجمع العظيم حيث اجتمع في المؤتمر ملوك ورؤساء وزعماء يمثلون أكثر من ثلاثين دولة ما كانوا ليجتمعوا وتتحد كلمتهم لولا الملك فيصل .

ولم يقتصر على حضور المؤتمر اكبار الملك فيصل والاعتراف بجهده وفضله ودعوته ، بل كان من لم يحضروه شركاء الحاضرين في الرأي ، فرئيس جمهورية غينيا وجه رسالة الى المؤتمر أشاد فيها بالملك فيصل وبعظم دعوته الى التضامن الاسلامي و« أهمية » هذه الدعوة المباركة .

وذكر الرئيس الغيني في رسالته هذه أنه استجاب لدعوة الملك فيصل عند زيارة جلالته لغينيا سنة ١٩٦٦ وأكد تضامنه وتضامن بلاده مع شقيقاتها الدول الاسلامية لاستعادة أراضيها المحتلة ومقدساتها الاسلامية .

وكان كل من حضروا المؤتمر مجمعين على أن نجاح المؤتمر مدين للملك فيصل الذي دعا الى عقده ، وان المؤتمر نفسه ثمرة دعوته الى التضامن الاسلامي ، وأن كل ما تم فيه من قرارات وتوصيات إنما هو بعض آثاره وأعماله التي وحدت صفوف أمة الاسلام ، وأن يقظة الاسلام كان بفضل الله ثم بفضل الملك فيصل ، وأن جلالته قائد المسلمين وزعيمهم وإمامهم بحق ودون منازع .

وقد لخص كل ذلك رئيس وفد ماليزيا رئيس وزرائها ووزير خارجيتها دولة الرئيس الحاج تون عبد الرزاق بن ناتو حسين الذي قال :

« ان الدور الذي قام به جلالة الملك فيصل المعظم حفظه الله ويقوم به في قيادة بلاده وقيادة الامة الاسلامية جميعا ، هو دور القيادة . . .

« واني أكن أعظم التقدير لجهود جلالة الملك فيصل المعظم التي على أساسها تمكنا نحن الامة الاسلامية من عقد مؤتمر القمة الاسلامي بلاهور منذ أيام .

« وماليزيا تقدر هذه الجهود لجلالته حق القدر ، وتشكره على ما بذل من جهود في

سبيل توحيد الصف الاسلامي والامة الاسلامية .

« **ولم يظهر** مؤتمر قمة لاهور التعاون ما بين الدول الاسلامية وحسب ، وليس الوحدة المجردة فيما بينها وكفى ، بل أثبت التعاون والتآخي والتآلف والوحدة مضافا اليها الوحدة الصحيحة .

وإذا كان هناك من الآمال والاماني ما يزال ينتظر التحقق فإن جهود الملك فيصل كفيلة بأن تحققها كما حققت وحدة الامة الاسلامية » .

ويقول صاحب الدولة تنكو عبد الرحمن رئيس اللجنة التحضيرية للبنك الاسلامي والامين العام السابق للمؤتمر الاسلامي في حديث أدلى به لوكالة الانباء السعودية في يوم الخميس **١٤** صفر **١٣٩٤** **(١٩٧٤/٣/٨)** :

« ان انشاء البنك الاسلامي يعتمد اعتمادا كبيرا على مساعدة جلالة الملك فيصل وتأييده الشخصي » الخ .

« وان العالم الاسلامي يدون بكل فخر واعتزاز مواقف الملك فيصل حفظه الله ومقدرته على جمع صفوف المسلمين وتوحيدها ، وكان جلالته الدافع الاول الى عقد مؤتمر قمة لاهور الاسلامي ، وهو العامل الاكبر لنجاحه ، وما كان النجاح ليتحقق للمؤتمر لولا قيادة جلالته الرشيدة وسياسته الحكيمة وإيمانه العميق بقضايا الاسلام والمسلمين .

وانني أشعر بكل فخر أن المؤتمر قد حقق نجاحا منقطع النظير لمصلحة الامة الاسلامية جميعها ، كما كان من بواكير ثماره عودة الصفاء والعلاقات الحسنة بين الدولتين الشقيقتين : باكستان **وبنقلادش** » .

ويعود الى الملك فيصل فضل الصلح بين البلدين الشقيقين ، وقد ذكرت وكالات الانباء ووسائل الاعلام الباكستانية ذلك بإسهاب ، وهذا ما ذكرته بنصه : « شهد ملايين المتفرجين على برامج التلفزيون في باكستان على الهواء مباشرة مشهدا رائعا للمصالحة التي تمت بين باكستان **وبنقلادش** ، فقد تم الاحتفال بهذا الصلح في مأدبة فاخرة أقيمت في القلعة القديمة لعاصمة الامبراطورية المغولية ، وكان جلالة الملك فيصل يتصدر المائدة وعلى يمينه رئيس وزراء باكستان السيد علي

ذو الفقار بوتو ، وعلى يساره جلالته الشيخ مجيب الرحمن رئيس بنقلادش .

وكان الملك فيصل يرعى كل مراحل المصالحة التي كانت من أهم انجازات مؤتمر القمة الاسلامي ، وفي بداية هذه المصالحة عانق ذو الفقار على بوتو عدوه بالامس الشيخ مجيب الرحمن » .

وذكرت صحف باكستان أن المصالحة ما كانت لتتم لولا فضل الملك فيصل وحكمته ، فهو الشخصية المحبوبة من كلا الشعبين في باكستان وبنقلادش ، ومن كلا زعيميهما اللذين يكنان لجلالته كل اجلال وولاء ، فهما يعتبرانه امام كل من يقول : لا إلـه إلا الله ، محمد رسول الله ، وعلى هذا الاعتبار كانت المبادرة لقبول الصلح الذي عجز غير الملك فيصل عن اتمامه .

وقامت كل صحف باكستان بما يشبه المظاهرة الضخمة لابراز شخصية الملك فيصل و « دوره » وجهوده في سبيل جمع شعوب الامة الاسلامية وحكوماتها وملوكها ورؤسائها وزعمائها ، وتوحيد كلمتهم وصفوفهم ، ونكتفي بذكر ما جاء في أحد أعداد صحيفة « نيو تايمس » الباكستانية ذات الانتشار الواسع ، ففيما ذكرته غناء ، وما جاء في غيرها لا يخرج عما جاء في هذا العدد الذي ننقل عنه .

كتبت « نيو تايمس » بحثا ضافيا استهلته باقتراح الرئيس الاوغندي عيدي أمين الذي دعا الى مبايعة الملك العظيم فيصل زعيما عالميا للمسلمين وخليفة واماما لهم ، لان جلالته هو الحاكم الوحيد الفذ المسلم الذي تجتمع فيه كل شروط خليفة المسلمين ، فهو يجمع في شخصه كل خلائق المسلم الفاضلة وصفات المؤمن الحميدة ، وما من خلق كريم إلا وهو في جلالته الذي جعله الله خادم بيته الحرام ومسجد نبيه عليه الصلاة والسلام ، ومجدد الدين ، ومحيي السنة ، ومعلي كلمته ، وناشر كتابه .

وذكرت الصحيفة ـ كما ذكرت الصحف الاخرى ـ ان الملك فيصلا يعد من أكابر فقهاء المسلمين وعلمائهم ومجتهديهم ، وأساس ملكه العدل ، وبابه مفتوح أمام كل قاصد ، وهو لشعبه وللمسلمين بمنزلة الاب الرشيد .

وقالت الصحيفة : « ان اقتراح الرئيس عيدي أمين قوبل بالارتياح من كل

أعضاء المؤتمر ، ولقي التأييد الاجماعي منهم ، ولم يشذ أحد من زعماء العالم الاسلامي الذين حضروا مؤتمر القمة ، بل كانت الموافقة اجماعية » .

وقالت : « ان فضل الدعوة الى الوحدة الاسلامية يعود الى الملك فيصل الذي أحس بحاجة المسلمين الى الوحدة والتضامن لمجابهة الاخطار التي يتعرض لها الوجود الاسلامي داعيا ببصيرته الثاقبة الى أن مصير المسلمين سيكون الفناء اذا انعدمت وحدة الهدف والصف فيما بينهم .

« وليس الملك فيصل مجرد انسان ذي بصيرة وحسب ، بل هو زعيم عملي ذو قدرة قادرة على العمل بجد واجتهاد ، والسير بخطى ثابتة نحو هدفه مهما كانت العقبات وهو يمضي الى تحقيق هدفه متدرجا وبحذر ، ولا يتعجل الامور ولا يلجأ الى اتخاذ الشعارات المرتجلة ، لانه صاحب رسالة تستهدف خدمة قضايا المسلمين .

ولقد تأكدت نظرية الملك فيصل التي تذهب الى أن بالوحدة والتضامن يستطيع المسلمون في الوقت الحاضر حل مشاكلهم ، واحتلال مكانتهم الشرعية تحت الشمس » الخ .

وأيدت الصحف العربية وغير العربية والاسلامية وغير الاسلامية ما جاء في صحيفة « نيو تايمس » وذهبت الى أبعد منها ، بل تبارت الصحف في ذكر ما عمله ويعمله الملك فيصل من أجل الاسلام والمسلمين .

ولم يقف الامر عند حدود الصحافة العربية والاسلامية والعالمية بل كان الملوك والرؤساء والزعماء سواء أكانوا من حضور المؤتمر أم ممن لم يحضروه مجمعين على أن عقد المؤتمر ونجاحه كانا بفضل الله ثم الملك فيصل ، بل ذهبوا هم وغيرهم من مفكري المسلمين الى أن الامل في المزيد من اليقظة والتقدم والسيادة والقوة معقود على جهود الملك فيصل بعد الله .

فهرس